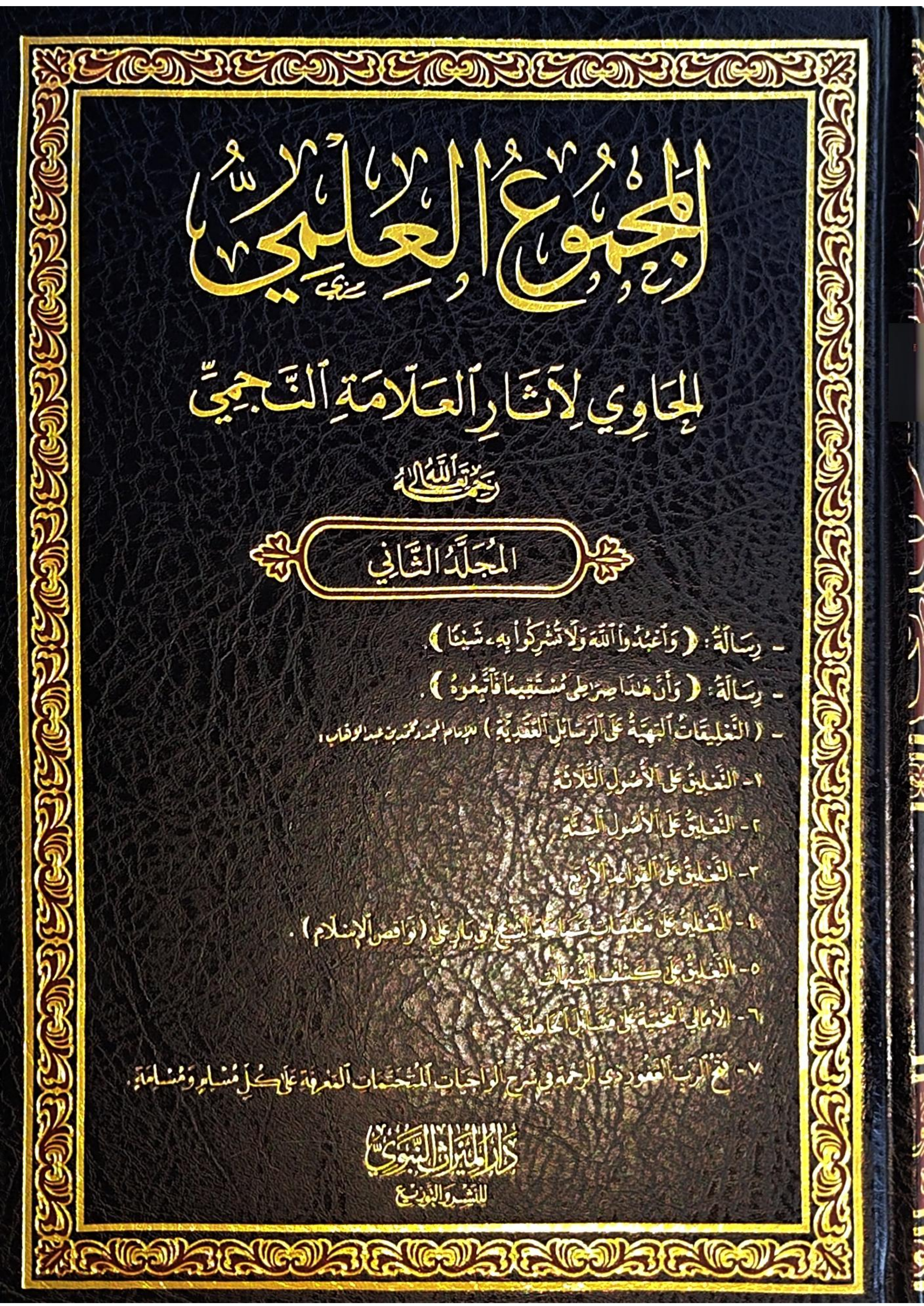


المجموع العلمي
الحاوي لآثار العلامة النجمي
رحمه الله تعالى
المجلد الثاني
- رسالة: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.
- رسالة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾.
- (التعليقات البهية على الرسائل العقدية) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب:
١- التعليق على الأصول الثلاثة
٢- التعليق على الأصول الستة
٣- التعليق على القواعد الأربع
٤- التعليق على تعليقات سماحة الشيخ ابن باز على (نواقض الإسلام).
٥- التعليق على كشف الشبهات
٦- الأمالي النجمية على مسائل الجاهلية
٧- فتح الرب الغفور ذي الرحمة في شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة.
دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


المجموع العلمي
الحاوي لآثار العلامة النجمي
رحمه الله
المجلد الثاني

المجموع العلمي

الحاوي لآثار العلامة النجمي

رحمه الله تعالى

المجلد الثاني

- رسالة: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.
- رسالة: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾.
- (التعليقات البهية على الرسائل العقدية) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب:

١- التعليق على الأصول الثلاثة.

٢- التعليق على الأصول الستة.

٣- التعليق على القواعد الأربع.

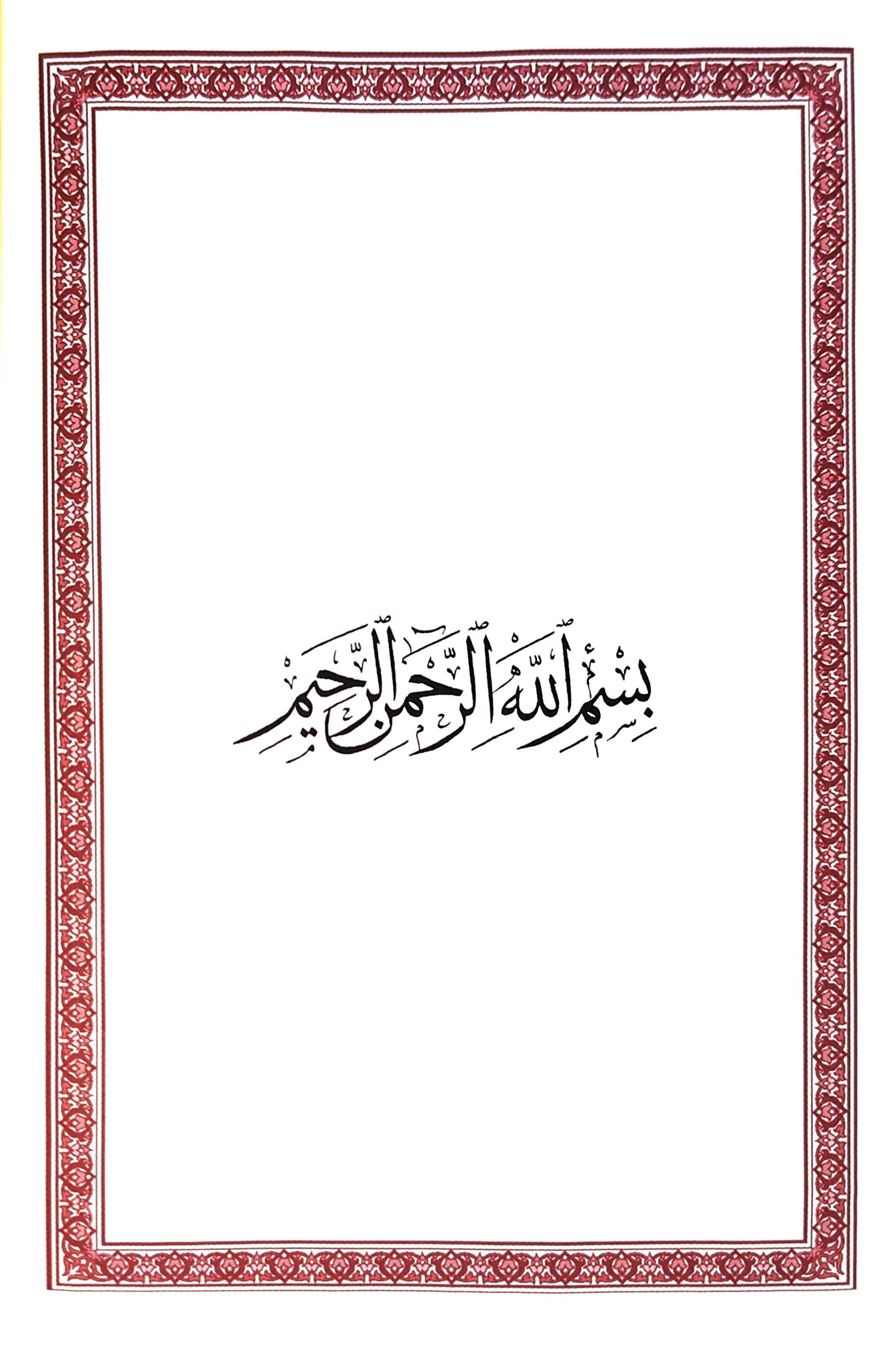
٤- التعليق على تعليقات سماحة الشيخ ابن باز على (نواقض الإسلام).

٥- التعليق على كشف الشبهات.

٦- الأمالي النجمية على مسائل الجاهلية.

٧- فتح الرب الغفور ذي الرحمة في شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة.

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم



وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا



مقدِّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا، ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَنْ يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعد:

فإنَّ خيرَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار. وبعد:

فإنَّ مِن أفضل الأعمال الَّتي يقوم بِها أهلُ العلم والإيمان هو تصحيحُ الاعتقاد لدىٰ بني البشر، وبخاصَّةٍ مَنْ ينتسبُ للإسلام، وذلك لطروءِ الشِّرْك ومَظانِّه علىٰ هذه الأُمَّة، والَّذي اجتالت به الشَّياطين أكثر النَّاس، والعياذ بالله.

ومِن أجل هذا الأمر أرسل الله رسله - عليهم الصَّلاة والسَّلام - لانتشال النَّاس من الإشراك بالله وعبادةِ ما سواه إلىٰ توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فبلَّغ هؤلاء الرُّسُل الكرام - عليهم الصَّلاة والسَّلام - أُمَمهم وأنذرُوهم وحَذَّروهم،

فجزاهم الله خيرَ الجزاءِ علىٰ ما قدَّموا.

ثُمَّ تَتابع علىٰ هذا الأمر ورثةُ الأنبياءِ، وهم علماءُ أهل السُّنَّة والجماعة، وبيَّنوا للنَّاس توحيدَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحَذَّروهم من البدع والشِّرْك، وهم - بحمد الله - قائمون بِهذا الأمر إلىٰ يومِنا هذا.

ومِمَّنْ كان له نصيبٌ كبيرٌ في هذه السُّنَّة العظيمة - أي: نشر التَّوحيد الخالص والسُّنَّة النَّبويَّة الصَّحيحة الثَّابتة - فضيلة شيخِنا المُحدِّث العلَّامة ناشر السُّنَّة وقامع البدعة: **أحمد بن يحيىٰ بن محمَّد النَّجمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفتي جنوب المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، كما كان لشيخِه الإمام المُجدِّد: **عبد الله القرعاوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصيب الأسد في نشر عقيدة السَّلف في جنوب المملكة العربيَّة السّعوديَّة، فتأثَّر به تلميذُه شيخُنا أحمدُ - رحمه الله وبارك في علمه - فكان من الجهد الَّذي بذله في نشر هذه العقيدة السَّلفيَّة هذه الرِّسالة الَّتي قمتُ بتحقيقها والتَّعليق عليها، مع إضافة بعض العناوين اللَّازمة؛ لإبراز ما بها من مسائل مهمَّة.

وأصلُ هذه الرِّسالة محاضرةٌ ألقاها شيخنا قبل مُدَّةٍ كبيرةٍ من الزَّمن في أحد مساجد مدينة صامطة.

وحيث كان الشَّيخُ قَدْ وكل إليَّ مراجعة هذه الرِّسالة، وهي تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]، فاستأذنتُه في تحقيقها والتَّعليق عليها ليعمَّ بِها النَّفع، ولحاجة المسلمين الماسَّة إليها.

وفي الختام: هذا جهد المُقلِّ، فما كان من صوابٍ فمن الله، وما كان من

خطأٍ فمنِّي ومن الشَّيْطان، فنسأل اللهَ جَلَّ وَعَلَا أن يجعل ذلك في ميزان حسنات الشَّيخ، وفي ميزان حسناتي يوم نلقاه؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

كتبه

أبو عبد الرحمن المكي

صامطة

١٤٢٤/٨/٩هـ





نصُّ المحاضرة

أحمدُك اللَّهمَّ يا مَنْ أنعمتَ علينا بنعمةِ الإسلام، وأُصلِّي وأُسلِّم على خير خَلْقِك وأفضَل رُسُلِكَ المُظلَّل بالغمام، المخصوص بالشَّفاعة العظمى والمقام المحمود الَّذي هو خيرُ مقامٍ، وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الحشر والنَّشر والقِيام.

أمَّا بعد:

فقد اخترتُ لكم تفسيرَ آيةٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهي قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

فهذه الآيةُ جَمعت مع أصل العقيدة خصالَ الخير، وأوجهَ البرِّ، وأنواعَ المعروف.

الشَّرائع كلُّها مُتَّفقةٌ على الأمر بالتَّوحيد وتحريم الشِّرك بالله:

فأمَّا أصل العقيدة: فهو الوصيَّة بعبادة الله والنَّهي عن الشِّرك به، فتلك دعوة الرُّسُل من أوَّلهم إلى آخرهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

فالشَّرائع كلُّها مُتَّفقةٌ علىٰ الأمر بالتَّوحيد وتحريم الشِّرك بالله، والعقولُ مجبولةٌ علىٰ ذلك، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**[(١)] - وفي روايةٍ: «**أَوْ يُشَرِّكَانِهِ**»[(٢)] - **كَمَا تُنتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمة جَمْعَاءَ**[(٣)] **هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**[(٤)]؟ »[(٥)].

والفطرة: معناها الخِلْقة والجِبلَّة، فالعبد من حِين يُخْلقُ مَرْكوزٌ في عقلِه معرفةُ الله، والخضوعُ لجلاله، والعبوديَّةُ له، وهذا معنىٰ الحديثِ: «**خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ**[(٦)]»[(٧)].

تعريف معنى العبادة:

والعبادة: هي الغاية الَّتِي خُلِق لها النَّاس، والحكمةُ الَّتِي أوجدَهم اللهُ مِن أجلِها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجها الترمذي (٢١٣٨)، وصحَّحها الألباني في «صحيح وضعيف الترمذي».

(٣) أي: مُجتمعة الأعضاء، سليمة من النقص.

(٤) أي: مقطوعة الأذن، أو غيرها من الأعضاء. ومعناه: أن البهيمة تُولد كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أي: استخفوهم، فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه.

(٧) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

والعبادة عرَّفها بعضُ العلماء: بأنَّها التَّذلُّل والافتقار لمَنْ له الحكم والاختيار(١).

وعَرَّفها بعضُهم، فقال: «هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه مِن الأقوالِ والأفعالِ، الظَّاهرةِ والباطنةِ»(٢).

ويدخل في الأفعال: الأوامر والتُّروك.

والعبادة: هي واجبٌ يلزم أداؤه بالدِّين والعقل:

أمَّا الدِّين: فالقرآن الكريم كلُّه يأمر بعبادةِ الله وحدَه.

وأمَّا العقل: فمِنَ المعلوم لدىٰ كلِّ عاقلٍ أنَّه يلزم أنْ تتودَّد وتَتقرَّب إلىٰ مَنْ بيده خيرُك وشرُّك، ونفعُك وضرُّك، وغناك وفقرُك، وصحَّتُك ومرضُك، وحياتُك وموتُك، وإسعادُك وإشقاؤُك.

وقَدْ أوضح ذلك القرآنُ حيثُ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

فالواجب علىٰ العبد: أنْ يُفْرد الله بالعبادة؛ لأنَّه هو الَّذي أوجدَه مِن عدَمٍ، وسَيَّره علىٰ القَدَم، وعَلَّمه بالقلم؛ ولأنَّه هو الَّذي حوَّله مِن نطفةٍ إلىٰ علقةٍ، ومِن علقةٍ إلىٰ مضغةٍ، ومِن مضغةٍ إلىٰ لحمٍ ودمٍ، وخطَّ له الأنف والحدقة، ولأنَّه هو الَّذي خلق له اللِّسان، وأنطقَه بالبيَان، وخَلَق له اليد والرِّجل والبَنان، ولأنَّه هو الَّذي فَصَّل أعضاءَه هذا التَّفصيل العجيب، وركَّبه أحسنَ تركيبٍ، فتبارك الله أحسن

---

(١) قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (٥/ ١٨٠ الكتب المصرية): «العُبوديَّةُ هي التَّذلُّلُ والافتقارُ، لِمَن له الحُكمُ والاختيارُ».

(٢) **انظر**: رسالة «العبودية» (ص٣٨) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الخالقين، وقَدْ أجمل القرآن ذلك في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾.

ووجَّه القرآنُ العقلَ البشريَّ في غير موضعٍ، وأيقظه مِن نومِه، ووجَّهه إلىٰ التَّفكير في الأصل والمنشأِ، فقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطَّارق: ٥ - ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٣] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وفي الحديثِ الصَّحيح عن ابْنِ مسعودٍ ﵁ أنَّه سألَ رسولَ الله ﷺ، فقال: أيُّ الذَّنب أعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ**». قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قال: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**»[(١)].

وإذا علِمْنا هذا؛ فإنَّ مَنْ أدَّىٰ هذا الحقَّ لله جَلَّ وَعَلَا فقد وعده الله أَنْ يُدخِلَه الجنَّة علىٰ ما كان مِن العمل، ففي الصَّحيح أنَّ معاذَ بنَ جبَل ﵁ كانَ رديفَ النَّبيِّ ﷺ علىٰ حِمارٍ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ؟**» قال: اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَمُ. قَالَ: «**حَقُّ الله عَلَىٰ العِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلكَ؟**» فقلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**حَقُّهُمْ عَلَيهِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ إِذَا هُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ**»[(٢)].

وعن عُبادَةَ بن الصَّامت ﵁ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّة حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٦٧)، ومسلم (٣٠).

عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». أخرجاهُ في «الصَّحيحَين»[(١)].

فالعبادة هي سبب النَّجاة، و(الحقُّ) المذكور في الحديث أوجبَه اللهُ علىٰ نفسِه لعبادِه، ولَم يوجبه عليه أحدٌ مِن خَلْقه[(٢)].

ثُمَّ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾:

واعلم أنَّ العبادةَ الَّتِي تَقدَّم وَصْفها هي العبادةُ الخاليةُ مِن الشِّرك، فلا تُسمَّىٰ عبادةً شَرعيَّةً إلَّا إذا كانتْ خاليةً مِن الشِّرك، وأيُّ عبادةٍ كانتْ مَشوبةً بالشِّرك فهي مَردودةٌ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزّمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقالَ النَّبيُّ ﷺ: **«قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَن الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**. رواه مسلمٌ عن أبي هُريرة[(٣)].

الشِّرك أنواعٌ مُتعدِّدةٌ، وخصالٌ متباينة:

والشِّرك أنواعٌ مُتعدِّدةٌ، وخصالٌ متباينةٌ؛ أعظمه: **أنْ تعتقد الأُلُوهيَّة في مخلوقٍ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) قال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٢١٣): «ومِنَ النَّاس مَن يقولُ: لَا حقَّ للمخلوق علىٰ الخالق بحال، لكن يعلم ما يفعلُه بحُكم وعدِه وخبره كما يقول ذلك مَن يقولُه مِن أتباع جهم والأشعريِّ وغيرهما ممَّن ينتسب إلىٰ السُّنَّة. ومِنهم مَن يقول: بل كتبَ اللهُ علىٰ نفسِه الرَّحمة، وأوجبَ علىٰ نفسِه حقًّا لعبادِه المؤمنين كما حرَّم الظُّلم علىٰ نفسِه لم يوجب ذلك مخلوقٌ عليه، ولا يقاسُ بمَخلوقاتِه بل هو بحُكم رحمتِه وحكمتِه وعدلِه كتَب علىٰ نفسِه الرَّحمة، وحرَّم علىٰ نفسِه الظُّلم».

قلتُ: وهو ما يُسمَّىٰ باستحقاق المقابلة، وهو باطل قطعًا.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

وتجعل له شيئًا مِن التَّصرُّفات الَّتِي هي مِن خصائص الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك هو الشِّرك الأكبر، فمَنِ اعتقدَ في مخلوقٍ القُدرة علىٰ إنزال المطر، أو شفاء المرض، أو اعتقد أنَّه يعلم الغيب، أو يحفظ الجنين في بطن أُمِّه، أو يوجده وهو ليس بموجودٍ، فقد جعَل لله ندًّا في أُلُوهيَّته، واستحقَّ الخلودَ في النَّار(١).

ومن ذلك: أنْ يعتقدَ أنَّ فلانًا يلدح لامرأته، بمعنىٰ أنَّه يضربُ بيدِه في ظهرها عندما تغتسلُ مِن الحيض، فتحمل في ذلك الطُّهْر، فإذا حَمَلَتْ في ذلك الطُّهْر وجاءتْ بولدٍ، سَمَّوه باسمِه، ورأوا أنَّه هو الَّذي أعطاهم الولد.

ومِن ذلك: أنْ يعتقدَ أنَّ فُلانًا يجعلُ للجنين لزمةً(٢)، فلا يسقط.

أو يُلوِّث علىٰ الدَّابَّة(٣)، فلا تأكلُها السِّباع.

وأنَّ فلانًا يغمز(٤) من المرض الفلاني فيشفيه...؛ إلىٰ غير ذلك من التُّرَّهات الَّتِي ما أنْزل الله بِها مِن سُلطانٍ.

و[الَّتي] كانت منتشرة في المجتمع بجهتنا(٥) قبل مجيء الشَّيخ عبد الله بن مُحمَّد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦) الَّذي قضىٰ - بإذن الله - علىٰ هذه العقائد الفاسدة.

---

(١) **ويؤيِّد هذا**: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»، أخرجه مسلم (٩٣) في كتاب الإيمان، باب: مَن مات لا يُشركُ بالله شيئًا دخَل الجنَّة، مِن حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أي: يجعل في يد الأم تميمة شركية فلا يسقط.

(٣) أي: يجعل عليها حجابًا من السّحر، فلا تأكلُها السِّباعُ.

(٤) أي: يدلكُ مَوضعًا مِن الجسم فيُشفىٰ المريضُ، فإذا اعتقدَ في المعالج أنَّه يشفي مِن دون الله؛ فهذا شركٌ، وهذا هو الَّذي يقصدُه الشَّيخُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٥) **يعني**: جنوب المملكة العربية السعودية، في محافظة صامطة وما حولها من قرىً.

(٦) هو الشَّيخُ الإمامُ العلَّامة المجدِّد عبد الله بن محمَّد بن حمد بن محمَّد بن عُثمان بن عليّ بن محمَّد بن =

وكانوا يقولون: «السَّوداء للمريديَّة».

والسَّوداء: هو مرضٌ يأتي في الأطراف؛ في الأيدي والأرجُل، حكَّة تسيل الدِّماء، ويَتجرَّح الجلد، فكانوا يزعمون أنَّهم إذا جاءهم هذا الدَّاء يزورون به قبرًا يُسمَّىٰ «المريديَّة»[1] فيشفىٰ.

ويقولون: «الشَّجرة لبحْر المُحبِّ».

والشَّجرة: هي قروحٌ تأتي في الجلد مُدوَّرةٌ.

وبحر المُحبِّ: مكانٌ في طرَف البحر في اليمن قريبًا من الحُديدة[2] - فيما أظنُّ - فكانوا يزعمون أنَّ مَنْ ذَهَب إلىٰ هذا المكان في البحر، ذَهَب منه هذا

=

نجيد القرعاوي، والقرعاويُّ لقبٌ لجدِّه حيثُ باع أملاكَه بعُنيزةَ، واشترىٰ بِها أملاكًا في القرعاء، وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعُنيزة بنجد في الحادي عشر من ذي الحجَّة عام (١٣١٥هـ)، قدم إلىٰ منطقة جازان في ربيع أوَّل عام (١٣٥٨هـ)، وافتتح المدرسة السَّلفيَّة في صامطة حتَّىٰ تفرَّعتْ عنها مدارس عدَّة في القُرىٰ والهجر بِهذه المنطقة.

وقدْ كان في ذاك الزَّمان الجهل والشِّرك مُنتشرًا والخرافات والبدع، فحلّ محلّها العقيدة السَّلفيَّة الصَّافية، وقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم الثُّلاثاء الثَّامن مِن شهر جمادىٰ الأولىٰ عام (١٣٨٩هـ).

ومِن أشهر تلاميذه الشَّيخُ الحافظ: حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب كتاب «**معارج القَبول**»، وشيخنا العلَّامة المحدِّث مفتي جنوب المملكة العربيَّة السّعوديَّة: **أحمد بن يحيىٰ بن محمَّد بن شُبير النَّجمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ المولود في الثاني والعشرين من شهر شوال عام (١٣٤٦هـ)، وهو صاحب هذه الرسالة الَّتِي علَّقنا عليها.

انظر ترجمة المترجم له في كتاب: «علماء نجد خلال ستَّة قرون» للشَّيخ العلَّامة: عبد الله البسام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٦٣٠ - ٦٣٣)، وانظر رسالة تلميذه الشَّيخ موسىٰ بن حاسر بن أحمد السّهلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشَّيخ القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة»، ورسالة تلميذِه شيخنا الشَّيخ عمر جردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدّعوة الإصلاحيَّة في جنوب المملكة».

(١) **المريديَّة:** نسبة إلىٰ قبْر امرأةٍ دُفِنَتْ فيه يُعتقد أنَّها كانتْ تشفي مِن مَرض السَّوداء.

(٢) **الحديدة:** هي إحدىٰ مدن اليمن الشَّمالية السَّاحليَّة، وهي ثاني أكبر مُدن اليمن، وتبلغ المسافة بينها وبين السّعوديَّة (٢٤٥) كيلو مترًا.

الدَّاءُ بعد أنْ يغتسلَ فيه.

وكانوا يقولون: «الملطومة لبني فُلانٍ».

والملطومة: هو داءٌ يَميل بالفم إلىٰ جانبٍ، والوجه إلىٰ جانبٍ أيضًا، فيعتقدون أنَّه لقومٍ مِن النَّاس.

وهكذا وَزَّعوا أقدارَ الله الَّتِي يُقدِّرها علىٰ عِباده.

فمَنْ زعَم هذا الزَّعْم، واعْتقدَ هذا الاعتقادَ، فهو مُشركٌ بالله شركًا أكبر.

التحذير من الذهاب إلى الكهنة والعرافين:

ومن ذلك: أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ الرَّجل إذا مات أولادُه، ففي زوجته أو ولده الكبير الَّذي يموت الأولاد بعده فيه شوعي[1]، فيذهب الرَّجل بامرأتِه وولده إلىٰ المشوع، وهو ساحرٌ مشعوذٌ باليمن، فيعرك وجه المرأة أو الولد، ويضرب بخرزة من مسبحته المشؤومة في جبهة المريض - فيما يزعم - ويخرج لهم طيرًا يشبه الشَّذبة، وهي الحشرة الَّتِي تأتي علىٰ الماشية كالإبل والبقر والحمير، ويزعم بأنَّ ذلك هو الشّوعي الَّذي كان يُميتُ الأطفالَ، ثُمَّ يقول لهم: اذبحُوا تَيْسًا أو كبشًا أسود علىٰ شَعْرةٍ وقسموه، وإذا حصلتم علىٰ ولدٍ فَسمُّوه: شوعي، أو بنتٍ فَسمُّوها: شوعيَّة.

ومن ذلك: الذَّهَابُ إلىٰ الكُهَّان والمُنجِّمين لمعرفة اسم الولد الَّذي يكون سعدًا عليه، أو لمعرفة اللَّيْلة الَّتِي يَتزوَّج فيها الخاطب ويعمل عقد القرآن خوفًا مِن أنْ يَتزوَّجَ في ليلةٍ تكون نحسًا عليه - كما زعمُوا - فيزعم له الكاهن أو المُنجِّم أنَّ اللَّيلةَ الفلانيَّة نحسٌ عليك، واللَّيلة الفلانيَّة سعدٌ عليك، تحصل

---

(١) أي: جنِّيّ.

أولادًا، وتكون زوجتُك مباركةً، وتدخل عليك بالخير والثَّراء والرِّزق، إلىٰ غير ذلك من الأكاذيب والتَّدْجيل الَّذي يحصل من الكُهَّان لعوامِّ النَّاس وضعفاء الدِّين، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ**»[(١)].

وكذلك: الذَّهاب إلىٰ المقذية، وهي مشعوذةٌ مشهورةٌ تدجل علىٰ النَّاس وتُضلِّلهم، فتزعم أنَّها تخرج الدُّودة من الألم، أو تخرج الشَّوكة من المصاب، وذلك كلُّه دجلٌ وتضليلٌ، وما أشبه ذلك من السِّحْر والحِيَل الَّتِي تَسلُكها هذه المشعوِذة في تضليل عقول السُّذَّج من النَّاس.

وكذلك: مَنْ يذهب إلىٰ الكشاحة[(٢)]، ويزعم أنَّها تدلُّه علىٰ مكان الضَّالَّة، أو حال الغائب، وما أشبه ذلك من علم الغيب الَّذي اختصَّ الله به، ومَنْ جعله لمخلوقٍ فقَدْ أَشْرك بالله شركًا أكبر يستحقُّ عليه الخلود في النَّار إنْ مات علىٰ ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وفي حديث ابن المنتفق أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ضَنَّ ربُّكَ بخَمْسٍ**»، ثُمَّ تلا هذه

---

(١) أخرجه أحمد (١٠١٦٧)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابنُ ماجه (٦٣٩)، وصحَّحه الألبانيُّ «إرواء الغليل» (٢٠٠٦).

(٢) هي الَّتِي تتخذ لَهَا سبع حبات من البن، فيأتيها الواحد فيقول لها: اكشحي عن ضالتي - مثلاً - أو عن غائبي. فتنظر في هذه الحبات فتقول له: ضالَّتُك في المكان الفُلانيِّ، وغائبُك في مكانِ كذا وكذا. فإذا كانتْ حبَّة البن منبطحة فهو كذا وكذا، وإن كانتْ علىٰ شكل كذا فهو كذا وكذا. قاله الشَّيخُ أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الآية[١]. الَّتِي تقدَّم ذِكْرها في سورة لقمان، وهذه الأنواع كلُّها مُتعاطيها مشركٌ بالله شركًا أكبر يستوجب الخلود في النَّار.

ومن ذلك: أن يعتقد البدة[٢] أنَّها تُميت الطِّفل، سواء كان ذكرًا أو أُنثىٰ، وأنَّها تُخرجه من القبر وتقلبه دَابَّةً، وهذا الاعتقاد سائدٌ في بلاد اليمن وبعض بلدان العالم.

وكذلك أيضًا مَن اعتقد أنَّ الموردة، وهي امرأةٌ تزعم بأنَّها تذهب إلىٰ الموتىٰ وتلتقي بِهم، وتعلم حالهم، هل كانوا في عذابٍ أو نعيمٍ؟ فيُعطيها بعضُ النَّاس جُعْلًا علىٰ أنْ تُورد لهم علىٰ موتاهم، فيجعل لها في رأسها من الطِّيب

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢١١، ٢١٤) (١٦١٤٧) من حديث أبي رزين العُقيلي، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ظلال الجنَّة» (٦٣٦)، وأصله في «الصَّحيحَين» مِن حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩).

قلتُ: والعجبُ فيمن ينظر إلىٰ فعل شعيب الأرناؤوط في تعليقه علىٰ «زاد المعاد» (٥/ ٥٩١) حيث قال: «وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣٨). قال: «وزاد نسبته إلىٰ الطبراني». وعَجب من المؤلف وغيره كيف ذهبوا إلىٰ تقويته وتصحيحه وفيه ما فيه - بعد أن ذكر أن فيه مجاهيل؟!

والذي يَنظر في فعل هذا المُخرِّج يجد أنَّه سَرَق كلامَ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» غير أنَّه بدَّل بعضَ العبارات، وحذَف جُزءًا من كلام الهيثميِّ، ثمَّ جاء في تعليقه علىٰ «مسند الإمام أحمد» طبعة الأوقاف بالمملكة العربيَّة السّعوديَّة (٢٦/ ١٢٨) وضعَّف الحديثَ؛ لأنَّ في الحديث إثباتَ صفة الضَّحك لله علىٰ ما يليق بجلاله، وفيه الإقسام علىٰ الله بصفاتِه، وإثبات صفة اليد، والحوض والصِّراط، وغيرها من العقائد السَّلفيَّة، ثُمَّ راح يَغمز مَن صحَّحه مِن المُتقدِّمين والمُعاصرين، ومنهم الشَّيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجعله ممَّن ينتحل صناعة الحديث.

وفي الحقيقة: هذا منه انتصار لذوي مذهبه من غُلاة الأشاعرة؛ كالصَّابونيِّ والرِّفاعيِّ، وقد ردَّ الألبانيُّ عليهما في «صحيحته» عند تصحيحه لهذا الحديث؛ فجزاه الله خيرًا علىٰ ما قدَّم من نُصرة مذهب السَّلف عقيدة ومنهجًا وأحكامًا. «انظر هذا البحث لزامًا».

(٢) **البدّة:** هي - كما يزعمون - امرأة تُحوِّل الرجل إلىٰ أي شكل حيواني ممسوخ، ويظلُّ علىٰ تلك الحالة مدىٰ الحياة.



والرَّوائح، ويغلق عليها في بيت إلىٰ اليوم الثَّاني ضُحَىٰ، تزعم بأنَّها في رحلتها هذه تلتقي بأهل البرزخ، وتطلع علىٰ أحوالهم.

والحقيقة: أنَّها تكون مع الشَّياطين يركبونَها ويخبرونَها ببعض الأشياء، فيظنُّ النَّاس صِدْقها.

فمَنِ اعْتقَد هذه الاعتقادات فهو مُشركٌ بالله الشِّرك الأعظم الَّذي لا يغفره الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا الشِّرك هو الَّذي يَستوجب صاحبه الخلود في النَّار وحرمان الجنَّة؛ قال تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

الشرك بالله أعظم الذنوب على الإطلاق:

والشِّرك: أعظمُ ذَنْبٍ عُصِيَ الله به علىٰ الإطلاق، ففي الحديث الَّذي سبق ذِكْره عن ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه سأل رسولَ الله ﷺ فقال: أيُّ الذَّنْبِ أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ**». قالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**». قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**»(١).

فقَدَّم الشِّرك علىٰ قَتْل الولد، مع أنَّ قَتْل الولد من أعظم الجرائم فحشًا ونُكرًا، فهو قتلٌ لنفسٍ مُسلمةٍ، والله تعالىٰ يقولُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

---

(١) تقدَّم تخريجُه قريبًا.



وهو أيضًا اعتداءٌ على ضعيفٍ، وفي الحديث القدسي: «اشْتَدَّ غَضَبِي عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِي»(١).

وهو أيضًا قطيعةٌ للرَّحِمِ، والله تعالى يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

وهو أيضًا قنوطٌ مِن رحمةِ الله، وسوءُ ظَنٍّ به، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

ومع أنَّ قَتْل الولدِ بِهذه النَّكارة والفظاعة - وقَدِ اجتمعتْ فيهِ أربعُ جرائمَ - كان في المرتبة الثَّانية بعد الشِّرك بالله. وفي المرتبة الثَّالثة(٢) بعد ذلك الزِّنا بحليلةِ الجارِ.

والزِّنا جريمةٌ عظيمةٌ، وفاحشةٌ كبرى؛ لأنَّه خرقٌ لسُنَّة اللهِ في الكون والإنسان، تلك السُّنَّة الَّتي أشار إليها القُرآنُ بقولِه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

ولا يكونُ النَّاسُ شُعوبًا وقبائلَ وأفخاذًا وأُسَرًا إلَّا إذا كان التَّناسُلُ بطريقةِ النِّكاح الصَّحيح، أمَّا الزِّنا فهو نشرٌ للفوضى، وتكيفٌ بطبيعةِ الحيوانِ الَّذي يَسيرُ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣٥٢) (٢٢٠٧) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وضعَّفه الألبانيُّ رحمه الله في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (١٣٥١).

(٢) قال ابن القيِّم رحمه الله في كتابه «الداء والدواء» (ص٧٣) في فصل: [العقوبات شرعيَّة وقدريَّة]:
«فأعظم أنواع الشِّرك: أن يجعل العبد لله ندًّا.
وأعظم أنواع القتل: أن يقتلَ ولده خشيةَ أن يُشاركَه في طعامِه وشرابه.
وأعظم أنواع الزِّنا: أن يزنيَ بحليلة جاره؛ فإنَّ مفسدة الزِّنا تتضاعف بتضاعف ما انتهكه من حقٍّ... ». إلخ كلامه رحمه الله.

علىٰ غير نظامٍ، وتتناكح ذُكُورُه وإناثُهُ، وتتناسلُ علىٰ غير الطَّريقة المرسومة للإنسانِ، وهو مع ذلك جنايةٌ علىٰ الطِّفل الَّذي يُصبح مُضيَّعَ النَّسَب، ليس له عائلٌ يعولُه، ولا قبيلةٌ تُؤْويه، ولا أبٌ يقوم عليه، ويُدافع عنه[(١)]، ومع هذا فإنَّ الزِّنا بحليلة الجار أشدُّ من مطلق الزِّنا بعشرة أضعافٍ كما جاء في الحديث: «**لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجل بعَشْرِ نِسْوَةٍ خيرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بامرأةِ جَارِهِ**»[(٢)]، ومع هذا فقَدْ كان الزِّنا بحليلةِ الجارِ في المرتبة الثَّالثة بعد الشِّرك، فهل يجوزُ لأحدٍ أنْ يتهاوَن بالشِّرك بعد هذا؟

إنَّه لا يتهاون به إلَّا مَنْ هانَ علىٰ الله، وسَيَلْقىٰ الهوان يوم القيامة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

أنواع مِن الشِّرك يقع فيها كثيرٌ من العباد يجب الحذر منها:

وبقي أنواعٌ من الشِّرك بالله يجبُ أنْ نذكُرها ليعلمَها النَّاس فيحذرُوها، ومِن

---

(١) وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المصدر السَّابق (ص٣٣٠) في فصل (مفسدة الزِّنا مِن أعظم المفاسد): «ولما كانت مفسدةُ الزِّنا مِن أعظم المفاسد - وهي مُنافيةٌ لنظام العالم في حِفْظِ الأنساب، وحماية الفروج، وصيانة الحرُمات، وتَوَقِّي ما يوقع أعظم العداوة والبغضاء بين النَّاس، مِن إفسادِ كلِّ منهم امرأة صاحبه وابنته وأخته وأمّه، وفي ذلك خراب العالم - كانت تَلي مفسدةَ القتل في الكبر، ولهذا قرنَها الله سُبحانه بها في كتابه، ورسوله ﷺ في سُنَّته، كما تقدَّم.

قال الإمامُ أحمدُ: لا أعلمُ بعْدَ قتْل النَّفس شيئًا أعظمَ مِن الزِّنا...». إلخ.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٥٦)، (٦٠٥)، من حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٦٥).

ذلك تعليقُ الودع، والخرز، والتَّمائم، وغير ذلك مِمَّا يتعلَّق به النَّاس كعَظْم النَّسْر، وعَظْم الضَّبع الَّتِي تُسمَّىٰ في بلادنا: «جِعَار»، أو عين الذِّئب الَّتِي يزعمون أنَّها تدفع الشَّياطين، وحمل الختين[١] للشَّفرة[٢]، والنُّفساء للشِّرمة[٣]، وجعل السحب[٤] تحت سرير الرَّضيع ليدفع عنه الشَّياطين، وتعليق حبَّة السَّوداء والمرة[٥] والحلتيت[٦] لدفع العين، أو حبَّة السوداء والقحف[٧] وعود السداد[٨] لدفع العين عن الدَّابَّة، وغير ذلك من التَّعليقات الَّتِي كلُّها شركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي الحديث: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[٩].

أمَّا تعليقُ التَّمائم، فالأصحُّ فيه عدمُ الجواز؛ لأنَّه يُعرِّضُ القُرآن للإهانةِ، فالمرأة تحمله حائضًا ونُفَساءَ وفي بيت الخلاءِ.

---

(١) **الختين**: الشَّابُّ المختون يأخذ الشّفرة عند خروجه من المنزل.

(٢) **الشَّفرة** -بفتح الشِّين المشدَّدة-: هي المُدية علىٰ هيئة خنجر، ولها نصال مِن خشَب أو مِن عظم، وهي كالخنجر إلَّا أنَّ حدَّها مِن جهةٍ واحدةٍ.

(٣) **الشِّرمة** -بكسر الشِّين المشدَّدة أو ضمِّها-: آلة الحصاد بعد ذهاب نصالها، ويقطف بها السَّنابل.

(٤) **السحب**: حدوة المحراث الخشبي، وتكون من حديدٍ، وتكون في طرف المحراث لأسفل ليساعده علىٰ الغوص في الأرض، فإذا ما انتهتْ صلاحيَّته للحرث؛ فإنَّه يؤخذُ ويوضعُ تحتَ سرير الرَّضيع، ويعتقد فيه أنَّه يدفع الشَّياطين عنه.

(٥) **المرّة**: عبارة عن خليط متجانس من ثلاث موادّ؛ هي: الزَّيت الطيار والصَّمغ وراتنج، وهي توجد في سيقان نبات علىٰ هيئة شجرة تسمَّىٰ المرّة.

(٦) **الحلتيت**: صمغ نبات كريه الرَّائحة والطّعم، مرّ المذاق.

(٧) **القحف**: كسرة من الأواني الفخارية المصنوعة من الطِّين الجيِّد، ثم تحرق بعد ذلك لتشتدَّ.

(٨) **عود السّداد**: شجر السّداد من الأشجار الصَّحراويَّة فيه حرارة، وهو شبيه شجر المرخ إلَّا أنَّ فيه بعضَ الشَّوك.

(٩) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٠٧٢)، من حديث عبد الله بن عُكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «غاية المرام» (ص١٤٦ - ١٤٧) (٢٩٧).

أي: عند قضاء الحاجة، وفي حال الوطء، والطِّفل والرَّجل كذلك يحملانه في الحالات الَّتِي تتنافىٰ مع عظمَة القُرآن وجلالة قدرِه.

شروط الرُّقية الشَّرعيَّة:

أمَّا الرُّقىٰ، فهي جائزةٌ بثلاثةِ شروطٍ[١]:

١- أن تكون من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو من سُنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- أن تكون باللَّفظ العربيِّ.

٣- ألَّا يعتقد فيها المرء، بل يعتقد أنَّها سببٌ، والله هو الشَّافي.

الحلف بغير الله منه ما هو شرك أكبر مخرج من الملَّة، ومنه ما هو شرك أصغر:

وأمَّا الحلفُ بغير الله فهو شركٌ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ»**[٢].

وفي حديثٍ آخرَ: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»**[٣].

---

(١) انظرها في «فتح الباري» (١٠/ ١٩٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصر الفتاوىٰ» للبعلي (ص٥٨٥) طبعة دار الكتب العلميَّة: «فإنْ كانتْ الرُّقىٰ مما يعرف معناه، وهو مما يجوز في دين الإسلام أنْ يتكلَّم الرَّجلُ به داعيًا لله، ذاكرًا له، مخاطبًا لخلقِه، ونحوه، فإنَّه يجوزُ أنْ يرقي بِها؛ لأنَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَذِنَ في الرُّقىٰ ما لَم تكن شركًا، كما ثبت ذلك في الصَّحيح. وقال: **«مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»**.

وإن كان في ذلك كلمات مجرَّدة مثل الشِّرك، أو كانت كلُّها أو بعضُها مجهول المعنىٰ يحتمل أن يكون فيها ما هو كفر، فليس لأحدٍ أنْ يرقي بِها».

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٤٦)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. ولفظُه: **«أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»**.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ =

وفي حديثٍ آخرَ: «مَنْ حَلَفَ بالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»[١].

ومَنْ لَم يكن من رسول الله وأُمَّته، فكيف يرجو شفاعته يوم القيامة! وكيف يرجو أن يكون في عداد أُمَّته المرحومة! إنَّ ذلك من الرَّسُول ﷺ تبرُّؤٌ من الشِّرك والمشركين.

فيجب علىٰ المسلم: أن يحذر الحلف بغير الله، سواء كان بالأمانة، أو حلف بالطَّعام الَّذي يُؤكَل (العيش والملح)، وهذي الشَّاذلية[٢]، والقهوة الَّتِي تُشرَب، ومَعزَّتك، ومخوتك - أي: حلف بالأُخوَّة - وما أشبه ذلك؛ لأنَّ الحلف تعظيمٌ للمحلوف به، ومَنْ عَظَّم غير الله؛ فقَدْ أَشركَ.

إلَّا أنَّ الَّذي ينبغي أن يُتنبَّه له هو أنَّ الحلف بغير الله من الشِّرك الأصغر الَّذي لا يخرج من المِلَّة، وإنَّما يكون مُخرجًا من المِلَّة إذا عَظَّم غير الله كتعظيم الله أو أكثر.

و[مثال علىٰ] ذلك فيما بلغنا أنَّ قومًا من النَّاس إذا فعل بعضُهم شيئًا، أو اتُّهم بشيءٍ - يحلف بالله أيمانًا كثيرةً ولا يبالي في حالة أنَّه يعلم من نفسه أنَّه كاذبٌ في يمينه، فإذا قيل له: احلف بالسَّيِّد الفُلاني أو المشهد الفُلاني، تلكَّأ وخاف واعترف بِما اتُّهم به، فهذا لا شكَّ أنَّه من الشِّرك الأكبر المخرج من المِلَّة[٣].

=

في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٥٦١).

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، من حديث بُريدةَ الأسلميِّ رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في «الصَّحيحة» (٩٤).

(٢) الشَّاذليَة: اختلف في سبب التسمية؛ فمنهم من يقول: إنها نسبة إلىٰ نوع من أنواع البن اليمني الجيّد، ومنهم من يقول: إنّها نسبة إلىٰ عمر الشاذلي، وهو أوّل من شرب القهوة.

(٣) قال فضيلةُ الشَّيخ العلَّامة محمَّد أمان الجامي رحمه الله: «إذا حلف الإنسان بغير الله جريًا مع العادة والبيئة غير معتقد في المحلوف به من نفع أو ضر - فذلك من نوع الشرك الأصغر.

=

أمَّا الدَّليل علىٰ أنَّ الحلف بغير الله من الشِّرك الأصغر الَّذي لا يُخرج من المِلَّة إذا كان مِمَّا يجري علىٰ اللِّسان مِن غير قصدٍ للتَّعظيم، فهو ما ورد في «الصَّحيحَينِ» أنَّ النَّبيَّ ﷺ لحق بعمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقولُ: ورأس أبي، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَحْلِفُوا بآبَائِكُمْ؛ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ باللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ**»[١]، فدلَّ هذا علىٰ أنَّ الصَّحابة كان يجري منهم الحلفُ بغيرِ الله قبْلَ أنْ يُحرَّم.

ومن الأدلَّة أيضًا: ماجاء عنْ قُتيلةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، «**فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ،**

=

وأمَّا إذا اعتقدَ فِي المحلوف به بأنَّه قادرٌ علىٰ ضرّه أو نفعه، فعظَّمه تعظيمًا، وخافه خوفًا، كما يعظّم ويخاف من ربِّ العالمين، فيصبح ذلك مِن الشِّرك الأكبر.

وهذا يقع فيه كثيرٌ من عامَّة المسلمين فِي كثير من الأقطار، ونحن عندما نتحدَّث عن الشِّرك بأنواعه لا نعنِي مُجتمع هذا البلد فقط، ولكنَّنا نتحدث إلَىٰ جَميع المجتمع الإسلامي؛ لأنَّهم جسدٌ واحدٌ.

وفِي كثير من الأحيان يصل الغلوُّ في الصَّالحين إلَىٰ درجةِ أنَّه لو طلب منه أن يحلف بشيخه اعتذر ولو كان صادقًا خوفًا منه وتعظيمًا، ولو طلب منه أنْ يحلف بالله لبادر غير مُبالٍ، ولو كان كاذبًا بدعوىٰ يبرر بها ذلك الأمر، فيقول: إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غفورٌ رحيمٌ، يغفرُ، ويرحمُ، وأمَّا الشَّيخ فلا يرحمُ.

فلو حلف بشيخه وهو كاذب، فالشيخ لا يرحمه، فينتقم منه حالًا فِي هذه الدُّنيا، إمَّا يؤثر فِي عمره، أو فِي رزقه، أو فِي ولده، أو فِي أهله.

فيخاف من تأثيره تأثيرًا سريًّا، فلا يَخاف من الشيخ فِي أن يظلمه، أو يطعنه، أو يضربه، ولكن يخاف الخوف السِّرِّيَ؛ هذا هو مَحلُّ الشِّرك، ولو خاف الإنسانُ مِن إنسانٍ مثلِه أقوىٰ منه فخاف أن يضربه، أو يقتله، أو يفعل فِي ماله ما يريدُ فهذا الخوف لا يعدُّ شركًا، بل هو الخوفُ الطَّبيعيُّ.

أمَّا الخوف الَّذي يعدُّ شركًا هو الخوف السِّريُّ، وهكذا يصبح الحلف بغير الله أحيانًا من نوع الشِّرك الأكبر، وهذا الأمر واضح». انتهىٰ من كتاب «العقيدة أولًا لو كانوا يعلمون».

(١) سبق تخريجه قريبًا.

وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ"[١]. فَدَلَّ ذلك علىٰ أنَّ الحلفَ بغير الله كان مُباحًا في أوَّل الإسلام، ثمَّ نُسِخَتِ الإباحةُ بالتَّحريم، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّه مِن الشِّركِ الأصغر، واللهُ أعلمُ.

الشِّرك الخفيُّ «الرِّياء»:

بقي معنا الشِّركُ الخفيُّ، وهو الرِّياء، قال ﷺ: «**أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»، فسُئِل عنه، فقال: «**الرِّيَاءُ**»[٢].

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ونَحْنُ نَتَذَاكَرُ المسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِما هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المسِيحِ الدَّجَّالِ**» قُلنا: بلىٰ يا رَسُولَ اللهِ، فقال: «**الشِّرْكُ الخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ**» رواه ابنُ ماجه[٣].

وروي أيضًا عن شدَّاد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَىٰ أُمَّتي الإِشْرَاكُ بالله، أَمَا أَنِّي لَسْتُ أَقُولُ: يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا وَثَنًا، وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيرِ الله وَشَهْوَةً خَفِيَّةً**»[٤].

ورُوي عن يزيد بن أبي حبيب مرسلًا، وفي سنده ابنُ لهيعةَ، قال: سُئِل رسولُ الله ﷺ عن الشَّهوةِ الخفيَّة، قال: «**هُوَ الرَّجُلُ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ يُحِبُّ أَنْ يُجْلَسَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧١) (٢٧١٣٨ قرطبة)، والنسائيُّ (٣٧٧٣) واللَّفظُ له، وصحَّح إسناده الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٢٨٤)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (١٣٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) (٢٣٦٨٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (٩٥١)، من حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسَّنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٣٣٣).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٥)، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «ضعيف الجامع» (١٣٧٨).

إِلَيهِ»[1].

ثُمَّ اعلم أنَّ الرِّياء يكون على قسمين:

القسم الأول: أن يكون هو الباعث على العمل؛ فيكون من الشِّرك الأكبر، وهو رياء المنافقين الَّذين أخبر الله عنهم أنَّهم يُصلُّون إذا كانوا في المشهد - أي: بين النَّاس -، ويتركون الصَّلاة إذا غابُوا عن النَّاس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]. أي: لا هم مِن المؤمنين الصَّادقين، ولا مِن الكُفَّار المعروفِين.

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٧]، فهذا داخلٌ في مُسمَّى الشِّرك الأكبر، وهو كفرٌ بالله، وموجبٌ للخلود في النَّار، قال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠].

أمَّا القسم الثاني: وهو العارض في العمل، فإمَّا أن يتغلَّب على الإنسان حتَّى يُحبط عملَه - والعياذ بالله -، وإن عرض له ثُمَّ ذهَب كان النَّقْص بقَدْر ما فيه مِن الرِّياء، واللهُ أعلمُ.

ومِن أعظم التَّرهيب مِن الرِّياء ما جاء في الحديث الصَّحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: **«أَوَّلُ مَنْ تُسعَّرُ بِهم النَّارُ يومَ القِيامَةِ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ، فَيُؤْتَىٰ بِهِ يَومَ القِيامَةِ، فَيُقَرِّرُهُ اللهُ بِنِعمِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: يَا عَبْدِي، مَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، عَلَّمْتَنِي القُرْآنَ فَتَلَوْتُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**، وكذا

---

(١) أخرجه ابنُ عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٣٤٣).

وكذا... **فَيَقُولُ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: **كَذَبْتَ؛ فَإِنَّما قَرَأْتَ لِيُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، أَلْقُوهُ فِي النَّارِ**.

ثُمَّ يُؤتَىٰ برجلٍ مجاهدٍ مثل ذلك، ومُتصدِّقٍ مثل ذلك، وفي آخر الحديث قال ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، هَؤُلَاءِ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ**»(١).

قال سهل بن عبد الله التستري:

«الرِّياء على ثلاثةِ وجوهٍ:

أحدها: أنْ يعقِدَ في أَصْل فِعلِه لغير الله، ويُريدَ به أنْ يُعرَفَ أنَّه لله، فهذا صنفٌ من النِّفاق، وتشكيكٌ في الإيمان.

والآخر: أنْ يَدخُلَ في الشيء لله، فإذا اطَّلع عليه غيرُ الله نَشِطَ، فهذا إذا تاب يزيدُ أنْ يُعِيدَ جميع ما عَمِلَ.

والثَّالث: دخل في العمل بالإخلاص، وخرج به لله، فعُرف بذلك، ومُدِحَ عليه، وسكن إلىٰ مدحهم، فهذا الرِّياء الَّذي نَهىٰ الله عنه»(٢).

وقال سهلٌ أيضًا: «قال لقمانُ لابنِه: الرِّياء أنْ تطلبَ ثَوابَ عمَلِكَ في دارِ الدُّنيا، وإنَّما عملُ القوم للآخِرَةِ. قيلَ له: فما دواءُ الرِّياء؟ قال: كِتمانُ العَمَلِ. قيل: كيف يُكْتَمُ العملُ؟ قال: ما كُلِّفْتَ إظهارَه مِن العَمل فلَا تَدْخُلْ فِيهِ إلَّا بالإِخْلَاص، وما لم تُكلَّف إظهارَه أَحبّ أنْ لَا يطَّلعَ عليه إلَّا اللهُ، قال: وكلُّ عَمَلٍ اطَّلع عليه الخَلْقُ، فلا تَعُدَّه مِنَ العَمَلِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم بنحوه (١٩٠٥).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/ ١١٩) عند تفسير سورة النساء، الآية (٣٦).

(٣) المرجع السابق، وانظر مزيدًا من الفائدة حول هذا الموضوع في «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لحديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات**».

=

قلتُ: ليس مُجرَّد اطِّلاع الخَلْق يبطلُ العمل، ولكنَّه يبطله ما في القلب من حُبِّ الثَّواب العاجل، فمتىٰ أحبَّ أنْ يَطَّلعوا عليه لِيتأسَّوْا به فيه، فهذا ليس من الرِّياء، ولكن ينبغي ألَّا يأمن منه علىٰ نفسِه، وقَدْ أرشد النَّبيُّ ﷺ مَنْ وجد شيئًا مِن ذلك في نفسه أنْ يقولَ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ أَنْ أُشْرِكَ بكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ**»[١].

وأنْ يقولَ: «**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَات وَالأَرْض، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكهُ**»[٢].

وأن يقول: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**»[٣].

فمتىٰ استعمل العبدُ هذه الأدعية، يُرْجىٰ له أنْ يصرف الله عنه الرِّياء، وأنْ يجعلَ عملَه خالصًا لله تعالىٰ، والله أعلم.

عظم حقِّ الوالدين:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بعد أَنْ أوصىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بحقِّه؛ لأنَّه هو الخالق الرَّزَّاق المُتصرِّف، أوصىٰ بحقِّ الوالدين؛ لأنَّهما السَّبب في وجود العبد

=

وكلام الصَّنعانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سبل السَّلام» عند شرحه لحديث محمود بن لَبيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ»، (٤/ ٣٥٦، ٣٥٧)، طبعة دار الكتاب العربيِّ.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦) من حديث معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الأدب المفرد» (٢٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧)، والتِّرمذي (٣٣٩٢)، مِن حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٧٥٣).

(٣) أخرجه التِّرمذي (٣٤٨٣) من حديث عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف الجامع» (٤٠٩٨).

بعد الله تعالىٰ، ولأنَّ لهما الفضلَ عليه بعد الله ما لَم يكن لأحدٍ سواهما، فهما اللَّذان غَذَّياه وربَّياه، وسَهِرَا علىٰ راحته في الصِّغر، ولهذا كثيرًا ما يقرن الله حَقَّهما بحقِّه؛ كقوله: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

ووَصَّىٰ وأكَّد حَقَّهما، وحضَّ علىٰ حقِّ الأُمِّ أكثر، فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

وقال في سورة لقمان بعد أن ذكَر الله جَلَّ وَعَلَا وصية لقمان لابنه وتحذيره إيَّاه من الشِّرك، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٣ - ١٥].

أمَّا السُّنَّة: فقَدْ وردت فيها أحاديثُ كثيرةٌ تُبيِّن حقَّ الوالدين، وأنَّه أعظم الحقوق وآكدها بعد حقِّ الله؛ فمنها: ما رواه الشَّيخان عن أبي عمرو الشَّيباني، واسمُه سعدُ بن إياس، قال: حَدَّثني صاحبُ هذه الدَّار - وأشار بيده إلىٰ دار عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلىٰ الله؟ قال: «**الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا**»، قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوَالِدَينِ**». قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال:

«الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ»(١).

وفي «الصحيحَين» أيضًا من حديث أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أحقُّ النَّاس بحُسْن صَحَابتِي؟ قال: **«أُمُّك»**. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أُمُّك»**. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أُمُّك»**. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«ثُمَّ أَبُوكَ»**. وفي روايةٍ: **«ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»**(٢).

وعن بَهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قلتُ: يا رسول الله، مَنْ أَبَرُّ؟ قال: **«أُمَّكَ»**، قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أُمَّكَ»**. قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أُمَّكَ»**. قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: **«أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ»**(٣).

وفي روايةٍ لأبي داود قال: قالَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لَا يَسْأَلُ رَجُلٌ مَوْلَاهُ مِنْ فَضْلٍ هُوَ عِنْدَهُ، فَيَمْنَعُهُ إِيَّاهُ، إِلَّا دُعِيَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَضْلُهُ الَّذِي مَنَعَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ»**. قال أبو داودَ: «الأَقْرَعُ: الَّذِي ذَهَبَ شَعْرُ رَأْسِه مِن السُّمِّ»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لي مَالًا وَوَلَدًا، وَإِنَّ أبي يَجْتَاحُ مَالي، فقال: **«أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ، إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ، فَكُلُوا مِنْ كَسْبِ أَوْلَادِكُمْ»**(٥). أخرجه أبو داود بسندٍ حسنٍ، وله شواهدُ لا ينحطُّ معها عن درجة الصَّحيح لغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٢) أخرجه البخاريُّ (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(٣) أخرجه التِّرمذي (١٨٩٧)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (٨٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٣٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٥) أخرجه أبو داود (٣٥٣٠)، وابنُ ماجه (٢٢٩٢)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

وفي «صحيح مسلم» و«التِّرمذيِّ» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رَسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ**». قيل: مَنْ يا رَسولَ الله؟ قال: «**مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»(١).

وفي سنن التِّرمذيِّ عن ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الوَالِدِ**»، إسنادُه صحيحٌ(٢).

والبرُّ ثوابُهُ مُعجَّلٌ مع ما يُدَّخر لصاحبه من الثَّواب المُؤجَّل في الآخرة، وقَدْ صحَّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**عِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ، وبِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ**»(٣).

حقُّ القريب:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ عطف علىٰ الوالدين - أي: وأحسنُوا إلىٰ ذي القربىٰ - والقُربىٰ: مصدرٌ كالرُّجعىٰ والعُقْبىٰ، أي: وأمرناهم بالإحسان إلىٰ القَرابات بصلةِ أرحامهم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥١)، والتِّرمذيُّ (٣٥٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٥١٦).

(٣) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٦/ ٢٤١) (٦٢٩٥)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيح وضعيف الجامع» (٦٠٧٩)، وقال في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (١٦٧١): «موضوعٌ».

قال شيخُنا أحمد النَّجميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجاء من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**برُّوا آبَاءَكُمْ تَبرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تعِفُّ نِسَاؤُكُمْ**». عزاه الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٣٨) للطبراني، وقال: «رجاله رجال الصَّحيح غير شيخ الطَّبراني أحمد غير منسوب، والظَّاهر: أنَّه من المكثرين من شيوخه؛ فلذلك لَم ينسبه، والله أعلم».

وفي «التَّمهيد» لابن عبد البر (٢/ ٣٠٩): حدَّثنا مالكُ بن أنس، عن أبي الزُّبير، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**برُّوا آبَاءَكُمْ يَبرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ، وَمَنْ تُنُصِّلَ إِلَيهِ فَلَمْ يَقْبَلْ لَم يرِدْ عَليَّ الحَوضَ**». وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ مِن حديثِ مالكٍ، ولا أصلَ له من حديث مالكٍ عندِي، والله أعلمُ». اهـ.

قال الشَّيخُ أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعلَّ التَّضعيفَ لزيادة من لَم يقبل الاعتذار، أمَّا حديث: «**برُّوا آبَاءَكُمْ تَبرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفُّ نِسَاؤُكُمْ**». فالظَّاهر أنَّه لا بأس به، والله أعلمُ».

﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وفي «صحيح مسلم» في كتاب الإيمان، باب: الإيمان الَّذي يُدخَل به الجنَّة، عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ أعرابيًّا عرَض لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في سفَرٍ، فأخذ بخطام ناقتِه أو بزمامِها، ثُمَّ قال: يا رسولَ الله - أو يا مُحمَّد - أخبرني بِما يُقرِّبُني مِن الجنَّة ويُباعدُني مِن النَّار، قال: فكفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ نظَر في أصحابه، ثُمَّ قال: «لَقَدْ وُفِّقَ - أو لقَدْ هُدِيَ». قال: كيف؟ قلتُ: قال: فأعادَ. فقال النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، دَعِ النَّاقَةَ». وفي الرِّواية الثَّانية: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال حين أدبر: «إِنْ تَمسَّك بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»(١).

قال النَّوويُّ في شرح هذه الفقرة: «أي: تحسن إلىٰ أقاربك ذوي رحمك بِما تَيسَّر علىٰ حسَب حالِكَ وحالهم من إنفاقٍ، أو سَلَامٍ، أو زيارةٍ، أو طاعتهم، أو غير ذلك»(٢).

قلت: الطَّاعة لا بدَّ أن تكون مُقيَّدةً في المعروف، كما قيَّدها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البيعة.

وقَدْ ورد في صلة الرَّحم أحاديثُ، منها: ما رواه البخاريُّ في كتاب الأدب من «صحيحه» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ(٣) مِن الرَّحْمَنِ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٣).

(٢) انظر شرحه علىٰ مسلم (١/ ١٢٦)، طبعة دار المعرفة.

(٣) معنىٰ الشَّجنة: - بضمِّ أوَّله وفتحه روايةً ولغةً -، وأصل الشجنة: عروق الشجرة المشتبكة، والشَّجَن بالتَّحريك: واحد الشّجون، وهي طرق الأودية. قاله الحافظ في «الفتح» (٢/ ٢٤)، طبعة المكتبة التجاريَّة.

قال الشَّيخ أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الشّجنة: هي فروع الشّجرة وليست عروقها.

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنىٰ: الرّحم أثر من آثار رحمته، مُشتبكة بِها، والقاطع لها قاطع من رحمة الله تعالىٰ». انظر: «صحيح الأدب المفرد» (ص٥٠).

فَقَالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»[(١)].

وعن جُبير بن مُطعم قال إنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّة قَاطِعٌ»[(٢)]. ورواه مسلمٌ بمثل هذا اللَّفظ وزاد: قال ابنُ أبي عُمَر: «قال سُفيان: يعني قاطع رحم»، ورواه من طريق مالكٍ عن الزُّهريِّ بلفظ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»[(٣)].

قال النَّوويُّ: «هذا الحديثُ يُتأوَّل تأويلين سَبَقا في نظائره في كتاب الإيمان:

أحدهما: حَمْله علىٰ مَنْ يَستحِلُّ القطيعةَ بلا سَببٍ ولا شُبهةٍ مع عِلْمِه بتحريمِها، فهذا كافرٌ يُخلَّد في النَّار، ولا يَدخُلُ الجنَّة أبدًا.

والثَّاني: معناه: ولا يَدخلُها في أوَّل الأمر مع السَّابقين، بل يُعاقَب بِتأخُّره القدر الَّذي يُريده الله تعالىٰ»[(٤)].

قلتُ: وهناك تأويلٌ ثالثٌ، وهو أنَّه لا يدخلُ الجنَّة العليا المُعدَّة للمؤمنين الأبرار، ويدخل بعد العذاب في جَنَّةٍ تليق بعمله، والله أعلمُ.

ثُمَّ إنَّ صلة الرَّحم سببٌ في سَعَة الرِّزق، وطول العُمُر، ففي «الصَّحيحَين» من حديث أنسٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُه، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِه، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[(٥)].

وفي الحديث أيضًا: «الصَّدَقَةُ عَلَىٰ ذِي القُرْبَىٰ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٦).

(٤) انظر: شرحه علىٰ مسلم (١٥/ ٣٢٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٦) أخرجه بنحوه الترمذي (٦٥٨)، والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه، وحسَّنه الألبانيُّ في «الإرواء» (٨٨٣).

حق اليتيم:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وهم جمع يتيمٍ، واليتيمُ(١): مَنْ فَقَدَ أبويه أو أحدهما، وإطلاق اليتيم علىٰ مَنْ مات أبوه أكثر؛ لأنَّه هو العائل والكاسب.

وقَدْ رَغَّب اللهُ عَزَّوَجَلَّ في إكرام اليتيم وكفالته، وتَوعَّد علىٰ ظلمه ودفعه عن حَقِّه وأَكْلِ مَالِهِ، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤ - ١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وفي الحديث: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**». أخرجه أحمد والبخاريُّ وأبو داود والتِّرمذيُّ عن سهل بن سعدٍ(٢).

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيرِهِ فِي الجَنَّةِ، والسَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٣).

حق المسكين:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، **المساكين**: جمع مسكينٍ، وفَسَّره ابن جرير

---

(١) هو ما عرفه به ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٨٠) عند تفسير الآية.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٨٢٠ الرسالة)، والبخاري (٦٠٠٥)، وأبو داود (٥١٥٠)، والترمذي (١٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٨٤) (٤٧٤٢) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٤٧٦).

بقوله[(١)]: «هو الَّذي رَكبَه ذلُّ الفاقَة والحاجة فتمسكن لذلك، يقول تَعَالىٰ ذِكْره: استوصوا بِهؤلاءِ إحسانًا إليهم، وتَعطَّفوا عليهم، والْزموا وَصيَّتي في الإحسان إليهم»، قَدْ ورد في تفسير (المسكين) حديثٌ بلفظ: «**لَيْسَ المسْكِينُ هَذَا الطَّوَّافُ الَّذِي تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَان، وَلَكِنِ المسْكِينَ هُوَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غِنًىٰ يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**»[(٢)].

وقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ - ١٦]. معنىٰ «ذا متربة»: أي: الْتصَق بالتُّراب فقرًا وحاجةً ومسكنةً، أي: أَذلَّته الحاجة حتَّىٰ ألصقتْه بالتُّراب، واللهُ أعلمُ.

حق الجار ذي القربى:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، **الجار ذو القُربىٰ**: هو الجار الَّذي تصلك به قرابةٌ ورحمٌ، صحَّ ذلك عن عليِّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس ومجاهدٍ وغيرهما[(٣)]. وفائدةُ تخصيصه بذلك أنَّ اللهَ قدَّمه في الوصيَّة؛ لأنَّ له ثلاثةَ حقوقٍ: «حقِّ الجوار، وحقِّ الإسلام، وحقِّ القرابة».

حق الجار الجنب:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾؛ **الجار الجُنب**: فهو الجار البعيد عنك في النَّسَب الَّذي ليس بينك وبينه قرابةٌ، نصَّ علىٰ ذلك مجاهدٌ وغيره، كما رواه ابن

---

(١) **انظر**: «تفسير ابن جرير» (٤/ ٨٠) عند تفسير الآية.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (٧/ ٦ هجر).

جريرٍ في «تفسيره»[1].

وقَدْ أَوْصَىٰ الشَّرع الإسلاميُّ بالجار، وأكَّد علىٰ حقِّه كثيرًا، فمن ذلك ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ**»[2].

وفي الحديث الآخر في «الصَّحيحين» أيضًا: «**مَا زَالَ جِبْرِيْل يُوصِينِي بِالجَارِ، حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ**»[3].

والمهمُّ: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أوصانا بالجار، وأكَّد علىٰ حقِّ الجار القريب أكثر، وقَدْ جاء في الحديث الصَّحيح الَّذي ذَكَره الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» بلفظ: «**خَيرُ الأَصْحَاب عِنْدَ اللهِ خَيرُهُمْ لصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيرُهُمْ لجَارِهِ**»[4]، رقم (٣٢٧٠)، وعزاه لأحمد في «المسند» والتِّرمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

حق الصاحب بالجنب:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[5]: قيل: هو الرَّفيقُ في السَّفَر، ويحتمل أن يكون الزَّميل في العمل الَّذي يعمل إلىٰ جنبك وتعمل إلىٰ جنبه،

---

(١) (٧/ ٩ – ١٠هجر) في معنىٰ الجار الجنب.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه أحمد (٦٥٦٦)، والترمذي (١٩٤٤)، والحاكم (١٦٢٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» (٧/ ١١ – ١٣).

ولكلٍّ حقُّ الزَّمالة، فللمسافر علىٰ زميله في السَّفَر بذل الزَّاد والمعروف، وبسط الوجه، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر بحكمةٍ ورفقٍ ولينٍ، وعدم الخيانة، وقلَّة الخلاف، وعدُّوا من ذلك كثرة المزاح في غيرِ مساخطِ الله.

وأمَّا الزَّميل: فحقُّه بَذْل المعروف، وبسط الوجه، والتَّغاضي عن الهفوات، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والتَّعاون علىٰ طاعة الله عَزَّوَجَلَّ.

القول الثَّاني: أنَّ الصَّاحب بالجنب: هي الزَّوجة[(١)]، ولها حقٌّ علىٰ زوجها، ولزوجها حقٌّ عليها، فحقُّها علىٰ زوجها أن يطعمها مِمَّا يطعم، ويكسوها إذا اكْتَسَىٰ، ولا يضرب الوجه، ولا يُقبِّح.

وحقُّه عليها أن تقوم بحقِّه إذا دخل: من إعدادِ طعامٍ، وتَهيئةِ شرابٍ، وغسلِ ثيابٍ، وتنظيفِ البيتِ، وتنظيفِ نَفْسِها، وتحسينِ مَنْظرها له، والانبساط إليه، وحقُّه عليها إذا خرج أن تحفظه في نفسها ومالِه وأولادِه.

وفي الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خطبته بعرفة في حَجَّة الوداع: «**فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خيرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُم، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكُمْ، فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيكُمْ رِزقهنَّ وكسوتُهنَّ بالمعروف**»[(٢)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٧/ ١٣ - ١٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨)، من حديث جابر بن الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. دون قوله: «وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خيرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عَوَان عِنْدَكُمْ» فإنه عند الترمذي (١١٦٣)، من حديث عمرو بن الأحوص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وحسَّنه الألبانيّ في «الإرواء» (٢٠٣٠).

حقّ ابن السَّبيل:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[١]: فالمرادُ به المسافر إذا انقطع به الزَّاد واحتاج إلىٰ الإرفاد[٢] والعون والمواساة، فيجب علىٰ المسلمين إرفاده وعونه وإعطاؤه ما يوصله مأمنه.

حقّ ملك اليمين:

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ فإنَّ معناه: أحسنُوا إلىٰ ما ملكتْ أيمانُكم؛ سواء كانُوا مِن بني آدم، أو مِن الحيوانات، وقَدْ جاء في الحديث: «**حُسْنُ المَلَكَةِ مِنَ الإِيمانِ**»[٣].

وفي «سنن أبي داود»: «**مَنْ لاءَمَكُمْ مِن ممالِيكِكُمْ؛ فَأَطْعِمُوهُ مِمَّا تَطْعَمُونَ، وَاكْسُوهُ مِمَّا تَكْسُونَ، وَمَنْ لا يُلائِمُكُمْ فبيعُوهُ، وَلا تُعَذِّبُوا خَلْقَ الله**»[٤]. ومعنىٰ: يلائمكم: يوافقكم.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هُريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلا يُكَلَّفُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ**»[٥].

قال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فندب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّادة إلىٰ مكارم الأخلاق، وحضَّهم

---

(١) بنحوه قاله ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨ هجر).

(٢) الضِّيافة والإكرام.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٦٢) بلفظ: «**حُسْنُ المَلَكَةِ يُمْنٌ**»، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٦١)، من حديث أبي ذرّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٥) أخرجه مسلم (١٦٦٢).

عليها، وأرشدَهم إلىٰ الإحسان، وإلىٰ سلوك طريق التَّواضع حتَّىٰ لا يَرَوْا لأنفسهم مَزيَّةً علىٰ عبيدهم، إذ الكلُّ عبيدُ الله، والمالُ مالُ الله، ولكنَّ الله سخَّر بعضَهم لبعضٍ، وملَّك بعضَهم لبعضٍ؛ إتمامًا للنِّعمة، وتنفيذًا للحكمة، فإنْ أطعمُوهم أقلَّ مِمَّا يأكلون، وألبسُوهم أقلَّ مِمَّا يلبسون؛ صفةً ومقدارًا، جاز ذلك، إذا قام بواجبه عليه، ولا خلاف في ذلك، والله أعلم.

وروىٰ مسلمٌ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه جاءه قهرمان له[١]، فدخل، فقال: أعطيتَ الرَّقيق قُوتَهم؟ قال: لَا. قال: انطلق فَأَعطِهم. قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كَفَىٰ بِالمرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**»[٢][٣].

أمَّا الدَّوابُّ والمواشي، فيجب علىٰ المالك لها أنْ يعطيَها قُوتَها مِنْ رَعْيٍ وسَقْيٍ، وإلَّا وجب عليه أنْ يَبيعَها إنْ وجد مَنْ يشتريها، ولا يجوزُ له أنْ يُجوعها، فإن لَم يجد ما ينفق عليها ولَم يجد مَنْ يشتريها، وجب أن يُسيِّبها، هكذا قال فقهاءُ الحنابلة.

وفي الحديث الآخر: «**حُسْنُ الخُلُقِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ، وَالبِرُّ زِيَادَةٌ فِي العُمْرِ، والصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيتَةَ السُّوءِ**»[٤]. أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٥٠٢) وفي سنده عثمان بن زفر مجهولٌ، وفيه مجهولٌ آخر: عن بعض بني رافع. **وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ضعيف»**.

---

(١) **القهرمان**: هو الخازن القائم بحوائج الإنسان، وهو بمعنىٰ الوكيل.

(٢) أخرجه مسلم (٩٩٦).

(٣) **انظر**: «تفسير القرطبي» (٥/ ١٩٠ الكتب المصرية).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٥٠٢ قرطبة) (١٦١٢٣)، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضَّعيفة» (٧٩٤).

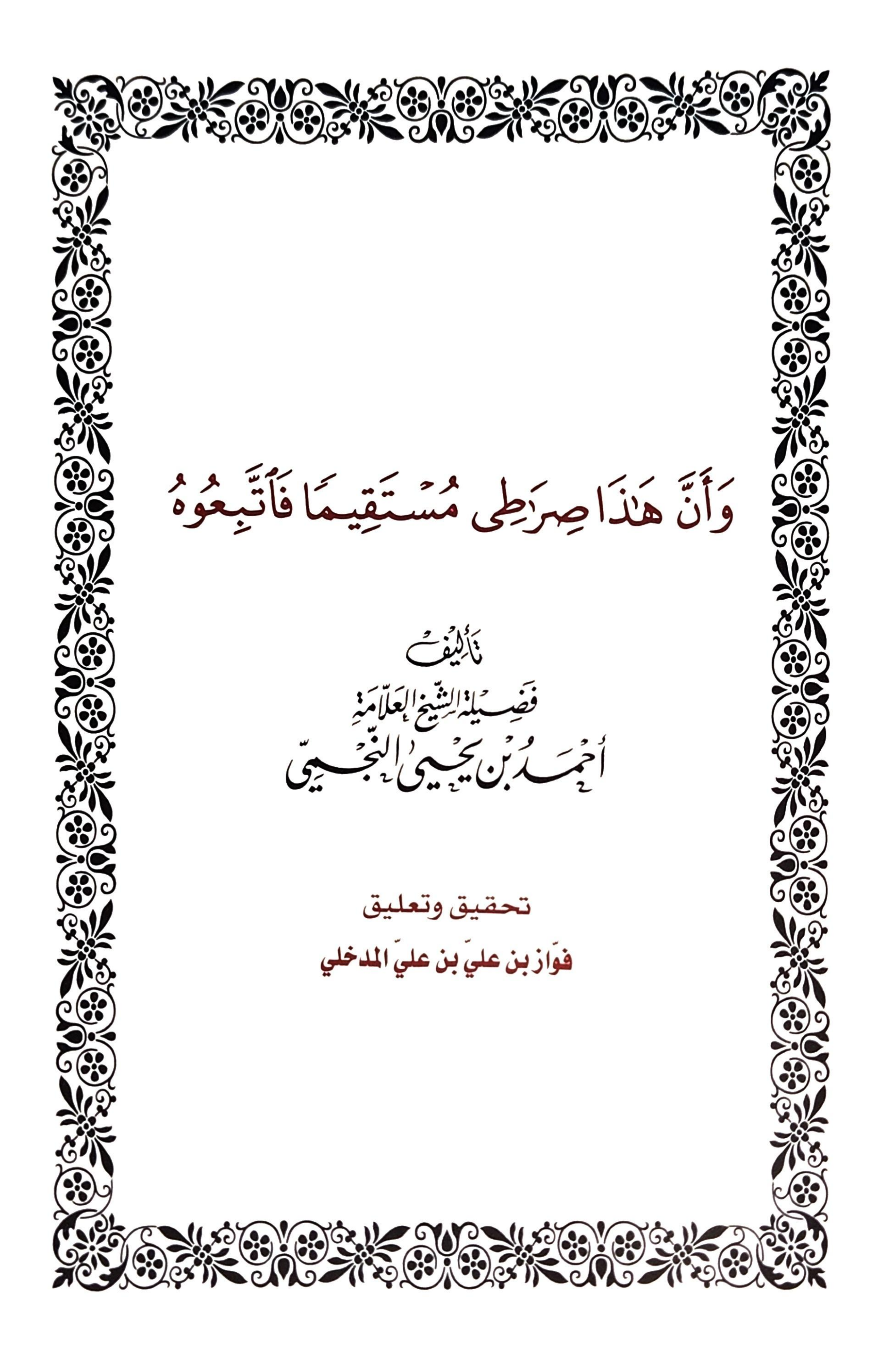
قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾:

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ في هذه الخاتمة نفي مَحبَّة الله عَمَّنْ كان مختالًا، والمختال هو المُعْجَب بنفسه الَّذي يفتخر علىٰ النَّاس بما آتاه الله، ويستطيل بِها علىٰ الآخرين. والمحبَّة صفةٌ من صفات الله الذَّاتيَّة، أثبتها في مواضع للمؤمنين والمُتَّقين والمحسنين والمُتوكِّلين، ونفاها عن المختالين والمُتكبِّرين والمفسدين، فيجب علينا أنْ نؤمن بِها كما جاءت من غير تكييفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تأويلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تحريفٍ، ولا تمثيلٍ، نؤمن بِهذه الصِّفات علىٰ ما تقتضيه في اللُّغة العربيَّة الَّتِي خاطبنا الله عَزَّوَجَلَّ بِها في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ، وهذا ما دَرَجَ عليه سلف الأُمَّة من الصَّحابة والتَّابعين ومَنْ بعدهم، وهو سبيلُ المؤمنين الَّذي أمَر الله عَزَّوَجَلَّ باتِّباعه في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه وَسلَّم تسليمًا كثيرًا. اهـ.

أحمد بن يحيى النجمي





وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ

تأليف

فضيلة الشيخ العلّامة

أحمد بن يحيى النّجمي

تحقيق وتعليق

فوّاز بن عليّ بن عليّ المدخلي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه.

وبعد:

فقَدْ أَذِنْتُ للشَّيخ فوَّاز بن عليّ بن عليّ المدخلي في تحقيق المحاضرة الَّتي ألقيتُها في قرية العارضة عام (١٤١٥هـ) بعنوان: «تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]».

وأذنتُ له في التَّعليق عليها وطبعها، وقَدْ حرَّرت هذا إعلامًا بالواقع، وبالله التَّوفيق.

كتبه

أحمد بن يحيى النجمي

١٤١٨/١٠/١٢هـ





إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا، ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَنْ يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه.

أمَّا بعدُ:

فهذه رسالةٌ صغيرةٌ في حجْمها، كبيرةٌ في موضوعها، غزيرةٌ في مادَّتها، وهي في الأصل محاضرةٌ لشيخنا الفاضل العلَّامة المُحدِّث: أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ألقاها في محافظة العارضة بمنطقة جازان بمناسبة توزيع جوائز وشهادات المشاركين في «دورة الشَّيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلميَّة الأولىٰ».

وكان عنوانها:

«تفسير الآية الجامعة: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾» [الأنعام: ١٥٣].

وقَدْ حظيتُ بتسجيلها، ثمَّ قمتُ بتفريغها ونسْخِها، فَجَمعتُها، واعتنيتُ بها، وقمتُ بعزو الآيات وتخريج الأحاديث، وترجمت للأعلام من الصَّحابة وأئمَّة الإسلام، وعلَّقت علىٰ بعض المواضع الَّتي رأيتُ أنْ أُعلِّق عليها بما يناسب، مع إضافة بعض العناوين اللَّازمة؛ لإبراز ما بها من مسائل مهمَّة.

وليس هذا مِن باب الاستدراك علىٰ شيخي، بل من باب الحاشية علىٰ المتن - كما هو الحال في كتب السَّلف - والحمد لله أنَّ لي في هذا سلفًا[1].

---

(١) فائدة:

قال الأستاذ عبد السَّلام هارون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لعلَّ أوَّل كُتُب في المشرق كُتِب عليها كلمة (تحقيق) هي:

وقَدْ رأيتُ ووجدتُ في نفسي الرَّغبة الشَّديدة في نشر هذه الرِّسالة، حرصًا منِّي علىٰ نشر العلم والمنهج السَّلفيِّ، ولحاجة الشَّباب طُلَّاب العلم إلىٰ فَهْم مثل هذا الموضوع المُهمِّ، وهذه التَّوجيهات القيِّمة.

وقَدْ عرضت هذه الكتابة بعد صَفِّها علىٰ فضيلة شيخنا أحمد بن يحيىٰ النجمي - رحمه الله ومتَّعنا بعلمه - فقرأتها عليه من أوَّلها إلىٰ آخرها، فقوَّمَ وأضاف، وحذف ما يراه، ثمَّ أجازني خطيًّا في نشرها - كما سبق - ليعمَّ الانتفاع به، والحمد لله علىٰ توفيقه.

وقَدْ أضاف مُقدِّمةً ماتعةً تحوي الموضوع، أملاها لطلبته في دورة الشَّيخ عبد الله القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذا وأسأل الله الواحد الأحد بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العُلا أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يجعلها نُصرةً لدينه، ودفاعًا عن سُنَّة رسوله ﷺ، وأنْ يدَّخر لي ثوابها إلىٰ يوم لقائه، إنَّه بكلِّ جميلٍ كفيلٌ، وهو حسبي ونعم الوكيل، وعلىٰ الله قصدُ السَّبيل.

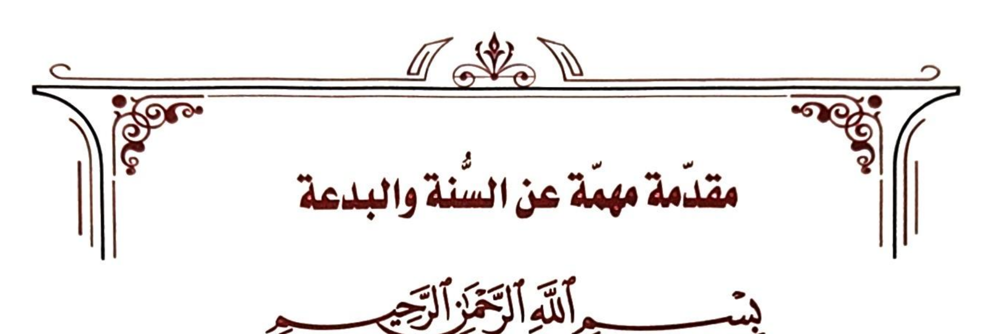
وكتبه

فوَّاز بن علي بن علي المدخلي

ليلة الأربعاء لاثنتين وعشرين ليلة خلتْ
مِنْ شهر رمضان سنة ألف وأربع مئة وثماني عشرة
من هجرة رسولنا محمد بن عبد الله ﷺ،
في محافظة صامطة، جازان، المملكة العربيَّة السّعوديَّة

=

كتاب «الخيل»، و«الأصنام» لابن الكلبي، و«التاج في أخلاق الملوك» للجاحظ، التي حققها: الأستاذ أحمد زكي باشا، المتوفىٰ سنة (١٩٣٤م)، مع ما لحقها من خدمات بالفهارس ودَاخَلَها من علامات الترقيم». «معجم المناهي اللفظية» (ص٦٢٨).



مقدّمة مهمّة عن السُّنة والبدعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نَبِيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

ربِّ يَسِّر وأَعِنْ يا كريمُ.

اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك أنْ نُشركَ بك ونحن نعلم، ونستغفرُك لما لا نعلمُ، إنَّك تعلمُ ولا نَعلمُ، وأنت عَلَّام الغُيوب، اللَّهمَّ ألهمْنَا رُشْدَنا، وأَعِذْنَا مِن شرِّ أنفُسنا.

اللَّهمَّ سَدِّدنا في كلِّ ما نقولُ ونفعلُ، اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ مِن حول نفسِي وقُوَّتها إلىٰ حولِك وقُوَّتِك.

أهميَّة لُزوم السُّنَّة والحذر مِن البدع:

أمَّا بعدُ: فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ بعثَ رسولَه مُحمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبيِّنات والهدىٰ، وأمَر جميع النَّاس أنْ يَتَّبعوا ما أُنزل عليه مِن كتابٍ وسُنَّةٍ، فقالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ أي: المنزَّل علىٰ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- وهو القرآن الَّذي لا يأتيه الباطلُ مِن بين يديه ولا مِن خلفه، تنزيلٌ مِن حكيمٍ حميدٍ.
- والسُّنَّة الَّتي أُوتيها النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ يقولُ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠ قرطبة) (١٧٢١٣)، وأبو داود (٤٦٠٤)، من حديث المقدام بن معديكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٣).

فالسُّنَّة وحيٌ كما يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

فالنَّبيُّ ﷺ مبعوثٌ إلىٰ جميع الثَّقَلين: الجنِّ والإنسِ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وعلىٰ جميع الجنِّ والإنس، وعلىٰ جميع العُقلاء أنْ يَتَّبعوا ما جاء به النَّبيُّ ﷺ، عليهم أن يأتمروا بما أَمَرَ، وأن يَنْتهوا عمَّا نهىٰ.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما ترك شيئًا يحتاج إلىٰ بيانٍ إلَّا بَيَّنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إمَّا تصريحًا، وإمَّا تلميحًا:

إمَّا تصريحًا في الأشياء الَّتي لابدَّ منها، وإمَّا تلميحًا بأنْ يكون داخلًا تحت عُمومٍ، أو ما أشبه ذلك، فالكتابُ والسُّنَّة قَدْ حَويَا جميع ما يحتاج إليه النَّاس وإنْ لم يكن هناك تصريحٌ، فلا بدَّ أن يكون هناك مفهومٌ وتلميحٌ.

إذًا؛ فهل نحن بحاجةٍ إلىٰ أنْ نبحثَ عن طُرقٍ ومناهجَ مستوردةٍ من أفكارِ أناسٍ قَصُرَ بهم العلم؛ فاخترعوا شيئًا مِن عندِ أنفسِهم؟!

هل نحنُ بحاجةٍ إلىٰ أنْ نبحثَ عن هذه المناهج الَّتي أتىٰ بها أقوامٌ قصَّروا في تحصيل العلم الشَّرعيِّ، ودخلتْ عليهم بدعٌ وأمورٌ اللهُ أعلم بها، فيها مِنَ الفظاعة ما فيها؟!

هل يجوزُ لنا أنْ نتركَ كتابَ الله وسُنَّةَ رسولِه ﷺ ونَتَّبع أقوالَ هؤلاءِ النَّاس؟!

ودائمًا تجد أنَّ كلَّ مَنْ أراد الزَّعامةَ ربَّما اخترع لنفسِه شيئًا مُبتدعًا غير ما أنزل الله علىٰ عبدِه ورسولِه مِن أجل أن يَتَّبعه النَّاسُ عليه.

وقَدْ يكونُ مع مثل هؤلاء شيءٌ مِن الذَّكاء؛ لذلك فهم يمزجون الحقَّ

بالباطل؛ فيُدخلون مع الحقِّ شيئًا مِن الباطل مِن أجل أنْ يدخلَ في عُقول النَّاس، فإذا نحنُ أخذنا بأقوال هؤلاء النَّاس مِن أصحاب البدع - والبدعُ كثيرةٌ جدًّا، والنِّحل كثيرةٌ بكثرةِ مَنْ جاء بها - فإنَّا نكون قَدِ اقْترَفنَا إثمًا عظيمًا بترك الوحي الَّذي مِن الله، وأخذ تلك البدع.

وأخيرًا؛ هل نحتاج إلىٰ أنْ نبحث عنْ هذه النِّحَل، وعن هذه المناهج المستوردة ونترك ما قاله الله، وقاله رسولُ الله؟

فإذا فعلْنا ذلك فقد اتَّهمْنَا شريعةَ الله بالنَّقص، أو اتَّهمْنا رسول الله ﷺ بالخيانة!

يعني: مِنْ لازم قولِ المبتدعة: أنَّه إمَّا أنْ يكون في شريعةِ الله نقصٌ فهي تحتاج إلىٰ تكميل!

وإمَّا أن يكون رسولُ الله ﷺ أُوحيَ إليه بالشَّريعة كاملةً، فلم يبلِّغْها كاملةً، ولكن انتقص منها!

ولهذا يقول الإمام مالكٌ[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنِ ابْتَدعَ في الإسلام بدعةً، فقد اتَّهم رسولَ الله ﷺ بالخيانة»[2].

إذًا؛ فلنُفكِّر في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

(١) مالكُ بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله، المدنيُّ، الفقيهُ، إمامُ دار الهجرة، رأسُ المتقنين، وكبيرُ المُتثبِّتين، حتَّىٰ قال البخاريُّ: «أصح الأسانيد كلِّها: مالكٌ عن نافع عن ابن عمر»، من السَّابعة، وقال الواقدي: «بلغ تسعين سنة». «التَّقريب» (٢/ ١٥١) (٦٤٤٤).

(٢) قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ ابْتَدَعَ في الإِسْلَام بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، فَقَدْ زَعَم أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ؛ لأَنَّ اللهَ يقولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ اليومَ دِينًا». رواه ابنُ حزم في «الإحكام» (٦/ ٥٨ شاكر). وانظر: «الاعتصام» للشَّاطبي (١/ ٦٤ - ٦٥ ابن عفان).

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾، هذا كلام الله، ومَنْ أصدق مِن الله قيلًا.

مَنْ شكَّ في خبَر الله وخبَر رسولِه ﷺ؛ فإنَّه لم يُؤمنْ بالله ولا برسولِه.

لا آمَنَ بالقُرآن الَّذي أنزلَه اللهُ، ولا آمَن بالرَّسول الَّذي جاء بالقُرآن.

إذًا؛ إذا كان الله قَدْ أخبَر أنَّ الدِّينَ كاملٌ، فيلزمُ مِن هذا أنَّه لا داعيَ للزِّيادة، ولا حاجة إليها، فالدِّينُ أصبحَ كاملًا.

فما علينا إلَّا أنْ نبحثَ في كتاب الله، وفي سُنَّة نبيِّه ﷺ، وفي أقوال أهل العلم الَّذين استنبطوا مِن كتاب الله، واستنبطوا من سُنَّة رسول الله ﷺ[(١)].

علينا أنْ نبحثَ علىٰ ضوءِ العلوم والمعارف الَّتي تُعين علىٰ ذلك، مثلًا: النَّحْو، والصَّرْف، والمعاني، وأصول الفقه، وأصول التَّفسير، ومصطلح الحديث، في أسماء الرِّجال، في نَقْدهم، في معرفتهم، وهكذا حتَّىٰ يمكن بعد ذلك إذا تأهَّلنا لهذا، وأعطينا - كما يقال - الأمر حقَّه مِن العناية، فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا بدَّ أنْ يُوفِّقنا إلىٰ الطَّريق المستقيم الَّذي لا عوج فيه.

والنَّبيُّ ﷺ حين ذكَر الافتراق قال: «**افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَينِ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**».

قالوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟

قال: «**هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي**»[(٢)].

---

(١) أي: استنبطوا الأحكام والفوائد الشرعية.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ولفظه: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً**» =

أهمِّيَّة طلَب العلم الشَّرعي وآثاره على الفرد والمجتمع:

إذًا؛ يجبُ علينا أنْ نُعْنَىٰ بطلَب العلم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

لمَنْ وُجِّهَ هذا الأمرُ؟ وُجِّه إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.

هل يشملُنا نحن؟ نعم؛ ونحن المَعنيُّون بذلك، أمَّا الرَّسول ﷺ فربُّه يُسدِّده بالوحي.

لكن يجب علينا نحن أن نرجع إلىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

علينا أنْ نطلب هذا العلم مِن مَظانِّه؛ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

لِيَتفقَّهوا في الدِّين، هل التَّفقُّه في الدِّين يكفي فيه شهرٌ أو شهران، هل يكفي فيه سنةٌ أو سنتان؟! لا.

بل يحتاج إلىٰ مُدَّةٍ طويلةٍ، وأن نعقل أرجلنا عند أهل العلم، ونطلب العلم علىٰ أيديهم حتَّىٰ يمكن أن نستوعبه.

أمَّا نصفُ فقيهٍ، أو ربعُ فقيهٍ، فهذا يُفسد أكثر مِمَّا يصلح، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[1]: «يقولون: أفسدَ الدِّينَ نصفُ فقيهٍ، وأفسدَ الأجسامَ نصفُ

= وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

(١) هو شيخ الإسلام تقيُّ الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن عبد الله بن الخضر ابن تيمية، =

طبيبٍ»[١].

فنصفُ الطَّبيب يعطيك وَصْفةً مخالفةً، أخذْتَ هذه الوصفة فازداد عليك المرض، لذا: فقَدْ أفسد الأجسامَ نصفُ طبيبٍ، وأفسدَ الدِّينَ نصفُ فقيهٍ.

إذًا؛ فالتَّفقُّه في الدِّين يحتاج إلىٰ أنْ تجتهد، وتجلس، وتسافر، وتذهب، وتعقل رجلَك عند الشَّيخ الَّذي تجدُه مِن أهل العلم، الموثوق بعلمِهم.

عندئذٍ؛ فهذا - إن شاء الله - إذا فعله العبد مخلصًا، يُرْجىٰ له أن يكون عارفًا وعالمًا، يعرف أن يُميِّز بين الحقِّ والباطل، والسُّنَّة والبدعة ويكون علىٰ بصيرةٍ في دينه.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبر بأنَّه لن يُضلَّ قومًا بعد إذْ هداهم حتَّىٰ يُبيِّن لهم ما يتَّقون.

إنَّ الاطِّلاع علىٰ سُنَّة رسول الله ﷺ، والاطِّلاع علىٰ أخبار الصَّحابة والتَّابعين ومآثرهم وما كانوا عليه، والاطِّلاع علىٰ ما قاله الفقهاء من أهل العلم المستنبطين (أهل الحديث)، الاطِّلاع علىٰ هذه الأمور هو الَّذي يجعل الإنسان عالمًا حقًّا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما أوجب علينا جميعًا أنْ ننفر لطلب العلم، ولكن أوجبه علىٰ فئةٍ من النَّاس.

وكم تكون نسبةُ طُلَّاب العلم الَّذين يطلبون العلم الحقيقيَّ؟

لو نظرْنَا إلىٰ نسبةِ المُتعلِّمين في الدُّنيا، فكم تكون نِسبتُهم؟ قد تكون ٥٪ أو أقلّ.

=

الحرَّاني، الدمشقي، ولد سنة (٦٦١هـ)، وتوفي سنة (٧٢٨هـ)، عن عمر بلغ (٦٧) سنة، كلّها جهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحقِّ والرَّحمة بالخلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ. **انظر**: «تذكرة الحفَّاظ» (٤/ ١٤٩٧).

(١) قال شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد قِيلَ: إنَّما يفسدُ النَّاس نصفُ متكلِّم، ونصف فقيه، ونصف نحويّ، ونصف طبيب؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يُفسد البلدان، وهذا يفسد اللِّسان، وهذا يفسد الأبدان». «الرَّدُّ علىٰ البكري» (٢/ ٧٣٠ - ٧٣١).

وإذا قلنا خمسة بالمئة (٥٪) رُبَّما ترىٰ أنَّك قَدْ أكثرتَ، فكيف بالنِّسبة لجميع النَّاس؟

إذًا؛ يجب أن يَتخصَّص في هذا العلم الشَّرعيِّ رجالٌ يصلُون إلىٰ مستوًى يعرفون به كيف يفرقون بين الحقِّ والباطل، وبين السُّنَّة والبدعة، وبين ما يجبُ وما لا يجبُ، وما يجوزُ وما لا يجوزُ، وما هو مباحٌ وما لم يكن مباحًا، هكذا: يجب.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمَر المسلمين أنْ يَتخصَّصَ كلُّ قوم منهم في شيءٍ مِمَّا ينفع المسلمين، وإذا أخلص المسلمُ في هذا التَّخصُّص - حتَّىٰ ولو كان دُنيويًّا - فإنَّه يكون مأجورًا بقدْر ذلك.

فمثلًا: قومٌ يَتخصَّصون للطِّبِّ، وقومٌ يَتخصَّصون للهندسة المعماريَّة، وقومٌ يَتخصَّصون للزِّراعة، وقومٌ يَتخصَّصون في أشياء أخرىٰ مِمَّا يحتاج إليه المجتمع الإسلاميُّ.

هؤلاء جميعًا إذا تَخصَّصوا وهم مخلصون في هذا التَّخصُّص؛ يريدون أن ينفعوا عباد الله المسلمين مِن أجل أن يستغنوا بالمسلمين عن الكُفَّار؛ فإنَّهم مأجورون في ذلك.

فكيف بمَنْ تَخصَّص في الشَّريعة الإسلاميَّة، وبَحَث عَمَّا أُثِر عن رسول الله ﷺ من أقوالٍ وأفعالٍ وإقراراتٍ، فإنَّ أجرَه يكونُ أعظمَ.

لأنَّ الشَّرع إمَّا أن يكون قولًا من الشَّارع ﷺ، وإمَّا أنْ يكون فعلًا، وإمَّا أنْ يكون إقرارًا.

وبحث عن أحوالِ الصَّحابة، وفقهاء الصَّحابة، وفتاوىٰ الصَّحابة، ثُمَّ فتاوىٰ التَّابعين، ثمَّ فتاوىٰ أتباع الأتباع.

والآن مِن فضْل الله قَدْ أصبحَتْ هذه الأمور مُتيسِّرةً، بتيسير الكُتب الآن.

وطُبع شيءٌ كثيرٌ مِن الكُتب الَّتي كان النَّاس يَتمنَّون وجودَها، ولم يجدُوها، وكانت مدفونةً في المكاتب العالميَّة البعيدة.

فأصبحتْ مِن فضل الله عَزَّوَجَلَّ كلّها موجودة بين أيدِينا.

فمثلًا: «مُصنَّف عبد الرَّزَّاق»[1]، و«مصنَّف ابن أبي شيبةَ»[2]، وأيضًا «سُنن سعيد بن منصور»[3]، ومصنَّفات ابن عبد البرِّ[4]، وهكذا غيرها من الكتب الَّتي تأتي بفتاوىٰ الصَّحابة، وفتاوىٰ التَّابعين.

البحث عن هذه الأمور والَّتي تُؤهِّل طالب العلم، بعد الاطِّلاع عليها، والتي علىٰ ضوء ما هو معروفٌ من علوم الآلة، والتَّرجيح بها يحتاج إلىٰ زمنٍ طويل، وبعد ذلك لا نقولُ: إنَّه وصل إلىٰ النِّهاية، ولكن يعتبر قَدْ أصبح مُتأهِّلًا بأن يقولَ

---

(١) عبد الرَّزَّاق بن همام بن نافع، الحميري مولاهم، أبو بكر الصَّنعانيّ ثقة حافظ مصنِّف، شهير، عمي في آخر عُمره فتغيَّر، وكان يتشيَّع، مِن التَّاسعة، مات سنةَ إحدىٰ عشرة، وله خمسُ وثمانون. «التَّقريب» (١/ ٥٩٩) (٤٠٧٨).

(٢) عبد الله بن محمَّد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الواسطيّ الأصل، أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي، ثقةٌ حافظٌ، صاحبُ تصانيفَ، من العاشرةِ، مات سنة خمس وثلاثين ومئتين. «التَّقريب» (١/ ٥٢٨) (٣٥٨٦).

(٣) سعيد بن منصور بن شُعبة، أبو عثمان الخُراساني، نزيل مكَّة، ثقةٌ مصنِّف، وكان لا يَرجع عمَّا في كتابه لشدة وثوقه به، مات سنة سبع وعشرين، وقيل: بعدها، من العاشرة. «التَّقريب» (١/ ٣٦٥) (٢٤٠٦).

(٤) الإمام العلَّامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام؛ أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، صاحب التصانيف الفائقة، وُلِد سنة (٣٦٨هـ)، وتُوفِّي سنة (٤٦٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ. «السِّير» (١٨/ ١٥٣).

ويُرجِّحَ، ويعرف الأشياء الدَّخيلة الَّتي أُدْخِلت علىٰ عبادة النَّاس، أو أُدْخِلتْ علىٰ أفكارِهم، أو أُدْخِلتْ إلىٰ أعمالهم.

فهناك بدعٌ كثيرةٌ:

- بدعٌ في العبادة؛ كبدع المُتصوِّفه[(١)] في عباداتهم الَّتي اخترعوها مِن عند أنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطانٍ.

- وبدعٌ في الاعتقاد؛ كبدع أصحاب الكلام الَّذين أدخلوا في عقائد المسلمين ما ليس منها من كلام اليونان، وأهل المنطق والفلسفة، وما أشبه ذلك.

- وهكذا أيضًا بدعٌ في الرَّأي؛ بأن يتركَ الإنسان السُّنَّة، ويترك الحديث الصَّحيح الوارد عن النَّبيِّ ﷺ ويقول: أنا قَدْ قلَّدتُ - مثلًا - أبَا حنيفة[(٢)] وهو أعلم بالسُّنَّة مِنِّي، إذًا فأنا لا أخالف رأيه، فيترُكُ سُنَّة النَّبيِّ ﷺ مِنْ أجل أنْ يَتَّبعَ قولَ أبي حنيفةَ مثلًا.

أو يقول: أنا قَلَّدت مالكًا، أو قَلَّدت الشَّافعيَّ[(٣)]، أو قلَّدت أحمد بن

---

(١) سمُّوا بذلك نسبة إلىٰ لبس الصُّوف، ومصادرُ التَّلقي الرَّئيسة عند فرق الصُّوفيَّة عمومًا ثلاثة مصادر، وهي: الكشف، والذَّوْق، والوَجْد، وتحت كلِّ قسم منها أقسام ودرجاتٌ، وهذا لا ينفي وجود مصادر أخرىٰ غير هذه الثَّلاثة. «المصادر العامَّة للتَّلقِّي عند الصُّوفيَّة». (ص٣١، ١٨٣).

(٢) أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت الكوفي، الإمام، يقال: أصله مِن فارس، ويقال: مولىٰ بني تيم، فقيهٌ مشهورٌ، من السَّادسة، مات سنة خمسين ومئة علىٰ الصَّحيح، وله سبعون سنةً. «التقريب» (٢/ ٢٤٨) (٧١٧٩).

(٣) هو الإمام، عالم عصره، ناصر الحديث، فقيهُ الملَّة، أبو عبد الله محمَّد بن إدريس بن العبَّاس الشَّافعي، ولد بغزة وحملته أمُّه إلىٰ مكَّة وهو ابنُ سنتين؛ لئلَّا يضيع نسبه، فنشأ بها، وقرأ القُرآن وهو ابنُ سبع سنين، وحفظ «الموطَّأ» وهو ابنُ عشر، وأفتىٰ وهو ابنُ خمس عشرة سنةً، وقيل: ابن ثماني عشرة سنةً، وصنَّف التَّصانيف، ودوَّن العلمَ، وردَّ علىٰ الأئمَّة مُتَّبعًا الأثر. وصنَّف في أصول الفقه وفروعه، وبَعُدَ صيته، وتكاثر عليه الطَّلبة. مات سنة أربع ومئتين، وله أربع وخمسون سنةً. **انظر**: «البداية والنِّهاية» (١٠/ ٢٥٤)، و«سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٥)، و«تقريب التَّهذيب» (٢/ ٥٣).

حنبل[١]، أو قَلَّدت فلانًا أو فلانًا، كلُّ هذا لا يجوز.

وقَدْ أُثِر عن هؤلاء الأئمَّة ما أُثِر من أنَّهم يَنْهون عن اتِّباعهم واتِّباع أقوالهم، وترك سُنَّة رسول الله ﷺ[٢]، فكلٌّ منهم قَدْ أُثِر عنه قولٌ يدلُّ علىٰ أنَّهم يَتبرَّؤون من هذا العمل، وإن كان بعضُ أتباعهم قَدْ غَالَوْا في اتِّباع هؤلاء الأئمَّة، وقدَّموا آراءهم علىٰ أقوال النَّبيِّ ﷺ وأفعالِه، وتقريراتِه.

إذًا؛ فعليك - يا طالب العلم - أنْ تبحثَ جَيِّدًا، وأنْ تَتعلَّم جَيِّدًا، وأَنْ تَتمرَّس في الشَّرع الإسلاميِّ؛ في كتاب الله وفي سُنَّة رسول الله ﷺ، وفي أقوال الفقهاء، وبعد ذلك تكون مُعدًّا لأَنْ تكون مرجعًا في هذه الأمور.

أمَّا إنِ اتَّبعت المنهجَ الفلانيَّ المستورَد والمبنيَّ علىٰ الحِزْبيَّة، وتركتَ ما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ، وما كان عليه أتباعهم، وأتباع التَّابعين، وتساهلتَ في أمر العقائد، واعتنيتَ بالفضائل، وتركتَ ما هو أهمُّ، ورجعتَ إلىٰ بعض المُهمِّ الَّذي لا يكون مقبولًا إلَّا بأن تأتي بالأهمِّ، فإنْ فعلتَ ذلك فقد أخطأتَ الطَّريقةَ، وخالفتَ الحقَّ الَّذي عليه كتابُ الله وسُنَّةُ رسولِه، وما كان عليه السَّلف الصَّالح.

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمَّد بن حنبل بن هلال الشَّيباني، إمام المحدِّثين، صاحب «المسند»، ولد سنة (١٦٤هـ) في بغداد، ونشأ بها، وابتدأ بطلب العلم من شيوخ بغداد، وتلقَّى الحديث فيها، ثمَّ رحل إلىٰ الكوفة والبصرة ومكَّة والمدينة واليمن، والشَّام والجزيرة، وكتب عن علماء كلِّ بلدٍ. توفِّيَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوَّل سنة (٢٤١هـ).

(٢) كقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تقلِّدني، ولا تقلِّد مالكًا، ولا الثَّوري، ولا الأوزاعي، وخُذ مِن حيث أخذوا». «إعلام الموقعين» باب: نهي الأئمَّة الأربعة عن تقليدهم (٢/ ١٩٢)، وللاستزادة انظر مقدِّمة «صفة صلاة النَّبيِّ ﷺ» لمُحدِّث هذا العصر الإمام الألبانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فمثلًا: أصحاب المناهج المستوردة يَتكلَّمون في الجرائم الأخلاقيَّة، هذا حسنٌ، لكن الواجب أنْ يُبْدَأ بالعقيدة، وبعد ذلك يُتكلَّم في الجرائم الأخلاقيَّة، أمَّا أن تترك العقيدة وتقول: هذا شركٌ بدائيٌّ[(١)]، أو هذا ما له حاجةٌ اليوم، أو الكلام في الأسماء والصِّفات ما له اليوم حاجةٌ، فهذا القول غير صحيح ولا مقبول.

وكما يقول بعض مَنْ يدَّعي الفقه: إنَّ بعض فقهاء اليوم يعيشون في عصورٍ مُتقدِّمةٍ، أو علماء مُحنَّطون[(٢)]، وإنَّهم يعيشون في عصورٍ قَدْ مضتْ وانقرضتْ، وما لها من داعٍ اليوم، ويذهبون عن واقعهم، وهذا كلامٌ باطلٌ.

وصايا لطلَّاب العلم:

إذًا؛ فالَّذي أوصيكم به ونفسي:

أوَّلًا: التزامُ منهج أهل السُّنَّة والجماعة، عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة المأخوذة من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، ومِن أقوالِ الصَّحابةِ - رضوان الله عليهم - والتَّابعين، وتابعِيهم.

ثانيًا: الاعتناء بالتَّفسير علىٰ طريقة أهل التَّفسير بالرِّواية كتفسير ابن جرير[(٣)]،

---

(١) كما قال ذلك سلمان العودة في كتابه «هكذا علم الأنبياء».

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما قاله عبد الرَّحمن عبد الخالق عن العلماء. **انظر:** «جماعةٌ واحدةٌ لا جماعاتٌ» (ص٤٠).

(٣) هو محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العالم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطَّبري، صاحب التَّصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان، مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر التّرحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا وذكاءً وكثرة تصانيف، قلَّ أنْ ترىٰ العيون مثلَه، وله كتاب تفسير لم يصنّف مثله، توفِّي سنة عشر وثلاث مئة. **انظر:** «سير أعلام النُّبلاء» (١٤/ ٢٦٢ - ٢٦٧) باختصار.

وابن كثير[١]، والبغويّ[٢]، وأمثالهم.

هذه التَّفاسير هي التَّفاسير الحقَّة، ولا بأس أنْ تجعل معها من كتب التفسير التي تبحث في الفقه مِن كتب الفقهِ، أو الَّتي تبحث في اللُّغة، وأن تكون علىٰ حذرٍ مِن كُتب التَّفسير الَّتي فيها شيءٌ مِن اعتقاد الأشعريَّة[٣]، والتَّأويل، وما أشبه ذلك.

ثالثًا: أن تُعنىٰ بالحديث الَّذي ورد عن النَّبيِّ ﷺ ممَّا صحَّ عنه في الأُمَّهات السِّتِّ وغيرها.

والسُّنَّة الآن قَدْ خُدِمَتْ خدمةً عظيمةً لم تكن مخدومة هكذا فيما مضىٰ، وقد ميّزت الأحاديث الصَّحيحة عن الضَّعيفة، - والحمد لله -، كما فعَل ذلك الألبانيُّ[٤] - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا - وغالبًا ما تكون اجتهاداته في محلها، ولا نقولُ: إنَّه معصومٌ مِن الخطأ.

إذًا؛ علينا أن نُعنىٰ بمعرفةِ الحديث الصَّحيح ومعرفة الحديث الضَّعيف

---

(١) عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البصروي الأصل، الدِّمشقي الشَّافعي، ولد سنة إحدىٰ وسبع مئة إذ كان أبوه خطيبًا بها، وصاهر الحافظ المزيَّ فأكثر عنه، وأفتىٰ ودرَّس وناظر وبرع في الفقه والتَّفسير والنَّحو، وله مؤلفات عدَّة منها التَّفسير المشهور، مات سنة أربع وسبعين وسبع مئة. «ذيل تذكرة الحفاظ» (ص٥٧) باختصار.

(٢) الشَّيخ الإمام، العلَّامة القُدوة الحافظ، شيخ الإسلام، مُحيي السُّنَّة، أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمَّد الفرَّاء البغويّ الشَّافعي المفسّر، صاحب التَّصانيف، كـ «شرح السُّنَّة»، و«معالم التَّنزيل»، وغيرها، توفي بمرو الرّوذ - مدينة من مدائن خراسان - في شوَّال سنة ستّ عشرة وخمس مئة. انظر: «سير أعلام النُّبلاء» (١٩/ ٤٣٩ - ٤٤٣) باختصار.

(٣) **الأشاعرةُ**: هم فرقةٌ أَسَّسها أبو الحسن الأشعريُّ في أوَّل أمره بعد اختلافه مع المعتزلة، غير أنَّه رجَع إلىٰ مذهب السَّلف في آخر حياتِه، ومصدر التَّلَقِّي عندهم: العقلُ، ويعطِّلون بعضَ الصِّفات، ويؤوِّلون بعضَها.

(٤) هو الإمام العلَّامة، محدِّث هذا العصر، أبو عبد الرَّحمن محمَّد ناصر الدِّين الألباني، صاحبُ التَّحقيقات البديعة، اشتغل بعلم الحديث، له الكثير من المؤلَّفات، رحمه الله رحمةً واسعةً.

حتَّىٰ نحذر الضَّعيف، ونأخذ بالصَّحيح.

وعلينا أنْ نبذلَ جُهدنا في معرفة الحديث، بمعرفة الرِّجال والجرح والتَّعديل، ومعرفة أنواع الحديث من المصطلح: (متواتر، وآحاد، ومشهور، وعزيز، وغريب) وما أشبه ذلك من أنواع الحديث.

يجب علينا أن نعتني بهذا العلم اعتناءً عظيمًا، كما نعتني بكتاب الله اعتناءً عظيمًا.

رابعًا: علينا أن نبحث في كتب العقائد الَّتي دوَّنها أئمَّة العلم، وأئمَّة الحديث في الزَّمن السَّابق كـ: توحيد ابن خزيمة(١)، وكتاب السُّنَّة لعبد الله بن أحمد بن حنبل(٢)، وكتاب اللالكائي(٣)، وكتبٌ كثيرةٌ لا يأتي الحصر عليها الآن.

إذًا؛ فعلينا أن نبحث عن هذه الكتب، وأن نقرأها، وأن نعتني بها، وكذلك الكتب الَّتي بحثتْ في توحيد الأُلُوهيَّة، وبيان أنواع الشِّرك في العبادة كمُؤلَّفات شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٤) وأبنائه وأحفاده، وعلماء نجد

---

(١) محمَّد بن إسحاق بن خُزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، الحافظ الحجَّة الفقيه، شيخ الإسلام، إمامُ الأئمَّة، أبو بكر السّلمي النيسابوري الشَّافعي، صاحب التَّصانيف، وُلد سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وعُني في حداثته بالحديث والفقه، حتَّىٰ صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، توفي سنة إحدىٰ عشر وثلاث مئة. «سِير أعلام النُّبلاء» باختصار (١٤/ ٢١٤).

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمَّد بن حنبل الشَّيباني، أبو عبد الرَّحمن، ولَدُ الإمام، ثقةٌ مِن الثَّانية عشرة، مات سنة تسعين، وله بضع وسبعون. «التَّقريب» (١/ ٤٧٧) (٣٢١٦).

(٣) هو الإمام الحافظ المجوّد، المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، الطَّبري الرَّازي، الشَّافعي، اللَّالكائي، مفيد بغداد في وقته، أدركه أجلُهُ بها في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربع مئة. «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤١٩).

(٤) هو الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميمي النَّجدي، زعيم النَّهضة الدِّينيَّة الإصلاحيَّة الحديثة في جزيرة العرب، ولد ونشأ في العُيينة (بنجد) عام (١١١٥هـ)، وقد لاقتْ دعوتُه قبولًا وتأييدًا من =

وغيرهم من علماء السُّنَّة الَّذين بحثُوا في هذا الميدان.

علينا أنْ نقرأَ هذه الكتب، وأن نضطلع منها من أجل أنْ نعرفَ العبادةَ الصَّحيحةَ مِن العبادةِ الباطلةِ، ونعرف الشِّرْكَ مِن التَّوحيد.

وكذلك أيضًا: علينا أنْ نبحث عن السُّنَّة والبدعة؛ فنعرف البدع التي عند النَّاس فنجتنبها.

ونرجو بعد ذلك أن نكون قَدْ تأهَّلنا للعلم.

ولنحذَرْ مِن أولئك الحزبيِّين الَّذين يأتُون بأحدِهم، ويقال له: أنت أميرٌ علىٰ فُلان وفُلان، أو أميرٌ علىٰ أهل القرية الفلانيَّة، ويصوِّرونه بصورة طالب علم؛ إنْ استفتوه أفتاهم، وإن سألوه عن شيء أجابَهم بحسَب ما يظنُّ، أو عمَّا أخذَه ممَّن هو أكبر منه في الحزب والذين عندهم من الجهل المركَّب والقُصور ما اللهُ به عليم.

فلذلك يدخلونَ في أمورٍ كثيرةٍ يخالفون بها كتاب الله، ويخالفون بها سُنَّة رسول الله ﷺ، ويخالفون بها ما جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ، وعن أهل العلم مِن حيث يشعرون أو لا يشعرون، فكلُّ هذا يأتي به التَّقليد الأعمىٰ، ويأتي به التَّعصُّب الأعمىٰ، ويأتي به الادِّعاء الباطل، بأن يدَّعي الإنسان أنَّه يعلم وهو لا يعلم.

خامسًا: تَفكَّر في قول الله تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

حيث أَمَر اللهُ تعالىٰ بقراءةِ هذه الآية مِن ضمن سُورة الفاتحة في كلِّ ركعةٍ مِن أجل أنْ نسأله الهداية إلىٰ طريق المنعم عليهم، وأن يُجنِّبنا طريق المغضوب

=

العلماء الصَّادقين في جُلِّ بلدان العالم، وقد ترك الكثير مِن الكُتب النَّافعة، توفي عام (١٢٠٦هـ). «الأعلام» (١/ ٢٥٧) بتصرُّف.

عليهم والضَّالِّين.

والصِّراط: هو الشَّريعة المُحمديَّة الَّتي أَوْحَاها الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ عبدِه ورسولِه مُحمَّدٍ ﷺ مِن كتابٍ وسُنَّةٍ.

وأنَّ السَّير علىٰ ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وما أمَر به رسولُ الله ﷺ فيه النَّجاة والسَّلامة.

فعليك - يا طالب العلم - أن تَتمسَّك بما جاء عن رسول الله ﷺ وتَتَبَّعه، وما جاء عن النَّبيِّ ﷺ مُدوَّنٌ في كتب السُّنَّة، وهو يُعدُّ تفسيرًا لكتاب الله، وبيانًا له، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فقَدْ تأتي الأحكام في القرآن مجملةً، والنَّبيُّ ﷺ يُبيِّن هذه المجملات.

فمثلًا: الصَّلاةُ جاءت في القرآن مجملةً، وبيَّن النَّبيُّ ﷺ فَرْضها من نَفْلها، وبيَّن أوقات الفرائض، وأعداد الرَّكعات، وما إلىٰ ذلك مِمَّا لم يُذكر في القرآن مُفصَّلًا، وإنَّما ذُكر مُجملًا، والرَّسولُ ﷺ بيَّن ذلك المجمل.

وكذلك الزَّكاة، بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنصباءها، وما يجب في كلِّ نصابٍ؛ سواءً كانت مِمَّا خرج من الأرض وهي الثِّمار، أو كانت مِن بهيمة الأنعام، أو كانت من النَّقْدين أو مِن عُروض التِّجارةِ، وهكذا يُقَال في بقيَّة الأحكام.

سبيلُ النَّبي ﷺ في الدَّعوة إلى الله:

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدِ اختارَ لرسوله ﷺ أفضلَ طريقةٍ، وأحسنَ منهجٍ في الدَّعوة إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فقولُه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ إشارةٌ إلىٰ طريقته الَّتي نهجها في الدَّعوة إلىٰ الله، وهي البدء بالأهمِّ فالمهمِّ، فيبدأُ الدَّاعية بالعقائد الَّتي لا يصحُّ الإسلام إلَّا بها،

ثمَّ بعْد ذلك الصَّلاة وهي من الأهمِّيَّة بمكانٍ، فمَنْ تركَها فقدْ كَفَر، ومَنْ أدَّاها مُؤمنًا بوُجوبها عليه وراجيًا الثَّوابَ مِن ورائها، وخائفًا العقاب في تَرْكها، فذلك هو المؤمنُ، ثمَّ بعد ذلك سائر الأحكام والفرائض.

وكذلك أيضًا لا بدَّ أن يكون الدَّاعيةُ عالمًا بما يدعُو إليه، عارفًا له حقَّ المعرفة، فلم يُعرف أنَّ أحدًا من أهل العلم في الأزمنة السَّابقة قَدْ أَذِن للشَّباب الجاهلين بالدَّعوة إلىٰ الله، أو الفتوىٰ إلَّا بعد أنْ يبلغ الإنسان مبلّغًا يعرف فيه معظم الأحكام الشَّرعيَّة مِن أدلَّتها التَّفصيليَّة.

إذًا؛ فيُشترَط في الدَّاعية إلىٰ الله أنْ يكون علىٰ بصيرةٍ في دَعوتِه، وعلىٰ علم بما يدعو إليه، وعلىٰ حكمةٍ يستطيع بها إيصال المعلومات إلىٰ الغير.

وعلىٰ هذا فنقول: إنَّ الدَّعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ مِمَّا أُخِذَت عن النَّبيِّ ﷺ، فمَنْ زعم أنَّه يأتي بمنهجٍ أحسن مِن منهج النَّبيِّ ﷺ، فقَدْ ضلَّ وخابَ واعتدىٰ.

وكذلك مَن اعتقد أنَّ منهجَ النَّبيِّ ﷺ لا يصلح لهذا الزَّمان، وإنَّما يصلحُ له ما اخترعه هذا الشَّخص المعاصر الَّذي زعم أنَّه عرف ما يحتاج إليه العصر، وأنَّه وضع الدَّواء علىٰ الدَّاء، فمَنْ زعَم ذلك فقَدِ اتَّهم الشَّريعة الإسلاميَّة بالقصور، وزعم لنفسه أنَّ منهجَه وطريقتَه وخُطَّتَه أفضلُ مِمَّا رسمَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ.

إذًا؛ فلنعلم أنَّ مِمَّا يجب أنْ نأخذه من الشَّريعة الإسلاميَّة كيفيَّةَ الدَّعوة ومنهجها كما أنَّنا نأخذ الصَّلاة، والصَّوم، والحجَّ، والصَّدقة وهي الزَّكاة، وغير ذلك.

وإذا علمْنا هذا فإنَّ أوَّل شيءٍ يجبُ علىٰ المسلم: أنْ يعرفه العقيدة الَّتي كلَّفه الله بها، عقيدة التَّوحيد، عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

وهو أن يعتقد أنَّ الأُلوهيَّة لا يَسْتحقُّها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ الَّذي خلق هذا الكون

بما فيه من سماءٍ وأرضٍ، وطولٍ وعرضٍ، وشمسٍ وقمرٍ، وريحٍ وسحابٍ، ومطرٍ ونباتٍ، الَّذي خلق الحياة والموت، والَّذي خَلَق للإنسان العقل، وميَّزه به عن سائر المخلوقات، القادر علىٰ كلِّ شيءٍ، العالِم بكلِّ شيءٍ، الحكيم الَّذي دَقَّتْ حكمتُهُ، وخفيَ لُطفه، وعزَّ سُلطانه، وتَقدَّستْ أسماؤُه، وتعالتْ صِفاتُه، علىٰ العرش استوىٰ، استواءً يليق بجلاله.

فهو بذاته مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خَلْقه، وعلمُهُ مع ذلك محيطٌ بهم، وهيمنتُهُ وقهرُهُ واقعٌ عليهم، لا تخفىٰ عليه خافيةٌ، ولا تشرد عن علمه شاردةٌ وإِنْ دَقَّتْ؛ لذلك فهو المستحقُّ لأَنْ يُعْبَد وحده؛ لأنَّه هو الَّذي خَلَق هذا الكون وحدَه، خلق المخلوقين وحده، ويرزقهم وحده، أحياهم وحده، ويميتهم وحده، ويحاسبهم وحده، ويجازيهم علىٰ أعمالهم بالخير خيرًا، وبالحسنة عشرًا، وبالشَّرِّ يجزي مثله أو يعفو، يكتب السَّيِّئة واحدةً علىٰ عبده، ويكتب الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعِ مئةِ ضعفٍ إلىٰ أضعافٍ كثيرةٍ.

لذلك؛ فهو المستحقُّ أن يُذكر فلا يُنسىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُعبد دون ما سواه، وأنَّ مَنْ صرف العبادة لغيره فقَدِ اسْتحقَّ العذاب العظيم الَّذي وعده الله للمشركين، وهو الخلود في النَّار، والعياذ بالله.

فأنت يا عبد الله، مطالبٌ بأن تُوحِّد الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تعرفه حقَّ المعرفة؛ تعرفه بأسمائه، وتعرفه بصفاته اللَّائقة بجلاله جَلَّوَعَلَا.

فهو الأوَّل الَّذي ليس قبله شيءٌ، وهو الآخر الَّذي ليس بعده شيءٌ، وهو الظَّاهر الَّذي ليس فوقه شيءٌ، وهو الباطن الَّذي ليس دونه شيءٌ، أحاط بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عددًا.

نسأل الله أنْ يغفر ذُنوبنا، وأنْ يستر عُيوبنا، وأنْ يحفظنا مِن كلِّ زلل، وأن يُوفِّقنا لإصلاح كلِّ خلل.

وأسأله تعالىٰ أن يُوفِّق الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ، وأنْ يجعلنا جميعًا مِن أهل طاعته، وأنْ يُفقِّهنا في الدِّين، وأنْ يُرِيَنا الحقَّ حقًّا ويَرزقَنا اتِّباعه، وأنْ يُرِيَنا الباطلَ باطلًا ويَرزُقنا اجتنابَه، إنَّه علىٰ ذلك قديرٌ.

وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسَلِّم تسليمًا كثيرًا.





نصُّ المحاضرة

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينُه، ونستهديه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذُ بالله مِن شُرور أنفسِنا ومِن سَيِّئات أعمالنا، مَنْ يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومَنْ يُضلل فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك السَّداد، ونسألك الإخلاص في كلِّ ما نأتي ونذر، اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك أنْ نُشركَ بكَ ونحنُ نعلم، ونستغفرك لما لا نعلمُ، إنَّك تعلمُ ولا نعلمُ، وأنت عَلَّام الغُيُوب، اللَّهمَّ إنَّا نبرأُ إليك مِن حول أنفسِنا وقُوَّتها إلىٰ حولك وقُوَّتك يا ربِّ.

أمَّا بعدُ:

فقبل أنْ أدخل في الكلمة لا يفوتني أنْ أُثنيَ علىٰ ربِّ العزَّة والجلال، مُسْدي النِّعم، وصارف النِّقم، الَّذي علَّمنا ما لم نكُن نعلم، وهدانا إلىٰ السَّبيل الأقوم، وَوفَّقنا لكلِّ ما فيه رضاه.

نسألُه أن يُثبِّتنا علىٰ العمل الصَّالح، والدَّعوة إلىٰ الله، والسَّيْر في سبيله، وأنْ يُثبِّتنا علىٰ نَهْج رسوله ﷺ حتَّىٰ نلقاه علىٰ ذلك، فنشكره جَلَّ وَعَلَا وهو أهل الشُّكْر والمغفرة والمثوبة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثمَّ نشكر دولتنا العزيزة الدَّولة المباركة، الدَّولة السَّعوديَّة، حفظَها الله، وأعانَها علىٰ كلِّ خيرٍ، وَوفَّقها لكلِّ سبيلٍ يرضيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فبالله، ثمَّ بعون الدَّولة - حفظها الله - يَسَّر الله لنا التَّعلُّم، وأعاننا عليه، فكم أعانتْ من شبابٍ وكهولٍ ورجالٍ ونساءٍ علىٰ طلب العلم، وكم نشرتْ التَّوحيد

في جميع بلدان العالم، وذلك بما هَيَّأته من جوٍّ علميٍّ ومنحٍ لطُلَّاب العلم من سائر بلدان العالم كلِّها.

فكَمْ قَدْ تعلَّم في الجامعة الإسلاميَّة من رجالٍ، فرجعوا إلىٰ بلدانهم مُزوَّدين بالعلم النَّافع والعقيدة الصَّحيحة (عقيدة التَّوحيد)، رجعوا دعاةً إلىٰ السُّنَّة في بلدانهم المُتفرِّقة في شَتَّىٰ أصقاع العالم، وهذه دعوةٌ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك أيضًا كم أرسلتْ مِن دُعاةٍ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بتكاليفَ باهظةٍ، كلُّ ذلك جهادًا في سبيله، فنسأل الله لها النَّصر والعون، والتَّوفيق والسَّداد.

ولا يفوتني أيضًا أن أشكر معالي الدُّكتور وزير الشُّئون الإسلاميَّة، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التُّركيّ الَّذي هَيَّأ للدَّورة الَّتي أقيمت في معهد صامطة العلمي باسم (دورة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد القرعاويّ[1] العلميَّة).

---

(١) هو عبد الله بن محمَّد بن حمد بن محمَّد القرعاوي النَّجدي، من منطقة القصيم في نجد، له نشاطٌ كبيرٌ في الدَّعوة إلىٰ الله ونشر العقيدة الصَّحيحة، ولا سيما في منطقة الجنوب حيث أثمرتْ هذه الدَّعوة ونجحتْ.

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شهر ذي الحجَّة سنة (١٣١٥هـ) في مدينة عُنيزة، وقد توفي والده قبل ولادته بشهرين، نشأ يتيمًا في كنف أمِّه وعمِّه، تربَّىٰ منهما علىٰ تعلم المبادئ الفاضلة والعفاف والطَّهارة وحفظ القرآن.

اشتغل في أوَّل حياته بالتِّجارة، ثمَّ انتقل إلىٰ طلب العلم، وسافر إلىٰ الهند سفرتَين، ثمَّ تنقَّل بين مدن المملكة يطلب العلم؛ فمن بُريدة إلىٰ مكَّة المكرَّمة والمدينة النَّبويَّة والرِّياض والأحساء وقطر، بل تعدَّىٰ ذلك إلىٰ خارج الجزيرة العربية، فذهب إلىٰ العراق ومصر والشَّام، ثم بعد ذلك بدأ بدعوته الإصلاحيَّة؛ فتوجَّه إلىٰ الجنوب، فاستوطن بصامطة وجعلها مركزًا لدعوته.

فبدأ يدعو النَّاس إلىٰ تقوىٰ الله وإلىٰ التَّمسُّك بمنهج السَّلف الصَّالح بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان يجمع حوله الطَّلبة، فاجتمع إليه عدد كبير من الرَّاغبين في العلم، فجلس يُقرئهم القُرآن والتَّفسير والتَّجويد، والتَّوحيد والحديث والفقه والفرائض وبعض علوم اللُّغة العربيَّة.

واتَّجه إلىٰ القُرىٰ المجاورة لمدينة (صامطة)، وفتح بها الكثير من المدارس، وعيَّن طلبته الأوائل مدرِّسين بها أمثال الشَّيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول عنه: «إنَّه أحدُ تلامذتي، لكنَّه فاقني في العلم شأوًا بعيدًا».

=

واشكر أيضًا معالي الأمير (أمير المنطقة): محمّد بن تركي السّديري المُتسبّب

وكان يحضر للمدارس جميع ما يلزم الطّلبة من كتب ودفاتر وغيرها على نفقته الخاصّة، وأيضًا يخرج إلى القبائل بنفسه في بعض الأيام، حتى أقبل النّاس على طلب العلم على يديه، وامتدّت مدارس الشّيخ من منطقة تهامة إلى منطقة عسير، فقد فتحت فيهما المدارس الكثيرة، وعيّن الشّيخ من كبار طلابه مدرّسين بها.

ومن أهداف دعوته: إصلاح العقيدة في النفوس، وزرع الإسلام الحقّ في نفوس الشّباب المسلم، وإرشادهم إلى الطّريق الصّحيح، فكان المجتمع قبل ذلك في جهل وخرافات، فكوّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ طلبة أقوياء في عقيدتهم يوجّهون النّاس ويدعونهم إلى الله، فتكلّلت جهودُه بالنّجاح، وأصبح كثيرٌ منهم يؤدّون الفرائض في أوقاتها.

وفي آخر حياته أصيب بمرض ألمّ به نقل على أثره إلى مدينة الرّياض وأدخل المستشفى المركزي، وفي يوم الثّلاثاء الثّامن من شهر جمادى الأولى من سنة (١٣٨٩هـ). توفي رَحِمَهُ اللَّهُ عن عمر يناهز (٧٣) سنة قضاها في خدمة العلم وطلّابه ونشره بين النّاس.

ويعدُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إمامًا من أئمّة الدّعوة الإسلاميّة في القرن الرّابع عشر الهجري لا سيّما في منطقتي تهامة وعسير، حيث كانتا مهد دعوته، رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته. انظر: كتاب «الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، حياته وآثاره» (ص٣١ - ٣٥)، باختصار لشيخنا زيد بن محمد المدخلي - حفظه الله -، وكتاب «الشيخ عبد الله القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة» (ص١٢) للسّهلي.

قلتُ: وهذه الدّورة أسّست في عام (١٤١٦هـ) في المعهد العلمي بصامطة باسم (دورة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ العلميّة).

لقد كانت الدّورة بداية نواةٍ طيّبةٍ في نشر الدّعوة إلى الله ونشر العقيدة الصّحيحة، حيث اشتملت على الدّروس العلميّة النّافعة مثل القرآن الكريم والتّفسير والتّجويد والتّوحيد والحديث والفقه والفرائض والآجروميّة، والّتي قام بتدريس هذه المواد من طلبة الشّيخ عبد الله بن محمّد القرعاويّ رَحِمَهُ اللَّهُ أمثال فضيلة الشّيخ: أحمد بن يحيى النّجمي الدّاعية إلى الله في المنطقة الجنوبيّة، والمدرس في المعهد العلمي سابقًا، وفضيلة الشّيخ: زيد بن محمّد المدخلي الدّاعية إلى الله في المنطقة الجنوبيّة، والمدرّس في المعهد العلمي سابقًا، وغيرهما ممن لهم قدمٌ راسخةٌ في العلم.

وبحمد الله أثمرتْ هذه الدّعوة ونجحَتْ، وكان لها القَبولُ وخاصّة عند طلبة العلم، وهي ما زالتْ مُستمرّةٌ في عطائها سنويًّا، فالحمد لله أوّلًا وآخرًا.

في هذه الدَّورة أيضًا.

كما أشكر أيضًا وكيل الإمارة: حسن بن خالد الوكيل للشُّئون الأمنيَّة، جزاه الله خيرًا، وجزىٰ الله الجميعَ خير الجزاء.

كما أشكر أيضًا محافظ العارضة[1] علىٰ تعاونه.

وأشكر الجميع علىٰ تعاونهم في هذا السَّبيل الَّذي يُعَدُّ دعوةً إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالدَّعوة إلىٰ الله أمرٌ واجبٌ علىٰ كلِّ أحدٍ مِن المسلمين بقدر استطاعته، ولا شكَّ أنَّ أصحاب السُّلطة إذا استغلُّوها في طاعة الله، فذلك مِمَّا يُقرِّبهم إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنسأل الله أن يُوفِّق الجميع لما يُحبُّ ويرضىٰ.

الاتِّباع سبيل النَّجاة:

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

هذه الوصيَّة هي الوصيَّة العاشرة بعد الوصايا الَّتي قبلها، والَّتي ابتدأت بقول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]. إلخ الآيات الَّتي ذكر الله فيها هذه الوصيَّة.

تلك الوصايا التِّسع هي وصايا في أمورٍ خاصَّةٍ، وكلُّها فيما حرَّم الله عَزَّوَجَلَّ، فقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ﴾؛ يعني: إيَّاكم والعقوق، فإنَّ العقوق حرامٌ. وهكذا...

أمَّا الوصيَّة العاشرة فهي وَصيَّةٌ عامَّةٌ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا

(١) **العارضة** - بفتح العين بعدها ألف فراء مهملة مكسورة، فضاد معجمة مفتوحة ثم تاء مربوطة -: قرية كبيرة تقع جنوب شرق سدّ وادي جازان، وتبعد عن أبي عريش شرقًا (٣٠ كم) تقريبًا، وطريقها أسفلتي، وبها إمارة ومحكمة وشرطة وغيرها من الدوائر الحكوميَّة، وبها مدارس للبنين والبنات، وقد اتَّسعت أضعاف ما كانت عليه في السَّابق، وهي الَّتي أُقيمتْ فيها هذه المحاضرةُ.

تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

الصِّراط: هو الطَّريق الواضح المستنير الَّذي لا يخطئ فيه أحدٌ إلَّا مَنْ أعمىٰ الله بصيرته، والعياذ بالله.

ومعنىٰ هذه الآية: الأمر باتِّباع هذا الصِّراط الَّذي وصفه الله عَزَّوَجَلَّ، وأرسل به رسوله مُحمَّدًا ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

يخبرنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّه جعل عبده ورسوله ﷺ علىٰ شريعةٍ من الأمر، وأمَره باتِّباعها ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾.

وقوله: ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾، مثل قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾.

هذا أمرٌ، والأمر يقتضي الوجوب، إذًا فالواجب علىٰ كلِّ مسلمٍ قال: «أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله» أن يَتَّبع النَّبيَّ ﷺ في أقوالِهِ وأفعالِهِ، وفيما شرعه مِن الأخلاق الفاضلةِ والمعاملات النَّبيلةِ.

إذًا؛ فهذا هو الواجب علينا، فكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ هما الصِّراط، وهما الشَّريعة، وهما الطَّريقة، وهما المنهاج ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

إذًا؛ فيا أيُّها المسلم، عليك أن تتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ، وأن تعمل بما في كتاب ربِّك، وسُنَّة نبيِّك مُحمَّد ﷺ.

ورُبَّما يُفكِّر الإنسان: كيف صار المسلمون إلىٰ مناهجَ شتَّىٰ، وعقائدَ مختلفةٍ ومتباينةٍ، وكلٌّ منهم يزعم لنفسه - أي: كلُّ حزبٍ من هذه الأحزاب - أنَّه علىٰ

الحقِّ، ومَنْ سواه على الباطل، ما هو السَّبب في ذلك؟

السَّببُ في ذلك هو التَّلقِّي، فمَنْ تلقَّىٰ عن الله ورسوله، وعن أصحاب رسوله وعلىٰ نهج المُحدِّثين أصحاب الرِّواية؛ فإنَّه يكون علىٰ النَّهْج الأمثل، والطَّريق الأقوم، والعقيدة الصَّحيحة الَّتي لا يعتريها انحرافٌ، ولا يعتريها اعوجاجٌ.

أمَّا مَنْ تلقَّىٰ عن شيوخ اللهُ أعلم بحالهم، فإنَّه لا بدَّ أن يضلَّ، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أهل الضَّلال وصفهم الله بعدم العلم، فمثلًا نأخذ مِن المناهج الَّتي انحرفتْ - وهو مِن أوَّلها - طريقة الخوارج[(١)].

الخوارج أخذوا القرآنَ فقرؤوه، واجتهدُوا في العبادة حتَّىٰ إنَّ الرَّائيَ الَّذي يراهم يقول: كيف يضلُّ هؤلاء؟

وحينما ذهب عبد الله بن عَبَّاسٍ[(٢)] ....

(١) **الخوارج**: سمُّوا بهذا الاسم لخروجهم علىٰ عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الحكمين حيث كرهوا الحكم والتحكيم، وقالوا: «لا حُكمَ إلَّا لله». وخرجوا عن قبضتِه وحوزتِه، وقالوا: شككت في أمرك، وحكمت عدوك في نفسك، فسمُّوا أيضًا: «الشَّكاكية»، ومضوا عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء، فسموا أيضًا: «حروريَّة».

وقالوا: «إنَّا اشترينا أنفسنا من الله تعالىٰ»، فسمُّوا أيضًا: «شُراة»، ولهم ألقاب أخرىٰ منها: «المُحَكِّمة»؛ لإنكارهم التحكيم، وقولهم: «لا حُكمَ إلَّا لله».

ومنها: «المارقة»: لمروقهم مِن الدِّين كما يمرُق السَّهم من الرَّميَّة، كما جاء في الحديث.

ومنها: «النَّواصب»: جمع ناصب، ويقال: ناصبيٌّ، وهو الغالي في بغض علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: «عقائد الثَّلاث والسَّبعين فرقة» (١/ ١١ - ١٣) بتصرُّف يسير.

(٢) هو عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عمِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سِنين، ودعا له رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفقه في الدِّين وعلم التَّأويل، فكان يُسمَّىٰ البحر والحبر لسعة علمه. وقال عمر: «لو أدركَ ابنُ عباس أسناننا ما عشره منَّا أحد». مات سنة ثمان وستِّين بالطَّائف، وهو أحدُ =



ليناظرهم[(١)] وجد أنَّ رُكَبَهم ومواضعَ السُّجُود منهم قَدْ صارت مثل ثفن[(٢)] الإبل

المكثرين مِنَ الصَّحابة، وأحد العبادلة مِنْ فقهاء الصَّحابة. «تقريب التَّهذيب» (١/ ٥٠٤) (٣٤٢٠).

(١) لما خرج الخوارج علىٰ عليِّ بن أبي طالب وجَّه إليهم عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ليناظرهم، فلما وصل إليهم رحَّبوا به وأكرمُوه، وقالوا له: ما حاجتُك ياابن عبَّاس؟

قال: جئتكم مِن عند صِهر رسولِ الله ﷺ وابن عمِّه، وأعلمنا بربِّه وسنَّة نبيِّه، ومِن المهاجرين والأنصار. قالوا له: يا ابنَ عبَّاس، إنَّا آتينا ذنبًا حين حكمنا الرِّجال في دين الله تعالىٰ؛ فإن تاب كما تبنا، ونهض بمجاهدة عدوِّنا، رجعنا إليه.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنشدكم الله إلَّا ما صدقتم أنفسكم، أمَا علمتم أنَّ الله تعالىٰ أمَر بتحكيم الرِّجال في أرنب تساوي ربع درهم تصادُ في الحرم، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. وكذا في شِقاق الرَّجل وامرأته: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾.

فقالوا: اللهمَّ نعم.

فقال: أنشدكم الله تعالىٰ، هل علمتُم أنَّ رسول الله ﷺ أمسَكَ عن قتال أهل الهُدنة بينه وبين أهل الحديبية؟

قالوا: اللَّهمَّ نعم، وكان عليٌّ محا نفسه عن الخلافة بالتَّحكيم. قال ابن عبَّاس: ليس ذلك بمزيلها عنه؛ لأنَّ رسول الله ﷺ محا اسم النُّبوَّة يوم الصَّحيفة، فلم يزُلْ ذلك عنه اسمَ النُّبوَّة حيث كتب الكاتب: هذا ما هادن عليه رسول الله ﷺ. فقال سُهيل بن عمرو: لو علمتُ أنَّك رسول الله ما حاربتُك، اكتب اسمَك واسمَ أبيك. فقال ﷺ للكاتب: «اكْتُبْ: مُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ».

فقال الكاتب: لاها الله، لا نعطيهم الدَّنيَّة في ديننا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «ضَعُوا يَدِي عَلَيْهَا». فوضَعُوا يدَه، فمحاها رسول الله ﷺ بإصبعه، فلما فرغ الكاتب قال لهم رسولُ الله ﷺ: «وَالعَقْدُ بَيْنَنَا كَشَرَج العيبَةِ، إِذَا حلَّ بَعْضُه انْحَلَّ جميعُه، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُوا». فعاد معه ألفان وبقي أربعة آلاف. انظر: «عقائد الثَّلاث والسبعين فرقةً» (١/ ١٤ - ١٦).

(٢) **الثفنة** - بكسر الفاء -: ما ولي الأرض مِن كلِّ ذات أربع إذا بركت؛ كالرُّكبتَين وغيرهما، ويحصل فيه غِلَظ مِن أثر البُروك، ومنه حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في ذكر الخوارج: «وَأَيدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثفنُ الإبل». وهو جمع ثفنة، وتجمع أيضًا علىٰ ثفنات، ولهذا قيل لعبد الله بن وهب رئيسهم: (ذو الثَّفنات)؛ لأنَّ طول السُّجود أثَّر في ثفناته. انظر: «النّهاية في غريب الحديث» (١/ ٢١٥)، و«القاموس المحيط» (٤/ ١٩١).

مِن كثرة الصَّلاة، وإذا أقبل الواحد منهم علىٰ مخيمهم يسمع دويَّ القراءة مِنْ بُعْدٍ؛ فإذا دخلتَ عليهم، وجدتَ أنَّهم يقرؤون القرآن ويُصلُّون ويَتعبَّدون، ولكن كيف ضَلُّوا؟!

ضَلُّوا؛ لأنَّهم أخذوا بآراء أقوامٍ قالوا: هذا كتاب الله يكفينا، وتركوا سُنَّة رسول الله ﷺ، وزعموا أنَّ الصَّحابة كلَّهم كفروا إلَّا أبا بكرٍ وعمر، أمَّا عثمان وعليٌّ وسائر الصَّحابة فيعتقدون أنَّهم كلَّهم كفرُوا.

وَبَنَوْا عقيدتهم علىٰ هذا الأساس، ورَدُّوا السُّنَّة من أصلها، فكان هذا أصل ضلالهم، وما ذلك إلَّا بقصد الكيد للإسلام، وبقصد الدَّسِّ فيه، وبقصد أَنْ يُحوِّلوا مَن يستطيعون مِن الطَّاعة إلىٰ المعصية، ومِن الحقِّ إلىٰ الباطل، وأَسْدَلوا علىٰ انحرافهم ستارًا مِن العبادة مِن أجل أن يغترَّ النَّاس بعبادتهم، حتَّىٰ يقول النَّاس عنهم: إنهم أهل دين، فكيف يكونون منحرفين وضالِّين؟!.

إذًا ضلال الخوارج هو تكفيرهم أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ بالمعاصي، والحكم عليهم بالخلود في النَّار كالكُفَّار الأَصْليِّين. ومن ضلال الخوارج الخروجُ علىٰ الأئمَّة، وأنَّهم لا يرون لأحدٍ بيعةً في ذِمَّتهم، وهكذا لهم طرقٌ ونِحَلٌ أضلُّوا بها النَّاس.

التَّوحيد أساسُ دعوة الأنبياء والمُرسلين صلوات الله عليهم:

إذًا؛ فنحن اليوم كما كان النَّاس بالأمس، رُبَّما نرىٰ أقوامًا يَتعبَّدون ويعملون بفضائل الأعمال، ولكنَّهم قَدْ تَركُوا الأصل ونبذوه، فهل يمكن أن نغترَّ بهؤلاء ونقول: هؤلاء المُتعبِّدون لا يمكن أن يَكُونوا ضالِّين.

وبيان ذلك أنَّ الرَّسول ﷺ بدأ دعوته بالتَّوْحيد.

بدأها بشهادة أنَّ لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله ﷺ، هذا هو الأساسُ

الَّذي بدأ منه، واقرؤوا القُرآن، وستجدون أنَّ هذا الأساس ما خلتْ منه سُورةٌ، بل إنَّ السُّوَرَ المَكِّيَّة عالجته أعظم معالجةٍ، فلا تكاد تمرُّ بآيةٍ أو بضعِ آياتٍ إلَّا وتجد فيها تحريم الشِّرْك، وبيان ضلال أهله، وبيان عواقبهم في الدُّنْيا والآخرة، وكذلك أيضًا قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه ﷺ ولسائر الأنبياءِ مُتوعِّدًا لهم إنْ أشركُوا - وحاشاهم مِن الشِّرْك - فقال لِنبيِّه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولمَّا ذكَر اللهُ الأنبياءَ في سُورة (الأنعام) قال في آخر الآيةِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

إذًا؛ فمَنْ أشرك بالله مهما يكن هذا الإنسان؛ فإنَّ عمله حابطٌ، والعياذ بالله.

وهل هناك أحدٌ أفضل من عبدِ الله ورسولِهِ مُحمَّدٍ ﷺ؟

الجواب: لا، ليس هناك أحدٌ أفضل من مُحمَّدٍ رسول الله ﷺ.

وأولو العزم الخمسة الَّذين هم: نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمّد ﷺ، ونبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أفضلهم بدليل أنَّ فَصْل القضاء يكون بشفاعته، فكُلُّهم يَتنصَّلون من الشَّفاعة، وهو الَّذي يشفع في فصل القضاء(١).

---

(١) يشير الشيخ أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ حديث أبي هريرة قال: أُتِي الرَّسُولُ ﷺ يومًا بلَحْم، فرُفِعَ إِلَيهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فنهَسَ منْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاس يَومَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَمَا لا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا =

ودخول الجنَّة أيضًا يكون بشفاعته، لا يفتح باب الجنَّة إلَّا بعد شفاعته، وهو أوَّل مَنْ يدخل الجنَّة(١)، ....

=

لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي! اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ ﷺ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي!، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَىٰ ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟! فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي!، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ». أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(١) يشير الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ الحديث الذي رواه أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ». أخرجه ابنُ خزيمةَ في «التَّوحيدِ» (٢/ ٦١٩ الرُّشد).

=

وهكذا أُمَّته، صلوات الله وسلامه عليه[١].

إذًا؛ فالله يقول له: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فإذا وجدنا مَنْ يزعم أنَّه يدعو إلىٰ الله، وهو مع ذلك يحاضر في بُؤَر الشِّرْك، ولا يَتكلَّمُ عن الشِّرْك، وإذا وجدنا مَنْ يجمع أفرادًا مُتعدِّدين مختلفي الاتِّجاهات، مختلفي العقائد، وهو مع ذلك يجمعهم ويقول: إنَّهم مسلمون جميعًا، فلنعلم أنَّ طريقته في الدَّعوة طريقةٌ خاطئةٌ.

وأقول: لا شكَّ أنَّ هذه الطَّريقةَ طريقةٌ خاطئةٌ، كيف نجمعُ معتزليًّا[٢]، وجهميًّا[٣]، وأشعريًّا، وقدريًّا[٤]، ....

=

وأخرجه الإمام أحمدُ (٣/ ١٤٤ قرطبة)، دون قوله: «وَأَوَّلُ مَنْ يَشْفَعُ»، وفي «مجمع الزَّوائد» (٧/ ٣٤٩) وقال: أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وفيهِ مُعاويةُ بنُ واهبٍ ولم أعرِفْه. وذكَر الشَّيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحديث بدون ذِكْر: «وَأَوَّل مَنْ يَشْفَع». في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١٠٠) (١٥٧١) قال: «وقلت: وسنده جيد، رجاله رجال الشّيخَين».

(١) يشير الشيخ أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ». أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٢) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء الغزال، لما اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرَّر أنَّ مرتكبَ الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأثبت المنزلة بين المنزلتين، فطردَه الحسنُ من حلقته، وتبعه جماعة سمُّوا بالمعتزلة.

(٣) الجهميَّة: أصحاب جهم بن صفوان، وهو مِن الجبريةِ الخالصة، ظهرتْ بدعتُه بترمذ، وقتلَه سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أميَّة، ووافق المعتزلة في نفي الصِّفات الأزليَّة، وزاد عليهم بأشياء.

(٤) القدريَّة: اسم أطلقه أهلُ السُّنَّة علىٰ الَّذين يزعمون أنَّهم هم الفاعلون لأعمالهم دون الله عَزَّ وَجَلَّ، وأبطلوا شفاعة النَّبي ﷺ بإخراج أهل الكبائر مِن أمَّته من النَّار، وأنكروا رؤيةَ الله تعالىٰ لأوليائه، وأنكروا عذاب القبر، وسؤال الملكَين (منكر ونكير)، ونصب الميزان، وقالوا بخلْق القُرآن، وغير ذلك.

وقد وردتْ بعضُ الآثار تصف القدريَّة بأنَّهم مجوس هذه الأمَّة، وقد اندمجُوا مع المعتزلة وأخذوا آراءهم.

وشيعيًّا[(١)]، وغير هؤلاء؛ مع أهل السُّنَّة ونقول: إنَّهم إخوةٌ[(٢)]؟

لا، ليس الأمر كذلك، إنَّما أهل الحقِّ هم الإخوة، أمَّا أهل الباطل فيجب أن ننصحهم أوَّلًا، ثمَّ بعد ذلك إذا لم يقبلوا النَّصيحة، نبتعد عنهم، ونُحذِّر منهم، ونَحْذَرَهم أن يضلُّونا[(٣)].

---

(١) **الشِّيعةُ:** مِن الفرق الَّتي ظهرت في أواخر أيَّام الصَّحابة وفي عهد عليّ رضي الله عنه بالتَّحديد، والَّتي بدأت غلوَّها بحبِّ عليِّ بن أبي طالب، والتَّشيُّع له إلىٰ حدِّ المبالغة، والَّتي انتهتْ ببعضهم إلىٰ تأليهه وعبادته، مما حدَا بعليٍّ إلىٰ إحراق جماعةٍ منهم بالنَّار.

والشِّيعة بجميع فرقها علىٰ عقيدة الاعتزال في باب الأسماء والصِّفات.

(٢) بل ولقد دعا مؤسس «جماعة الإخوان المسلمون» حسن البنا إلىٰ التصافي والتآخي مع اليهود حيث قال في خطاب له ما نصه: «... والناحية التي سأتحدث عنها بسيطة من الجهة الدينية؛ لأنَّ هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، لهذا فإني أحبُّ أنْ أوضِّحها باختصار، فأقرِّرُ أنَّ خصومتنا لليهود ليست دينيةً؛ لأنَّ القُرآن الكريم حضَّ علىٰ مصافاتهم ومصادقتهم.

والإسلام شريعة إنسانيَّة قبل أنْ يكون شريعةً قوميَّة، وقد أثنىٰ عليهم، وجعل بيننا وبينهم اتِّفاقًا ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود، تناولها من الجهة الاقتصادية والقانونية، فقال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]».

قلتُ - والقائلُ شيخنا العلَّامة زيد المدخلي -: «وهذا خطأ فاحش ومخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسُّنَّة، حيث قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ [المائدة: ٥١]». «الأجوبة السَّديدة» (٥/ ٤٧).

(٣) **قال الإمام شيخ الإسلام إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني:** «ويجانبون أهل البدع والضَّلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات، ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدِّين ما ليس منه، ولا يحبُّونهم، ولا يصحبونَهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونَهم في الدِّين، ولا يُناظرونَهم، ويرون صَونَ آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مَرَّت بالآذان، وقَرَّتْ في القلوب، ضرَّت =

فيا عباد الله، الدَّعوة إلىٰ الله إذا لم تبدأ بالتَّوحيد، فإنَّها مَبنيَّةٌ علىٰ غير أساسٍ، وكلُّ ما بُنِيَ علىٰ غير أساسٍ فإنَّه منهارٌ[1].

أضف إلىٰ هذا أنَّ هؤلاءِ الدُّعاةَ هم أنفسُهم وقعوا في الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ، ونحن إذا تَتبَّعنا نجد أنَّ أَئمَّة الإخوان[2] مثلًا وقادتهم وقع كثيرٌ منهم في الشِّرْك بالله، والأخف منهم ضررًا هو الَّذي يغضُّ الطَّرْف عن الشِّرْك بالله، وعن المشركين، يمرُّ بالمشهد الفلانيِّ والنَّاس يَتطوَّفون به، ويذبحون عليه، وينذرون له، ويدعون صاحبه: يا فلان افعل لنا، ويا فلان ادفع عنَّا، ومع ذلك يَغضُّون الطَّرْف عن هؤلاء، وكأنَّ الله لم يُنْزل آيةً في القرآن تعالج الشِّرْك.

إذًا؛ فيا عبادَ الله، الشِّرك بالله هو أعظمُ ذنبٍ عُصي الله عَزَّوَجَلَّ به، فيجب علينا

=

وجرَّت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة».

وقال: «واتَّفقُوا مع ذلك علىٰ القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم، وإخزائهم، وإبعادهم، وإقصائهم، والتَّباعُد منهم ومِن مصاحبتهم ومعاشرتِهم، والتَّقرُّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بمجانبتهم ومهاجرتهم». انظر: «عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث» (ص١٠٥، ١١٣).

(١) **قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولمّا بعَث اللهُ نبيَّه محمَّدًا - عليه الصَّلاةُ والسَّلام -، بدأ دعوته بالتَّوحيد كالرُّسل السَّابقين سواء، فقال لقريش: «**يَا قَوم، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**». هكذا بدأهم، ما أمرهم بالصَّلاة أو الزَّكاة أوَّلًا، أو تَرْك الخمر أو الزِّنا، أو ما شبه ذلك.

لا، بل بدأهم بالتوحيد؛ لأنَّه الأساس، فإذا صلح الأساس جاء غيره بعد ذلك، فبدأهم بالأساس العظيم وهو توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرُسله.

فأساس الملَّة وأساس الدِّين في شريعة كلِّ رسول توحيد الله والإخلاص له، فتوحيد الله والإخلاص هو دين جميع المرسلين، وهو محلُّ دعوتهم جميعًا، وزُبدةُ رسالتهم - عليهم الصلاة والسَّلام - كما سلف».

انظر: «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» (٢/ ٦٢).

(٢) يقصد الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جماعة الإخوان المسلمين».

إذا أردْنا أن ندعوَ إلىٰ الله نبدأ بالتَّوْحيد، ثمَّ بعد ذلك نحذِّر مِن البدع، ونحاول أن نُطبِّق السُّنن الَّتي جاءت عن النَّبيِّ ﷺ، فأسعدُ النَّاس بمتابعة النَّبيِّ ﷺ هم المُحدِّثون أصحاب الرِّواية(١).

أصحاب المناهج المنحرفة المعاصرة على طريقة الخوارج والمعتزلة:

ثمَّ هناك أمرٌ آخر، وهو أنَّ بعض أصحاب هذه المناهج الَّتي نهانا الله عن اتِّباعها حيث يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، تجدهم علىٰ طريقة الخوارج والمعتزلة في عدم التَّقيُّد بالعهد الَّذي بذلوه، والبيعة الَّتي أَعْطَوها لإمام المسلمين، فتجد أنَّ بعضًا من أصحاب المناهج المستوردة يَتكلَّمون في وُلَاة الأمر وينتقصونهم أمام الشَّباب، ويُحرِّضون الشَّباب علىٰ بُغْضِهم، وهذا أمرٌ لا يجوز(٢).

فيا عباد الله، يجب علينا جميعًا أن نَتَّقيَ الله، وأن نَحْذَر من طريقة هؤلاء،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زعم كلُّ فريق من المبتدعة أنَّه هو المتمسِّك بشريعة الإسلام، وأنَّ الحقَّ الَّذي قام به رسول الله ﷺ هو الَّذي يعتقده وينتحلُه، غير أنَّ الله تعالىٰ أبىٰ أن يكون الحقُّ والعقيدةُ الصَّحيحةُ إلَّا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنَّهم أخذوا دينَهم وعقائدَهم خلفًا عن سلف إلىٰ أن انتهَوا إلىٰ التَّابعين، وأخذه التَّابعون عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ، وأخذَه الصَّحابةُ عن رسولِ الله ﷺ، ولا طريقَ إلىٰ معرفة ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ النَّاس مِن الدِّين المستقيم والصِّراطِ القويم إلَّا هذا الطريق الذي سلكه أصحابُ الحديثِ». «مختصر الصَّواعق» (ص٤٩٦).

(٢) قال الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولكنَّه ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل: أنْ يُناصحَه، ولا يظهر الشَّناعة عليه علىٰ رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث، أنَّه يأخذ بيده، ويخلُو به، ويبذلُ له النَّصيحةَ، ولا يُذِلُّ سلطان الله، وقد قدَّمنا في أوَّل كتاب السِّير أنَّه لا يجوزُ الخروجُ علىٰ الأئمَّة، وإن بلغوا في الظُّلم أيَّ مبلغ، ما أقاموا الصَّلاةَ، ولم يظهر منهم الكُفر البواحُ.

والأحاديثُ الواردة في هذا المعنىٰ متواترةٌ، ولكن علىٰ المأموم أنْ يُطيعَ الإمام في طاعة الله، ويعصيَه في معصية الله؛ فإنَّه لا طاعةَ للمخلوق في معصيةِ الخالق». «السَّيلُ الجرَّار» (٤/ ٥٥٦).

أليس النَّبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً**»[١]؟

لمَّا ذكَر النَّبيُّ ﷺ الأئمَّة الجائرين الَّذين يُؤخِّرون الصَّلاة عن وقتها، أو يقع منهم ما يقع من المخالفات؛ قال الصَّحابة رضوان الله عليهم: أَلَا نُقاتلُهم يا رسول الله؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا، مَا صَلَّوْا**»[٢]؟

كذلك أيضًا يقول النَّبيُّ ﷺ للصَّحابة في حديث عبادة بن الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**وأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا مَعَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[٣].

ولكن لعلَّ أقوامًا من هؤلاء يعملون مثل هذه الأمور في الخفاء ويَتستَّرون، ويظهرون في العلانية بأنَّهم لا يقولون ذلك، ولا يعتقدونه، وهذا من النِّفاق؛ أن يُظهر العبدُ خلافَ ما يُبطنُ، وهم يزعمون بأنَّه تَقيَّةٌ، وهو النِّفاق بعينه، ولنعلمْ أنَّه لا يجوز للعبد أن يفعل ذلك.

بل يجب علينا أن نتَّقي الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن نكونَ صادقِين صُرحاءَ، ولرُبَّما قال بعضُهم: نحن لا نرىٰ الخروج! فيُقَال لهم: إنَّ كلامَكم في وُلاة الأمر يُعَدُّ خروجًا باللِّسان، وإنْ لم يكن خُرُوجًا بالسَّيْف والسّنان، فاتَّقوا الله يا عباد الله، اتَّقوا الله يا شباب المسلمين، اخشوا ربَّكم، اعلموا أنَّ كلَّ واحدٍ منكم مسؤولٌ عن كلِّ عملٍ يعمله، وكلِّ لفظٍ يلْفُظه.

إنْ تَستَّرت من النَّاس، فالله يعلم ما تَستَّرت عليه، وسيجزيك عليه بحسب عملك، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ، يجب علينا طاعة وُلَاة الأمور، وقد ورد

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥١) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٣) أخرجه البخاريُّ (٧٠٥٦)، ومسلمٌ (١٧٠٩).

في حديث عبادة بن الصَّامت[(١)] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَهُمْ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْيُسْرِ وَالعُسْرِ، وَالمنْشَطِ وَالمكْرَهِ، وَأَثَرَةٍ[(٢)] عَلَيْنَا**»[(٣)].

يعني: حتَّىٰ ولو رأيتم أثرةً مِن وُلَاة الأمور يستأثرون بها عليكم، فلا يجوز لكم أن تخرجوا، هذا هو السَّبيل، وهذا هو الطَّريق، فلماذا تتركون هذه النُّصُوص؟!

وإنَّ الإمام إذا كان جائرًا، وحصَل منه ما يحصلُ مِن أهل الفسق - والعياذ بالله -؛ مِن إعلان الفسوق، وإعلان معصية الله عَزَّوَجَلَّ، فيجب علينا أن نعالج ذلك، وأن ننصحَه نصائحَ سِريَّةً ونقول له بالرِّفْق واللِّين: اتَّقِ الله، واعلمْ أنَّك مفارقٌ هذه الدُّنيا، فستقدُم علىٰ ما عمِلْتَه، فاتَّق الله يا عبد الله. ويكون ذلك سرًّا.

ولقَدْ حذَّر النَّبيُّ ﷺ مِن الخروج، وقال لبعض أصحابه: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضُربَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ**»[(٤)]؛ لأنَّ الخروج علىٰ الأئمَّة يَترتَّب عليه أمورٌ هي أشدُّ مِن الأمور الَّتي يرتكبها ذلك الوالي، وذلك هو: إخلال الأمن، وسفك الدِّماء، وانتهاك المُحرَّمات، وقطع السُّبُل، إلىٰ غير ذلك.

الخبز الَّذي هو عندنا أسهلُ ما يكون، هناك مِن النَّاس مَنْ يَتمنَّاه ولَوْ بدون إدامٍ ولا يجده، حتَّىٰ أرضهم ما استطاعوا أن يزرعوها بسبب الحروب، ولنا في

---

(١) عبادة بن الصَّامت بن قيس الأنصاريّ الخزرجيّ، أبو الوليد المدنيّ، أحد النُّقباء، بدريٌّ مشهورٌ، مات بالرَّملة سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون. وقيل: عاش إلىٰ خلافة معاوية. قال سعيد بن عُفير: «كان طوله عشرة أشبار». «تقريب التهذيب» (١/ ٤٧٠) (٣١٦٨).

(٢) **الأثَرَة** -بفتح الهمزة والثاء-: الاسم من آثر يُؤثِرُ إيثارًا: إذا أعطىٰ، أراد أنه يستأثر عليكم، فيُفضل غيركم في نصيبه من الفيء. والاستئثار: الانفراد بالشيء. «النّهاية» (١/ ٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

دولة الصُّومال آيةٌ وعبرةٌ، أليسوا اليوم مُشرَّدين في بلدان العالم؟!

أليسوا لا يستطيعون أنْ يُقيمُوا في أرضهم الَّتي كانت فيها مزارع، وتدرُّ عليهم بالخير، وكانوا مستغنين بها، بل كانوا يُورِّدون[1] بعض الفواكه كالموز، ولا ننسىٰ أنَّ بعضَ الفواكه كالموز الصُّومالي كان يورَّد إلينا، لكن مِن بعد الحرب ماذا كان؟!

إذًا؛ فيا عبادَ الله، الإخلالُ بالأمن أمرُه شديدٌ، وعواقبُهُ وخيمةٌ، فعلىٰ النَّاس أنْ يَتَّقُوا الله عَزَّوَجَلَّ، فالخير كلُّه في طاعة الله ورسوله ﷺ، والشرُّ كلُّه في معصيةِ الله ورسولِه ﷺ.

سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحد، وسبلُ الشيطان كثيرة ومتعدّدة:

فعلينا - يا عبادَ الله - جميعًا أنْ نتَّقيَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وعلينا أنْ نَتآمرَ بالمعروفِ، ونَتناهىٰ عن المنكر، وعلينا أنْ نَحْذَرَ مِن السُّبُل الَّتي هي بعيدةٌ عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ ليَحْذَرها مَنْ لا يَعلمُ، فالنَّبيُّ ﷺ خطَّ خطًّا مُستقيمًا طويلًا بين يدَيه، وقال: «**هَذَا صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ**».

ثمَّ خطَّ خُطوطًا عن يمينِه، وخطوطًا عن شِمالِه، وقال: «**وَهَذِهِ سُبُلٌ، عَلَىٰ كُلِّ سَبيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيهِ، وَعَلَيْهَا سُتُورٌ مُرْخَاةٌ**»[2].

فذلك الخطُّ المستقيم هو سبيل الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) يورِّدون: أي: يُصدِّرون، وورَّد، أي: صدَّر إلىٰ غيره.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥) (٤١٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، دون قوله: «**وَعَلَيْهَا سُتُورٌ مُرْخَاةٌ**»، وحسَّنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (١٦٦).

لماذا وَحَّد الله سَبِيلَه (جعله واحدًا) وَجَعل السُّبل الأخرىٰ كثيرةً؟ لأنَّ سُبُل الشَّيطان كثيرةٌ ومُتعدِّدةٌ، فجعلَها جمعًا، أمَّا سبيلُهُ فهو واحدٌ، وهو الَّذي أوحاه إلىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ والَّذي أوحاه إلىٰ نوح وإبراهيم ومُوسىٰ وعيسىٰ ابن مريم، وأوحاه إلىٰ سائر الأنبياء غير أولي العزم من الرُّسل.

كلُّ ذلك لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يريد منَّا أن نكونَ علىٰ طريقٍ واحدٍ، ويُريد منَّا أنْ نعبد إلهًا واحدًا، ويُريد منَّا أنْ نتَّبعَ واحدًا، هو نَبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ، ويُريدُ منَّا أنْ نَتَّجه إلىٰ قِبلَةٍ واحدةٍ، ويُريد منَّا أن نطلب شيئًا واحدًا، وهو رضاه والجنَّة، ويريد منَّا أنْ نَستعيذَ به مِن شيءٍ واحدٍ وهو سخطُه والنَّار.

هكذا أمرَنا الله عَزَّوَجَلَّ، لكن هذه السُّبُل المُفرِّقة وهذه المناهج المبتدعة تريد منَّا أن نُعدِّد مناهجنا، ونترك المنهج النَّبويَّ الَّذي سار عليه رسولُ الله ﷺ، فكلُّ واحدٍ مِن أصحاب هذه المناهج المبتدعة يأتي لنا بطريقةٍ من الطُّرُق.

فمثلًا: المُؤسِّس لمنهج الإخوان جعل عشرين أصلًا سَمَّوْها: «الأصول العشرين»، وكذلك المُؤسِّس لمنهج التَّبليغ جعل أصولًا سِتَّةً، وسَمَّاها: «الأصول السِّتَّة».

إذًا؛ فمَنْ نُطيعُ منهما؟ مَنْ هو الَّذي علىٰ الحقِّ؟ هل الحقُّ محصورٌ في الأصول العشرين، أو في الأصول السِّتَّة؟!

الحقُّ في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، الحقُّ في قراءة السُّنن الَّتي أخذت عن النَّبيِّ ﷺ في الكتب الموجودة المأثورة عن النَّبيِّ ﷺ، هذه الكُتُب هي: «صحيح البخاري»[(١)]، ....

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ وإمام الدُّنيا في فقه الحديث، مات سنة ستٍّ وخمسين في شوال، وله اثنتان وستُّون سنةً. «التَّقريب» (٢/ ٥٥) (٥٧٤٥).

و«صحيح مسلم»[(١)]، و«سنن أبي داود»[(٢)]، و«سنن النسائي»[(٣)]، و«سنن الترمذي»[(٤)]، و«سنن ابن ماجه»[(٥)]، و«موطأ مالك»، و«مسند أحمد»، وهكذا سائر الكتب الَّتي دُوِّنَتْ فيها السُّنَّة، يجب علينا أنْ نقرأها، وأنْ نَتَّبع ما فيها، وأن يَتفقَّه منَّا مِن كلِّ طائفةٍ جماعةٌ ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومِن رحمة الله بنا أنَّه لم يوجب علينا التَّفقُّه جميعًا، ما أوجب علينا أن نترك ضَيْعاتنا ومزارعَنا وأمورَنا، ونذهب كلُّنا نجلسُ لكي نَتفقَّه في الدِّين، لكن يلزم كلَّ مسلمٍ أن يتعلَّم الأُسُسَ.

هذه الأسسُ؛ مثل الأركان الخمس: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، وهذا ركنٌ واحدٌ، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، وصوم رمضان، وحَجُّ

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري النَّيسابوري، ثقةٌ حافظٌ إمامٌ مصنِّفٌ، عالمٌ بالفقه، مات سنة إحدىٰ وستِّين، وله سبع وخمسون سنةً. «التَّقريب» (٢/ ١٧٨) (٦٦٤٤).

(٢) سُليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدَّاد الأزدي السِّجستاني، أبو داود، ثقةٌ حافظٌ، مصنِّف السُّنن وغيرها، مِن كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين. «التقريب» (١/ ٣٨٢) (٢٥٤١).

(٣) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرَّحمن النَّسائي، الحافظ، صاحب السُّنن، مات سنة ثلاث وثلاث مئة، وله ثمان وثمانون سنةً. «التقريب» (١/ ٣٦) (٢٥٤١).

(٤) محمَّد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضَّحَّاك السلمي الترمذي أبو عيسىٰ، صاحب الجامع، أحد الأئمَّة، ثقة حافظ، مات سنة تسع وسبعين. «التقريب» (٢/ ١٢١) (٦٢٢٦).

(٥) محمد بن يزيد الرَّبَعي - بفتح الرَّاء والموحَّدة - القزويني أبو عبد الله ابن ماجه - بتخفيف الجيم - صاحب السُّنن، أحد الأئمَّة، حافظ، صنَّف السُّنن، والتَّفسير، والتَّاريخ، ومات سنة ثلاث وسبعين وله أربع وستون. «التقريب» (٢/ ١٤٨) (٦٤٢٨).

بيت الله الحرام.

وكذلك الإيمان بالله، وله أركانٌ سِتَّةٌ، كما قال النَّبيُّ ﷺ وهو في أصحابه مجيبًا لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأله عن الإيمان، قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوم الآخِر، وَتُؤْمِنَ بالقَدَر خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

وهكذا ركن الإحسان، هذه هي الأسس الَّتي عَلَّمنا رسول الله ﷺ، والَّتي لا يعذر أحدٌ عن الأَخْذ بها وتَعلُّمها، لكن التَّعمُّق في الفقه الدِّينيِّ هذا واجبٌ كفائيٌّ، علىٰ جماعةٍ مِن المسلمين أن يَتفقَّهوا وينذروا قومهم إذا رجعُوا إليهم، يقومون بالفتوىٰ، ويقومون بالقضاء، وهذه الأمور لا غنىٰ للمسلمين عنها.

إذًا؛ فيا عبادَ الله، النَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ**»[(٢)].

فعلينا أنْ نَتفقَّه في الدِّين بجميع الوسائل المعروفة، كالهاتف، وعَبْرَ إذاعة القُرآن الكريم، والأشرطة السَّلفيَّة، والكُتُب السَّليمة.

علينا أنْ نجلسَ ونعقلَ أرجُلنا أمام المشايخ الَّذين يُفقِّهوننا، هكذا حتَّىٰ يَتفقَّه منَّا جماعةٌ ويكونُوا خلفاءَ لمَنْ قبلهم، فيقومُوا بما يلزمُ لكلِّ مجتمعٍ من إفتاءٍ وقضاءٍ وتدريس، وغير ذلك.

فاتَّقوا الله - يا عبادَ الله -، واعلمُوا أنَّ النَّبيَّ ﷺ حَذَّرنا مِن التَّفرُّق والاختلافِ، كما في حديث العرباض بن ساريةَ[(٣)] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً،

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) عِرباض - بكسر أوَّله، وسكون الرَّاء بعدها موحدَّة، وآخره معجمة -: ابنُ سارية السّلمي، أبو نَجيح، صحابيٌّ، كان مِن أهل الصُّفَّة، ونزَل حمص، ومات بعد سبعين. «التقريب» (١/ ٦٦٩) (٤٥٦٦).

وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا.

قَالَ: «أُوصِيكُم بتَقْوَىٰ الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُم عَبْدٌ»[١]، وفي حديثٍ آخرَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[٢]. وفي روايةٍ: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بكِتَابِ اللهِ وَبسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[٣].

هكذا في الحديث: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[٤].

النَّواجذُ: هي الَّتي وراء النَّاب؛ ثنائيَّةٌ، ورباعيَّةٌ، ونابٌ، ونواجذُ.

إذًا؛ فالنَّبيُّ ﷺ يُوصينا بعدم التَّفرُّق: «وإنَّه مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا».

قَبْلُ: جهميَّة، قدريَّة، معتزلة، أشعريَّة، كذا، وكذا.

واليوم: مناهج مُتعدِّدة: إخوانيَّة[٥]، ....

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والتِّرمذيُّ رقم (٢٦٧٦)، وابنُ ماجه (٤٢)، والبيهقيُّ في «السُّنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٩٥) (٢٠٣٣٨) واللَّفظ له. وصحَّحه العلَّامة الألباني في «إرواء الغليل» (٨/ ١٠٧) (٢٤٥٥).

(٢) أخرجها البخاري (٦٩٣)، ومسلم (٧١٤٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٢٩٨) من حديث أم الحصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ولفظه: «إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ أَسْوَدُ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا». و«مجدَّع» أي: مقطَّع الأطراف.

(٤) سبق تخريجه قريبًا جدًا.

(٥) هي جماعة «الإخوان المسلمين» التي قام بتأسيسها حسن بن أحمد البنَّا، ولد عام (١٣٢٤هـ) في مصر، وتوفي عام (١٣٦٨هـ)، والَّذي تربَّىٰ علىٰ الطَّريقة الصُّوفية «الحصافية»، وأخذ بيعتها علىٰ يد بسيوني

تبليغيَّة[1]، حزب التَّحرير[2]، وهكذا أحزابٌ مُتعدِّدةٌ.

=

العيد، ثمَّ علىٰ يد عبد الوهَّاب الحصافي نائب رئيس الطَّريقة، وواظب علىٰ حضرتها، وكان الهدفُ من حركته جذب جميع المسلمين في مصر علىٰ اختلاف مناهجهم بين السَّلفيَّة والصُّوفيَّة فعرَّفت نفسها بأنها: دعوةٌ سلفيَّةٌ، وطريقةٌ سُنيَّة، وحقيقةٌ صوفيَّةٌ.

وأرادت أن تجمع في عضويَّتها بين طالب الدِّين والدُّنيا، فأضافتْ أنَّها هيئة سياسيَّة، وجماعة رياضيَّة، ورابطة علميَّة ثقافيَّة، وشركة اقتصاديَّة، وفكرة اجتماعيَّة. «حقيقة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ» (ص٨٨) بتصرُّف.

(١) جماعة قام بتأسيسها محمَّد بن إلياس بن محمَّد إسماعيل الكاندهلوي، ولد عام (١٣٠٢هـ)، وتوفِّي عام (١٣٦٣هـ)، الدُّيوبندي منهجًا، الحنفي مذهبًا، الأشعري الماتريدي عقيدةً، الصُّوفيُّ طريقةً.

ولهم أصولٌ ستَّةٌ أو صفاتٌ ستٌّ، وهي:

١ - تحقيق الكلمة الطَّيِّبة: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسولُ الله.

٢ - الصَّلاةُ ذاتُ الخشوع والخضوع.

٣ - العلمُ بالفضائل لا المسائل مع الذِّكر.

٤ - إكرام المسلم.

٥ - تصحيح النِّيَّة.

٦ - الدَّعوة إلىٰ الله والخروج في سبيل الله.

ولكلٍّ مِن هذه الأصول أو الصِّفات مقصدٌ وفضيلةٌ، وطريقةُ حصولٍ محدَّدة. «حقيقة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ» (ص٧٥، ٨٠) بتصرف.

(٢) حزب التَّحرير: حزب سياسيٌّ أسَّسه تقي الدِّين النَّبهاني، فلسطينيٌّ، تقوم دعوته علىٰ وجوب إعادة الخلافة الإسلامية معتمدًا الفكر أداة رئيسة في التغيير، وقد صدرت عنه اجتهادات عديدة كانت محلَّ انتقاد جمهرة علماء المسلمين.

منها: تركيزهم علىٰ النَّواحي الفكريَّة والسياسيَّة، وإعطاء العقل أهمِّيَّة زائدة في بناء الشَّخصيَّة وفي الجوانب العقائديَّة، وتخلِّيهم عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر حاليًّا، ومعاداتهم لجميع الأنظمة التي يتحرَّكون فوق أرضها مما ورَّطهم بحملات اعتقالات دائمة ومُستمرَّة، ولعلَّ السِّرِّيَّة الشَّديدة وطموحهم للوصول إلىٰ الحكم هو السَّبب في تخوُّف الأنظمة منهم، وملاحقتهم دون هوادة.

وهناك قضايا فقهيَّة غريبة أصدرها، وألزم أتباعه بتبنِّي هذه الأحكام، والعمل علىٰ نشرها، ومن ذلك:

=

إذًا؛ ما هو الطَّريق الَّذي ننجو به عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

هو سبيلُ الله عَزَّوَجَلَّ، أن نقرأ كتابَ الله، وأن نُفسِّره بتفسير الصَّحابة بالرِّواية؛ كتفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، وتفسير السَّعديِّ[(١)]، وهكذا كتب هذا المنهج، الَّذين يُفسِّرون القرآن بالرِّواية (الرِّواية عن الصَّحابة، والتَّابعين الَّذين أخذوا عن الصَّحابة).

الدَّجل والشعوذة والتنجيم والسّحر من الشرك بالله:

إذًا؛ يا عبادَ الله، وَصيَّتي إليكم هو ما وصَّانا به رسول الله ﷺ، أنْ نَتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ في أنفسنا، ولنتَّقِ أوَّلًا وقبل كلِّ شيءٍ: الشِّرك بالله، وما أكثر الشِّرك بالله! وهنا في هذه المنطقة وفي هذه النَّاحية[(٢)] أشياء يتعاطاها الناس، فمثلًا:

التَّصديق بالسَّادة الَّذين يُسمُّون أنفسَهم السَّادة، وإلَّا فهُم أصحابُ فسادٍ وليسوا بِسَادةٍ، وهي شرك بالله.

الَّذين يدَّعون علم الغيب الَّذي استأثر الله بعلمه، ويزعمون بأنَّهم يشفون

=

إباحته النَّظر إلىٰ الصُّوَر العارية، ويُجوِّز أن يكون القائد في الدَّولة المسلمة كافرًا، ويُجوِّز دفع الجزية من قِبل الدَّولة المسلمة للدولة الكافرة. وقوله بسقوط الصَّلاة عن رجل الفضاء المسلم، وسقوط الصَّلاة والصَّوم عن سُكان القطبَين، وإباحته تقبيل المرأة الأجنبيَّة بشهوةٍ وبغير شهوةٍ، وكذلك مصافحتها.

وغير ذلك من الدَّواهي والمنكرات التي خالف فيها أهل السُّنَّة والجماعة أتباع السَّلف الصَّالح رضوان الله عليهم. «الموسوعة الميسَّرة» (ص١٣٥ - ١٤٠) باختصار.

(١) عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعديّ التَّيمي، ولد عام (١٣٠٧هـ)، وتوفِّي عام (١٣٧٦هـ)، مفسِّر من علماء الحنابلة، مِن أهل نجد، وهو أوَّل مَن أنشأ مكتبة فيها سنة (١٣٥٨هـ)، له نحو ثلاثين كتابًا منها: «تيسير الكريم المنان» في تفسير القرآن.

مولده ووفاته في عُنيزة (بالقصيم). انظر: « الأعلام» للزِّركلي (٣/ ٣٤٠).

(٢) يقصد الشَّيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ محافظة العارضة وما حولها.

المرضىٰ، ويزعمون أنَّهم يَقْدِرون علىٰ ما لا يقدر عليه إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، هذا كلُّه باطلٌ وشركٌ.

كذلك السَّحَرة المُشعوذون والمُنجِّمون، والكُهَّان، والعرَّافون، وما أكثر السِّحر في هذه المناطق، والعياذ بالله!

ما هو السَّبب الَّذي ترَكَ السِّحر يَستفحلُ في هذه المناطق؟

السَّبب هو تساهل المجتمع بهذا الأمر، وعدم القيام بما يجب لله عَزَّوَجَلَّ عليهم، وإلَّا إذا كان في الحيِّ ساحرٌ أو ساحران أو ثلاثةٌ أو أكثر، أليس بإمكاننا أن نأخذ مثلًا اثنين مِن المشايخ أو مِن طَلَبة العلم الموثوق بهم، وأن نذهب إلىٰ هؤلاء حتَّىٰ نطَّلع علىٰ أمورهم، حتَّىٰ نستخرج ما عندهم.

ويجب علينا أن نأخذ المحاضر علىٰ هؤلاء، ونُقدِّمهم لوُلَاة الأمور، ونُعلِّقهم بِذِمَّة السُّلطة وبذِمَّة القضاء ليحكموا فيهم بحكم الله عَزَّوَجَلَّ، فالنَّبيُّ ﷺ وأصحابُه مِن بعده أَمَرُوا بقتل السَّاحر، وفي الحديث المرفوع: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ**»[(١)]، إلَّا أنَّ سَنَده ضعيفٌ، وجعلوه موقوفًا علىٰ جندب الخير.

وصحَّ عن عُمر[(٢)] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه أَمَر بقتلِ كلِّ ساحرٍ وساحرةٍ[(٣)]، وأنَّ حفصة[(٤)]

(١) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، وضعَّفه الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في «الضَّعيفة» (١٤٤٦). وقال الترمذي: «والصَّحيحُ عن جُندبٍ موقوفًا»، وقال الألبانيُّ في «الضَّعيفة» (٣/ ٦٤١): «الصحيح عن جندب موقوفًا».

(٢) عمر بن الخطَّاب بن نُفيل بن عبد العزَّىٰ بن رياح بن عدي بن كعب القرشي العدوي، أمير المؤمنين، مشهور، جمُّ المناقب، استشهد في ذي الحجَّة سنة ثلاث وعشرين، وولي الخلافة عشر سنين ونصفًا. «التقريب» (١/ ٧١٥) (٤٩٠٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٠٤٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود»، وفي «الإرواء» (١٢٤٩).

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطَّاب، أم المؤمنين، تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد خنيس بن حذافة سنة ثلاث، وماتت سنة خمس وأربعين. «التقريب» (٢/ ٦٣٦) (٨٦٠٩).

قَتلتْ جاريةً لها سَحَرتْهَا[١].

فكلُّ مَنْ تَعاطَىٰ السِّحْر يجب علينا أن نتعاونَ عليه، وأنْ نطيح به، وأنْ نسجِّل عليه أقواله وأفعاله السِّحريَّة، ثمَّ بعد ذلك يُقدِّمُ للسُّلْطة، ولا نقول: إنَّ هذا مِسكينٌ، اتركوه، وتأخذنا الشَّفقةُ عليه.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ عن الزُّناة: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]. فإذا كان هؤلاء الزُّناة الَّذين يُقَام عليهم الحدُّ لا يجوز لنا أنْ تأخذَنا الرَّأفةُ بهم، فكذلك السَّحرة مِن باب أولىٰ، وأشهد بالله أنَّ فِعْل الزَّاني - علىٰ شناعة الزِّنا وقُبْحه وكونه مِن كبائر الذُّنُوب - أخفُّ شرًّا مِن فِعْل السِّحْر بكثيرٍ وكثيرٍ؛ ذلك لأنَّ الزَّانيَ وإنْ طال عذابُهُ يرجو الخلاص إلىٰ الجنَّة، أمَّا السَّاحر فهو مُخلَّدٌ تخليدَ الكُفَّار.

واللهِ الَّذي لا إله إلَّا هو، لقَدْ وصل عندي عددٌ من النَّاس يشتكُون مِن السِّحْر، حتَّىٰ إنَّ بعضهم ليقول: إنِّي سُحِرتُ وزوجتي وأُمِّي وأختي، وإنِّي أبيتُ اللَّيلة الَّتي أكون سليمًا فيها، أبيت ما بين هؤلاء، كلُّ واحدٍ يطيح علىٰ جهةٍ، وآتي أرقي علىٰ هذه أو هذه، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله.

يا هذا السَّاحر، أَمَا تعلمُ أنَّك آذيتَ مسلمًا؟!

أَمَا تَعلمُ أنَّ فِعْلك هذا أكبرُ مِن سَفْك دَمِهِ؟

أَلَا تَتَّقي الله يا هذا، تُؤذيه أعوامًا مُتعدِّدةً؟ اللَّيل والنَّهار يتسلَّط عليه الشَّيطان بسبب سحرك - والعياذ بالله -، ويعمل به الأعمال الفاحشة العظيمة! إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٢٤) عن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن سعد بن زُرارة بلاغًا، ووصله البيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦) (١٦٩٤١) ووصله غير البيهقي أيضًا.

وصحَّحه الإمام أحمد وابنُ القيِّم وابنُ كثير -رحمهم الله- كما في «زاد المعاد» (٥/ ٥٧)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٥).

ماذا يكون موقفك أمام الله عَزَّوَجَلَّ إنْ كنتَ تؤمنُ بالله وتؤمنُ بأنَّك ستقفُ بين يديهِ؟

هل يشكُّ أحدٌ منَّا أنَّه سيموت قريبًا؟

هل أحدٌ منَّا يشكُّ في الموت أنَّه سيأتيه؟

الجواب: لا، كلُّنا نَتيقَّنُ - بدون شكٍّ - أنَّنا سنموتُ، سواء أتانا الموت قريبًا أو بعيدًا، فكما أنَّنا لا نشكُّ في إتيان الموت إلينا، فيجب ألَّا نشكَّ أنَّا سنقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ وأنَّ الله سيكافئنا بأعمالنا.

يا أيُّها السَّاحر، عندما تبيتُ أنت نائمًا، والمسحور يبيت تزعجُه الشَّياطين، وتُزعجه آلام السِّحْر الَّذي عملتَه له، كيف يكون حالك إذا قدمتَ بين يدي الله؟

وإذا كانَ ﷺ يقول لمعاذ بن جبلٍ[1]: «واتَّقِ دَعْوَةَ المظْلُوم؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[2].

إذا كان معاذ بن جبلٍ يقول له النَّبيُّ ﷺ هذا، ويُحذِّره من أَخْذِ الزَّكاة من الشَّيء الَّذي يكون فوقَ المشروع وهو: كرائم الأموال[3]، «فإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المظْلُوم؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ».

فكيف حالك يا ساحرُ إذا أخذتَ أهمَّ ما يكون لديه وهو العقل والرَّاحة، وسلَّطت عليه الشَّياطين تؤزُّه، فماذا يكون جوابك عند الله؟

---

(١) معاذ بن جبل بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبد الرَّحمن، مِن أعيان الصَّحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهىٰ في العلم بالأحكام والقُرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة. «التَّقريب» (٢/ ١٩١) (٦٧٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٣) كرائم الأموال: نفائسها، لكثرة منافعها، ولأنَّ نفس صاحبها تتعلَّق بها، فينبغي لعامل الصَّدقة ألَّا يتعمد انتقاء النَّفائس، كما ينبغي لصاحب المال ألَّا يتعمد انتقاء عكسها.

يا أيُّها السَّاحر، اعلم أنَّك ستهوي علىٰ أُمِّ رأسك في نارٍ قعرها بعيدٌ، والَّذي يهوي فيها يهوي سبعين سنةً لا يصل إلىٰ قَعْرها، وقَدْ صحَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان جالسًا بين أصحابه، فسمعوا وجبةً[1] -صوت رَجَّةٍ-، فقال النَّبيُّ ﷺ لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هَذَا حَجَرٌ أُلْقِيَ بِهِ مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، الآنَ وَصَلَ إِلَىٰ قَعْرِهَا**»[2]، سبحان الله العظيم!

إذًا؛ فيا عباد الله اتَّقوا الله، أيُّها المسلمون، أيَّتها المسلمات، احذرُوا من الكلمات الشِّركيَّة، والحلف بغير الله (الحلف بالأمانة، الحلف بالنَّبيِّ، الحلف بالكعبة، الحلف بالعيش والملح، الحلف بالشَّرف، الحلف بأمور كثيرة وهكذا).

كلُّ ذلك لا يجوز، والنَّبيُّ ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بالله أَوْ لِيَصْمُتْ**»[3].



---

(١) **وجبة**: أي سقطة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.



الخاتمة

وأخيرًا: أيُّها الإخوة، لنفكِّر في النِّعم الَّتي نحن نَتمتَّع بها، إنَّها نِعَمٌ عظيمةٌ، أمنٌ، ورغدُ عيشٍ، وسعةُ رزقٍ، وأموالٌ، وحريَّة العبادة، وشيءٌ فوق ما نَتصوَّر، إنَّها نِعَمٌ يغبطنا عليها جميع النَّاس، كل الناس يَغْبطون مَنْ في الدَّولة السّعوديَّة بما يَتمتَّعون به مِن رغد العيش وسعة الرِّزق والأمن وغير ذلك.

إذًا؛ فعلينا أنْ نتَّقيَ الله، وأنْ نحذر مِن أن يُغيِّرَ اللهُ علينا، والله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتَّىٰ يُغيِّروا ما بأنفسهم.

نحمد الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أنَّنا في هذه البلاد مستقرّون، نُؤدِّي شعائر ديننا براحةٍ واطمئنانٍ، ونأكلُ مِن رزق الله الَّذي يُجلَب إلينا من بلدانٍ شتَّىٰ من العالم، رُبَّما أنَّا نشبع بالفواكه أحسن من أهلها الَّذين يزرعونها ويتعبون فيها، ألا نحمد الله علىٰ ذلك! علمًا بأنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ**»(١).

فمَنْ منَّا ضُربَ ظهرُه وأُخذ مالُه إلَّا بحقٍّ، بل الدَّولة تعطينا من فضل الله عَزَّوَجَلَّ ورؤوس الدَّولة عندنا - من فضل الله - كلُّهم أصحاب استقامةٍ، وأهلُ خيرٍ، لا يُسمع عنهم إلَّا الخير، أمَّا اختلاقُ المختلِقين وأكاذيب الكذَّابين الَّذين ينتحلون الأكاذيب، ويقولون: فلانٌ كذا، وفلانٌ كذا، بالكذب، فهؤلاء يسألهم الله عمَّا قالوه وفعلوه.

ينبغي علينا أنْ نطلبَ العلم الشَّرعيَّ علىٰ المنهج السَّلفيِّ علىٰ طريقة أصحاب

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ.

الحديث، وأنْ نترك بُنيَّات الطَّريق الَّتي تُضلُّنا عن الحقِّ وتبعدنا عنه.

أسأل الله أنْ يجعلَنا وإيَّاكم جميعًا مِمَّنْ يكونون مِن أهل كرامته، وأنْ يجمع قلوبنا علىٰ طاعته، وأن يجمعنا في جَنَّته، وأن يجعلنا من أتباع خيرِ خَلْقِهِ، وأفضل رسله مُحمَّدٍ ﷺ، الحائزين لشفاعتِه، النَّائلين لمرضاة رَبِّهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وصلَّىٰ الله علىٰ مُحمَّدٍ وآله وصحبه.





الإجابة على بعض الأسئلة

السُّؤال (١): شيخنا الفاضل، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: أنا مبتدئٌ في طلب العلم الشَّرعيِّ، فأرجو منك أن تُوضِّح لي أوَّل ما أبدأ في تَعلُّمه مع ذِكْر المتون الَّتي أحفظها، جزاكم الله خيرًا.

الجواب: الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وبعدُ: المبتدئ يبدأ في التَّوحيد - مثلًا - بالأصول الثَّلاثة، وكشف الشُّبُهات، والقواعد الأربع، وفي الحديث بالأربعين النَّوويَّة، وفي الفقه بآداب المشي وما أشبه ذلك.

وفي القواعد بحسَبه، والقراءة والتَّجويد وهكذا، ثمَّ بعد ذلك يستشير أستاذه الَّذي يدرس عليه، وهو يشير عليه في التَّدرُّج شيئًا فشيئًا.

❁ ❁ ❁

السُّؤال (٢): لقد ورد في الآثار النَّهي عن سبِّ الأموات، فهل التَّكلُّم في بعض النَّاس الَّذين لهم أخطاءٌ يكون فيه مناقضةٌ للحديث، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: إنَّ توضيح حال هؤلاء الَّذين حصلت منهم أخطاءٌ، واغترَّت بهم الأُمَّة، واغترَّ بهم طُلَّاب العلم، توضيح حالهم وبيان خطئهم مِن الفروض[1]

---

(١) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بيان وجوب النُّصح لصالح الإسلام والمسلمين**: «ومثل أئمَّة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنَّة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسُّنَّة؛ فإن بيان حالهم =

وليس من المُستحبَّات، فيجب علىٰ كلِّ مَنْ يعلم حالهم أنْ ينصح لهم، وأنْ ينصح لطُلَّاب العلم، وأن ينصح للمسلمين بأنْ يُبيِّن أخطاءهم.

أمَّا الَّذين يقولون لابدَّ من ذِكْر المحاسن والمساوئ، فكلامهم هذا ليس عليه دليلٌ، وهو كلامٌ باطلٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما ذكر محاسنَ الَّذين يعملون بعض الأشياء الباطلة السَّيِّئة، بل ذكر المساوئ وتَوعَّد عليها، بل تَوعَّد بعضهم بإحباط العمل، والعياذ بالله(١).

هل نحن يجب علينا أن نكون مطيعين لله أو نكون مطيعين لفلانٍ وفلانٍ؟! يجب علينا أن نطيع الله، وأن نحذر من طاعة بعض النَّاس في معصية الله عَزَّوَجَلَّ.

❁ ❁ ❁

السُّؤال (٣): إنَّ كثيرًا من الشَّباب الملتزمين إذا الْتقُوا أهل الخير والصَّلاح اجتهدوا في عمل الخير، وإذا عادوا إلى أهلهم وواجهوا بعض الفتن لم يثبتوا، ورُبَّما صرفتهم تلك الفتن، فنرجو الإيضاح والدُّعاء، جزاكم الله خيرًا.

الجواب: الحقيقة أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ بيَّن لنا في كتابه، وبالأخصِّ في أوَّل

=

وتحذير الأمَّة منهم واجب باتفاق المسلمين.

حتىٰ قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرَّجل يصوم ويصلِّي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلَّم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّىٰ واعتكف فإنَّما هو لنفسه، وإذا تكلَّم في أهل البدع فإنَّما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّن أنَّ نفْعَ هذا عامٌّ للمسلمين في دينهم مِن جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم علىٰ ذلك واجب علىٰ الكفاية باتِّفاق المسلمين، ولولا مَنْ يُقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدوِّ من أهل الحرب». «الفتاوىٰ» (ج٢٨) (ص٢٣١، ٢٣٢).

(١) يشير الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

سورة العنكبوت: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

فعليك يا عبد الله أن تعلمَ أنَّ هذه الفتن إنَّما هي تمحيصٌ لك، هل أنت تثبت، أو تكون مِن جنس الأشياء الَّتي تَجتثُّها الرِّياح وتذهب - والعياذ بالله -، فإنْ أنت تَحوَّلت عن عقيدتِك وعن دينِك، فاعلم أنَّك ستُلاقي عذاب الله الَّذي هو أشدُّ مِن كلِّ فتنةٍ، وأشدُّ مِن كلِّ شيءٍ، فعليك أنْ تصبرَ، واعلمْ أنَّ العاقبة للمُتَّقين.

❁ ❁ ❁

السُّؤال (٤): إنَّ هناك بعض ألفاظ تجري على ألسنتنا، بعضهم يقول: (وجه الله) أو (أحجرك بالله)، أن تخبرني بكذا وكذا... وبعضهم يدعو ويقول: (عبلة)، (أم القتر)، (أم الصبيان)... إلخ. فما حكم هذه الألفاظ؟

الجواب: أمَّا قولك: «وجه الله»، فهذا هو الحقيقة أنَّه ليس فيه إلَّا إنَّك تسأل بوجه الله شيئًا هَيِّنًا، وقَدْ جاء في الحديث: «**لا يُسْأَلُ بِوَجِهِ اللهِ إلَّا الجَنَّة**»[1].

اللَّهمَّ إنَّا نسألك بوجهك الكريم أن تجعلنا مِن ورثة جنَّة النَّعيم.

فينبغي للمسلم ألَّا يسأل بوجه الله إلَّا الجنَّة؛ لأنَّ وجه الله الكريم لا ينبغي أن يسأل به الأمور التَّافهة، وكلُّ الدُّنيا تافهةٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وضعَّفه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن أبي داود»، وفي تعليقه على «المشكاة» (١٩٤٤).

أمَّا قول مَنْ يقول مثلًا: عبلة، أو يقول: أمَّ الصِّبيان[١]، أو أُمَّ كذا، فهذه دعوةٌ للشَّياطين، واستعانةٌ بهم، وهو يُعَدُّ مِن الألفاظ الشِّركيَّة، فلا ينبغي للمسلم أن يفعله، فيجب علينا أن نُعَوِّد ألسنتَنا علىٰ الخير، ونبعدَها عن الشَّرِّ.

كذلك كما يقول بعضُهم: «أنتَ لأهل مدقم، أو أنت لأهل جحفان، أو أنت لأهل كذا».

أو ما أشبه ذلك، يعني: يدعو عليه بالجنِّ، ويستعين بهم عليه، هذا كلُّه لا يجوز، وينبغي للمسلم أنْ يجتنبَه، بل بعضُهم يعتقدون أنَّ هؤلاءِ الشَّياطين يَتصرَّفون ويقتلونَ الشَّباب والشَّابَّات، فيزعمون مثلًا أنَّ حسين مسفر إذا فيه شابَّةٌ جميلةٌ يُمِيتها وبعد ذلك يَتزوَّجها، وهكذا...

هذا اعتقادٌ للإحياء والإماتة في غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مثل ذلك الاعتقاد في «البدة» علىٰ ما يقولون، بزعمهم أنَّ «البدة» عجوزٌ، وأنَّ هذه العجوز إذا أعجبها طفلٌ أو شابَّةٌ أو شابٌّ، امْتَصَّتْ دَمَه، وأماتته، وبعدما يدفن تذهب وتفتح القبر، وتَنْفُخُ فيه وتقلبه دابَّةً، وما أشبه ذلك.

مَنِ اعْتَقَد هذا الاعتقاد فهو ليس بمُسلمٍ؛ لأنَّه اعتقدَ الإحياء والإماتة في غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هل أحدٌ يستطيع أن يحيي ويميت؟! لا، بل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المُتوحِّد بذلك.

هذه «البدة» يزعم فيها أيضًا أنَّ إنسانًا يدخل في إنسانٍ يعني: آدميٌّ يدخل في آدميٍّ، هذا شيءٌ مستحيلٌ أبدًا، ولكن الَّذي نعتقده أنَّ شيطانًا يكون مستخدمًا لها، ويتكلَّم علىٰ لسانِها مثل كلامها، وهذا أنا قَدْ سمعتُهُ بأذني قديمًا.

---

(١) عبلة، أم القتر، أم الصبيان، حسين مسفر، البدة، أهل مدقم، أهل جحفان، هذه أسماء لجنٍّ وهميين، شاعت الاستعانة بهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ في منطقة جازان.

فالَّذي نَظنُّه أنَّ هذا الشَّيطان يدخل في هذا الطِّفل أو في هذه الطِّفلةِ، وبعد ذلك يتكلَّم علىٰ لسانها، ويقول: «هو فُلانة»، وهو كذبٌ، وإنَّما هو مِن باب الدَّجَل والتَّضليل، فهو يُخوِّف بها، وهي تستغله، وهو يستغلُّها، والعياذُ بالله.

❁❁❁

السُّؤال (٥): ما حُكم الرُّقية من العَين؟

الجواب: النَّبيُّ ﷺ أرشدنا بأن نقول في المساء والصَّباح: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَينٍ لامَّةٍ**». ثلاثَ مَرَّاتٍ[(١)].

ويقول: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**». ثلاثَ مَرَّاتٍ[(٢)].

ويقول: «**أَعُوذُ بكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلا فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيرٍ يَا رَحْمَنُ**»[(٣)].

ويقول: «**بِاسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**»[(٤)].

مَنْ قال ذلك، لا يصيبه شيءٌ - إن شاء الله -.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، دون تقييده بالصباح والمساء أو بثلاث مرات.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث خولة بنت حكيم السُّلَمية رضي الله عنها. دون تقييده بثلاث مرات.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩) (١٥٤٩٨) من حديث عبد الرحمن بن خَنْبَش رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» (٨٤٠)، و«صحيح الجامع» (٧٤).

(٤) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله تعليقه علىٰ «المشكاة» (٢٣٩١).

السُّؤال (٦): ما حكم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج والتَّجمُّع والتَّكبير والتَّهليل أو الصِّيام في ذلك اليوم؟

الجواب: **أوَّلًا**: إنَّ الاحتفال بها لو كان خيرًا لسبقنا إليه مَنْ أُسري به وعُرج به، ولا شكَّ أنَّه أُسريَ بالنَّبيِّ ﷺ، وعُرج به إلىٰ السَّماء السَّابعة، وأنَّه سمع كلام ربِّه، وكلَّم ربَّه من وراء حجابٍ، كلُّ ذلك كان ولا شكَّ فيه، ولكنَّ النَّبيَّ ﷺ ما قال: هذا شرفٌ لي، ولابدَّ أن أحتفل بهذه اللَّيلة، بل هذا خطأٌ وبدعةٌ.

كذلك الاحتفالَ بمولد النَّبيِّ ﷺ من البدع الَّتي لا يَجُوزُ فِعْلها، ثمَّ إنَّ الإسراء لم يثبتْ أنه في ليلة ٢٧ من رجب، لأنه لم يُعلم تأريخه بسندٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ ضعفًا مقاربًا، ولكن أهل البدع لا يبالون بالاختلاق والكذب علىٰ النَّبيِّ ﷺ ولا علىٰ أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

❁❁❁

السُّؤال (٧): هل كلمة «السَّلَف» تعتبر جماعةً من الجماعات أو لا؟

الجواب: السَّلَف هم الَّذين مَضَوْا، وهم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ ومَن بعدَهم مِن أهل العلم والخير والتَّابعين وأتباع التَّابعين وأهل الدَّعوة إلىٰ الله، الَّذين حملُوا العلم في جميع الأزمنة، والنَّبيُّ ﷺ يقولُ: «**افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَينِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**».

قالوا: مَنْ هم يا رسول الله؟

قال: «**هُمْ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي**»[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ**

فالمقصود بالسَّلَف: هم أصحاب النَّبيِّ ﷺ وأتباعهم مِمَّنْ تبع الأثر، والعاملون بالسُّنَّة والنَّاشرون لها، أمَّا الَّذي يقول: إنَّ السَّلف حزبٌ من الأحزاب، فهذا قَدْ كذب وظلم نفسَه، إنَّما الحِزْبيَّة في الأحزاب المبتدعة الجديدة الَّتي أخذتْ شيئًا مِن الحقِّ وشيئًا مِن الباطل، أمَّا السَّلَف فهو المنهجُ النَّبويُّ الَّذي ترك النَّبيُّ ﷺ عليه أصحابَه، وسار مَنْ بعدهم علىٰ نهجهم، كما يقول النَّبيُّ ﷺ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ**»(١).

❁ ❁ ❁

السُّؤال (٨): رجلٌ مات وعليه بعض أيَّام رمضان ولم يصمها، فما هو الحكم في ذلك؟ ورجلٌ نذر أن يصوم ثلاثة أيَّامٍ، فصام يومين فقط، فما الحكم في ذلك؟

الجواب: أمَّا الَّذي نذر أن يصوم ثلاثة أيَّام وصام يومين فقط، وبقي عليه يومٌ، فعليه أن يكمله وجوبًا، وأمَّا الَّذي تُوفِّي وعليه أيَّامٌ من رمضان، فعلىٰ وليِّه أن يصوم عنه أو أن يُطعم عنه.

إنْ كان يستطيع أن يصوم فليصمْ عنه؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**»(٢).

=

بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن ابن ماجه». وأورده في «الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

مع العلم أنَّ كثيرًا مِن أهل العلم يرون الإطعام ولا يرون صيام الوليِّ، إلَّا بعضهم يراه للنَّذْر.

الإمام أحمد يراه للنَّذْر، والباقون لا يرون الصِّيام، بل يقولون الإطعام، لكن الَّذي قلتهُ هو الحقُّ لموافقته الدَّليل - إن شاء الله - لقول النَّبيِّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**».

ولقوله للمرأة الَّتي سألتْ أنَّ أُمَّها ماتَتْ وعليها صيامُ شهرٍ - وفي روايةٍ: صومُ نَذْرٍ -، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَرَأَيتِ لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَتَهُ؟**» قالتْ: نعم. قال: «**فَاقْضُوا اللهَ، فَاللهُ أَحَقُّ بالقَضَاءِ**»[(١)].

❁ ❁ ❁

السُّؤال (٩): أنا مُوظَّفٌ أعمل في أحد المراكز، ويصادف في بعض الأيَّام من أيَّام الجمعة وأنا أعمل بالمركز، وقَدْ تفوتني صلاة الجمعة في الجامع، وأُصلِّيها ظهرًا في مَقرِّ العمل، فهل عليَّ شيءٌ؟

الجواب: إنْ كان هذا للضَّرورة، فيجوز ذلك؛ لأنَّه قَدْ ورد عن عبد الله بن عمر[(٢)] أنَّه دُعي علىٰ سعيد بن زيد[(٣)] وهو يموت فلم يحضر الجمعة[(٤)]، فقال

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن، ولد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد، وهو ابن أربع عشرة سنةً، وهو أحد المكثرين من الصَّحابة، والعبادلة، وكان مِن أشدِّ النَّاس اتِّباعًا للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أوَّل التي تليها. «التقريب» (١/ ٥١٦) (٣٥٠١).

(٣) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أبو الأعور، أحد العشرة، مات سنة خمسين، أو بعدها بسنة أو سنتين. «التقريب» (١/ ٣٥٣) (٢٣٢١).

(٤) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (٣/ ٢٦٣) (٥٦٤٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١٥٣).

أهل العلم: إنَّه إذا كان هناك ضياع مالٍ أو شيءٌ يُخَاف منه، أو ما أشبه ذلك، فيجوز للإنسان أن يَتأخَّر عن الجمعة من أجل هذا العذر.

❁ ❁ ❁

السُّؤال (١٠): إذا أقام المُؤذِّن وكنت أُصلِّي تحيَّة المسجد، فهل يجوز لي أنْ أَتعجَّل أم أقطع الصَّلاة؟

الجواب: إِنْ كنت مبتدئًا فاقطع الصَّلاة، وإِنْ كنت في آخرها فعَجِّل تعجيلًا غير مخلٍّ لتلحق تكبيرة الإحرام، أمَّا إذا كنت ترىٰ أنَّك مهما عَجَّلت تعجيلًا غير مخلٍّ فستفوتك تكبيرة الإحرام، فيجب عليك أن تقطع الصَّلاة؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: **«إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا المكْتُوبَةُ»**[١].

❁ ❁ ❁

السُّؤال (١١): يقول السَّائل: إنَّه أقام لصلاة العشاء، وكان الإمام الرَّاتب غائبًا، فَصلَّى بعض الحاضرين وكان مسافرًا، ثمَّ بعد ركعتين سلَّم، وقال: أَتمُّوا لأنفسكم فإنِّي مسافرٌ.

فيسأل السَّائل: ما حكم صلاة الإمام والمأمومين؟ وهل يجوز له ذلك؟

الجواب: كان ينبغي لهذا الإمام أن يقول قبل أن يُكبِّر تكبيرة الإحرام: قَدِّموا إمامًا مقيمًا، وإلَّا فإنِّي أُصلِّي بكم ركعتين وأُسلِّم، وأنتم أتمُّوا لأنفسكم، كان ينبغي له أن يفعل ذلك قبل تكبيرة الإحرام، ولا شكَّ أنَّ فِعْله هذا ليس بخطأٍ، ولكن فاته أنَّه ما نَبَّهكم علىٰ ذلك من قبل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

السُّؤال (١٢): ما حكم أكل القات وقدْ علمت أنَّ فيه صرفًا، ولكن إذا جاء وقت الصَّلاة قمتُ وأدَّيتُ الصَّلاة، ثمَّ رجعتُ لآكله، فما حكم ذلك؟

الجواب: أَكْل القات مفاسدُهُ كثيرةٌ، وتَضْييعُهُ عظيمٌ، فيضيع فيه دينٌ، وتضيع فيه أوقاتٌ، وتضيع فيه أموالٌ، فهذه الأمور ليست هَيِّنةً، فيجب علينا أن نَتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ وألَّا تملكنا شهواتنا حتَّىٰ نفعل ذلك كلَّه مِن أجل أنْ نُشبع شهواتنا من الشَّيء الَّذي نرغبُه، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ نهىٰ عن كلِّ مسكرٍ ومفترٍ(١).

ولا شكَّ أنَّ تخدير القات يعرفه كلُّ مَنْ أكَله، فهو يُخدِّر أوَّلًا، فلا يأتي صاحبه النَّوم، بل يكون في نشوةٍ، ويكون عنده ارتياحٌ، ويحسُّ أنَّ معنويَّاته عاليةٌ، وهكذا.

ولكنَّه بعد ذلك بساعتين تجده ينكبُّ نائمًا، فيُضيِّع أوَّلًا العصر والمغرب والعشاء، يُضيِّعها بالتَّأخير وبتفويتها، وبعد ذلك يُضيِّع الصُّبح بالنَّوم، وهذا حال أكثر الَّذين يأكلون القات.

❁❁❁

السُّؤال (١٣): ما حكم مَنْ يُصلِّي صلاة الجمعة فقط ولكن بعض الفروض يخلُّ بها؟

الجواب: هذا فاسقٌ لتركه الجماعة في المسجد ولَوْ صَلَّىٰ بالبيت.

❁❁❁

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٨٦) من حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

السُّؤال (١٤): هنا سؤالان: الأوَّل: حول كتاب «أضواء إسلامية» على عقيدة سيد قطب(١). والثَّاني: عن كتاب «القطبية»، وما حكم قراءتها؟

الجواب: «أضواء إسلامية علىٰ عقيدة سيد قطب» هذا الكتاب صاحبه(٢) أخذ أشياء مِن كُتب سيِّد قطب وسَجَّلها لطُلَّاب العلم، وقال لهم: انظروها في صفحة كذا من الكتاب الفلاني، وفي صفحة كذا من كتاب كذا، وفي صفحة كذا من كتاب كذا.

إذًا؛ فهل هو ظالمٌ ومعتدٍ علىٰ سيد قطب؟! علينا أن نعود إلىٰ هذه الأماكن الَّتي أشار إليها ونقرأ، فإذا قرأنا فلنحكم.

---

(١) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر مصري من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، ولد عام (١٣٢٤هـ)، انضم إلىٰ جماعة الإخوان المسلمين، فَترأَسَ قسم نشر الدعوة، وتولَّىٰ تحرير جريدتهم، وسُجن معهم إلىٰ أنْ صدر الأمر بإعدامه، فأعدم عام (١٣٨٧هـ). «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٤٧) باختصار، وسَيِّد قطب قَدْ حصل منه طوام؛ منها تنقُّصه لبعض الأنبياء عليهم السَّلام، وذمُّه لعددٍ مِن صحابةِ رسولِ الله ﷺ، ولمزُه لعددٍ مِن العشرة المبشَّرين بالجنَّة، وتكفيرُه لعامَّة المسلمين، وقولُه بخلْق القُرآن، وتعطيلُه لصفات الله تعالىٰ، ووصفُه القرآن بألفاظ اللَّهو.

ولمعرفة المزيد عن طوامِّ سيِّد قطب ومخالفاته العقديَّة يُراجع:

١ - «المورد الزُّلال في توضيح مخالفات الظِّلال» للشَّيخ عبد الله الدُّويش.

٢ - «العواصم مما في كتب سيِّد قطب من القواصم» للشَّيخ ربيع المدخلي.

٣ - «أضواء إسلاميَّة علىٰ عقيدة سيِّد قطب وفكره» للشَّيخ ربيع المدخلي.

٤ - «نظرات في كتاب التَّصوير الفنِّي في القرآن الكريم لسيِّد قطب» للشَّيخ ربيع المدخلي.

٥ - «محاكمة فكر سيِّد قطب من الإلحاد إلىٰ الظلال بأحكام الوحي والفقه فيه من أهله» للشَّيخ سعد الحصين.

(٢) يقصد الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشيخ العلَّامة ناصر السُّنَّة وقامع البدعة الشيخ: ربيع بن هادي عمير المدخلي المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

وقد قال مُحدِّث هذا العصر العلَّامة الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مَن ينتقدُ طريقة الشَّيخ ربيع إمَّا جاهل فيعلَّم، وإمَّا صاحب هوًىٰ فيستعاذ بالله مِن شرِّه، ونطلب مِن الله إمَّا أنْ يهديَه، وإمَّا أنْ يقصمَ ظهرَه». «المجلَّة السَّلفيَّة» العدد الثَّاني (ص٥٧).

كذلك «القطبيَّة»، صاحبُها[1] تجرَّد، وكتب من أشرطةٍ وكُتُبٍ، ومن مقالاتٍ، ومن إجابة أسئلةٍ، كلُّها كتَبها للتَّحذير.

إذًا، فهذا تنبيهٌ، والَّذين يقدحون في هذه الكُتُب هؤلاء أنفسهم مَرْضَىٰ، فَلْيتَّقوا الله عَزَّوَجَلَّ.

أليس الواجب التَّحذير علىٰ مَنْ يعلم شيئًا؟ بلىٰ.

إنَّ هذا الَّذي أضاع وقتَه في تتبُّع الأشرطة، وتَتبُّع هذه المقالات، وتَتبُّع هذه الأجوبة، وكتبها للنَّاس، وبيَّنَ الاحتمالات الَّتي فيها، إنَّه يشكر بعد شكر الله عَزَّوَجَلَّ، يشكر علىٰ هذا الجهد - وجزاه الله خيرًا -، ومَنْ يقدح في هذا الكتاب فإنَّه مخطئٌ وضالٌّ، وعليه أنْ يتَّقي الله عَزَّوَجَلَّ.

❁❁❁

السُّؤال (١٥): ما رأيكم فيمن يقول: إنَّنا نُعلِّم النَّاس وندعوهم بما درسناه في المدارس؟

الجواب: هذا لا يكفي، رُبَّما أنَّه درس شيئًا بسيطًا جدًّا، ومعلومٌ أنَّ الدِّراسة في المدارس ما هي إلَّا للنَّجاح والشَّهادة، يعني: تعطي علمًا قليلًا.

❁❁❁

السُّؤال (١٦): نشكركم على هذه المحاضرة، وتعلمون أنَّ أهل هذه المنطقة يحتاجون إلى كثيرٍ من العلم؛ فإنَّنا نطالبكم أو مَنْ ترون من طُلَّاب العلم بإقامة درسٍ إمَّا شهريًّا أو نصف شهريٍّ، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب: هذا السُّؤال يُوجَّه إلىٰ مدير الدَّعوة بجازان، وهو - إن شاء الله -

---

(١) أبو إبراهيم بن سلطان العدناني.

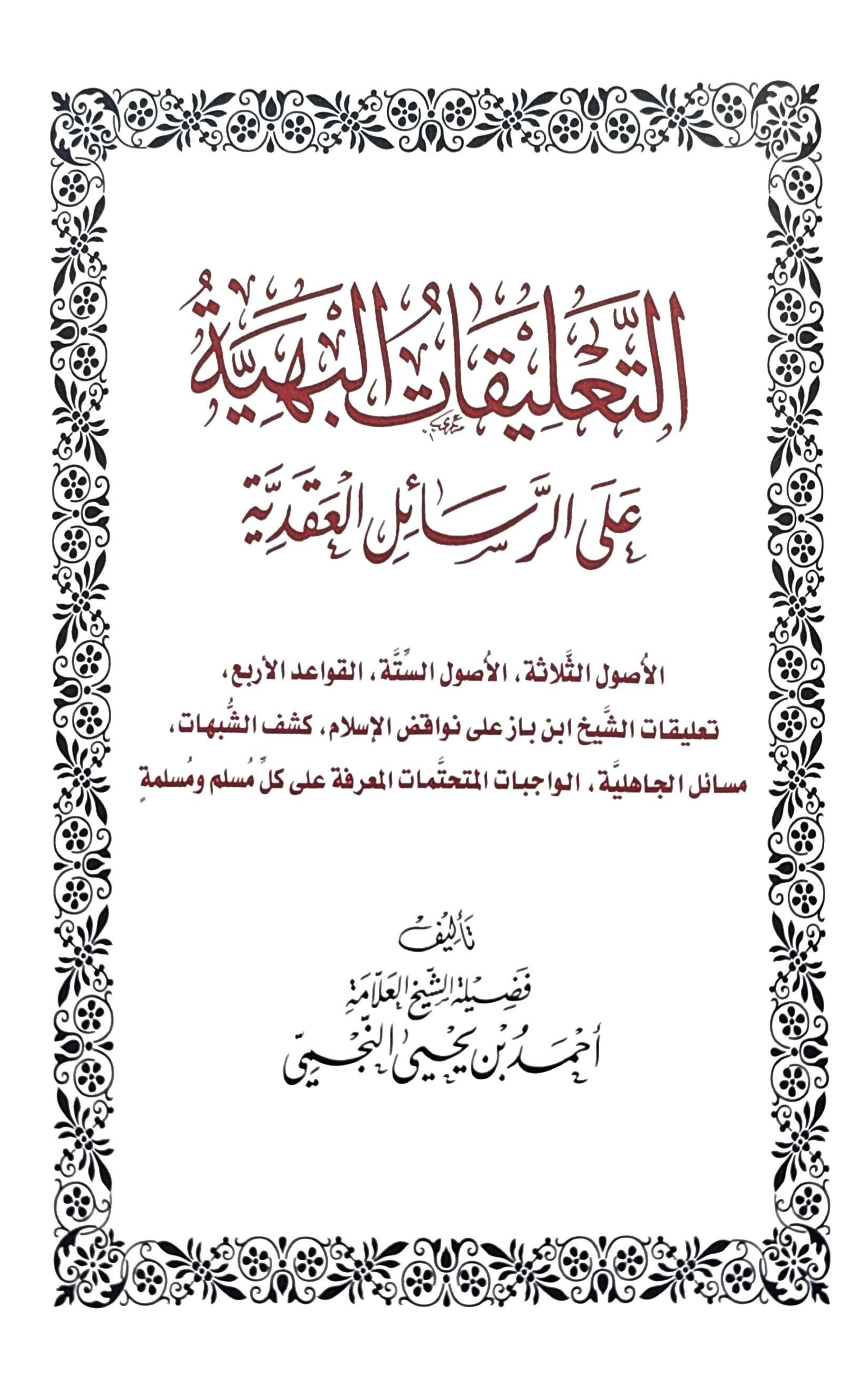
ما يُقصِّر، ولا بدَّ أن يجيب دعوتكم، ومِن جهة الدُّرُوس، فأنا - والحمد لله ولا أقوله فخرًا، ولكن تَحدُّثًا بنعمة الله، واعتذارًا - وقتي الآن مليءٌ، وعندي درسٌ في أبي عريش في مسجد الميرابي[١]، وإنْ كنتُ انقطعتُ عنه منذ مُدَّةٍ إلَّا أنِّي سأعود إليه، ومَنْ يرغب من هذه المنطقة فهو قَريبٌ.

أسألُ الله أنْ يُوفِّق الجميع لما يحبُّ ويرضىٰ.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.



(١) وقد انتقل الدَّرس إلىٰ محافظة أحد المسارحة في جامع الدّحمان الكبير.



التعليقات البهية

على الرسائل العقدية

الأصول الثلاثة، الأصول الستة، القواعد الأربع،
تعليقات الشيخ ابن باز على نواقض الإسلام، كشف الشبهات،
مسائل الجاهلية، الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

أحمد بن يحيى النجمي



ترجمة شيخ الإسلام
محمَّد بن عبد الوهَّاب للشيخ عبد العزيز بن باز[١]

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبدِه ورسولِه وخيرتِه مِن خَلْقه سَيِّدنا وإمامِنا محمَّد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ والاه.

أمَّا بعدُ:

أيُّها الإخوان الفضلاء، أيُّها الأبناء الأَعزَّاء، هذه المحاضرة الموجزة أَتَقدَّم بها بين أيديكم تنويرًا للأفكار، وإيضاحًا للحقائق، ونصحًا لله ولعباده، وأداءً لبعض ما يجب عليَّ من الحقِّ نحو المحاضَر عنه؛ وهذه المحاضرة عنوانها: «الشَّيخ الإمام محمَّد بنُ عبد الوَهَّاب؛ دعوتُه وسيرتُه».

لمَّا كان الحديث عن المصلحين، والدُّعاة والمُجدِّدين، والتَّذْكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة، وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم الَّتي دلَّت علىٰ إخلاصهم، وعلىٰ صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم، وأعمالهم وسيرتهم؛ مِمَّا تشتاق إليه النُّفُوس الطَّيِّبة، وترتاح له القلوب، ويودُّ سماعه كلُّ غُيورٍ علىٰ الدِّين، وكلُّ راغبٍ في الإصلاح والدَّعوة إلىٰ سبيل الحقِّ، رأيتُ أن أَتحدَّث إليكم عن رجلٍ عظيمٍ ومُصلحٍ كبيرٍ وداعيةٍ غيورٍ، أَلَا وهو الشَّيخ الإمام المُجدِّد للإسلام في الجزيرة العربيَّة في القرن الثَّاني عشر من الهجرة النَّبويَّة.

هو: الإمام محمَّد بن عبد الوَهَّاب بن سليمان بن عليٍّ التَّميمي الحنبلي

---

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضمن «مجموع فتاواه» (١/ ٣٥٤)، بعنوان: «**الشَّيخُ الإمام محمَّد بنُ عبد الوهَّاب؛ دعوته وسيرتُه**».

النَّجدي، لقَدْ عرف النَّاس هذا الإمام، ولا سيَّما علماؤهم ورؤساؤهم وكبراؤهم وأعيانهم في الجزيرة العربيَّة وفي خارجها، ولقَدْ كتب النَّاس عنه كتاباتٍ كثيرةً ما بين موجزٍ وما بين مُطولٍ.

ولقَدْ أفردَه كثيرٌ من النَّاس بكتاباتٍ، حتَّىٰ المستشرقون كتبوا عنه كتاباتٍ كثيرةً، وكتب عنه آخرون في أثناء كتاباتهم عن المصلحين، وفي أثناء كتاباتهم في التَّاريخ، وصفه المنصفون منهم بأنَّه مصلحٌ عظيمٌ، وبأنَّه مُجدِّدٌ للإسلام، وبأنَّه علىٰ هُدًىٰ ونورٍ مِن ربِّه، وتعدادهم يشقُّ كثيرًا.

مِن جملتهم: المُؤلِّف الكبير أبو بكر الشَّيخ حسين بن غنَّام الأحسائي.

فقَدْ كتب عن هذا الشَّيخ، فأجاد وأفاد وذكَر دعوتَه، وذكر سيرتَه، وذكَر غزواته، وأَطْنَب في ذلك، وكتب كثيرًا من رسائله واستنباطاته من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم الشَّيخ الإمامُ عُثمان بن بشر في كتابه: «عنوان المجد»، فقَدْ كتب عن هذا الشَّيخ، وعن دعوتِه وعن سيرتِه، وعن تاريخ حياتِه، وعن غزواتِه وجهادِه.

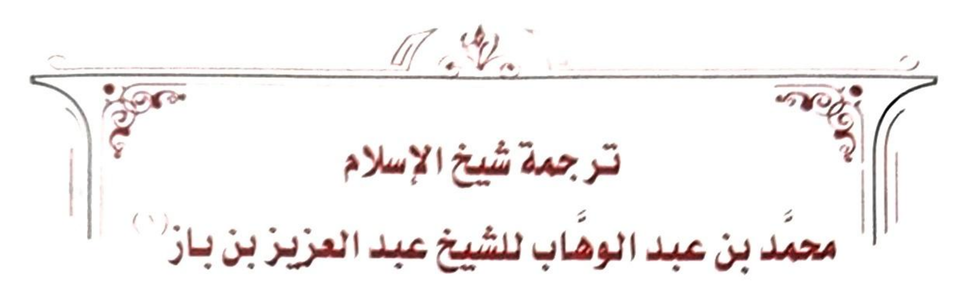
ومنهم خارج الجزيرة الدُّكتور أحمد أمين في كتابه: «زعماء الإصلاح»، فقد كتب عنه وأنصفه.

ومنهم الشَّيخ الكبير مسعود عالم النَّدوي، فقَدْ كتب عنه وسَمَّاه: «المصلح المظلوم» وكتب عن سيرته، وأجاد في ذلك.

وكتب عنه أيضًا آخرون، منهم الشَّيخ الكبير الأمير محمَّد بن إسماعيل الصنعاني.

فقَدْ كان في زمانه، وقَدْ كان علىٰ دعوته، فلمَّا بلغه دعوة الشَّيخ سُرَّ بها، وحمد الله عليها.

وكذلك كتب عنه العَلَّامة الكبير الشَّيخ محمَّد بن علي الشوكاني صاحب «نيل الأوطار» ورثاه بمرثيَّةٍ عظيمةٍ، وكتب عنه جمعٌ غفيرٌ غير هؤلاء يعرفهم



ترجمة شيخ الإسلام
محمَّد بن عبد الوهَّاب للشيخ عبد العزيز بن باز(١)

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ عبدِه ورسولِه وخيرتِه مِن خَلْقه سَيِّدنا وإمامِنا محمَّد بن عبد الله، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنْ والاه.

أمَّا بعدُ:

أيُّها الإخوان الفضلاء، أيُّها الأبناء الأَعزَّاء، هذه المحاضرة الموجزة أَتقدَّم بها بين أيديكم تنويرًا للأفكار، وإيضاحًا للحقائق، ونصحًا لله ولعباده، وأداءً لبعض ما يجب عليَّ من الحقِّ نحو المحاضَر عنه؛ وهذه المحاضرة عنوانها: «الشَّيخ الإمام محمَّد بنُ عبد الوَهَّاب؛ دعوتُه وسيرتُه».

لمَّا كان الحديث عن المصلحين، والدُّعاة والمُجدِّدين، والتَّذْكير بأحوالهم وخصالهم الحميدة، وأعمالهم المجيدة، وشرح سيرتهم الَّتي دلَّت علىٰ إخلاصهم، وعلىٰ صدقهم في دعوتهم وإصلاحهم، وأعمالهم وسيرتهم؛ مِمَّا تشتاق إليه النُّفُوس الطَّيِّبة، وترتاح له القلوب، ويودُّ سماعه كلُّ غُيورٍ علىٰ الدِّين، وكلُّ راغبٍ في الإصلاح والدَّعوة إلىٰ سبيل الحقِّ، رأيتُ أن أَتحدَّث إليكم عن رجلٍ عظيمٍ ومُصلحٍ كبيرٍ وداعيةٍ غيورٍ، أَلَا وهو الشَّيخ الإمام المُجدِّد للإسلام في الجزيرة العربيَّة في القرن الثَّاني عشر من الهجرة النَّبويَّة.

هو: الإمام محمَّد بن عبد الوَهَّاب بن سليمان بن عليٍّ التَّميمي الحنبلي

---

(١) محاضرة ألقاها سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي ضمن «مجموع فتاواه» (١/ ٣٥٤)، بعنوان: «الشَّيخُ الإمام محمَّد بنُ عبد الوهَّاب؛ دعوته وسيرتُه».

النَّجدي، لقَدْ عرف النَّاس هذا الإمام، ولا سيَّما علماؤهم ورؤساؤهم وكبراؤهم وأعيانهم في الجزيرة العربيَّة وفي خارجها، ولقَدْ كتب النَّاس عنه كتاباتٍ كثيرةً ما بين موجزٍ وما بين مُطولٍ.

ولقَدْ أفردَه كثيرٌ من النَّاس بكتاباتٍ، حتَّىٰ المستشرقون كتبوا عنه كتاباتٍ كثيرةً، وكتب عنه آخرون في أثناء كتاباتهم عن المصلحين، وفي أثناء كتاباتهم في التَّاريخ، وصفه المنصفون منهم بأنَّه مصلحٌ عظيمٌ، وبأنَّه مُجدِّدٌ للإسلام، وبأنَّه علىٰ هُدًىٰ ونورٍ مِن ربِّه، وتعدادهم يشقُّ كثيرًا.

مِن جملتهم: المُؤلِّف الكبير أبو بكر الشَّيخ حسين بن غنَّام الأحسائي.

فقَدْ كتب عن هذا الشَّيخ، فأجاد وأفاد وذكَر دعوتَه، وذكر سيرتَه، وذكَر غزواته، وأَطْنَب في ذلك، وكتب كثيرًا من رسائله واستنباطاته من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

ومنهم الشَّيخ الإمامُ عُثمان بن بشر في كتابه: «عنوان المجد»، فقَدْ كتب عن هذا الشَّيخ، وعن دعوتِه وعن سيرتِه، وعن تاريخ حياتِه، وعن غزواتِه وجهادِه.

ومنهم خارج الجزيرة الدُّكتور أحمد أمين في كتابه: «زعماء الإصلاح»، فقد كتب عنه وأنصفه.

ومنهم الشَّيخ الكبير مسعود عالم النَّدوي، فقَدْ كتب عنه وسَمَّاه: «المصلح المظلوم» وكتب عن سيرته، وأجاد في ذلك.

وكتب عنه أيضًا آخرون، منهم الشَّيخ الكبير الأمير محمَّد بن إسماعيل الصنعاني.

فقَدْ كان في زمانه، وقَدْ كان علىٰ دعوته، فلمَّا بلغه دعوة الشَّيخ سُرَّ بها، وحمد الله عليها.

وكذلك كتب عنه العَلَّامة الكبير الشَّيخ محمَّد بن علي الشوكاني صاحب «نيل الأوطار» ورثاه بمرثيَّةٍ عظيمةٍ، وكتب عنه جمعٌ غفيرٌ غير هؤلاء يعرفهم

القُرَّاء والعلماء.

ولأجل كون كثيرٍ من النَّاس قَدْ يَخْفىٰ عليه حال هذا الإمام وسيرته ودعوته، رأيت أن أُسْهِم في بيان حاله، وما كان عليه من سيرةٍ حسنةٍ، ودعوةٍ صالحةٍ، وجهادٍ صادقٍ، وأن أشرح قليلًا مِمَّا أعرفه عن هذا الإمام حتَّىٰ يَتبصَّر في أمره مَنْ كان عنده شيءٌ من لبسٍ، أو شيءٌ من شكٍّ في حاله ودعوته، وما كان عليه.

وُلِدَ هذا الإمام في عام (١١١٥) هجرية؛ هذا هو المشهور في مولده - رحمة الله عليه -، وقيل في عام (١١١١) هجرية، والمعروف الأوَّل أنَّه وُلِدَ في عام (١١١٥) هجرية، علىٰ صاحبها أفضل الصَّلاة وأكمل التَّحيَّة.

وتَعلَّم علىٰ أبيه في بلدة العيينة، وهذه البلدة هي مسقط رأسه - رحمة الله عليه - وهي قريةٌ معلومةٌ في اليمامة في نجد شمال غرب مدينة الرِّياض، بينها وبين الرِّياض مسيرة سبعين كيلو مترًا تقريبًا، أو ما يقارب ذلك مِن جهة الغرب.

وُلِدَ فيها - رحمة الله عليه - ونشأ نشأةً صالحةً، وقرأ القرآن مبكِّرًا، واجتهد في الدِّراسة، والتَّفقُّه علىٰ أبيه الشَّيخ عبد الوهَّاب بن سليمان - وكان فقيهًا كبيرًا وعالمًا قديرًا، وكان قاضيًا في بلدة العيينة - ثمَّ بعد بلوغ الحُلُم، حَجَّ وقَصَد بيت الله الحرام، وأَخَذ عن بعض علماء الحرم الشَّريف.

ثمَّ تَوجَّه إلىٰ المدينة - علىٰ ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام - فاجتمع بعلمائها، وأقام فيها مُدَّةً، وأَخَذَ من عالمين كبيرين مشهورين في المدينة ذلك الوقت.

وهما: الشَّيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النَّجدي، أصله من المجمعة، وهو والد الشَّيخ إبراهيم بن عبد الله صاحب «العذب الفائض في علم الفرائض»، وأَخَذ أيضًا عن الشَّيخ الكبير محمَّد حياة السِّندي بالمدينة.

هذان العالمان مِمَّنْ اشتهر أخذ الشَّيخ عنهما بالمدينة، ولعلَّه أخذ عن غيرهما مِمَّنْ لا نعرف.

ورحل الشَّيخ لطلب العلم إلىٰ العراق، فقصد البصرة، واجتمع بعلمائها، وأَخَذ عنهم ما شاء الله من العلم.

وأظهر الدَّعوة هناك إلىٰ توحيد الله، ودعا النَّاس إلىٰ السُّنَّة، وأظهر للنَّاس أنَّ الواجب علىٰ جميع المسلمين أنْ يأخذُوا دينَهم عن كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، وناقش وذاكر في ذلك، وناظر هنالك من العلماء، واشتهر من مشايخه هناك شخصٌ يُقَال له: الشَّيخ محمَّد المجموعي.

وقَدْ ثار عليه بعض علماء السُّوء بالبصرة، وحصل عليه وعلىٰ شيخه المذكور بعض الأذىٰ، فخرج من أجل ذلك، وكان من نِيَّته أن يقصد الشَّام، فلم يقدر علىٰ ذلك لعدم وجود النَّفقة الكافية، فخرج من البصرة إلىٰ الزُّبير، وتَوجَّه من الزُّبير إلىٰ الأحساء واجتمع بعلمائها، وذاكرهم في أشياء من أصول الدِّين.

ثمَّ تَوجَّه إلىٰ بلاد حريملاء، وذلك - والله أعلم - في العقد الخامس من القرن الثَّاني عشر؛ لأنَّ أباه كان قاضيًا في العيينة، وصار بينه وبين أميرها نزاعٌ، فانتقل عنها إلىٰ حريملاء سنة (١١٣٩) هجريَّة.

فقدم الشَّيخ مُحمَّدٌ علىٰ أبيه في حريملاء بعد انتقاله إليها سنة (١١٣٩) هجرية؛ فيكون قدومه حريملاء في عام (١١٤٠) أو بعدها، واستقرَّ هناك، ولم يزل مشتغلًا بالعلم والتَّعليم والدَّعوة في حريملاء حتَّىٰ مات والده في عام (١١٥٣) هجرية، فحصل من بعض أهل حريملاء شرٌّ عليه، وهَمَّ بعض السَّفِلة بها أنْ يفتك به.

وقيل: إنَّ بعضهم تَسوَّر عليه الجدار، فعلم بهم بعض النَّاس فهربوا. وبعد ذلك ارتحل الشَّيخ إلىٰ العيينة رحمة الله عليه، وأسباب غضب هؤلاء السّفلة عليه أنَّه كان آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر.

وكان يحثُّ الأمراء علىٰ تعزير المجرمين الَّذين يعتدون علىٰ النَّاس بالسَّلب والنَّهْب والإيذاء، ومِن جملتهم هؤلاء السفلة الَّذين يقال لهم: العبيد هناك، ولمَّا عرفوا من الشَّيخ أنَّه ضِدّهم، وأنَّه لا يرضىٰ بأفعالهم، وأنَّه يُحرِّض الأمراء علىٰ عقوباتهم، والحدِّ من شَرِّهم؛ غضبوا وهَمُّوا أن يفتكوا به، فصانه الله وحماه.

ثمَّ انتقل إلىٰ بلدة العيينة وأميرها إذ ذاك عثمان بن محمَّد بن معمر، فنزل عليه ورَحَّبَ به الأمير، وقال: قُمْ بالدَّعوة إلىٰ الله ونحن معك وناصروك، وأظهر له الخير والمحبَّة والموافقة علىٰ ما هو عليه.

فاشتغل الشَّيخ بالتَّعليم والإرشاد والدَّعْوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وتوجيه النَّاس إلىٰ الخير، والمحبَّة في الله، رجالهم ونسائهم، واشتهر أمره في العُيينة، وعَظُمَ صيته، وجاء إليه النَّاس مِن القُرىٰ المجاورة.

وفي يومٍ من الأيَّام قال الشَّيخ للأمير عثمان: دعنا نهدم قبة زيد بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ فإنَّها أُسِّسَتْ علىٰ غير هُدىٰ، وإنَّ الله جَلَّوَعَلَا لا يرضىٰ بهذا العمل، والرَّسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نهىٰ عن البناء علىٰ القُبور، واتِّخاذ المساجد عليها.

وهذه القبَّة فتنت النَّاس، وغَيَّرت العقائد، وحصل بها الشِّرْك، فيجب هدمها، فقال الأمير عُثمان: لا مانع من ذلك.

فقال الشَّيخ: إنِّي أخشىٰ أن يثور لها أهل الجبيلة.

والجبيلة قريةٌ هناك قريبةٌ من القبر.

فخرج عثمان ومعه جيشٌ يبلغون (٦٠٠) مقاتلٍ لهدم القُبَّة، ومعهم الشَّيخ - رحمة الله عليه - فلمَّا قربوا من القبَّة، خرج أهلُ الجبيلة لمَّا سمعوا بذلك لينصروها ويحموها، فلمَّا رأوا الأمير عثمان ومَنْ معه كفوا ورجعوا عن ذلك، فباشر الشَّيخ هدمها وإزالتها، فأزالها الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ يديه رحمة الله عليه.

ولنذكر نبذةً عن حال نجد قبل قيام الشَّيخ - رحمة الله عليه -، وعن أسباب قيامه، ودعوته:

كان أهل نجد قبل دعوة الشَّيخ علىٰ حالةٍ لا يرضاها مؤمنٌ، وكان الشِّرك الأكبر قَدْ نشأ في نجدٍ وانتشر حتَّىٰ عُبدت القباب، وعُبدت الأشجار، والأحجار، وعُبدت الغيران، وعُبد مَنْ يُدْعىٰ بالولاية وهو مِن المعتوهين، وعُبد مِن دون الله أناسٌ يُدْعون بالولاية، وهم مجانين مجاذيب لا عقول عندهم.

واشتهر في نجد السَّحَرة والكَهَنة، وسؤالهم وتصديقهم، وليس هناك منكِرٌ إلَّا مَنْ شاء الله، وغلب علىٰ النَّاس الإقبال علىٰ الدُّنيا وشهواتها، وقلَّ القائم لله والنَّاصر لدينه، وهكذا في الحَرَمين الشَّريفين، وفي اليمن، اشتهر في ذلك الشِّرْك وبناء القباب علىٰ القبور، ودعاء الأولياء والاستغاثة بهم، وفي اليمن من ذلك الشَّيء الكثير، وفي بلدان نجد من ذلك ما لا يُحْصىٰ، ما بين قبرٍ وما بين غارٍ، وبين شجرةٍ، وبين مجذوبٍ ومجنونٍ؛ يُدْعىٰ من دون الله، ويُسْتَغاث به مع الله.

وكذلك مِمَّا عرف في نجد واشتهر: دعاء الجنِّ والاستغاثة بهم، وذبح الذَّبائح لهم، وجعلها في الزَّوايا من البُيُوت رجاءَ نجدتهم، وخوف شَرِّهم، فلمَّا رأىٰ الشَّيخُ الإمامُ هذا الشِّرك وظهوره في النَّاس وعدمَ وجود منكِرٍ لذلك، وقائمٍ بالدَّعوة إلىٰ الله في ذلك، شمَّر عن ساعد الجدِّ، وصبر علىٰ الدَّعوة، وعرف أنَّه

لابدَّ من جهادٍ، وصبرٍ، وتحمُّلٍ للأذىٰ.

فجدَّ في التَّعليم والتَّوجيه والإرشاد وهو في العُيينة، وفي مكاتبة العلماء في ذلك والمذاكرة معهم رجاء أنْ يقومُوا معه في نُصرة دين الله، والمجاهدة في هذا الشِّرْك وهذه الخرافات.

فأجاب دعوتَه كثيرون مِن علماء نجدٍ، وعلماء الحرمين، وعلماء اليمن، وغيرهم، وكتبوا إليه بالموافقة، وخالف آخرون، وعابوا ما دعا إليه، وذمُّوه ونفروا عنه، وهم بين أمرَين، ما بين جاهلٍ خرافيٍّ لا يعرف دين الله، ولا يعرف توحيد الله، وإنَّما يعرف ما هو عليه وآباؤه وأجدادُه من الجهل، والضَّلال، والشِّرك، والبدع، والخرافات، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا عن أمثال أولئك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وطائفةٌ أخرىٰ مِمَّنْ يُنْسَبون إلىٰ العلم رَدُّوا عليه عنادًا وحسدًا لئلَّا يقول العامَّة: ما بالكم لم تنكروا علينا هذا الشَّيء؟! لماذا جاء ابن عبد الوَهَّاب وصار علىٰ الحقِّ وأنتم علماء ولم تنكروا هذا الباطل؟!

فحسدوه وخجلوا من العامَّة، وأظهروا العناد للحقِّ إيثارًا للعاجل علىٰ الآجل، واقتداءً باليهود في إيثارهم الدُّنيا علىٰ الآخرة، نسأل الله العافية والسَّلامة.

أمَّا الشَّيخ فقَدْ صبر وجَدَّ في الدَّعوة، وشَجَّعه مَنْ شَجَّعه من العلماء والأعيان في داخل الجزيرة، وفي خارجها، وعزم علىٰ ذلك، واستعان بربِّه عَزَّوَجَلَّ، وعكف علىٰ الكتب النَّافعة ودرسها، وعكف قبل ذلك علىٰ كتاب الله، وكانت له اليد الطُّولَىٰ في تفسير كتاب الله، والاستنباط منه، وعَكَف علىٰ سيرة الرَّسُول ﷺ وسيرة أصحابه، وَجَدَّ في ذلك وتَبَصَّر فيه، حتَّىٰ أدركَ مِن ذلك ما

أعانَه الله به وثَبَّته علىٰ الحقِّ، فَشَمَّر عن ساعد الجدِّ، وصَمَّم علىٰ الدَّعوة وعلىٰ أنْ ينشرَها بين النَّاس، ويُكاتب الأمراء والعلماء في ذلك، وليكن في ذلك ما يكون، فحَقَّق اللهُ له الآمال الطَّيِّبة، ونشر به الدَّعوة، وأَيَّد به الحقَّ، وهَيَّأ اللهُ له أنصارًا ومساعدين وأعوانًا حتَّىٰ ظهر دين الله، وَعَلَتْ كلمةُ الله.

فاستمرَّ الشَّيخ في الدَّعوة في العيينة بالتَّعليم والإرشاد، ثمَّ شمَّر عن ساعد الجدِّ إلىٰ العمل وإزالة الشِّرك بالفعل لمَّا رأىٰ الدَّعوة لم تُؤثِّر في بعض النَّاس، فباشر الدَّعوة عمليًّا ليزيل بيده ما تَيسَّر وما أمكن من آثار الشِّرك.

فقال الشَّيخ للأمير عثمان بن معمر: لا بدَّ من هدم هذه القُبَّة الَّتي علىٰ قبر زيد - وزيد بن الخطَّاب رضي الله عنه هو أخو عمر بن الخطَّاب أمير المؤمنين، رضي الله تعالىٰ عن الجميع.

وكان مِن جملة الشُّهداء في قتال مُسيلمة الكذَّاب في عام (١٢) من الهجرة النَّبويَّة، فكان مِمَّنْ قُتِل هناك، وبُنِيَ علىٰ قبره قُبَّة فيما يذكرون، وقَدْ يكون قبر غيره، لكنَّه فيما يذكرون أنَّه قبره؛ فوافقه عثمان كما تَقدَّم، وهُدمت القُبَّةُ - بحمد الله - وزال أثرها إلىٰ اليوم، ولله الحمد والمنَّة، أماتها - جَلَّ وَعَلَا - لمَّا هُدِمَتْ عن نِيَّةٍ صالحةٍ، وقصدٍ مستقيمٍ، ونصرٍ للحقِّ.

وهناك قبورٌ أخرىٰ، منها قبرٌ يُقَال إنَّه قبر ضرار بن الأزور؛ كانت عليه قُبَّةٌ هُدِمتْ أيضًا، وهناك مشاهدُ أخرىٰ أزالها الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت هناك غيران وأشجار تُعبَد من دون الله جَلَّ وَعَلَا فأزيلت وقضي عليها، وحذر النَّاس عنها.

والمقصود: أنَّ الشَّيخ - رحمة الله عليه - استمرَّ علىٰ الدَّعوة قولًا وعملًا كما تقدَّم. ثمَّ إنَّ الشَّيخ أتته امرأةٌ واعترفتْ عنده بالزِّنا عِدَّة مَرَّاتٍ، وسأل عن

عقلها، فقيل: إنَّها عاقلةٌ ولا بأس بها، فلمَّا صَمَّمت علىٰ الاعتراف، ولم ترجع عن اعترافها، ولم تَدَّع إكراهًا ولا شبهةً، وكانت مُحصنةً؛ أمَر الشَّيخ - رحمة الله عليه - بأن تُرْجم، فرُجمتْ بأمره حالةَ كونه قاضيًا بالعُيينة.

فاشتهر أمره بعد ذلك بهدم القبة، وبرجم المرأة، وبالدَّعوة العظيمة إلىٰ الله، وهجرة المهاجرين إلىٰ العيينة، وبلغ أمير الإحساء وتوابعها من بني خالد سليمان بن عريعر الخالدي أمر الشَّيخ، وأنَّه يدعو إلىٰ الله، وأنَّه يهدم القباب، وأنَّه يقيم الحدود، فعظم علىٰ هذا البدوي أَمْرُ الشَّيخ؛ لأنَّ من عادة البادية - إلَّا مَنْ هدىٰ الله - الإقدام علىٰ الظُّلْم، وسفك الدِّماء، ونَهْب الأموال، وانْتِهاك الحُرُمات، فخاف أنَّ هذا الشَّيخ يعظم أمره، ويزيل سلطان الأمير البدوي، فكتب إلىٰ عثمان يَتوعَّده ويأمره أن يقتل هذا المطوع الَّذي عنده في العيينة.

وقال: إنَّ المطوع الَّذي عندكم بلغنا عنه كذا، وكذا! فإمَّا أن تقتله، وإمَّا أن نقطع عنك خَرَاجك الَّذي عندنا! - وكان عنده للأمير عثمان خَرَاجٌ من الذَّهَب -، فعظم علىٰ عثمان أمر هذا الأمير، وخاف إنْ عصاه أن يقطع عنه خَرَاجه أو يحاربه.

فقال للشَّيخ: إنَّ هذا الأمير كتب إلينا كذا وكذا، وأنَّه لا يحسن مِنَّا أن نقتلك، وإنَّا نخاف هذا الأمير ولا نستطيع محاربته، فإذا رأيت أن تخرج عنَّا فعلتَ؟

فقال له الشَّيخ: إنَّ الَّذي أدعو إليه هو دين الله، وتحقيق كلمة لا إله إلَّا الله، وتحقيق شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله، فمَنْ تَمسَّك بهذا الدِّين ونصره وصدق في ذلك؛ نصره الله وأيَّده ووَلَّاه علىٰ بلاد أعدائه، فإن صبرتَ واستقمتَ وقبلتَ هذا الخير فأبشر، فسينصرك الله ويحميك من هذا البدويِّ وغيره، وسوف يُولِّيك الله بلاده وعشيرته.

فقال: أيُّها الشَّيخ، إنَّا لا نستطيع محاربته، ولا صبر لنا علىٰ مخالفته، فخرج الشَّيخ عند ذلك، وتَحوَّل من العيينة إلىٰ بلاد الدَّرعيَّة، جاء إليها ماشيًا فيما ذكروا حتَّىٰ وصل إليها في آخر النَّهار.

وقَدْ خرج من العيينة في أوَّل النَّهار ماشيًا علىٰ الأقدام، لم يرحله عثمان، فدخل علىٰ شخصٍ من خيارها في أعلىٰ البلد، يُقَال له: محمد بن سويلم العريني، فنزل عليه، ويقال: إنَّ هذا الرَّجل خاف من نزوله عليه، وضاقت به الأرض بما رحُبَتْ، وخاف من أمير الدَّرعية محمَّد بن سعود، فَطَمأنه الشَّيخ، وقال له: أبشر بخيرٍ، وهذا الَّذي أدعو النَّاس إليه دين الله، وسوف يظهره الله.

فبلغ محمَّد بن سعود خبر الشَّيخ مُحمَّد، ويقال: إنَّ الَّذي أخبره به زوجته جاء إليها بعض الصَّالحين، وقال لها: أخبري مُحمَّدًا بهذا الرَّجل، وشَجِّعيه علىٰ قَبُول دعوته، وحَرِّضيه علىٰ مؤازرته ومساعدته، وكانت امرأةً صالحةً طَيِّبَةً، فلمَّا دخل عليها محمَّد بن سعود أمير الدَّرعيَّة وملحقاتها، قالت له: أَبْشِرْ بهذه الغنيمة العظيمة! هذه غنيمةٌ ساقَها اللهُ إليك، رجلٌ داعيةٌ يدعو إلىٰ دين الله، ويدعو إلىٰ كتاب الله، يدعو إلىٰ سُنَّة رسول الله ﷺ، يا لها من غنيمةٍ! بادر بقَبوله، وبادر بنُصرته، ولا تقف في ذلك أبدًا، فقبل الأمير مشورتها، ثمَّ تَردَّد هل يذهب إليه أو يدعوه إليه؟! فأشير عليه.

ويقال: إنَّ المرأة أيضًا هي الَّتي أشارت عليه مع جماعةٍ من الصَّالحين، وقالوا له: لا ينبغي أنْ تدعوَه إليك، بل ينبغي أن تقصدَه في منزلِه، وأن تقصدَه أنت، وأن تعظِّم العلم والدَّاعي إلىٰ الخير، فأجاب إلىٰ ذلك لمَّا كتب الله له من السَّعادة والخير، رحمة الله عليه، وأكرم الله مثواه.

فذهب إلىٰ الشَّيخ في بيت محمَّد بن سويلم، وَقَصَده وسَلَّم عليه، وتَحدَّث معه، وقال له: يا شيخ مُحمَّد، أبشر بالنُّصرة، وأبشر بالأمن، وأبشر بالمساعدة.

فقال له الشَّيخ: وأنت أَبْشِر بالنُّصْرة أيضًا والتَّمْكين والعاقبة الحميدة، هذا دينُ الله، مَنْ نَصَره - نَصَره الله، ومَنْ أَيَّده - أَيَّده الله، وسوف تجد آثار ذلك سريعًا.

فقال: يا شيخ سأبايعك علىٰ دين الله ورسوله، وعلىٰ الجهاد في سبيل الله، ولكنَّني أخشىٰ إذا أَيَّدناك ونصرناك وأظهرك الله علىٰ أعداء الإسلام، أن تبتغي غير أرضنا، وأن تنتقل عَنَّا إلىٰ أرضٍ أخرىٰ. فقال: لا أبايعك علىٰ هذا، أبايعك علىٰ أنَّ الدَّم بالدَّم، والهدم بالهدم، لا أخرج من بلادك أبدًا، فبايعه علىٰ النُّصْرة وعلىٰ البقاء في البلد، وأنَّه يبقىٰ عند الأمير يساعده، ويجاهد معه في سبيل الله حتَّىٰ يظهر دين الله، وتَمَّت البيعة علىٰ ذلك.

وتوافد النَّاس إلىٰ الدَّرعيَّة مِن كلِّ مكانٍ؛ من العيينة، وعرقة، ومنفوحة، والرِّياض وغير ذلك من البلدان المجاورة، ولم تزل الدَّرعيَّة موضع هجرةٍ يهاجر إليها النَّاس مِن كلِّ مكانٍ، وتسامع النَّاس بأخبار الشَّيخ ودروسه في الدَّرعيَّة، ودعوته إلىٰ الله، وإرشاده إليه، فأتوا زرافاتٍ ووحدانًا.

فأقام الشَّيخ بالدَّرعيَّة معظَّمًا مؤيَّدًا محبوبًا منصورًا، ورتَّب الدُّروس في الدَّرعيَّة في العقائد، وفي القرآن الكريم، وفي التَّفسير، وفي الفقه، وأصوله، والحديث، ومصطلحه، والعلوم العربيَّة والتَّاريخيَّة، وغير ذلك من العلوم النَّافعة.

وتوافد النَّاس عليه من كلِّ مكانٍ، وتَعلَّم النَّاس عليه في الدَّرعيَّة؛ الشَّباب وغيرهم، ورَتَّب للنَّاس دروسًا كثيرةً للعامَّة والخاصَّة، ونشر العلم في الدَّرعيَّة، واستمرَّ علىٰ الدَّعوة.

ثمَّ بدأ بالجهاد، وكَاتَب النَّاس إلىٰ الدُّخول في هذا الميدان، وإزالة الشِّرك الَّذي في بلادهم، وبدأ بأهل نجد، وكاتَبَ أمراءها وعلماءها.

كَاتَب علماء الرِّياض وأميرها دهام بن دواس، كَاتَب علماء الخرج وأمراءها، وعلماء بلاد الجنوب والقصيم وحائل والوشم وسدير وغير ذلك، ولم يزل يكاتبهم ويكاتب علماءهم وأمراءهم، وهكذا علماء الأحساء وعلماء الحَرَمين الشَّريفين، وهكذا علماء الخارج في مصر، والشَّام، والعراق، والهند، واليمن وغير ذلك.

ولم يزل يكاتب النَّاس ويُقِيم الحُجَج، ويُذكِّر النَّاس ما وقع فيه أكثر الخَلْق من الشِّرك والبدع، وليس معنىٰ هذا أنَّه ليس هناك أنصارٌ للدِّين، بل هناك أنصارٌ، والله جَلَّ وَعَلَا قَدْ ضمن لهذا الدِّين أن لا بدَّ له من ناصرٍ، ولا تزال طائفةٌ في هذه الأُمَّة علىٰ الحقِّ منصورة كما قال النَّبيُّ - عليه الصَّلاة والسَّلام -، فهناك أنصارٌ للحقِّ في أقطارٍ كثيرةٍ.

ولكنَّ الحديث الآن عن نجد، فكان فيها من الشَّرِّ والفساد والشِّرك والخرافات ما لا يحصيه إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ، مع أنَّ فيها علماءَ فيهم خيرٌ، ولكن لم يُقدَّر لهم أن ينشطوا في الدَّعوة وأن يقوموا بها كما ينبغي، وهناك أيضًا في اليمن وغير اليمن دعاةٌ إلىٰ الحقِّ وأنصارٌ قَدْ عرفوا هذا الشِّرك وهذه الخرافات، ولكن لم يُقدِّر الله لدعوتهم من النجَّاح ما قَدَّر لدعوة الشَّيخ مُحمَّدٍ لأسبابٍ كثيرةٍ:

منها: عدم تَيسُّر النَّاصر المساعد لهم.

ومنها: عدم الصَّبر لكثيرٍ من الدُّعاة، وتَحمُّل الأذىٰ في سبيل الله.

ومنها: قلَّة علوم بعض الدُّعاة الَّتي يستطيع بها أنْ يُوجِّهَ النَّاس بالأساليب

المناسبة، والعبارات اللَّائقة، والحكمة والموعظة الحسنة.

ومنها: أسبابٌ أخرىٰ غير هذه الأسباب، وبسبب هذه المكاتبات الكثيرة والرَّسائل والجهاد اشتهر أمر الشَّيخ، وظهر أمْرُ الدَّعوة، واتَّصَلتْ رسائلُه بالعلماء في داخل الجزيرة، وفي خارجها.

وتأثَّر بدعوته جمعٌ غفيرٌ من النَّاس في الهندِ وفي إندونيسيا، وفي أفغانستان، وفي إفريقيا وفي المغرب، وهكذا في مصر، والشَّام، والعراق، وكان هناك دعاةٌ كثيرون عندهم معرفةٌ بالحقِّ والدَّعوة إليه، فلمَّا بَلغَتْهم دعوة الشَّيخ، زاد نشاطهم، وزادت قُوَّتهم، واشتهروا بالدَّعوة.

ولم تزل دعوة الشَّيخ تشتهر وتظهر بين العالم الإسلاميِّ وغيره، ثمَّ في هذا العصر الأخير طُبِعَتْ كُتُبه، ورسائله، وكُتُب أبنائه، وأحفاده، وأنصاره، وأعوانه من علماء المسلمين في الجزيرة وخارجها.

وكذلك طُبِعَتِ الكُتُب المُؤلَّفة في دعوته، وترجمته، وأحواله، وأحوال أنصاره، حتَّىٰ اشتهرت بين النَّاس في غالب الأقطار والأمصار، ومن المعلوم أنَّ لكلِّ نعمةٍ حاسدًا، وأنَّ لكلِّ داعٍ أعداء كثيرين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فلمَّا اشتهر الشَّيخ بالدَّعوة وكتب الكتابات الكثيرة، وألَّف المُؤلَّفات القَيِّمة، ونَشَرها في النَّاس، وكاتبه العلماء، ظهر جماعةٌ كثيرون من حُسَّاده، ومن مخالفيه، وظهر أيضًا أعداء آخرون، وصار أعداؤه وخصومه قسمين:

قسم: عَادَوْه باسم العلم والدِّين.

وقسم: عَادَوْه باسم السِّياسة، ولكن تَستَّروا بالعلم، وتَستَّروا باسم الدِّين، وَاسْتَغلُّوا عداوة مَنْ عاداه من العلماء الَّذين أظهروا عداوته، وقالوا: إنَّه علىٰ غير الحقِّ، وإنَّه كَيت وكَيت.

والشَّيخ - رحمة الله عليه - مُستمرٌّ في الدَّعوة، يُزِيل الشُّبَه، ويُوضِّح الدَّليل، ويرشد النَّاس إلىٰ الحقائق علىٰ ما هي عليه من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

وطورًا يقولون: إنَّه من الخوارج، وتارةً يقولون: يخرق الإجماع، ويَدَّعي الاجتهاد المطلق، ولا يبالي بمَنْ قبله من العلماء والفقهاء، وتارةً يَرْمونه بأشياء أخرىٰ، وما ذاك إلَّا من قِلَّة العلم من طائفةٍ منهم، وطائفةٌ أخرىٰ قَلَّدت غيرها واعتمدتْ عليها، وطائفةٌ أخرىٰ خافت علىٰ مراكزها، فَعادَتْه سياسةً، وتَستَّرت باسم الإسلام والدِّين، واعتمدت علىٰ أقوال المُخرِّفين والمُضلِّلين.

والخصومُ في الحقيقةِ ثلاثةُ أقسامٍ:

علماء مُخرِّفون يَرَوْن الحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا، ويعتقدون أنَّ البناء علىٰ القبور، واتِّخاذ المساجد عليها، ودعاءها من دون الله والاستغاثة بها وما أشبه ذلك دينٌ وهدًىٰ.

ويعتقدون أنَّ مَنْ أنكر ذلك فَقَدْ أبغض الصَّالحين، وأبغض الأولياء، وهو عدوٌّ يجب جهادُه.

وقسم آخر: من المنسوبين للعلم جهلوا حقيقةَ هذا الرَّجل، ولم يعرفوا عنه الحقَّ الَّذي دعا إليه، بل قَلَّدوا غيرَهم، وصَدَّقوا ما قيل فيه من الخُرافيِّين المُضلِّلين، وظَنُّوا أنَّهم علىٰ هُدًىٰ فيما نَسبُوه إليه مِن بُغض الأولياءِ والأنبياءِ، ومن معاداتهم، وإنكار كراماتهم، فَذمُّوا الشَّيخ، وعابُوا دعوتَه ونفرُوا عنه.

وقسم آخر: خافوا على المناصب والمراتب، فعادَوْه لئلَّا تمتدَّ أيادي أنصار الدَّعوة الإسلاميَّة إليهم فتنزلهم عن مراكزهم، وتستولي على بلادهم، وَاسْتَمَرَّت الحرب الكلاميَّة، والمجادلات والمساجلات بين الشَّيخ وخصومه، يكاتبهم ويكاتبونه، ويجادلهم ويردُّ عليهم، ويَرُدُّون عليه.

وهكذا جرى بين أبنائه وأحفاده وأنصاره، وبين خصوم الدَّعوة، حتَّى اجتمع من ذلك رسائلُ كثيرةٌ، وردودٌ جَمَّةٌ.

وقَدْ جُمِعَتْ هذه الرَّسائل والفتاوى والرُّدود فبلغت مجلَّداتٍ، وقَدْ طبع أكثرها، والحمد لله.

واستمرَّ الشَّيخ في الدَّعوة والجهاد، وساعده الأمير محمد بن سعود أمير الدَّرعيَّة، وجد الأسرة السَّعوديَّة على ذلك، ورفعت راية الجهاد، وبدأ الجهاد من عام (١١٥٨ هـ).

بدأ الجهاد بالسَّيْف، وبالكلام والبيان، والحُجَّة والبرهان، ثمَّ اسْتَمَرَّت الدَّعوة مع الجهاد بالسَّيف، ومعلومٌ أنَّ الدَّاعيَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ إذا لم يكن لديه قُوَّةٌ تنصر الحقَّ وتنفذه، فسرعان ما تخبو دعوته، وتنطفئ شُهرته، ثمَّ يقلُّ أنصارُه.

ومعلومٌ ما للسِّلاح والقُوَّة من الأثر العظيم في نَشْر الدَّعوة، وقَمْع المعارضين، ونصر الحقِّ، وقمع الباطل، ولقَدْ صدق الله العظيم في قوله عَزَّوَجَلَّ وهو الصَّادق سبحانه في كلِّ ما يقول: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

فبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّه أرسل الرُّسل بالبيِّنات، وهي الحُجَج والبراهين السَّاطعة

الَّتي يُوضِّح الله بها الحقَّ، ويدفع بها الباطل، وأنزل مع الرُّسُل الكتاب الَّذي فيه البيان، والهدىٰ والإيضاح، وأنزل معهم الميزان، وهو العدلُ الَّذي ينصف به المظلوم من الظَّالم، ويُقَام به الحقُّ، ويُنشَر به الهدىٰ، ويعامل النَّاس علىٰ ضوئه بالحقِّ والقسط، وأنزل الحديد فيه بأسٌ شديدٌ، فيه قُوَّةٌ ورَدْعٌ وزجرٌ لِمَنْ خالف الحقَّ، فالحديد لِمَنْ لم تنفع فيه الحُجَّة وتُؤثِّر فيه البَيِّنة، فهو الملزم بالحقِّ، وهو القامع للباطل.

ولقَدْ أحسنَ مَنْ قال في مِثْل هذا:

وَمَا هُوَ إِلَّا الوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهفٍ ... تُزِيلُ ظِبَاهُ أَخْدَعَي كُلِّ مَائِلِ
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ ... وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَادِلِ

فالعاقلُ ذو الفِطرةِ السَّليمة، يَنتفعُ بالبَيِّنةِ، ويقبلُ الحقَّ بدليلِهِ، أمَّا الظَّالم التَّابع لهواه فلا يردعه إلَّا السَّيف، فجَدَّ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدَّعوة والجهاد، وساعدَه أنصارُه من آل سعودٍ - طَيَّب اللهُ ثراهم علىٰ ذلك - واسْتَمرُّوا في الجهاد والدَّعوة مِن عام (١١٥٨ هـ) إلىٰ أنْ تُوفِّيَ الشَّيخُ في عام (١٢٠٦هـ).

فَاسْتمرَّ في الجهادِ والدَّعوة قريبًا من خمسينَ عامًا، جهادٌ، ودعوةٌ، ونضالٌ، وجدالٌ في الحقِّ، وإيضاحٌ لما قاله الله ورسولُه، ودعوةٌ إلىٰ دين الله، وإرشادٌ إلىٰ ما شرعه رسولُ الله ﷺ.

حتَّىٰ التزم النَّاس بالطَّاعة، ودخلُوا في دين الله، وهدمُوا ما عندهم مِن القباب، وأزالوا ما لديهم من المساجد المَبنيَّة علىٰ القُبور، وحَكَّموا الشَّريعة، ودانُوا بها، وتركُوا ما كانوا عليه مِن تحكيم سوالف الآباء والأجداد، وقوانينهم، ورجعُوا إلىٰ الحقِّ.

وعَمُرَتِ المساجد بالصَّلوات، وحلقات العلم، وأُدِّيَتِ الزَّكوات، وصام النَّاس رمضان، كما شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأُمِرَ بالمعروف، ونُهِي عن المنكر، وساد الأمن في الأمصار، والقرىٰ، والطُّرُق، والبوادي، ووقف البادية عند حَدِّهم، ودخلوا في دين الله، وقَبِلوا الحقَّ، ونشر الشَّيخ فيهم الدَّعوة.

وأرسل الشَّيخ إليهم المرشدين والدُّعاة في الصَّحَراء والبوادي، كما أرسل المُعلِّمين والمرشدين والقضاة إلىٰ البلدان والقرىٰ، وعمَّ هذا الخير العظيم والهدىٰ المستبين نجدًا كلَّها، وانتشر فيها الحقُّ، وظهر فيها دين الله عَزَّوَجَلَّ.

ثمَّ بعد وفاة الشَّيخ -رحمة الله عليه- استمرَّ أبناؤه وأحفادُه وتلاميذُه وأنصارُه في الدَّعوة والجهاد.

وعلىٰ رأس أبنائه: الشَّيخ الإمام عبد الله بن محمَّد، والشَّيخ حسين بن محمَّد، والشَّيخ عليّ بن محمَّد، والشَّيخ إبراهيم بن محمَّد.

ومن أحفاده: الشَّيخ عبد الرَّحمن بن حسن، والشَّيخ علي بن حسين، والشَّيخ سليمان بن عبد الله بن محمَّد، وجماعةٌ آخرون.

ومن تلاميذه أيضًا: الشَّيخ حمد بن ناصر بن معمر، وجمعٌ غفيرٌ من علماء الدَّرعيَّة، وغيرهم اسْتَمرُّوا في الدَّعوة والجهاد، ونشر دين الله تعالىٰ، وكتابة الرَّسائل، وتأليف المُؤلَّفات، وجهاد أعداء الدِّين، وليس بين هؤلاء الدُّعَاة وخصومهم شيءٌ إلَّا أنَّ هؤلاء دَعَوْا إلىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ والاستقامة علىٰ ذلك، وهدم المساجد والقباب الَّتي علىٰ القُبور، ودَعَوْا إلىٰ تحكيم الشَّريعة والاستقامة عليها، وَدَعَوْا إلىٰ الأمر بالمعروف، والنَّهْي عن المنكر، وإقامة الحدود الشَّرعيَّة. هذه أسباب النِّزاع بينهم وبين النَّاس.

والخلاصة: أنَّهم أرشدوا النَّاس إلىٰ توحيدِ الله، وأمروهم بذلك، وحَذَّروا النَّاس مِن الشِّرك بالله ومِن وسائله وذرائعه، وألزمُوا النَّاس بالشَّريعة الإسلاميَّة، ومَنْ أَبَىٰ واستمرَّ علىٰ الشِّرك بعد الدَّعوة والبيان، والإيضاح والحُجَّة، جاهدوه في الله عَزَّوَجَلَّ وقصدوه في بلاده حتَّىٰ يخضع للحقِّ، ويُنيب إليه أو يلزموه به بالقُوَّة والسَّيْف، حتَّىٰ يخضعَ هو وأهل بلده إلىٰ ذلك.

وكذلك حَذَّروا النَّاس مِن البدع والخُرافات الَّتي ما أَنزلَ الله بها من سُلطانٍ، كالبناءِ علىٰ القُبور، واتِّخاذ القِباب عليها، والتَّحاكُم إلىٰ الطَّواغيت، وسُؤال السَّحَرة والكَهَنة، وتصديقِهم، وغير ذلك، فأزال الله ذلك علىٰ يدي الشَّيخ وأنصاره، رحمة الله عليهم جميعًا.

وعَمُرَتِ المساجد بتدريس الكتاب العظيم والسُّنَّة المُطهَّرة، والتَّاريخ الإسلاميِّ، والعلوم العربيَّة النَّافعة، وصار النَّاس في مذاكرةٍ، وعلمٍ، وهُدىً، ودعوةٍ، وإرشادٍ، وآخرون منهم فيما يَتعلَّق بدنياهم من الزِّراعة والصِّناعة وغير ذلك، علمٌ وعملٌ، ودعوةٌ وإرشادٌ، ودنيا ودينٌ، فهو يَتعلَّم ويذاكر، ومع ذلك يعمل في حقله الزِّراعيِّ، أو في صناعته أو تجارته، وغير ذلك، فتارةً لدينه، وتارةً لدنياه: دعاةٌ إلىٰ الله ومُوَجِّهُون إلىٰ سبيله، ومع ذلك يشتغلون بأنواع الصِّناعة الرَّائجة في بلادهم، ويحصلون من ذلك علىٰ ما يغنيهم عن خارج بلادهم.

وبعد فراغ الدُّعاة وآل سعود من نجدٍ، امتدَّت دعوتهم إلىٰ الحَرَمين، وجنوب الجزيرة، كَاتَبُوا علماء الحَرَمين سابقًا ولاحقًا.

فَلَمَّا لَمْ تُجْدِ الدَّعوة، وَاسْتمرَّ أهلُ الحَرَمين علىٰ ما هُم عليه مِن تعظيم القِباب، واتِّخاذها علىٰ القُبور، ووجود الشِّرك عندها، والسُّؤال لأربابها؛ سار

الإمام سعود بن عبد العزيز بن مُحمَّد بعد وفاة الشَّيخ بإحدىٰ عشرة سنةً مُتوجِّهًا إلىٰ الحجاز، ونَازَل أهل الطَّائف، ثمَّ قصد أهل مكَّة - وكان أهل الطَّائف قَدْ تَوجَّه إليهم قبل سعود الأمير عُثمان بن عبد الرَّحمن المضايفي -، ونازَلهم بقُوَّةٍ أرسلَها إليه الإمام سُعود بن عبد العزيز بن محمَّد أمير الدَّرعيَّة (قوَّة عظيمة من أهل نجد وغيرهم)، ساعدوه حتَّىٰ اسْتَولىٰ علىٰ الطَّائف، وأخرج منها أمراء الشَّريف، وأظهر فيه الدَّعوة إلىٰ الله، وأرشد إلىٰ الحقِّ، ونهىٰ فيها عن الشِّرك، وعبادة ابن عَبَّاسٍ، وغيره مِمَّا كان يعبده هناك الجُهَّال والسُّفَهاء مِن أهل الطَّائف.

ثمَّ تَوجَّه الأميرُ سعود عن أمر أبيه عبد العزيز إلىٰ جهة الحجاز، وَجُمِعَتِ الجيوش حول مَكَّة.

فلمَّا عرف شريفها أنَّه لا بدَّ من التَّسليم أو الفرار، فَرَّ إلىٰ جدَّة، ودخل سعود ومَنْ معه من المسلمين البلاد من غير قتالٍ، وَاسْتَوْلَوا علىٰ مكَّة فجرًا من شهر مُحرَّمٍ من عام (١٢١٨هـ)، وأظهروا فيها الدَّعوة إلىٰ دين الله، وهدموا ما فيها من القباب الَّتي بُنِيَتْ علىٰ قبر خديجة وغيره، فأزالوا القِباب كلَّها، وأظهرُوا فيها الدَّعوة إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وعَيَّنوا فيها العلماء والمُدرِّسين، والمُوجِّهين والمرشدين، والقضاة الحاكمين بالشَّريعة.

ثمَّ بعد مُدَّةٍ وجيزةٍ فُتحت المدينة، واستولىٰ آل سُعود علىٰ المدينة في عام (١٢٢٠هـ) بعد مكَّة بنحو سنتَين، واستمرَّ الحَرَمان في ولاية آل سعود، وعَيَّنوا فيها المُوجِّهين والمُرْشِدين، وأظهروا في البلاد العدل وتحكيم الشَّريعة، والإحسان إلىٰ أهلِها، ولا سيَّما فقراؤهم ومحاويجهم، فأحسنوا إليهم بالأموال، وَوَاسَوْهم، وعَلَّموهم كتاب الله.

وأرشدوهم إلىٰ الخير، وعَظَّموا العلماء، وشَجَّعوهم علىٰ التَّعليم، والإرشاد، ولم يزل الحَرَمان الشَّريفان تحت ولاية آل سعود إلىٰ عام (١٢٢٦هـ)، ثمَّ بدأتْ الجيوش المصريَّة والتُّركيَّة تَتوجَّه إلىٰ الحجاز لقتال آل سعود، وإخراجهم من الحَرَمين لأسبابٍ كثيرةٍ تَقدَّم بعضها.

وهذه الأسباب كما تَقدَّم هي أنَّ أعداءهم، وحُسَّادهم، والمُخرِّفين الَّذين ليس لهم بصيرةٌ، وبعض السِّياسيِّين الَّذين أرادوا إخماد هذه الدَّعوة وخافوا منها أن تُزيل مراكزهم، وأن تقضي علىٰ أطماعهم، كذبوا علىٰ الشَّيخ وأتباعه وأنصاره، وقالوا: إنَّهم يبغضون الرَّسول ﷺ، وإنَّهم يبغضون الأولياء، وينكرون كراماتهم، وقالوا: إنَّهم أيضًا يقولون كَيت وكَيت مِمَّا يزعمون أنَّهم ينتقصون به الرُّسُل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، وصدَّق هذا بعض الجُهَّال، وبعض المغرضين، وجعلوه سُلَّمًا للنَّيْل منهم والقتال لهم، وتشجيع الأتراك والمصريِّين علىٰ حَرْبهم، فجرىٰ ما جرىٰ من الفتن والقتال.

وصار القتال بين الجنود المصريَّة والتُّركيَّة ومَنْ معهم وبين آل سعودٍ في نجد والحجاز سجالًا مُدَّةً طويلةً من عام (١٢٢٦ هـ) إلىٰ عام (١٢٣٣هـ)، سبع سنين كلُّها قتالٌ ونضالٌ بين قوىٰ الحقِّ وقوىٰ الباطل.

والخلاصة: أنَّ هذا الإمام الَّذي هو الشَّيخ محمَّد بن عبد الوَهَّاب - رحمة الله عليه - إنَّما قام لإظهار دين الله، وإرشاد النَّاس إلىٰ توحيدِ الله، وإنكار ما أَدْخَل النَّاس فيه من البدع والخرافات، وقام أيضًا لإلزام النَّاس بالحقِّ، وزجرهم عن الباطل، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

هذه خلاصة دعوته رحمة الله تعالىٰ عليه، وهو في العقيدة علىٰ طريقة

السَّلَف الصَّالح يؤمن بالله، وبأسمائه وصفاته، ويؤمن بملائكته، ورُسُله وكُتُبه، وباليوم الآخر، وبالقَدَر خيرِهِ وشَرِّهِ، وهو علىٰ طريقة أئمَّة الإسلام في توحيد الله، وإخلاص العبادة له جَلَّ وَعَلَا.

في الإيمان بأسماء الله وصفاته علىٰ الوجه اللَّائق بالله سبحانه، لا يُعطِّل صفات الله، ولا يُشبِّه الله بخَلْقه، وفي الإيمان بالبعث والنُّشور، والجزاء والحساب، والجنَّة والنَّار، وغير ذلك.

ويقول في الإيمان ما قاله السَّلَف: إنَّه قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية، كلُّ هذا مِن عقيدتِه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو علىٰ طريقتِهم وعلىٰ عقيدتِهم، قولًا وعملًا، لم يخرج عن طريقتهم ألبتة، وليس له في ذلك مذهبٌ خاصٌّ، ولا طريقةٌ خَاصَّةٌ، بل هو علىٰ طريق السَّلَف الصَّالح من الصَّحَابة وأتباعهم بإحسانٍ، رضي الله عن الجميع.

وإنَّما أظهر ذلك في نجدٍ، وما حولها، ودعا إلىٰ ذلك، ثمَّ جاهد عليه مَنْ أباه وعانده، وقاتلهم، حتَّىٰ ظهر دين الله وانتصر الحقُّ.

وكذلك هو علىٰ ما عليه المسلمون مِن الدَّعوة إلىٰ الله، وإنكار الباطل، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ولكن الشَّيخ وأنصاره يدعون النَّاس إلىٰ الحقِّ، ويلزمونهم به، وينهونهم عن الباطل، وينكرونه عليهم، ويزجرونهم عنه حتَّىٰ يتركوه، وكذلك جدَّ في إنكار البدع والخرافات حتَّىٰ أزالها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بسبب دعوته.

فالأسباب الثَّلاثة المُتقدِّمة آنفًا هي أسباب العداوة والنِّزاع بينه وبين النَّاس، وهي:

أوَّلًا: إنكار الشِّرك والدَّعوة إلىٰ التَّوحيد الخالص.

ثانيًا: إنكار البدع، والخرافات؛ كالبناء علىٰ القُبور واتِّخاذها مساجد، ونحو

ذلك؛ كالموالد والطرق الَّتي أحدثتها طوائفُ المُتصوِّفة.

ثالثًا: أنَّه يأمر النَّاس بالمعروف، ويلزمهم به بالقُوَّة، فمَنْ أَبَىٰ المعروف الَّذي أوجبه الله عليه، أُلْزِمَ به وعُزِّر عليه إذا تركه، وينهىٰ النَّاس عن المنكرات، ويزجرهم عنها، ويقيم حدودها، ويلزم النَّاس بالحقِّ، ويزجرهم عن الباطل.

وبذلك ظهر الحقُّ وانتشر، وكبت الباطل وانقمع، وصار النَّاس في سيرةٍ حسنةٍ، ومنهجٍ قويمٍ في أسواقهم، وفي مساجدهم، وفي سائر أحوالهم، لا تُعْرَف البدع بينهم، ولا يوجد في بلادهم الشِّرك، ولا تظهر المنكرات بينهم، بل مَنْ شاهد بلادهم وشاهد أحوالهم وما هم عليه، ذَكَر حالَ السَّلف الصَّالح وما كانوا عليه زمن النَّبيِّ ﷺ، وزمن أصحابه، وزمن أتباعه بإحسانٍ في القرون المُفضَّلة، رحمة الله عليهم.

فالقوم ساروا سيرتَهم، ونهجوا منهجَهم، وصبرُوا علىٰ ذلك، وَجَدُّوا فيه، وجاهدوا عليه، فلمَّا حصل بعض التَّغْيير في آخر الزَّمان بعد وفاة الشَّيخ مُحمَّد بمُدَّةٍ طويلةٍ، ووفاةِ كثيرٍ من أبنائه - رحمة الله عليهم - وكثيرٍ من أنصاره، حصل بعض التَّغْيير، جاء الابتلاء والامتحان بالدَّولة التُّركيَّة، والدَّولة المصريَّة، مصداق قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يجعلَ ما أصابَهم تكفيرًا وتمحيصًا من الذُّنُوب، ورفعةً وشهادةً لمَنْ قُتِل منهم، رضي الله عنهم ورحمهم.

ولم تزل دعوتهم - بحمد الله - قائمةً منتشرةً إلىٰ يومنا هذا، فإنَّ الجنودَ المصريَّة لَمَّا عاثت في نجدٍ، وقَتَلتْ مَنْ قَتَلتْ، وخرَّبت ما خرَّبت، لم يمضِ

علىٰ ذلك إلَّا سنواتٌ قليلةٌ، ثمَّ قامت الدَّعوة بعد ذلك وانتشرتْ، ونهض بالدَّعوة بعد ذلك بنحو خمس سنين الإمام تركي بن عبد الله بن محمَّد بن سعود - رحمة الله عليه - فنشر الدَّعوة في نجد وما حولها، وانتشر العلماء في نجد، وأخرج مَنْ كان هناك من الأتراك والمِصْريِّين، أخرجهم مِن نجدٍ وقُراها وبلدانها، وانتشرتْ الدَّعوة بعد ذلك في نجد في عام (١٢٤٠هـ).

وكان تخريب الدَّرعية والقضاء علىٰ دولة آل سعود في عام (١٢٣٣هـ)، فمكث النَّاس في نجد في فوضىٰ وقتالٍ وفتنٍ بنحو خمس سنين من (١٢٣٤هـ - ١٢٣٩هـ).

ثمَّ في عام أربعين بعد المئتين وألفٍ، اجتمع شمل المسلمين في نجد علىٰ الإمام تركي بن عبد الله بن محمَّد بن سعود، وظهر الحقُّ، وكتب العلماء الرَّسائل إلىٰ القُرىٰ والبلدان، وشَجَّعوا النَّاس ودَعَوْهم إلىٰ دين الله، وانطفأتْ الفتن الَّتي بينهم بعد الحُروب الطَّويلة الَّتي حصلت علىٰ أيدي المِصْريِّين وأعوانهم، وهكذا انطفأتْ الحروب والفتن الَّتي وقعتْ بينهم علىٰ أثر تلك الحروب، وخمدتْ نارها، وظهر دين الله، واشتغل النَّاس بعد ذلك بالتَّعْليم، والإرشاد، والدَّعوة، والتَّوجيه، حتَّىٰ عادت المياه إلىٰ مجاريها، وعاد النَّاس إلىٰ أحوالهم، وما كانوا عليه في عهد الشَّيخ، وعهد تلامذته، وأبنائه، وأنصاره، رضي الله عن الجميع ورحمهم.

وَاسْتَمرَّت الدَّعوة مِن عام (١٢٤٠هـ) إلىٰ يومنا هذا - بحمد الله -، ولم يزل يخلف آل سعود بعضهم بعضًا، وآل الشَّيخ وعلماء نجد بعضهم بعضًا، فآل سعود يخلف بعضهم بعضًا في الإمامة والدَّعوة إلىٰ الله والجهاد في سبيل الله.

وهكذا العلماء يخلف بعضهم بعضًا في الدَّعوة إلىٰ الله، والإرشاد إليه،

والتَّوجيه إلىٰ الحقِّ.

إلَّا أنَّ الحرمَين بَقِيَا مفصولين عن الدَّولة السَّعوديَّة دهرًا طويلًا، ثمَّ عادَا إليهم في عام (١٣٤٣هـ)، واستولىٰ علىٰ الحَرَمين الشَّريفين الإمام عبد العزيز بن عبد الرَّحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن مُحمَّد بن سعود - رحمة الله عليه - ولم يزالا - بحمد الله - تحت ولاية هذه الدَّولة إلىٰ يومنا هذا، فللَّه الحمد.

ونسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يصلح البقيَّة الباقيةَ من آل سعودٍ، ومن آل الشَّيخ، ومن علماء المسلمين جميعًا في هذه البلاد، وغيرها، وأَنْ يُوفِّقهم جميعًا لما يرضيه، وأن يُصلح علماء المسلمين أينما كانُوا، وأَنْ ينصرَ بالجميع الحقَّ، ويخذل بهم الباطل، وأَنْ يُوفِّقَ دُعاة الهُدىٰ أينما كانوا للقيام بما أوجب الله عليهم، وأَنْ يَهْدِيَنا وإيَّاهم صراطَه المستقيم، وأن يعمر الحَرَمين الشَّريفين، وملحقاتهما، وسائر بلاد المسلمين بالهدىٰ، ودين الحقِّ، وبتعظيم كتاب الله وسُنَّة نَبيِّه ﷺ.

وأنْ يَمُنَّ علىٰ الجميع بالفقه فيهما، والتَّمسُّك بهما، والصَّبر علىٰ ذلك، والثَّبات عليه، والتَّحَاكم إليهما، حتَّىٰ يَلْقَوا رَبَّهم عَزَّوَجَلَّ إنَّه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

وهذا آخر ما تَيسَّر بيانُه، والتَّعريف به من حال الشَّيخ، ودعوته، وأنصاره، وخصومه والله المستعان، وعليه الاتِّكَال، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وصلَّىٰ الله وَسَلَّم وبارك علىٰ عبدِه ورسولِه، نَبِيِّنا وإمامِنا مُحمَّد بن عبدِ الله، وعلىٰ آله وأصحابِه ومَنْ سلَك سبيله، واهتدىٰ بهُداه، والحمد لله ربِّ العالمين.



التَّعليق على الأصول الثلاثة



المتن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْمَسْأَلَةُ الأُولَىٰ: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١ – ٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ.

وَقَالَ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّه يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ

أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ١٥، ١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا تَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ -، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَىٰ يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْه الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

[الأصل الأول: معرفة الرَّبّ]

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧﴾ [فصلت: ٣٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: الإِسْلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ،

وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْ ذلك شَيْئًا لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤] الآية.

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «... وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١].

وَقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] الآية.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

[الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلّة]

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخلوصُ مِنَ الشِّرْكِ.

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

[المرتبة الأولى: الإسلام]:

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

وَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، (لا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ): مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى

عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخرف: ٢٦ - ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التَّوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، وأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِير التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

[المرتبة الثَّانية: الإيمان]:

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، والْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩].

[المرتبة الثَّالثة: الإحسانُ]:

وله رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَرَاكَ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشُّعراء: ٢١٧ - ٢٢٠]، وقولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية.

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَال: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَالْقَدَرِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَاعْلَمْ

أَنَّهُ يَرَاكَ» قال: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». فَمَضَىٰ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ ﷺ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلُ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرَائِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم».

[الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ]:

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِم مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَام، وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُون في النُّبوَّةِ.

نُبِّئَ بـ﴿اقْرَأْ﴾، وأُرْسِلَ بـ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾، وبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدعو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١ - ٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشَرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِين، وَبَعْدَهَا

أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلامِ.

وَهِيَ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبَغَوِيُّ: سببُ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالأَذَانِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، ثم تُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا منه، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ منه الشِّرْكُ بالله، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ الله طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لا نبيَّ بعدَه، والدَّلِيلُ قولُه تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهم نوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْها رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ.

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِه وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



ما يجبُ على المسلم تعلُّمه

المسألة الأولى

العلمُ

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَىٰ: العِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

التعليق:

قَولُه: «**اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ**» أوّلًا كلمة: «اعلَمْ» هو استثارةٌ لانتباه الشَّخْص.

قوله: «**رحِمَك الله**» هذه دعوةٌ مِنَ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.

قوله: «**أَنّه يَجبُ عَلَينا**»؛ أي: نحن المُكلَّفين.

قوله: «**تَعَلُّم أربع مسائل**» هذه المسائل هي المُلخَّصة من سورة العصر، وهي:

أوّلاً: العلم:

والعلم: هو معرفة الله، ومعرفة نَبيِّه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلّة؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول مقسمًا علىٰ ذلك: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢].

أَقْسَم اللهُ علىٰ أنَّ كلَّ إنسانٍ خاسرٌ، ولا يُستثنىٰ من ذلك إلّا مَنِ اسْتَثْناهُمُ الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

الإيمان: هو التَّصْديق[1].

---

(١) انظر لزامًا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٢ فما بعد)؛ ففيه ذِكْر من قال من أهل السُّنَّة: «إن الإيمان في اللغة: التصديق»، وفيه ترجيح شيخ الإسلام.

=

والتَّصْدِيق لا بُدَّ من أن يكون بشيءٍ سَبَق العلمُ به؛ أي: أنَّ الإيمان يقتضي شيئًا يصدق به، وهو التَّصْديق بشيءٍ معلومٍ، وهو ما علمته، فالعلم لا بدَّ أن يكون قبل القول والعمل، إذًا، آمَنُوا بأيِّ شيءٍ؟ آمَنُوا بالله.

أمَّا التَّعريف الشَّرعيُّ للإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة: فهو اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللِّسَان، وعملٌ بالجوارح.

والإيمان بالله يتضمَّن ثلاثة أمور:

أوَّلًا: الإيمان بوجوده ورُبُوبيَّته.

ثانيًا: الإيمان بأُلُوهيَّته.

ثالثًا: الإيمان بأسمائه وصفاته، وكونه هو المنفرد بسياسة هذا الكون.

فالعلم فَسَّره المُؤلِّف بقوله: الأولىٰ: العلم.

العلم: يُقَال له: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني: عَلِموا وصَدَّقوا.

استنبط الشَّيخ من ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ العلم؛ يعني: أنَّهم علمُوا وصَدَّقوا بذلك العلم؛ فالإيمان مستلزمٌ للعلم؛ لأنَّ الإيمان الَّذي هو التَّصْديق لا يكون إلَّا بمعلومٍ.

قوله: «**وهو مَعرفةُ الله**»، كيف تعرف الله؟

الجواب: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ مِن النَّاحية الإجماليَّة تثبتُ بالفِطرة، فكلُّ مخلوقٍ يعلم أنَّ اللهَ خَلَقَه، ومَنْ أنكر ذلك كالمُلحدين، فإنَّه ينكر في الظَّاهر،

=

قال الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُٱللَّهُ: «بمراجعة «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٢) وُجِدَ أن شيخ الإسلام يَرُدُّ علىٰ من يزعم أن الإيمان هو مجرَّد التَّصديق، وأنا لم أقصد هذا، والحمد لله، وإنَّما لَمَّا كان التَّعليق مختصرًا، ويُقصد به ما يفهمه العوام قصدتُ هذا، والآن كتبت تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة، وأنه لا بدَّ فيه من اجتماع تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، وأنه ما لم تجتمع فيه هذه الثَّلاث وإلَّا فلا يكون إيمانًا عند أهل السُّنَّة والجماعة». اهـ.

وهو في باطنه مُستيقنٌ بأنَّ الله هو الَّذي خلقه.

أمَّا معرفةُ الله بالتَّفصيل، فهذا لا يمكن إلَّا مِن طُرُق الرُّسُل الَّذين أرسلهم الله إلىٰ بني آدم.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

إذًا؛ معرفة الله بالتَّفصيل لا يمكن لأحدٍ إلَّا من طريق الرُّسُل - صلوات الله عليهم -، وفي شريعتنا من كتابٍ وسُنَّةٍ قَدْ جاء ما يكفي ويشفي.

بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الَّذي أنزله علىٰ رسوله - صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم - وهو القرآن، بيَّنَ فيه كلَّ شيءٍ، ومِن ضِمن ذلك، وأعظم شيءٍ فيه وأهمُّ المهمات: معرفةُ الله، عرَّفنا اللهُ بنفسِه مِن خِلال آياتِهِ الكونيَّة، وآياتِهِ القرآنيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي عرَّفنا الله فيها بنفسِه.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

إذًا؛ فقَدْ عرَّفنا الله بنفسه بأنَّ له ذاتًا وصفاتٍ، وأنَّه هو الإلهُ الحقُّ الَّذي ينبغي أنْ يُفرَد في العبادة دون ما سواه.

ومن خلال ذلك: عرفنا وجود الله بأنَّه مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خَلْقه، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ.

وعرفنا وحدانيَّته وانفرادَه بالخَلْق والرِّزْق؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١].

وعرفنا بما عرَّفنا به عن نفسه أنَّ له أسماء حسنىٰ، وأنَّ له صفاتٍ عليا؛ عُلوّ ذاتٍ، وعُلوّ قَدْرٍ، وعلوّ قَهْرٍ، فهذه هي معرفةُ الله، نتيجتُها إفرادُه بالعبادة من دعوةٍ وخوفٍ ورجاءٍ وغير ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

ثانيًا: «معرفة نَبيِّه»:

أي: معرفة النَّبيِّ ﷺ بأنَّه رسول الله، أرسله إلىٰ النَّاس جميعًا ليخرجهم من الظُّلُمات إلىٰ النُّور، هذه هي مقتضيات الإيمان الَّتي يؤمن بها المسلم.

ثالثًا: «معرفة دين الإسلام بالأدلَّة»:

أي: بأن تعرف بأنَّ هذا حُكْمُهُ واجبٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُه مُحرَّمٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مُستحَبٌّ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مكروهٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مباحٌ، ودليلُهُ كذا، ولهذا قالوا في أصول الفقه حينما عرَّفوا الفقه: هو معرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلَّتها التَّفصيليَّة.

❁❁❁

المسألة الثانية

العملُ بهذا العلم

الثَّانِيةُ: العَمَلُ بِهِ.

التعليق:

الثَّانية: «**الْعَمَلُ بهِ**»: أي: العمل بهذا الإيمان، وبهذه المعرفة، عرفتَ أنَّ هذا حُكْمُهُ الفرضيَّة ففعلتَه، هذا حكمُهُ التَّحريم فتركتَه واجْتَنبتَه، إلىٰ آخر ما يُقال.

❁❁❁

المسألة الثالثة

الدَّعوة إلى هذا العلم

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

التعليق:

الثَّالثة: «**الدَّعوة إليه**»: أي إذا توفَّر فيك الإيمان والعمل، انتقلتَ إلىٰ الدَّعوة، فأنت تدعو النَّاس إلىٰ ما آمنت به وعلمته لكي يُحرزوا النَّجاة، ولمَّا كانت الدَّعوة تحتاج أوَّلًا إلىٰ حكمةٍ، وثانيًا إلىٰ صبرٍ، قال: «الصَّبر علىٰ الأذىٰ فيه».

❁❁❁

المسألة الرَّابعة

الصَّبر على الأذى في هذا العلم

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «بابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

التعليق:

الرَّابعة: «**الصَّبرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فيهِ**»: الأذىٰ في الله لا بدَّ أن يحصل، ولكن قَدْ يكون الأذىٰ خفيفًا، وقَدْ يكون الأذىٰ شديدًا، لكن يجب عليك أنْ تُواجه ذلك بالصَّبر، ولا تَتضجَّر.

ولهذا أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن قوم تَضجَّروا من الأذىٰ وانتكسوا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

هذا الصَّبر هو مقتضىٰ سورة العصر ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

فلا تكون النَّجاةُ من الخسارة مضمونةً، والفلاحُ مضمونًا إلَّا لمَنِ اتَّصفَ بهذه الصِّفات الأربع.

ولهذا قال الشَّافعيُّ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»[1].

وقال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بابٌ: العلمُ قبل القول والعمل.

والدَّليلُ: قولُه تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]»[2]، وبالله التَّوفيق.

---

(١) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٣)، حيث ذكر عن الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «لو تدبَّر النَّاس هذه السُّورة لكفتهم».

(٢) **انظر**: «صحيح البخاري» (١/ ٢٤، ٢٥).

الثَّلاث المسائل التي بها نعرف حقيقة التَّوحيد

المسألة الأولى

الغاية من الخلق

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ المَسَائِلَ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥، ١٦].

التعليق:

وأقول: إنَّ هذه الثَّلاث المسائل نعرف بها حقيقة التَّوحيد.

فالمسألة الأولىٰ: أنَّ الله خلقَنا ورزَقنا، ولم يتركْنا هَمَلًا؛ أي: لا نُؤمَر ولا نُنهَىٰ، بل أرسل إلينا رسولًا دعانا إلىٰ التَّوحيد، وحذَّرنا مِن العصيان والمخالفة، وحذَّرنا قبل ذلك أن نشرك مع الله أحدًا، فقدْ مَكَث رسولُ الله ﷺ عشر سنواتٍ لا يأمر أحدًا بشيءٍ غير التَّوْحيد.

فعن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عَمرو بن عَبَسة السّلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنتُ وَأَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهم لَيْسُوا عَلَىٰ شَيءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بمَكَّة يخبرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَىٰ رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخفِيًا، جُرَءاءُ عَلَيه قَومُه، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيه بمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ». فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ».

فقلتُ: وبأيّ شيءٍ أرسلكَ؟ قالَ: «أرسلني بصلةِ الأرحامِ، وكسرِ الأوثانِ، وأنْ يُوحّدَ اللهُ لا يُشركُ بهِ شيءٌ»(١).

وعلى هذا: فيجب أن تعلم: أنّ الله لم يخلقنا ويرزقنا لغير حكمة، ولغير غاية مشروعة ومطلوبة؛ إذ إنّ العاقل من المخلوقين يتنزّه أنْ يعمل عملًا لغير حكمة مشروعة في ذلك العمل، فكيف بجبّار السّموات والأرض؟!

إنّ الله خلق هذا الكون: سماءه وأرضه وجباله وبحاره، وما فيه من شمسٍ وقمرٍ وليلٍ ونهارٍ، وخلق العوالم الثّلاثة، كلّ ذلك خلقه لحكمةٍ أرادها، فجعل الملائكة عالمًا كلّه خيرٌ، يأمرهم بما أراد من سياسة هذا الكون.

وقد جعل لكلّ شيءٍ في هذا الكون ملائكةً: ملائكةً للبحار، وملائكةً للرّيح وخزنها وإرسالها، وملائكةً للسّحاب، وملائكةً للجنّة، وملائكةً للنّار، وملائكةً للأرحام، وملائكة الموت، إلى غير ذلك.

وجعل الجنّ والإنس مؤهّلين للخير والشّرّ، والطّاعة والمعصية، ابتلاهم بذلك حكمةً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقهم للعبادة، وسلّط عليهم الشّياطين، وزيّن لهم الدّنيا، فمنهم مَنْ أطاعه، ومنهم مَنْ عصاه، والطّاعة لا تكون طاعةً إلّا إذا كانتْ خالصةً لله، وتابعةً لما بيّنه اللهُ في كتابه، وعلّمه الرّسول ﷺ أمّته.

فالأمم الّتي مضتْ كلّ أمّةٍ لها رسولٌ أرسل إليها، وختم الرّسل بمحمّدٍ ﷺ، أرسله اللهُ إلى هذه الأمّة يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذّرهم من عبادة غيره؛ فمَنْ أطاع هذا الرّسول ﷺ فاز بخيرَي الدّنيا والآخرة، ومَنْ عصاه لقي العذابَ الأليمَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

ولنتأمَّل ما هو السَّبَب في إهلاك الأمم الَّتي هلكتْ؟ أليس عصيانهم لرسلهم؟

نقول: بلىٰ، هو عصيانهم لرسلهم، فما أهلك اللهُ قومَ نوحٍ إلَّا بسبب عصيانهم رسولهم نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وما أهلك الله قوم عاد إلَّا بذلك، وكذلك قوم ثمود؛ أي: قوم صالح، ومن بعدهم من الأمم، فرعون وقومه، ومدين الَّذين أُرسل إليهم شعيبٌ، وقَوم لوطٍ، وكم من أممٍ هلكت ولم نعلم عنها، وما أخبرنا الله إلَّا عن عددٍ قليلٍ من الرُّسُل.

إذا علمْنا أنَّ سببَ هلاكِ الأمم هو عصيانُهم لرُسلِهم؛ فإنَّ الواجبَ علينا أنْ نُطيعَ رسولَنا فيما أمِرْنا به مِن عبادةِ الله وحدَه.

ولنعلمْ علمَ اليقينِ أنَّ اللهَ ما خلقَنَا ورزقَنا إلَّا لِنعبدَه وحدَه لا شريكَ له، فمَن عبَد غيرَه فقدْ أتىٰ بالذَّنب الذي لا يُغفرُ، واستوجبَ الخلودَ في النَّار، وتحريمَ الجنَّة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

وقال علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

❁❁❁

المسألة الثانية

خطورة الشرك

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبادَتِهِ أَحَدٌ؛ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وَلا

نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

التعليق:

الثَّانية: يجبُ أنْ نعلمَ أنَّ اللهَ لا يرضىٰ أنْ يُشْرَك معه في عبادته أحدٌ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نَبيٌّ مُرْسلٌ، فلا يجوزُ لأحدٍ من النَّاس أنْ يدعوَ أحدًا مِن دون الله مهما ارتفع مقامُه عند ربِّه، وعَلَتْ مرتبتُه عنده، وإنَّ أعظمَ المخلوقين مرتبةً عند الله هما:

١- جبريل من الملائكة عليه الصَّلاة والسَّلام.

٢- ومُحمَّد من بني آدم عليه الصَّلاة والسَّلام.

فمَنْ دعا واحدًا منهما، أو دعا غيرهما، فإنَّه يُعتبَر قَدْ أشرك بالله شركًا أكبر مُوجِبًا للخلود في النَّار.

ولهذا قال المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الثَّانيةُ: أنَّ اللهَ لا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ معَه في عبادته أحدٌ؛ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ**».

وقَدْ مثَّلْنا لك للمَلَك المُقرَّب بجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والنَّبيِّ المُرسَل بمُحمَّدٍ ﷺ، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ أن يُدعىٰ أحدٌ من هؤلاء ولا غيرهم.

والأدلَّة علىٰ ذلك مِن كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ لا تُحصَىٰ.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

يصحُّ أن نقول: إنَّ المساجد هي أعضاء السُّجُود السَّبعة، وأوَّلها الجبهة، وكذلك اليدان والرُّكْبتان وأطراف القدمين.

ويصحُّ أن نقول: إنَّ المساجد هي المساجد المَبْنيَّة الَّتي بُنِيَتْ لعبادة الله، هذه المساجد مَبنيَّة علىٰ الأرض، مَنِ الَّذي خلق الأرض الَّتي تَسْجد عليها؟ لا

شكَّ أنَّه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا يجوزُ لك أن تسجدَ عليها لغيره؛ لأنَّك إذا فعلتَ، استعملتَ مُلكه في عبادة غيره.

ويصحُّ أن تُفسَّر بالأعضاء الَّتي خلقَها اللهُ فيك.

فتبيَّن أنَّ المساجد يصحُّ أن تُفسَّر بالأعضاء، واللهُ هو الَّذي خلقَها فيك، فلا يجوز لك أنْ تسجدَ بها لغيره؛ لأنَّك إذا فعلتَ ذلك تكون قَدِ استعملتَ خَلْقَه في عبادةِ غيره، ويصحُّ أن تُفسَّر بالمساجد المعروفة؛ فلا يجوز لك أن تَسجدَ فيها لغير الله.

***

المسألة الثالثة

الولاء والبراء

الثَّالِثَةُ: أنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ولو كان أقرب قريب.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

التعليق:

الثَّالثة: «أنَّ مَنْ أطاع الرَّسولَ ووَحَّدَ الله، فَلَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاة مَنْ حَادَّ الله وَرَسُوله، وَالدَّلِيلُ قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

فمَنْ أشركَ بالله فقدْ حادَّ الله ورسوله، ومَنْ أقرَّ الشِّرك وأجازه، فَقَدْ حادَّ الله ورسوله.

ولنتذكَّر هنا أنَّ بعض مُؤسِّسي المناهج الدَّعويَّة عَمِل الشِّرك بنفسِه، وأقرَّه،

وأجازه مِن غيره، ولنضرب مثلًا: «حسن البنَّا» كان يقول في حفل المَوْلد في اللَّيالي الأولىٰ من ربيعٍ الأوَّل:

هَذَا الْحَبِيبُ مَعَ الأَحْبَابِ قَدْ حَضَرَا   وَسَامَحَ الْكُلَّ فِيمَا قَدْ مَضَىٰ وَجَرَىٰ

نقل هذا أخوه عبدُ الرَّحمن البنا في كتاب جابر رزق «حسن البنا بأقلام تلاميذه ومعاصريه» (ص٧٠، ٧١).

إذًا؛ فلا يجوز لنا أن نَتَّخذَه إمامًا؛ لأنَّه زعم أنَّ رسولَ الله يحضر حَفْلَهم، ويغفر ذنوبَهم.

وهكذا غيره مِن أهل منهجه الَّذين وقع منهم الشِّرك، أو أقرُّوا غيرهم عليه، مع أنَّه قَدْ حاضر في وَكْرٍ من أكبر أوكار الشِّرك وهو مشهدُ السَّيِّدة زينب، ولم ينطق بكلمةٍ ولا حرفٍ في النَّهْي عن الشِّرك بالله.

وعمر التِّلمسانيّ يقول في كتابه «شهيد المحراب عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (ص٢٣٢): «ولئن كان هواي مع أولياء الله وحُبِّهم والتَّعلُّق بهم، ولئن كان شُعوري الغامر بالأُنس والبَهجة في زياراتهم ومقاماتهم بما لا يُخلُّ بعقيدةِ التَّوحيدِ؛ فإنِّي لا أُروِّج لاتِّجاهٍ بذاته، فالأمرُ كلُّه مِن أوَّلِه إلىٰ آخره أمرُ تَذَوُّقٍ، وأقولُ للمتشدِّدين في الإنكار: هونًا مَا؛ فما في الأمر مِن شركٍ ولا وثنيَّةٍ ولا إلحادٍ».

وكذلك مُؤَسِّس منهج التَّبليغ: كان يَدين بأربعِ طُرقٍ من الطُّرُق الصُّوفيَّة، وكان يُرابِط عند بعض القُبور راجيًا للفُيوضات الَّتي تنزل عليه من أهلها[1].

---

(١) قال الشَّيخُ أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «المورد العذب الزُّلال فيما انتُقد علىٰ بعض المناهج الدَّعويَّة مِن العقائد والأعمال» في الباب العاشر: فيما انتقد علىٰ جماعة التبليغ، (ص٣٠٧ الميراث النَّبويّ): «جماعة التَّبليغ هي واحدةٌ من الجماعات الدَّعويَّة الموجودة علىٰ السَّاحة، وقد تأسَّست في =

أمَّا السُّروريَّة والقُطبيَّة[1]: فهم يُحِبُّون المشركين، ويُبْغضون الموحِّدين،

= منتصف القرن الرَّابع عشر الهجري - أي: القرن الماضي -. على يد المؤسِّس لها، وهو الشيخ محمَّد إلياس بن محمَّد إسماعيل الكاندهلوي.

ترجمة المؤسس: ولد مؤسِّس هذه الجماعة وهو محمَّد إلياس عام (١٣٠٢هـ)، وحفظ القرآن وقرأ الكتب السِّتَّة في الحديث على المنهج الديوبندي؛ الحنفي مذهبًا، الأشعري الماتريدي عقيدة، الصوفي طريقةً.

والطرق التي عندهم أربع طرق، وهي:

١ - الطَّريقة النَّقشبنديَّة.

٢ - الطَّريقة السَّهروردِيَّة.

٣ - الطَّريقة القادريَّة.

٤ - الطَّريقة الجشتيَّة.

وقد أخَذ الشَّيخ محمَّد إلياس المذكور البيعة الصُّوفية على يد الشَّيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ثم جدَّدها بعد موت الشيخ رشيد على يد الشيخ أحمد السهارنفوري الذي أجازه في المبايعة على النهج الصوفي المعروف، وكان يجلس في الخلوة عند قبر الشيخ نور محمَّد البدايوني، وفي المراقبة الجشتية كان يجلس عند قبر عبد القدوس الكنكوهي الذي كانت تسيطر عليه فكرة وحدة الوجود، أقام ودرس ودرَّس ومات في دلهي سنة (١٣٦٣هـ)» اهـ. من كتاب «حقيقة الدعوة إلى الله» للشَّيخ سعد بن عبد الرَّحمن الحصين بتصرُّف.

(١) **قال الشيخ أحمد النجمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «المورد العذب الزُّلال» (ص٢٨٨): «ومن ولائد الإخوانية: السُّرورية والقطبيون، وهما فرقتان أو حزبان انفصلتا من الإخوانيِّين؛ فالسُّروريَّة تُنسب إلى محمَّد سرور بن نايف زين العابدين الذي هو الآن مقيم في مدينة لندن... » إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص٣٠٣): «أمَّا القطبيُّون: فهُم قومٌ درسُوا كُتُب سيِّد قُطب وتابعوه في كلِّ ما قالَه واعتقدَه، بل وعظَّموه كلَّ التَّعظيم، مما جعلَهم يتَّخذون كلَّ ما قاله في كتبه حقًّا وصوابًا، وإنْ خالَف الأدلَّة وباين منهج السَّلف، ويتَّضح ذلك مِن الثَّورة الكلاميَّة والإشاعات الإعلاميَّة التي أشاعوها ضدَّ الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي حين ردَّ على سيِّد قطب في بعض الأخطاء الاعتقاديَّة الفظيعة، وجعلوه متجنيًا عليه، وظالما له، ولم يحملهم الإنصاف أنْ يعودوا إلى تلك الأماكن والأرقام التي أشار ربيعٌ في كتابه إليها؛ كالنَّيل من نبي الله موسى عليه السَّلام، والتَّحامُل على عُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وإسقاط خلافته من بين خلافة الخلفاء الرَّاشدين، وجعلها فجوةً بينها، ونيله من باقي الصَّحابة، وجهلُه بتوحيد الألوهيَّة، وسُلوكُه مذهب الأشاعرة في تأويل الصِّفات، وتمييعه لكثير من المسائل العقدية، وغير ذلك. فالله المستعان».

علمًا بأنَّ سَيِّد قطب قَدْ حصل منه فواقر؛ فقَدْ كفَّر أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ وهو يعلم علم اليقين عن الدَّولة السَّعوديَّة أنَّها دولةٌ موحدةٌ، وأهلها كلُّهم سُنيُّون، فنجده يقول في مُقدِّمة سورة الحِجْر من «الظِّلال»: «إنَّه لا يُوجد اليوم علىٰ وجه الأرض مجتمعٌ مُسلمٌ، ولا دولةٌ مُسلمةٌ قاعدةُ التَّعامل فيها علىٰ مُقتضىٰ شريعة الله». اهـ.

فهل يجوز لنا أن نتولَّىٰ هؤلاء القوم أو أن نَسير في رِكابهم ونأخذ بما هم عليه من الحزْبيَّات؟

حاشا لله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فهذه دعوة الأنبياء الَّتي أرسل الله بها مُحمَّدًا ﷺ، وأُرسلت بها جميع الرُّسُل كما يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقَدْ فُسِّر الطَّاغوت: بأنَّه ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه مِن معبودٍ أو مَتبوعٍ أو مُطاعٍ، وإذا فكَّرت في حال أولئك المتبوعين، وجدتَ أنَّهم أُطيعوا في معصيةِ الله، وأَباحوا الشِّرك والبدع فتُوبعوا عليها(١).

(١) علمًا بأنَّ المحادَّة التي عندهم ليستْ محادَّةً كليَّةً، بل هي محادَّةٌ جزئيَّةٌ غالبًا، وقد تُوجد المحادَّة الكليَّة عند مَن أشرك بالله شركًا أكبر أو رضي بالشِّرك الأكبر وأقرَّ عليه، وعلىٰ هذا فالمحادَّة الكليَّة تُوجب =

معنى الحنيفيَّة

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وَمَعْنَىٰ «يَعْبُدُونَ» أَيْ: يُوحِّدُونَ.

التعليق:

قوله: «**اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ**»، كلمة «اعْلَمْ» للتَّنبيه، ثمَّ دعا لك بالرُّشد؛ أنْ يُرشدَك اللهُ لطاعتِه ويُوفِّقك لها.

قوله: «**أنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**» الحنيفيَّة هي: دين الحقِّ، وهو التَّوحيد؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. ومعنىٰ حنيفًا: أي: مَائلًا عن الشِّرك إلىٰ التَّوحيد، وعن المعصية إلىٰ الطَّاعة، وعن الفجور إلىٰ البرِّ، وعن البدعة إلىٰ السُّنَّة.

ويقول جلَّ من قائل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النَّحل: ١٢٣] - صلوات الله وسلامه علىٰ نَبِيِّهِ وخَلِيلَيْه إبراهيم ومُحمَّدٍ - لقَدْ سلكا سبيل الحقِّ والرَّشد، وهو إفراد الله بالعبادة، ودَعَوْا إلىٰ

=

الكُفر المُخرج من المِلَّة؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولما ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، أمَّا من كان منهم محادته بالبدع وترك السُّنَّة فإنَّ محادَّته جزئيَّة مُوجبةٌ للفسق فقط وهو باق علىٰ السَّلامة، وبالله التوفيق.

ذلك أُمَّتيهما، وقَدْ أُمِرْنا باتِّباعهما في ذلك؛ لأنَّ ذلك هو الأمر الَّذي خُلِقت الجنُّ والإنس من أجله.

وقَدْ أخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه ما خَلَق الجنَّ والإنس إلَّا للعبادة، لم يخلقهما للَّهوِ ولا للَّعبِ، ولَكِن كثيرٌ من الجنِّ والإنس عملُوا بغير ما أُمِرُوا به، فسلكُوا غير طريق الحقِّ الَّذي رُسِم لهم، واستحقُّوا بذلك غضب الله ومقته وعقوبته.

أمَّا مَنِ اتَّبع مِلَّة إبراهيم ومُحمَّدٍ - صلَّىٰ الله عليهما وسلَّم - فوحَّد الله بعبادته؛ فإنَّه ولَوْ أذنبَ، ولو قَارَفَ المعاصيَ الكبائر؛ فإنَّه يَرجو من الله الخلاص إلىٰ الجنَّة، وقَدْ دلَّت النُّصُوصُ علىٰ أنَّ أقوامًا مِن المُوحِّدين يَخرجون مِن النَّار وقَدْ صاروا حُممًا، فيُوضَعون علىٰ نهر الحياة، فينبتون كما تنبتُ الحبَّة في حَمِيل السَّيْلِ[1].

❁ ❁ ❁

أعظمُ ما أمر اللهُ به، وأعظمُ ما نهى عنه

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

التعليق:

فالشِّرك الأكبر: مُحبطٌ للعمل، موجبٌ للخلود في النَّار، قال تعالىٰ علىٰ لسان

---

(١) يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاريُّ (٦٥٦٠)، ومسلمٌ (١٨٤) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ الله: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». «امتُحِشُوا» احترقوا. «حُممًا»: فحمًا. «الحِبَّة» بذور البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السُّيول. «حَميل السَّيل»: غُثاؤه، وهو ما جاء به من طِين وغيره؛ فإذا كان فيه حبَّة واستقرَّتْ علىٰ شطِ الوادي تنبت بسُرعةٍ.

عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال جلَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقَدِ اهْتَمَّ أصحابُ رسول الله ﷺ لهذه الآية، فقالوا: يا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنا لَم يظلِمْ نفسَه؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّه ليس الَّذي تذهبون إليه، وإنَّما المراد بالظُّلْم الشِّرك، ألم تسمعوا إلىٰ قول لُقمان لابنِه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾» [لقمان: ١٣]»[(١)].

وفي روايةٍ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»[(٢)].

ومعنىٰ يعبدون: يُوحِّدون؛ لأنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يَقبل العبادة إلَّا بالتَّوحيد، كما أنَّ الصَّلاةَ لا تكون صلاةً إلَّا بطهارةٍ، فكذلك العبادةُ لا تكون عبادةً إلَّا بالتَّوحيد، وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه أنَّه قال: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(٣)].

فالشِّرْكُ: نجاسةٌ للقلوب، ينجسها ويحبط العبادة جميعًا؛ سواء جاءت مِن القلب، أو مِن اللِّسان، أو مِن الجوارح؛ ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيِّه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ٤، ٥].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن هنا نعلم أنَّ المشركَ مهما تَقرَّبَ إلىٰ الله مِن عبادةٍ فهي باطلةٌ وحابطةٌ، لا يقبلُ اللهُ منها شيئًا ما دامت ممزوجةً بالشِّرك، وبالله التَّوْفيق.

❁ ❁ ❁

الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

التعليق:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، فهذه الآية: اشتملَتْ علىٰ أعظم أمْرٍ، وعلىٰ أعظم نهيٍ، فأعظمُ الأمر هو التَّوحيد، وأعظم النَّهي هو الشِّرك الأكبر المخرج من المِلَّة.







الثلاث الأصول التي يجب معرفتها

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟
فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

التعليق:

لقَدْ أجمل المُؤلِّف الأصول الثَّلاثة في هذه الكلمات: «معرفة العبد ربَّه» بأنْ يعرفه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، وكمالاته الَّتي لا يعتريها نقصٌ، ودوامه الَّذي لم يطرأ عليه حُدُوثٌ، وبقائه الَّذي لا يطرأ عليه فَنَاءٌ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

وسيلمُّ المُؤلِّف بتفاصيل هذه الثَّلاثة الأصول: «معرفة العبد ربَّه، ومعرفته دينه، ومعرفته نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ».

وهذه الثَّلاثة الأصول هي الَّتي يُبنَىٰ عليها الدِّين كلُّه، فلا يدخل العبد إلىٰ الإسلام إلَّا بالشَّهادتين: «شهادةِ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله»، ولا يُقبَل له أذانٌ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ولا تصحُّ له صلاةٌ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ولا يُسأل في قبره إلَّا عن ربِّه ودينه ونبيِّه، ولا يُسأل يوم القيامة عند البعث والنُّشُور إلَّا عن هذه الأصول، ولا يُقبَل عمله إلَّا بها، ولا يَثْقُل ميزانه إلَّا بها، ولا يمرُّ علىٰ الصِّراط وينجو من النَّار، ولا يدخل الجنَّة إلَّا بها؛ ولهذا فإنَّه ينبغي الاعتناء بهذه الأصول الثَّلاثة، وإتقان معرفتها؛ ليكون العبد من النَّاجِينَ يومَ القِيامةِ، وبالله التَّوفيق.



الأصل الأوَّل: معرفةُ الرَّبِّ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

التعليق:

قوله: «إِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ»: هذا تعليمٌ مِن الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنَّه رُبَّما سُئل، ورُبَّما حَاكَ هذا السُّؤال في القَلب؛ لأنَّ هذا ليس بالأمر اليسير، بل هو الأصل الَّذي عليه مدارُ الحياة الأولىٰ والأخرىٰ، فلا بدَّ أن تعرفَ مَنْ هو ربُّك؟ وإذا كنتَ لا تعرفُ، فهذا شيخ الإسلام يُلقِّنك بأنَّك إذا سُئلت: مَنْ ربُّك؟

تجيبه بقولك: «ربِّي الله الَّذي ربَّاني وربَّىٰ جميع العالمين بنِعَمِهِ».

«العالمون»: جمعٌ، وكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالمٌ، فعالم الإنسان، وعالم الجنِّ، وعالم الإبل، وعالم الطُّيور، وحتَّىٰ عالم الذَّرِّ والنَّمل والذُّباب، كلٌّ منها عالمٌ، وأنت واحدٌ - يا عبد الله - من أحد تلك العوالم، وكلُّ هذه العوالم الموجودة علىٰ وجه الأرض كلّها تسترزق الله عَزَّوَجَلَّ فهو الَّذي خَلَقها، وهو الَّذي يرزقُها بأنْ يوصِلَ إليها أرزاقَها.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكلُّ ما سوىٰ الله من المخلوقات عوالم، كما بيَّنَّا سابقًا، وكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالمٌ.

بِمَ نعرفُ الرَّبَّ؟

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

التَّعليق:

وأقول: الآيات تنقسم إلى قسمين:

آياتٌ كونيَّة، وهي ما ذكره المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وآياتٌ قُرآنيَّة، وهي آيات القرآن.

❁ ❁ ❁

الآيات الكونيَّة الدَّالَّة على الرَّبِّ

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

التَّعليق:

فأمَّا الآيات الكونيَّة: فهي اللَّيل والنَّهار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]، وكذلك الشَّمس والقمر، هما آيتان - أيضًا - من آيات الله عَزَّوَجَلَّ الكونيَّة.

وقَدْ عرَّف المعافىٰ النهرواني في كتابه «الجليس» (الآيَة) بقوله: هي العلامة الفاصلة، وهي الأعجوبة الحاصلة، وهي البليَّة النَّازلة[1]، هذا من حيث تعريف الآية.

فمثال (العلامة الفاصلة): ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠].

وأمَّا كونها (الأعجوبة الحاصلة)، فهي الأمر العجيب الَّذي فيه العبرة؛ كقوله

---

(١) انظر: «الجليس الصَّالح الكافي والأنيس النَّاصح الشافي» للمعافىٰ النهرواني (ص١٠ - ١١ الكتب العلمية).

تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الشعراء: ٨].

قوله: (وهي البليَّة النَّازلة): أي: العقوبة المفاجئة، قال ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»(١)؛ لأنَّها تدلُّ علىٰ قُوَّة المنتقم، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً﴾ [القمر: ١٥].

والآية مِن القُرآن جمعَتْ المعاني الثَّلاثة لدلالتها وفصلها وإبانتِها.

❁❁❁

المخلوقات دالَّة على ربوبيَّة الله

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

التعليق:

ومن مخلوقاته ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ إلىٰ الآية قوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

❁❁❁

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ... »".

الرَّبُّ: هو المعبودُ بحقٍّ

وَالرَّبُّ: هُوَ المَعْبُودُ.

التعليق:

«والرَّبُّ هو المعبود»؛ أي: هو المستحقُّ للعبادة؛ لأنَّه هو الَّذي خلَق ورزق وأعطىٰ كلَّ مخلوقٍ ما يصلحُ له.

وكانَ ينبغي أنْ يقولَ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والرّبُّ هو المعبود بحقٍّ)؛ لأنَّ المعبودات بغير حقٍّ كثيرةٌ، ولستُ مُستدركًا علىٰ الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولكنْ يَتبيَّن من هذا أنَّ أعمال العباد مهما جلَّت وكثُرتْ؛ فإنَّ النَّقصَ يُلازمُها؛ لأنَّ كلمة: «الرَّبّ هو المعبود» يمكن أن يقع علىٰ المعبود بحقٍّ، والمعبود بغير حقٍّ، وإذا احترز القائل وقال: «الرَّبُّ هو المعبود بحقٍّ» فإنَّه يَسدُّ الباب علىٰ الخُرافيِّين.

❁❁❁

الدَّليلُ على عُبوديَّة الله وحدَه

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»[1].

التعليق:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

(١) يشير إلىٰ قول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (١/ ١٩٧): «وهذه الآيةُ دالَّةٌ علىٰ توحيده تعالىٰ بالعبادة وحدَه لا شريكَ له».

تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]؛ أي: خلقكم وخلق الَّذين مِن قبلِكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، و«لعلَّ» من الله واجبة الوقوع، كما يُقَال، فمَنْ عَبَدَ الله عَزَّوَجَلَّ عبادةً مَبنيَّةً علىٰ الإيمان به، أحدثَ له ذلك في نفسه التَّقوىٰ والخوف من الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]؛ أي: أنَّه هو الَّذي استقلَّ بخَلْق ما ترون؛ خلق الأرض الَّتي تَحْتَكُم، وجعلَها الله فراشًا لكم، والسَّمَاء الَّتي فوقكم بناها وسَوَّاها بغير عَمَدٍ، وأنزلَ مِن السَّماء ماءً فأخرج به أزواجًا من نباتٍ شَتَّىٰ؛ أشجارٌ لا ثمر فيها هي رزقٌ للبهائم، وأشجارٌ فيها ثمرٌ هي رزقٌ للبهائم وبني آدم، كلُّها تنبت في أرضٍ واحدةٍ، وتُسقَىٰ من ماءٍ واحدٍ، وتختلف ثمراتها، وذلك يدلُّ علىٰ قدرة الصَّانع جَلَّوَعَلَا.

❁ ❁ ❁

أنواع العبادة الَّتي أمر الله بها

وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ.

التعليق:

أمَّا الدُّعاء؛ فهو جائزٌ للمخلوق الحيِّ فيما يقدر عليه، وغير جائزٍ فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فلو قلنا: يا فلان، أنزل لنا مطرًا، لكان هذا الدُّعاء مُحرَّمًا وكُفرًا مُخرِجًا من المِلَّة.

وفي الحديث: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في «ضعيف الجامع» (٣٠٠٣).

=

والدَّليل: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أمَّا لو قلت: يا فلان، أعطني المسحاة[١] أو القِدْر أو الفأس لأقطع بها الحاجة وأردَّها، فإنَّ هذا جائزٌ لا شيء فيه.

إذًا، فقد عرفنا من خلال هذا أنَّ الدُّعاء ينقسم إلى قسمين:

١- دعاءٌ للمخلوق فيما يقدر عليه، فهذا جائزٌ.

٢- دعاءٌ للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فهذا ممنوعٌ[٢].

* * *

من أنواع العبادة: الخوف

وَالْخَوْفُ.

التعليق:

كما أنَّ الخوف ينقسم إلى قسمين:

١- خوفٌ طبيعيٌّ؛ كخوفِ الإنسان مِن الحيَّة، وخوفِهِ مِن العدوِّ، فهذا لا شيء عليه فيه، ولا يكون من العبادة.

٢- والخوفُ من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ كمخافة بعض النَّاس مِمَّنْ يزعمون أنَّ لهم الولاية، ويزعمون أنَّهم يَطَّلعون على الغيب، وأنَّهم

=

قال الشَّيخ أحمد النَّجميُّ رَحِمَهُ اللهُ: «والحديث قد صحَّ من حديث النُّعمان بن بشير بلفظ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ» مع أن هذا الحديث (حديث أنس) والذي جاء من طريق ابن لهيعة لا يخالف الحديث الصحيح؛ لأن كلمة «هو العبادة» أي: خلاصتها، كما أن المُخَّ هو الخلاصة، فلا تنافي بين الحديثين، وبالله التوفيق». اهـ.

(١) المجرفة من الحديد، وهي تستخدم لقطع الأشجار، وسقي المزارع، وحفر القبور وغيرها.

(٢) يقصد الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ بالدُّعاء هنا: دعاء المسألة والطَّلب، لا دعاء العبادة.

يقدرون علىٰ أن ينزلوا بك كارثةً، فهذا الخوف شركٌ مخرجٌ من الملّة، وهو الَّذي يُسمَّىٰ خوف السّرّ(١).

❁❁❁

من أنواع العبادة: الرَّجاء

وَالرَّجَاءُ.

التعليق:

وهكذا الرَّجاء، كأنْ ترجو من المخلوق أنْ يُقرضك مالًا، أو ينفعك فيما يستطيع عليه، فهذا جائزٌ، أمَّا أنْ ترجُوه في أمرٍ مِن الأمور الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله؛ كشفاءِ المرض، وصرف العاهة، وإنزال الغيث، والنَّصر علىٰ الأعداء، فهذا الرَّجاء للمخلوق مُحَرَّمٌ، بل شركٌ أكبر؛ لأنَّ هذا مِن صفات الألوهيَّة الَّتي لا يتَّصف بها أحدٌ غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا يُقال في جميع هذه الأشياء؛ من التَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، وغيرها، ويُستثنىٰ من ذلك الخشوع.

❁❁❁

---

(١) معنىٰ خوف السّرّ: «أن يخاف العبدُ من غير الله تعالىٰ أنْ يصيبه مكروه بمشيئته وقُدرته، وإنْ لم يباشره، فهذا شركٌ أكبرُ؛ لأنَّه اعتقادٌ للنَّفع والضَّرِّ في غير الله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧]». انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد» للشَّيخ سُليمان بن عبد الله بن محمَّد بن عبد الوهَّاب (ص٢٤).

أنواع أخرى من العبادة

وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ كُلُّها للهِ تَعَالَىٰ.

التعليق:

والذَّبح والنَّذر، فإنَّهما لا يجوزان للمخلوق بحالٍ، والمقصود بالذَّبح: العبادة.

أمَّا الذَّبح للمأكل، وإكرام الضَّيف، وللتَّكسُّب كالجزَّار، فهذا جائزٌ، والحمد لله.

والذَّبح لغير الله: هو إراقة الدَّم لغير مَنْ خلَقه؛ كأنْ تُريقَ الدَّمَ في الدَّابَّة لغير خالقها وهو الله، تريدُ مِن هذا المخلوق ما لا يَقْدر عليه إلَّا الله؛ كإعطاء الولد، وإنزال المطر، وغير ذلك.

أمَّا النَّذْر: فلا يجوز لأحدٍ أن ينذرَ لغير الله تعالىٰ.

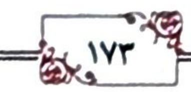
وقد استدلَّ علىٰ ذلك كلِّه بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فمَنْ صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ.

والمراد به: الأشياء الممنوعة علىٰ حسب التَّقسيم الَّذي سَبَرْناهُ سابقًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ثمَّ أتىٰ بالأدلَّة علىٰ ذلك، وبالله التَّوفيق.

❁❁❁



الأدلَّة على وجوب هذه العبادات لله وحده

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [المائدة: ٣].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[(١)].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصحّحه الألبانيُّ رحمه الله في تعليقه على «المشكاة» (٥٣٠٢).

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[١].

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

التعليق:

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبرنا بأنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

أمَّا الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهي حرامٌ، بل وشركٌ أكبر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] وما أشبه ذلك.

قولُه: «ودليلُ الخوفِ قولُه تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]».

سبق أن قلنا: إنَّ الخوف منه طبيعيٌّ، ومنه خوفُ عبادةٍ، فالطَّبيعيُّ كأن يخاف الإنسان الحيَّة، أو يخاف الأسد، أو يخاف العدوَّ، أو ما أشبه ذلك، فهذا خوفٌ طبيعيٌّ ليس له دَخْلٌ في العبادة؛ إلَّا أنَّه إذا أسْرَفَ فيه[٢] رُبَّما أنَّه يحصل

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: أكثر منه.

منه ضررٌ عليه، أمَّا كونه يكون شركًا فلا.

والخوف الَّذي هو من العبادة: أن تخاف من مخلوقٍ بأن يفعل فيك شيئًا لا يقدر عليه إلَّا الله؛ كالتَّأثير في الرِّزْق، وما أشبه ذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ أي: لا تخافوا العدوَّ، فأنا أنصركم عليهم، وذلك أنَّ بعض النَّاس يعتقد في الشَّخص الفلانيِّ أنَّ له سلطانًا غيبيًّا يدركُ به الَّذين يَتكلَّمون فيه، ويعمل بهم ما يعمله من الإيذاء.

وقَدْ علمنا أنَّ الخوف ينقسم إلى قسمين:

١- خوفُ عبادةٍ.

٢- خوفٌ طبيعيٌّ من العدوِّ الظَّاهر، وأنَّ المُحرَّم هو خوف العبادة.

أمَّا قوله: ودليل الرَّجاء قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

الرَّجاء ينقسم إلى قسمين:

١- **مُبَاحٌ**: وهو أن ترجوَ من المخلوق أنْ يعطيَك قرضًا - مثلًا - لتتغلَّب به علىٰ أزمةٍ ماليَّةٍ عندك، هذا لا شيء فيه.

٢- **لكن الرَّجاء الممنوع هو**: أن ترجوه فيما لا يقدر عليه إلَّا الله؛ مِن شفاءِ المرض، وإنزال المطر، ورفع العاهة، وإعطاء الولد، وما أشبه ذلك.

أمَّا معنىٰ الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: أنْ يؤمن بلقائه بعد الموت ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ومعنىٰ كونه صالحًا: أن يكون خالصًا لله، وصوابًا علىٰ ما شرعه رسول الله ﷺ.

وهكذا يُقال في التَّوكُّل؛ فإذا قلت للإنسان: أنا مُتوكِّلٌ علىٰ الله، ثمَّ عليك في

هذا الأمر، وكان ذلك الأمر مِمَّا يقدر عليه البشر؛ فإنَّ ذلك جائزٌ.

أمَّا التَّوكُّل: وهو الاعتماد القلبيُّ علىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فهذا لا يجوز إلَّا لله، فإنْ حصل مِنَ العبد في أمورٍ يقدر عليها العباد، فليقل: إنِّي مُتوكِّلٌ علىٰ الله ثمَّ عليك في قضاء هذه الحاجة، بأن تجعله مرتَّبًا بعد الله بـ: «ثمَّ»، وبدون ذلك لا يجوز؛ لأنَّه تشريكٌ في التَّوكُّل، فالتَّوكُّل علىٰ المخلوق لا بدَّ أن يكون مُقيَّدًا بما يستطيعُه العبدُ وفي حاجةٍ بعينها، أمَّا إطلاق التَّوكُّل فلا يجوز، ولا ينبغي أن يحصل إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ.

ودليل الرَّغبة والرَّهبة والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فهذه الأمور منها ما هو جائزٌ، كأن تقول: أنا راغبٌ إليك أن تُزوِّجني ابنتك، أو راغبٌ إليك أن تعطيَني كذا مِمَّا يقدر عليه، فهذا جائزٌ، لكنَّ الرَّغبة إلىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الخالقُ، وكذلك الرَّهبةُ منه فيما لا يقدرُ علىٰ فِعْله إلَّا الخالق، فهذا هو المُحرَّم.

وكذلك **الخشوع**: وهو الخضوع للمخلوق، خضوع يشعر بأنَّك تخاف منه أن يفعل بك ما لا يقدر عليه إلَّا الله، ويتنافىٰ مع حُرِّيَّة المسلم واستعلائه علىٰ الأسباب المَادِّيَّة، فهذا لا يجوز إلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وحتَّىٰ في الصُّورة؛ فلو قَبَّلْتَ رُكبةَ شخصٍ أو يده إذا كان ذلك مِمَّا يُشْعر بتباين الطَّبقات فإنَّ هذا لا يجوز، أمَّا إذا كان من ابنٍ إلىٰ أبيه أو عَمِّه أو خاله أو جَدِّه فهذا ليس فيه شيءٌ؛ لأنَّه لا يشعر بِرِفْعَة طبقةٍ علىٰ طبقةٍ.

وكذلك يُقَال في الاستعانة: فهي تجوز فيما يقدر عليه الإنسان، وتمنع

الاستعانة فيما يكون من خصائص الله، مع أنَّ الاستعانة بغير الله - أي: بالمخلوق - فيما يقدر عليه، هذه ينبغي أن تكون مُقيَّدةً بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، ومُرتَّبةً بأن تقول: أستعين بالله ثمَّ بك في الحاجة الفلانية.

كذلك الخشية أيضًا: الخشية من المخلوق الَّذي له سلطةٌ ويخاف منه ومِمَّنْ تحت يده من أنْ يؤذيَه بأذًى، هذا لا يكون شِرْكًا، ولكن الخشية من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله سبحانه، هذه هي الَّتي تكونُ مِن الشِّرك المُخْرِج من المِلَّة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ﴾ [المائدة: ٣]، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

أمَّا الإنابة: فلا تجوز إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ، ومعنىٰ الإنابة: الرُّجُوع، والتَّوبة من الذُّنُوب.

أمَّا الذَّبح: فكلُّ ذبحٍ يقصد به التَّقرُّب إلىٰ مَنْ سَفَك له الدَّمَ؛ فهذا يُعتبَر شِرْكًا أكبر، ومن ذلك ما يجري بين القبائل أو الأشخاص، فإذا حصل بينهم شيءٌ قالوا: نذهب إلىٰ فلانٍ، وتكون معنا ذبائح نرضي بها القوم، فيصلون إلىٰ فِنَاء الدَّار، ويذبحون تلك الذَّبائح إرضاءً لأولئك القوم، ويجلسون عليها حتَّىٰ يأتي أولئك القوم الَّذين ذبح من أجلهم، فيقولون: عفونا أو تجاوزنا، فهذا يدخل في الشِّرْك، ويُسمَّىٰ عند أهل اليمن: (عقير)، ويُسمَّىٰ عند بعضهم: (مراضي)؛ يعني: يرضون بها الخصم الَّذي صار عليه الغلط.

أمَّا الذَّبح عند القبور، والأولياء، والنُّذور لهم: فهذا الأمر واضحٌ - والحمد لله - أنَّه من الشِّرك الأكبر المُخْرِج من المِلَّة.

لكن إنْ ذُبِحَت الذَّبيحة للضَّيْف إكرامًا له، فهذا أمرٌ مباحٌ، ومعلومٌ أنَّ الذَّبح له أحكامٌ متباينةٌ؛ فمنه شِرْكٌ أكبر مُخْرجٌ من المِلَّة كما سبق أن مَثَّلنا له بالذَّبح

علىٰ القُبُور، الذَّبح للوليّ أو الجنّ، فيشترطون إذا كان للجنّ أن يكون علىٰ شعرةٍ سوداء، هكذا يقولون.

والذَّبح منه ما يكون حرامًا، لكنَّه غير شركٍ، كالذَّبْح علىٰ المآتم، وكذلك الإسراف، ومنه ما هو مباحٌ كالذَّبح للأكل، يذبح الإنسان لنفسه ليأكل، أو الذَّبح للتِّجارة كذبح الجَزَّار، وذبح أصحاب المنادي[1]، هذا كلُّه جائزٌ، ومن الذَّبْح ما يكون واجبًا أو مسنونًا كذبح الهدي ودم الجزاء، فالذَّبْح المذموم الَّذي يكون من الشِّرك والَّذي يقع علىٰ صاحبه اللَّعنة هو ما ذُبِحَ لغير الله بقَصْد التَّعبُّد.

وكذلك النَّذْر: لا يجوز النَّذر إلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ نَذَر لمخلوقٍ بشيءٍ ثمَّ تاب قبل أن ينفذه فلا يَلْزمه تنفيذُهُ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»[2]، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أي: المطاعم الَّتي تَبيعُ اللَّحم المطبوخ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام

الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ. هُوَ الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

التعليق:

أقولُ: هذا يلزم طَلَبَةَ العلمِ، أمَّا العوام فإنَّه يكفيه أنْ يعلم أنَّ هذا مباحٌ، وهذا مُحرَّمٌ، وهذا واجبٌ، ولو لم يعرف الأدلَّة.

وقد عرَّفوا (الفقه) في كتب أصول الفقه: بأنَّه معرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلَّتها التَّفصيليَّة، فيُقال: هذا الحكم حرامٌ لهذا الدَّليل، وذلك الحكم فرضٌ أو واجبٌ بالدَّليل الفلانيِّ، وذلك الحُكم مستحبٌّ أو مكروهٌ أو مباحٌ بحسب الأدلَّة.

قوله: «هو الاستسلام»: أي تعريف الإسلام هو: الاستسلام لله بالتَّوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والخلوص من الشِّرك... هذا تعريفٌ بكلمة: الإسلام.

ومعنى «الاستسلام لله بالتَّوحيد»: بأن تكون مُستسلمًا مُنقادًا لأوامره ونواهيه، مطيعًا لها.

ومعنى قوله: «والخُلوص من الشِّرك»: أي: بأن تصفِّي عقيدتَك وأعمالَك من الشِّرك؛ على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، هذا التَّعريف هنا مناسبٌ، والتَّعريف الآخر الَّذي فيه الولاء والبراء (البراءة من الشرك وأهله)، فهذا التَّعريف شيءٌ وذاك شيءٌ آخرُ، وكلُّها تدلُّ على معنىً واحدٍ؛ فالخُلوص من



الشِّرك هو تصفيةُ التَّوحيد، ولا يكون التَّوحيد صافيًا إلَّا بالبراءة من الشِّرك على حدِّ قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال: «وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ، وكلُّ مَرْتبةٍ لها أرْكَانٌ».

أقول: هذه ثلاث مراتب قَدْ جمعها حديث جبريل الَّذي رواه عُمر بن الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه[1].

فأمَّا الإسلام: فهو يتعلَّق بأمور الدِّين الظَّاهرة:

أوَّلها: التَّلفُّظ بالشَّهادتين: شهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

❁❁❁

مرتبة الإسلام

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، «لا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا لا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

التعليق:

الرُّكن الأوَّل: شهادةُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله.

ومعناها: «لا معبودَ بحقٍّ إلَّا الله».

«لا إلَه» نافيًا جميع ما يُعبَد من دون الله، «إلَّا الله» مثبتًا العبادة لله وحدَه لا شريك له في عبادته، كما لا شريك له في ملكه.

الثَّاني: إقامة الصَّلاة: وهو فِعْلها بشرائطها، وأركانها، وواجباتها.

الثَّالث: إيتاء الزَّكاة: وهو الحقُّ في المال، وقَدْ قال أبو بكرٍ: «وَاللهِ، لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا[1] كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ»[2].

وفي روايةٍ: «وَاللهِ، لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ، لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا[3] كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا»[4].

الرَّابع: صوم رمضان؛ أي: صوم شهر رمضان.

الخامس: حجُّ بيت الله الحرام.

---

(١) **العقال**: هو الحبل الذي تُشدُّ به يد البعير مع ذراعه حتَّىٰ لا يَشرد.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

(٣) **العناق**: الأنثىٰ من أولاد المعز ما لم يتمّ لها سَنة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٢٤).

فهذه الأفعال الظَّاهرة هي أركان الإسلام، وقَدْ أورد عليها المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأدلَّة واحدًا واحدًا.

فأورد الدَّليل علىٰ شهادة أنْ لا إلهَ إلَّا الله: قوله تعالىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

ومعنىٰ «لا إله إلَّا الله»؛ أي: لَا معبود بحقٍّ إلَّا الله وحده، وكلمةُ «لا إله إلَّا الله» تتكوَّن من نفيٍ وإثباتٍ؛ فـ «لا إله» تنفي جميع الآلهة، و«إلَّا الله» تثبت العبادة لله وحده لا شريك له.

وإنَّ مِمَّا يتعلَّق بذلك: البراءة من الشِّرك وأهله الَّتي قرَّرها إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

وقَدْ كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ إذا أَسْلَمَ أحدُهم، انفصل مِن أهلِه وقَرابته انفصالًا كلِّيًّا، فحقَّقوا بذلك معنىٰ الولاء والبراء، وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَينَ أَظْهُرِ المشْرِكِينَ**». قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ولِمَ؟! قال: «**لَا تَرَاءىٰ نَارَاهُمَا**»[1]، وبالله التَّوفيق.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح أبي داود» (٢٣٧٧).

دليل الشَّهادة بالرِّسالة لمحمَّد ﷺ

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

التعليق:

قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: من بني جنسكم؛ لسانُه لسانُكم، وأحاسيسُه أحاسيسُكم، وهو منكم قلبًا وقالبًا، إلَّا أنَّه فَضَّله الله بالرِّسالة، واختارَه لتحمُّلها، وهذا الخطابُ للعرب خاصَّةً، وللنَّاس عامَّةً.

أمَّا كونه للعرب: فلأنَّه مِن أَنْفس العرب، لسانُه لسان العرب، وهم يعرفونه ويفهمونه، كان قبل أن ينزل عليه القرآن أصدقهم لهجةً، وأعظمهم أمانةً مع فقره وقلَّة ذات يده، عُرِفَ بالأمانة العظيمة، حتَّىٰ إنَّ مَنْ يريد أن يُودِع شيئًا يأتي به إليه، وكانوا يقولون: مُحمَّد بن عبد الله الأمين.

فلمَّا جاءهم بهذه الدَّعوة كَذَّبوه وعَادَوْه وأَلْصَقوا به التُّهَمَ؛ فتارةً يقولون: كذَّابٌ. وتارةً يقولون: ساحرٌ. وتارةً يقولون: كاهنٌ.

فصَبَر وصَابرَ حتَّىٰ نَصره اللهُ عليهم، ودَخَل مَنْ بقيَ منهم في دِينِه، وبالأخصِّ بعد أنْ فُتحَتْ عليه مكَّة، فجعل العربُ ترسل كلُّ قبيلةٍ منهم وفدًا بإيمانهم، ولم يَتوفَّه الله حتَّىٰ أوعبت جزيرة العرب علىٰ اعتناق دينه صلوات الله وسلامه عليه.

ومعنىٰ قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: عزيز عليه ما أَعْنتكم، أي: ما يشقُّ عليكم، فهو يهمُّه ويعزُّ عليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ

حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومعنىٰ كونه حريصًا علىٰ أُمَّته؛ أي: حريص علىٰ إيمانهم ومُتابعتهم لما جاء به، حتَّىٰ إنَّ الله عاتبه في شِدَّة حرصه بقوله جلَّ من قائل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

والمهمُّ: أنَّ شهادةَ أنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله هي الجزء الثَّاني من الشَّهادتين المُكمِّلة للَّتي قبلها، فشهادة أنْ لا إله إلَّا الله: شهادةٌ لله بالوحدانيَّة، وحدانيَّة الخَلْق؛ فهو مُتوحِّدٌ بخَلْق هذا الكون، ورزق مَنْ فيه، وتدبيرهم، ومن ثَمَّ فإنَّ الواجب تَوحُّده بالأُلُوهيَّة.

❁ ❁ ❁

معنى الشهادة بالرسالة لمحمَّد ﷺ

وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

التعليق:

وأمَّا شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله فمعناها: الشَّهادة للرَّسول ﷺ أنَّه رسولٌ من عند الله، مُكلَّفٌ بنَشْر الشَّريعة الَّتي حَمَلها، وأُمَّته مُكلَّفةٌ باعتقادِ رسالته، وأنَّه لا يشرع إلَّا ما أمره الله بشرعه، ولا يقول إلَّا ما أمره الله بتبليغِه.

ومن ثمَّ فإنَّه تجبُ طاعتُه فيما أمرَ، واجتناب ما نهىٰ عنه، ولا تُقبَل من عبدٍ عبادةٌ إلَّا أنْ تكونَ علىٰ شرعه ﷺ، وهاتان الشَّهادتان هما القُطبان الأساسان للإسلام، وهما الشَّرْطان لقَبول الأعمال؛ فلا يُقبَل عملُ أيِّ عبدٍ إلَّا باعتقاد رسالةِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ ووجوب متابعته وطاعته؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

❁ ❁ ❁

دليل مشروعيَّة الصَّلاة والزَّكاة وتفسير التَّوحيد

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

التعليق:

وأعظم ما أمر الله به من العبادات: الصَّلَوات الخمس، وهي حقُّ الله في البدن، وعلىٰ كلِّ عبدٍ أن يأتي بها، ومَنْ لَمْ يفعل فإنَّه لا دينَ له.

وقَدْ دلَّت الأدلَّة علىٰ كُفْر تارك الصَّلاة، وأنَّه يُقتل إذا دُعِيَ إليها ولم يفعلْها، فإنَّه يُقتَل كُفرًا علىٰ قولِ كثيرٍ مِن أهل الأثر، وبه قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (من أئمَّة المذاهب).

ويُقتَل حدًّا علىٰ قول الجمهور أيضًا، وهو مذهب الشَّافعيَّة والمالكيَّة، ورواية في المذهب الحنبلي.

فالصَّلاة: حقُّ الله في البدن.

والزَّكاة: حقُّ الله في المال.

والدَّليل علىٰ ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة: ٥].

دليل مشروعيَّة الصِّيام والحجِّ

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

التعليق:

ودليل الصِّيام: قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ودليل الحجِّ: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والصِّيام والحجُّ: هما الرُّكْنان المُكمِّلان لأركان الإسلام.

وبالله التَّوفيق.

❁ ❁ ❁

المرتبة الثانية: الإيمان

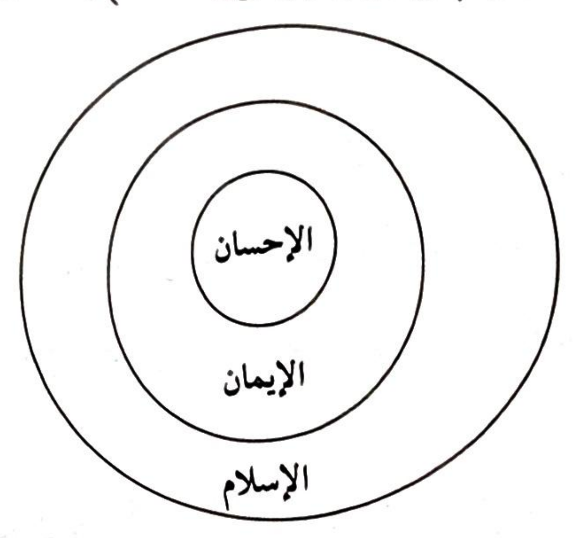
الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ.

التعليق:

«**المرتبة الثَّانية: الإيمان**»: أي المرتبة الثَّانية من مراتب الدِّين الثَّلاث.

والإيمان أخصُّ من الإسلام؛ فإذا جمعا، وَقَع اسم الإسلام علىٰ الأعمال الظَّاهرة، واسم الإيمان علىٰ العقائد الباطنة، وإذا ذُكِرَ واحدٌ منهما شمل الآخر، إلَّا أنَّ الإيمانَ أخصُّ مِن الإسلام، والإسلام أعمُّ من الإيمان.

قال الله تعالىٰ مُخاطبًا الأعراب الَّذين قالوا: آمَنَّا، فعاتبهم الله في ذلك، وقال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].



هذه مراتب الإسلام والإيمان والإحسان؛ أي: هذه الدَّوائر هي مراتب الدِّين.

❁ ❁ ❁

بيان شعب الإيمان

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا: قَوْلُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

التعليق:

قال: «وهو» أي: الإيمان «بضعٌ وسبعون شعبةً».

ورد: «بضعٌ وسبعون»، وورد: «بضعٌ وسِتُّون».

«فأعلاها: قول لا إله إلَّا الله»، فأعلىٰ هذه الشُّعَب: قول لا إله إلَّا الله؛ لأنَّها هي الكلمة الَّتي يدخل بها العبد في الإسلام، وهي الكلمة الَّتي تعصم دم العبد وماله، وهذه الشُّعَب مُتردِّدةٌ بين أعلاها وأدناها[1].

---

(١) أخرج البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الإيمانُ بضعٌ وسِتُّونَ =

ومنها: ما هو أعظم من غيره في الأجر، وقَدْ ذكر النَّبيُّ ﷺ مَنيحة الشَّاة[(١)].

وورد أيضًا في الصَّدَقة بالماء أنَّه أعظم أجرًا من غيره؛ فعن سعيدٍ: أنَّ سَعْدًا أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقال: أيُّ الصَّدقةِ أعجبُ إليك؟ قال: «الماءُ»[(٢)].

وعن سعدِ بن عُبادة أنَّه قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قال: «الماءُ»، قال: فَحَفَرَ بئرًا، وقالَ: هذِه لأمِّ سَعْدٍ»[(٣)].

أمَّا إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، فهي مِنْ أدنىٰ الحسنات إلَّا أنَّ الحسنات لا يُستَهان بشيءٍ منها.

وقَدْ ورد في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغفَرَ لَهُ»[(٤)].

وورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ[(٥)]

ولمسلم: وسبعون - شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ»، وأخرج مسلم (٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - او - بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِن الإيمَانِ».

(١) أخرج البخاري (٢٦٣١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال: قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ». قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ العَنْزِ، مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً». ومنيحة العنز: هي أنثىٰ العنز تُعطىٰ ليُنتفع بلبنها ثم تُردُّ.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٩)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن أبي داود».

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، وحسَّنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح أبي داود» (١٤٧٦).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٥) الرَّكية: البئر.

قَدْ كَادَ يَقْتُلُه العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا[(١)]، فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ، فَغُفِرَ لها بِهِ»[(٢)].

والمُهِمُّ: أنَّ هذه الشُّعب مَنْ عَمِلَ بشيءٍ منها مخلصًا لله فيه، فهو قَدْ أرضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ولعلَّ الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر له بشيءٍ من ذلك.

❁ ❁ ❁

أركان الإيمان

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ القَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

التعليق:

قال: «وأركانه سِتَّةٌ»؛ أي: أركان الإيمان سِتَّةٌ كما ورد في حديث جبريل وغيره[(٣)]:

١- أن تؤمن بالله.

٢- وملائكته.

٣- وكتبه.

---

(١) الموق: ما يُلبس فوق الخُفِّ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

٤- ورسله.

٥- واليوم الآخر.

٦- وتؤمن بالقدر خيرِهِ وشرِّه.

أوَّلًا: أمَّا الإيمان بالله، فهو يشمل:

أوَّلًا: الإيمان بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر: ٤١].

ثانيًا: الإيمان بتوحُّده بالأُلُوهيَّة، وأنَّه لَا إلهَ غيرُه، ولا مستحقَّ للعبادة سواه، جَلَّ ربًّا، وتقدَّس إلهًا، هو الَّذي خلَق هذا الكون، وهو المُتصرِّف فيه، وهو المُدبِّر له، يُسعد ويُشقِي، ويَمنع ويُعطي، ويُفقر ويُغني، ويُمرض ويُصِحُّ، ويُحيي ويُميت، كلُّ الأمور بيده، ومَصير كلِّ العباد إليه، لا إله إلَّا هو، ولا يَستحقُّ العبادة أحدٌ سواه.

ثالثًا: الإيمان بأسمائه وصفاته، فله القُدرة الكامِلة، والحكمة الشَّامِلة، هو السَّميع البصير، وهو الحكيم الَّذي أعجزت حكمتُهُ العقول، اللَّطيف بعباده، يجب أنْ نصفَه بالصِّفات العُليا، ونُسمِّيَه بالأسماء الحُسنىٰ إلَّا أنَّ أسماءَه وصفاتِه تَوْقيفيَّةٌ، لا تُؤخَذ إلَّا عن الله أو عن رسوله ﷺ.

نؤمن بأنَّه علىٰ العرش استوىٰ، بائنٌ مِن خَلْقِهِ، وعلمُه شاملٌ لهم.

ونؤمن بأنَّه ينزلُ كلَّ ليلةٍ في الثُّلُث الأخير إلىٰ السَّماء الدُّنيا، فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسَتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[1].

ونؤمن بأنَّ له وجهًا لا كالوجوه، وأنَّ له يدًا لا كالأيدِي، صفاته كامِلةٌ كذاتِه،

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

يجبُ أنْ نؤمنَ بها، ونعتقد معناها، ونُفوِّض كَيفيَّتها.

قال مالكٌ لِمَنْ قال له: كيف استوىٰ؟

قال: «الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ»(١).

والمُهِمُّ: أنَّ الإيمانَ به يشملُ الإيمان بوجودِه، والإيمان بتوحُّده بالأُلُوهيَّة، والإيمان بأسمائه وصفاتِه.

ثانيًا: أمَّا الإيمان بالملائكة: فيجبُ أنْ نؤمنَ بجميع أجناسهم، وأنَّ منهم حَمَلةَ العرش، ومنهم الملائكةَ الكَرُوبيِّين الَّذين حولَ العرش، وأقربهم إليه جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَلَكُ الموت وخازنُ النَّار وخازنُ الجنَّة.

خازن النَّار: مَالك.

وخازن الجنَّة: رضوان(٢).

---

(١) أخرجه البيهقيُّ في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٥ - ٣٠٦ برقم ٨٦٧ الحاشدي)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٩ أبو العينين).

ورواه البيهقي أيضًا في «الأسماء والصِّفات» (٢/ ٣٠٤ - ٣٠٥ برقم ٨٦٦) عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب قال: كنتُ عند مالك فدخل رجل فقال، فذكر نحوه. وصحَّح إسنادَه الذَّهبيُّ في «العلوِّ للعلي العظيم» (ص١٣٨ أشرف عبد المقصود). وذكره الذَّهبي من رواية جماعة عن مالك، وقال: «هذا ثابت عن مالك». وقال الحافظ ابنُ حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧ المعرفة): «إسنادُه جيِّد». وصحَّحه الألبانيّ في «مختصر العلوِّ»: ص (١٤١ - ١٤٢). وانظر للتَّوسع كتابَ: «الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء» للشيخ عبد الرَّزَّاق العبَّاد.

(٢) سئل الشيخ ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل ورد أنَّ اسمَ خازن الجنَّة رضوان؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتهرتْ به الآثارُ أنَّ اسمَه رضوان، لكنَّني لا أعرفُ فيه حديثًا صحيحًا عن الرَّسولِ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ» راجع «لقاء الباب المفتوح» (٩٩) في يوم الخميس الرَّابع عشر من شهر ربيع الأوَّل عام (١٤١٦هـ).

وخُزَّان النَّار خَلَقَهم الله لغضبه، فهم لا يَضحكون ولا يرحمون.

وخُزَّان الجنَّة بخلاف ذلك.

ومِمَّا يدلُّ علىٰ كثرة الملائكة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ زار ليلة أُسريَ به البيت المعمور، فأخبره جبريلُ بأنَّه: «**يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيهِ آخِرَ مَا عَلَيهِمْ**»[١].

فإذا كانُوا منذ خلق اللهُ السَّموات والأرض هذا دَأْبُهم، فمن الَّذي يَقْدر علىٰ إحصائهم؟! قال ﷺ: «**إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَونَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّت السَّمَاءُ وَحُقَّ لها أَنْ تَئِطَّ**[٢]**؛ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ، واللهِ، لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ الله، لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ**»[٣].

فيجب علينا أنْ نؤمن بالملائكة، وأنَّهم موجودون معنا، ولكن لا نراهم كما أنَّ الجنَّ موجودون معنا، ونحن لا نراهم.

ثالثًا: ونؤمن بالكتب المنزلة: منها ما سُمِّيَ، ومنها ما لم يسمَّ؛ فالمُسمَّىٰ: توراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وزبور داود، وصُحُف إبراهيم، وقرآن مُحمَّدٍ ﷺ.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أُعْطِيَ كتابًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) **الأطيط**: صوت الرَّحْل وشبهه، ومعناه: أن كثرة من في السَّماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتَّىٰ أطَّت.

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠) مِن حديثِ أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال: «حسنٌ غريبٌ، ويُروىٰ مِن غير هذا الوجهِ أنَّ أبا ذرٍّ قال: «لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»، ويُروَىٰ عن أبي ذرٍّ موقوفًا. اهـ. وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح ابن ماجه» (٤١٨٠)، دون قوله: «لَوَدِدْتُ... ».

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أُمِرَ بالتَّوحيد.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ حذَّر من الشِّرْك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

يجب أنْ نُؤمنَ بالكُتب المنزلة علىٰ الرُّسُل إجمالًا فيما أُجملَ، وتفصيلًا فيما فُصِّلَ، أمَّا كتابُنا القرآن، فيجبُ أنْ نُؤمنَ به إيمانًا مُفصَّلًا.

رابعًا: أمَّا الإيمان بالرُّسُل: وهو أنْ نُؤمنَ برُسل الله، مَنْ ذُكِر منهم نُؤمنُ به علىٰ التَّعْيين، ونُؤمن برسالته علىٰ الإجمال، ومَنْ لم يُذْكر منهم فنحنُ نُؤمنُ بأنَّ الله قَدْ أرسلَ رُسُلًا لهداية البشريَّة، أوَّلهم نوحٌ، وآخرُهم مُحمَّدٌ ﷺ.

خامسًا: أمَّا الإيمان باليوم الآخر: وهو اليوم الَّذي لا يومَ بعدَه.

اليوم الَّذي يُقدَّر بخمسين ألف سنةٍ.

اليوم الَّذي تأتي فيه كلُّ نفسٍ تجادلُ عن نفسِها.

وأنَّ ذلك اليوم يقع فيه الجزاء علىٰ الأعمال؛ فالمؤمنون لهم الجنَّة، والكافرون دارهم النَّار، نعوذ بالله منها.

ونؤمن بالجنَّة والنَّار، وأنَّ إحداهما مأوىٰ المحسنين، والأخرىٰ مأوىٰ المسيئين.

سادسًا وأخيرًا: الإيمان بالقَدَر خيرِهِ وشرِّه، حلوِهِ ومُرِّه.

وأنَّ كلَّ ذلك مِن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقَدَرٍ منه، وأنَّه كتبَ في اللَّوْح المحفوظ كلَّ ذلك، وعَلِمَ الشَّقيَّ منهم والسَّعيدَ، وأنَّهم صائرون إلىٰ ما كتب عليهم، غير أنَّ ذلك سيكون باختيارٍ منهم، وأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُعاقبُهم علىٰ ذلك؛ لأنَّهم استحبُّوا الضَّلالةَ علىٰ الهُدىٰ، والغيَّ علىٰ الرُّشد.

نسألُ الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يَجعلَنا مِن الرَّاشِدين المَهْديِّين.

ثمَّ أورد الأدلَّة؛ فآية (البقرةِ) دليلٌ على أركان الإيمان ما عدا القَدَر.

أمّا دليلُ القَدَر، فهو قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

❁❁❁

المرتبة الثَّالثة: الإحسان

المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ.

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

التعليق:

سبق لنا أَنْ شرحنا مرتبةَ الإسلام بأركانه، ومرتبةَ الإيمان بأركانه، وقُلنا: إنَّ مرتبةَ الإسلام أعمُّ، ومرتبةَ الإيمان أخصُّ، وأنَّه إذا ذكر الإسلام والإيمان معًا فإنَّ الإسلام يكون مقصودًا به الأعمال الظَّاهرة، والإيمان مقصودًا به العقائد الباطنة.

أمَّا الإحسان: فهو أعلىٰ مراتب الدِّين وأفضلُها.

والإحسان في اللُّغة يقع على معنيين:

المعنىٰ الأوَّل: يقع علىٰ معنىٰ الإتقان: بأَنْ يُتقنَ العبدُ عبادةَ ربِّه، مُخلصًا فيها حتَّىٰ يكون الإيمان بالغيب كالشَّهادة.

وقَدْ فُسِّر الإحسان: بـ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

فقولُه: «تَعْبُد اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» أعلىٰ المرتبتين، بمعنىٰ: أنَّه يكون الإيمان بالغيب كالشَّهادة، وهذا معنىٰ قوله: «كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

والدَّليلُ مِن السُّنَّة: حديثُ جبريل المشهور عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: «**بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ...**» الحديث[1].

والمرتبة الثَّانية في الإحسان، وهي أقلُّ من المرتبة الأولىٰ: «فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يَرَاكَ» أنْ تُؤمنَ وتَعتقدَ بأنَّ اللهَ يَراكَ في عبادتِك فتُحسنها.

أمَّا المعنىٰ الثَّاني: فهو الإحسان إلىٰ المخلوقين بِبَذْل المعروف لهم وإيصاله إليهم، وكلُّ معروفٍ داخلٌ في ذلك، فالصَّدَقة علىٰ الفقراء والمساكين بقَدْر الاستطاعة، وتعليم الجاهل، وإنقاذ الواقع في الورطة ولم يكن مُحدثًا فيها حدثًا، فسعيت في إنقاذه، أو خَفَّفت هذه الورطة عنه، أو أَعَنْته بنوعٍ من الإعانة؛ إمَّا بجاهك أو بمالك، والأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر، والكلمة الطَّيِّبة، والإحسان إلىٰ الجار، هذا من المعروف... إلىٰ غير ذلك من المعروف الَّذي تَتعدَّد أنواعُه، وتكثُر جِهاتُه.

إلَّا أنَّ حديث جبريل فَسَّر الإحسان بالمعنىٰ الأوَّل، والمعنىٰ الثَّاني يدخل فيه؛ فإذا تَصدَّقتَ مُوقنًا بالخُلف، دَخَل في ذلك، وإذا صبرتَ علىٰ الأذىٰ مُوقنًا بالأجر، دخلَ في ذلك.

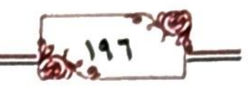
وقَدْ تَبيَّن أنَّ الإحسان له معنيان:

أحدهما: هو الإتقان للعمل.

والثَّاني: بذل المعروف للخَلْق عبوديَّةً للحقِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، وفيه تعريف الإسلام والإيمان والإحسان.



الأصل الثالث: معرفة النبي ﷺ

الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِم مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

التعليق:

هذا إِلْمامٌ بِنَسَبِهِ - صلواتُ الله وسلامُه عليه -؛ فهو مِن ذُرِّيَّة إسماعيلَ بن إبراهيم عليهما الصَّلاة والسَّلام.

والعرب تنقسم إلى قسمَين:

١- **عربٌ عاربةٌ:** وهي الأصل في العرب، وهم القَحْطانيُّون.

٢- **وعربٌ مستعربة:** وهم العَدْنانيُّون الَّذين ينتهي نَسَبهم إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصَّلاة والسَّلام.

والنَّبيُّ ﷺ من العرب المستعربة الَّذين يعود نَسَبهم إلىٰ إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه.

وهو دعوة إبراهيم - عليه الصَّلاة والسَّلام - في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي عِنْدَ اللهِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ، دَعْوَةِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةِ عِيسَىٰ قَوْمَهُ**[1]، **وَرُؤْيَا**

(١) قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَكَذَلِكَ تَرَىٰ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ»(١).

❁ ❁ ❁

طرف من سيرته ﷺ المشرقة

وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

نُبِّئَ بِـ: «اقْرَأْ»، وَأُرْسِلَ بِـ: «المُدَّثِّر».

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٨) (١٧٢٠٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وضعّفه الألباني رحمه الله في «الضّعيفة» (٢٠٨٥). لكن قوله ﷺ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَىٰ قَوْمَهُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ» قد صحّ من طريق آخر عند الحاكم (٢/ ٦٥٦)، وغيره، كما في «الصّحيحة» (٤/ ٦٠) تحت (١٥٤٥).

الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «سَبَبُ نُزُولِ هَٰذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»(١).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ، أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مِثْل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ؛ أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

ثُمَّ تُوُفِّيَ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ؛ لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ (الجِنِّ وَالإِنْسِ).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٢).

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

التعليق:

تُوفِّي النَّبِيُّ ﷺ وله من العُمُر ثلاثٌ وستُّون سنةً؛ أربعون قبل النُّبوَّة، وثلاثٌ وعشرون نبيًّا ورسولًا.

قال: (نُبِّئ بـ: «اقْرَأْ»، وَأُرسِلَ بـ: «المدثِّر»): أوَّل سورة: «اقرأ» هي أوَّل ما بدأ به مِن الوحي، أمَّا سُورة «المُدثِّر» فهي بعد فترة الوحي، وهي الَّتي أمر فيها بالإنذار.

قال: «وبلدُه مَكَّةُ»؛ أي: بلده الَّتي وُلد فيها وعاش فيها: مكَّة حتَّىٰ هاجر إلىٰ المدينة

قال: «بَعثَه اللهُ بالنَّذارَة عن الشِّرك، وبالدَّعوة إلىٰ التَّوحِيدِ»: لا شكَّ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمَرَه وأَمَرَ كلَّ نبيٍّ بالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد؛ فيكون التَّوحيد هو الأساسُ الَّذي يُبنَىٰ عليه الدِّين.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

معنىٰ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾: المُتلفِّف بثيابه.

﴿قُمۡ﴾: أمرٌ له بالإنذار، بالإنذار عن الشِّرك، والدَّعوة إلىٰ التَّوحيد.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: عظِّمْهُ بالتَّوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: طهِّرْ أعمالك من الشِّرْك.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرُّجز: المراد به الأصنام، كما قاله العُلماء.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تُهدي الهَدِيَّة تريد أفضل منها.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ اصبر لربِّك فيما قَدَّره عليك من حاجةٍ أو مرضٍ أو غيرهما.

يقول الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ**»؛ أي: أخذ علىٰ الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد عشر سنين، لم يأمر أحدًا بصلاةٍ، ولا صومٍ، ولا زكاةٍ، ولا شيءٍ، إذ إنَّ هذه الأشياء إنَّما فُرِضَتْ بعد الهجرة، إلَّا الصَّلاة، فإنَّها فُرِضَتْ قبل الهجرة بثلاث سنواتٍ.

قال: «**وَبَعْدَ العَشْر عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّماءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ**»، وقبْل فرض الصَّلاة كان النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي ركعتين في الصَّباح، وركعتين في المساء، ويقوم اللَّيل.

قال: «**وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالهِجْرَةِ إِلَىٰ المدِينَةِ**» وهي يثرب.

ومعنىٰ الهجرة: أن تهجر بلد الشِّرْك؛ أي: تتركها وتجيء إلىٰ بلد الإسلام؛ لأنَّ الهجرة مأخوذةٌ من الهَجْر وهو التَّرْك، وقَدْ أُمِرَ المسلمون بتَرْك بلاد الشِّرك والقدوم إلىٰ بلد الإسلام.

وحكمها: الوجوب علىٰ مَنْ قَدَر عليها.

ولهذا أخبر اللهُ عن أقوامٍ بأنَّهم تتوفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسِهم بسبب تَرْكهم الهجرة وإيثارِهم لبلاد الشِّرْك.

يُؤخذ من هذه الآيات:

وجوب الهجرة علىٰ مَنْ قَدَر عليها؛ أنْ ينتقل من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام، ذلك لأنَّ بلد الكفر يتعرَّض فيها المؤمن للإيذاء، وتكون السُّلْطة عليه لا معه، وإنْ سَلِمَ من الإيذاء فإنَّه لا يَسْلمُ مِن التَّحاكم إلىٰ غير حُكم الله من القوانين

التي قننها البشر، وحكّموا بها عباد الله، ولكن الهجرة لا بدَّ أن تكون في زمننا الحاضر بإذنٍ من الدَّولة المُهاجَر إليها، فإذا منعتْ الدَّولة أن تقبل هذا المهاجر، فإنَّه لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله.

لقد كانت الأمور مُيسَّرةً، أمَّا الآن ففي الهجرة صعوبةٌ؛ إمَّا أنْ يكون من ناحية البلد المُهاجَر منها، وإمَّا أن يكون مِن ناحية البلد المُهاجَر إليها، فمَنْ تيسَّرت له الهجرة إلىٰ بلدٍ إسلاميٍّ، فإنَّه يجبُ عليه أن يفعل ذلك، وإنَّ بعض بلدان المسلمين الآن تُشدِّد علىٰ مَنِ التزم دينَ الله في كلِّ ما يأتي ويَذَر.

والخلاصة: أنَّ أيَّ مسلمٍ في بلدٍ يحكمها الكُفَّار بالقوانين الكُفْريَّة يجب عليه أن يهاجر منها إنْ تيسَّر له، فإنْ لم يتيسَّر له، فإنَّه فيما يظهر أنَّه يكون معذورًا؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وبالله التَّوفيق.

قال: والدَّليل علىٰ الهجرة من السُّنَّة: قوله ﷺ: «**لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»[1].

هذا دليل علىٰ استمرار الهجرة، وأنَّها باقيةٌ ما بقِيَت الدُّنيا.

أقولُ: وفاةُ النَّبيِّ ﷺ في الثَّاني عشر من ربيعٍ الأوَّل، وفي العام العاشر من الهجرة؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ثمَّ تولَّىٰ الخلافة بعده أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي بن أبي طالبٍ بعد مقتل عثمان من قِبَل الخوارج سنة (٣٦ هـ).

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، مِن حديث معاوية رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح أبي داود» (٢٢٤١).

ودينُهُ باقٍ ما بقيَ القُرآنُ بين أظهُرنا، وما بقِيَت السُّنَّة في بُطُون الكُتُب.

لا خيرَ إلَّا دلَّ الأُمَّة عليه، ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه. والخيرُ الَّذي دلَّها عليه: التَّوحيدُ وجميعُ ما يحبُّه ويرضاه. والشَّرُّ الَّذي حذَّرها منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرهه ويأباه.

أقولُ: إنَّ الأوامرَ والنَّواهيَ باقيةٌ في مصادرها الشَّرعيَّة مِن كتابٍ وسُنَّةٍ، ويجبُ على النَّاس أنْ يلتمسوها مِن مَظانِّها، ويعملوا بها؛ لأنَّ الله كَلَّفهم بذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ٤٧ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾ [الشورى: ٤٧، ٤٨].

وأشدُّ وأفظعُ ما يجب اجتنابه: هو الشِّرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

إنَّ طاعة رسول الله ﷺ واجبةٌ في كلِّ ما أَمر به، وكلِّ ما نَهىٰ عنه بشرط الاستطاعة؛ لأنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقولُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التَّغابن: ١٦].

وكان النَّبيُّ ﷺ يُبايع المؤمنين ويقول للمبايع: «عَلَيْكَ السَّمْعَ والطَّاعَةَ فِيمَا اسْتَطَعْتَ»[(١)]، حتَّىٰ قالت امرأةٌ من المؤمنات: «للهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بنَا مِنْ أَنْفُسِنَا»[(٢)].

إنَّ وجوبَ طاعته ﷺ، واعتقاد عموم رسالته واجبٌ علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ؛ كقوله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٧) (٢٧٠٥٤)، وابن حبَّان في «صحيحه» (٤٥٥٣)، من حديث أميمة بنت رقيقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا. وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصَّحيحة» (٥٢٩).

جلَّ وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال ﷺ في حديث جابر في الخمس الخصائص: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً»(١).

لم يَمُتْ حتَّىٰ أكمل الله به الدِّين؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، أخبره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

❁ ❁ ❁

البعث بعد الموت

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ، وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

التعليق:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بأَعْمَالِهم»، إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم بنحوه (٥٢١)، والحديث بتمامه عند البخاري عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً».

قال جلَّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

فاللهُ سيجزي كلَّ عبدٍ بما عمِل؛ المحسنون يجزيهم بإحسانهم، والمسيئون يجزيهم بإساءتهم، وأهل الإحسان هم أتباع الرُّسُل، وأهل الإساءة هم مخالفوهم.

وقدْ أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بهلاك الأمم المُكذِّبة، وفي ضمن ذلك الإخبار إنذارٌ لمَنْ يقرؤه ويسمعُه مِن العَواقب السَّيِّئة الَّتي لا بدَّ أنْ تحصل لمَنْ كذَّب الرُّسُل، وكَفَر بما جاؤوا به؛ وذلك بأن يجمع الله عَزَّوَجَلَّ عليهم عذابَ الدُّنْيا وعذابَ الآخرة، أو يعافيهم مِن عذاب الدُّنيا، ثمَّ يجمع الله عليهم العذاب يوم القيامة في النَّار، وبالله التَّوفيق.

❁❁❁

التكذيب بالبعث كفر

ومَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

التعليق:

الإيمان بالبعث بعد الموت ركنٌ مِن أركان الإيمان، لا يتمُّ إيمانُ العبد إلَّا به.

ولذلك فإنَّ مَنْ كذَّب بالبعث بعد الموت كَفَر كُفرًا يُخرجُه مِن الإسلام إنْ كان مسلمًا، ويُوجب عليه الخُلُود في النَّار؛ قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

لقَدْ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القُرآن نماذجَ تدلُّ علىٰ البعث بعد الموت:

النَّموذج الأوَّل منها: إحياء القتيل الَّذي قُتِل من بني إسرائيل وَاشْتَجروا في قتلِه، وكان الَّذي قتله قريبٌ له، فاحتكموا إلىٰ موسىٰ، فأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يضربوه بعضوٍ من أعضاء بقرةٍ تُذْبَح، وبعد الحوار بين موسىٰ وقومه تَوصَّلوا إلىٰ البقرة وذبحوها، فأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يضربُوه ببعضِها، فضربُوه ببعضِها، فعادَت إليه الحياة، فقام وجلس، ثمَّ قال: قتلني فلانٌ، ثمَّ عاد ميتًا[(١)].

والنَّموذج الثَّاني: الَّذي مَرَّ علىٰ القرية بعد أنْ خربت وخرج منها أهلُها، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾، كيف يحيي الله هذه بعد موتها! ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾ [البقرة: ٢٥٩] بعد ذلك، كما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ذلك في سورة (البقرة)، وأحيا حماره وهو ينظر، وأُتِيَ له بطعامه وشَرابه لم يَتسنَّه؛ أي: لم يَتعفَّنْ مِن تلك المُدَّة الطَّويلة.

النَّموذج الثَّالث: الَّذي ذكره الله أيضًا في سورة (البقرة) أنَّ جماعةً خرجُوا مِن ديارهم وهم أُلوفٌ حَذَر الموت؛ أي: حاذرين مِنْ وقوعه بهم، فقال لهم الله: موتُوا، ثمَّ أحياهم بعد ذلك، وماتوا بآجالهم.

وهذه النَّماذج كلُّها في سورة (البقرة).

النَّموذج الرَّابع: في سورة (الكهف)، وهم أصحاب الكهف.

وهذه النَّماذج جَعَلها الله لعباده في الحياة الدُّنيا ليستدلُّوا بها علىٰ الحياة بعد الموت، وإلَّا فإنَّ الحياة بعد الموت ثابتةٌ بخبر الله عنها.

والمُهِمُّ: أنَّ الحياة بعد الموت يوم القيامة، والإيمان بها يحصل للنَّاس في عَرَصات القيامة، والجنَّة والنَّار الَّتي يَؤُولون إليها كلُّ ذلك داخلٌ في الرُّكْن

---

(١) أخرج القصَّةَ ابنُ جرير في «تفسيره» (٢/ ١٨٥، ١٨٦).

الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر.

وقَدْ ردَّ الله على المُكذِّبين بهذا اليوم في آياتٍ عِدَّةٍ، ودلَّ إحياء الأرض بعد موتها على ذلك، نسأل الله أن يصبغ قلوبنا بصِبْغة الإيمان. قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾، الزَّعم: هو مَطيَّة الكذب كما يقولون! وهو القول بلا دليلٍ.

قوله: ﴿أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ﴾؛ أي: أنْ لنْ يحيوا بعد الموت. قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: قل يا مُحمَّد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

قال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١ - ٤].

❁ ❁ ❁

مهمّة الرُّسل: البشارة والنّذارة

وَأَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ** ﷺ **خاتَمُ النَّبِيِّينَ. والدَّليلُ قولُه تعالىٰ:** ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]،

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

التعليق:

ثمَّ قال: «وَأَرْسَلَ اللهُ جَميعَ الرُّسُلِ» ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

الرُّسُل: هم الأَدِلَّاء على الله، وهم القادة إلى مرضاته وجنانه، فبهم يُعرَف الله عَزَّوَجَلَّ، وتُعرف مرضاته والطُّرُق الموصلة إليها، فلا سبيل إليه إلَّا من طريقهم.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٦].

فالعبادة فيها شرطان:

أوَّلًا: شرط الإخلاص.

وثانيًا: شرطُ المتابعة بأنْ تكون مُتَّبعًا لرسولٍ من الرُّسُل.

وأخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ أوَّل الرُّسل: نوحٌ.

وآخرهم: مُحمَّد ﷺ، وهذه الحقائق مقطوعٌ بها لا تقبل الجدل، قال جلَّ من قائل: ﴿۞إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

وخاتمهم مُحمَّدٌ ﷺ؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

❁ ❁ ❁

دعوة الرُّسل واحدة وهي: عبادة الله واجتناب الطاغوت

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا؛ مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.



قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ».

التعليق:

ولقَدْ بعَث الله في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يُحذِّرهم ويُنذرُهم ويأمرُهم بعبادةِ الله، وينهاهم عن عِبادة الطَّاغوت، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فكلُّ الرُّسُل مُتَّفقون على هذين الأمرين:

١- الأمر بعبادة الله وحده.

٢- النَّهي عن عبادة الطَّاغوت والكفر به.

والطَّاغوت: يشمل كلَّ مَنْ عُبِدَ بباطلٍ.

وأحسنُ ما فُسِّر به الطَّاغوت قولُ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنىٰ الطَّاغوت: مَا تَجاوَزَ به العبدُ حَدَّه مِن معبودٍ، أو مَتبوعٍ، أو مُطاعٍ»[(١)].

فمَنْ عُبِدَ مِن دون الله عَزَّوَجَلَّ فقَدْ تجاوز به العابد حَدَّه؛ إذْ من حقِّ كلِّ مخلوقٍ أنْ يكون عبدًا لا معبودًا، وأنْ يدين لله بالأُلُوهيَّة وحدَه.

وكذلك قوله: «أو متبوع»، فالعبد يجب عليه أن يكون تابعًا لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أمر الله به في كتابه أو علىٰ لسان رسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنْ تَبعَ مخلوقًا وترك المتابعة لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنَّه قد اتَّخذَه طاغوتًا، ومن حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكون تابعًا لكتاب الله، ولسُنَّة رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمَنِ اتَّخذ المخلوق متبوعًا، فقَدْ تجاوز به حدَّه، وغلا فيه غلوًّا يخرجه عن الحقِّ؛ لأنَّ الطَّاعة المطلقة حقٌّ لله تعالىٰ ولرسوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠).

أمَّا قوله: «أو مُطاع» فهو كذلك أيضًا، وقدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا طَاعَةَ لمخْلُوقٍ في مَعْصِيةِ الخَالِقِ**»(١).

❁❁❁

من هم رؤوس الطواغيت؟

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرةٌ، رُؤوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، **وَهَذَا مَعْنَىٰ لا إلَهَ إلَّا اللهُ.**

التعليق:

الطَّواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسةٌ:

«**إبليسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ**».

فإبليس: هو رأس الطَّواغيت؛ لأنَّه عارضَ ربَّه في أمره، واعترض عليه في سلطانه، فلعنه الله وأبعده من الجنَّة، وطرده منها.

ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ: فقَدِ اتَّخذ مقام الأُلُوهيَّة، وأخذ ما ليس له؛ إذ مِن حقِّه أنْ

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٠ حمدي السَّلفي) (٣٨١)، عن عِمران بن حُصين رضي الله عنه. والبغويُّ في «شرح السُّنة» (١٠/ ٤٤ أرناؤوط)، عن النَّواس بن سمعان رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٣٦٩٦).

يكون عابدًا لا معبودًا، ومربوبًا لا ربًّا؛ لأنَّه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا.

ومَنْ دعَا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه.

كذلك مَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيب، فقَدِ ادَّعَىٰ حقَّ الأُلُوهيَّة.

ومَنْ حكَم بغير ما أنزلَ الله؛ فقَدِ ادَّعَىٰ حقَّ الأُلُوهيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

وكلُّ ذلك خروجٌ عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتمرُّدٌ عليه، وادِّعاءٌ لحقِّه بغير حقٍّ، قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قال: «**وَهَذَا هُوَ مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

قلتُ: ومعنىٰ لا إله إلَّا الله: لا معبودَ بحقٍّ في الوجودِ إلَّا اللهُ.

❁ ❁ ❁

رأس الأمر الإسلام

وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

التعليق:

قوله: «وفي الحديث: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ**»[1].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإرواء» (٤١٣).

فالإسلام: هو رأسُ الأمر؛ إِذْ لا يدخل أحدٌ الجنَّة إلَّا بالإسلام، ولا يَثبتُ له الأمن مِنْ عذاب الله إلَّا بالإسلام، ولا تصحُّ صلاته، وزكاته، وصومُه، وحَجُّه إلَّا بالإسلام.

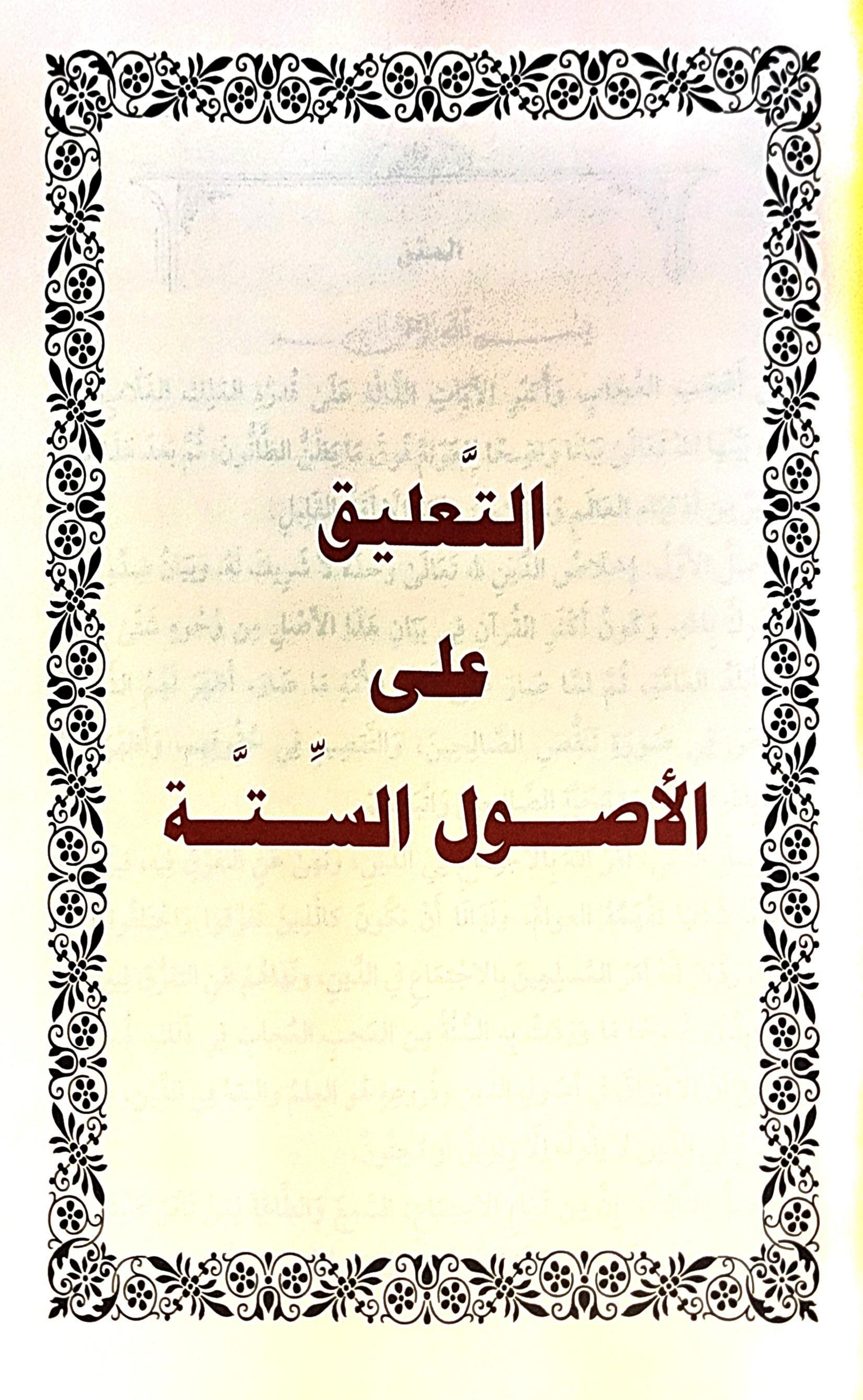
وعموده الصَّلاة؛ أي: أنَّ العمود الَّذي يقوم عليه فسطاط الإسلام هو الصَّلاة، فإِنْ لم يكُن للدِّين عمودٌ، فقَدْ ذَهَب الدِّين.

وقوله: «وذروة سنامِه الجهادُ»؛ أي: أعلاه، وأفضل شيءٍ فيه هو الجهاد في سبيل الله.

وبذلك تَمَّتْ هذه التَّعْليقات علىٰ كتاب «الأصول الثلاثة»، وَفَّق الله الجميع لِمَا يحبُّه ويرضاه.

وصلَّىٰ الله علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.





التَّعليق على الأصول السِّتَّة



المتن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ وَأَكبرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَها اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأصلُ الأوَّلُ: إخلَاصُ الدِّينِ لله تَعالَىٰ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ، وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ.

الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، ونَهَىٰ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فبيَّنَ اللهُ هَذا بيانًا شَافيًا تَفْهَمُهُ العوامُّ، ونهَانَا أَنْ نكُونَ كالَّذِينَ تفرَّقوا وَاخْتلفُوا قبْلَنا فَهلَكُوا، وذَكرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسلِمِينَ بِالاجْتِمَاعِ في الدِّينِ، ونَهاهُمْ عَنِ التفرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافْتِرَاقَ في أُصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلَّا زِندِيقٌ أو مَجنُونٌ.

الأَصلُ الثَّالِثُ: إنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَينا وَلَو كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنواعِ البَيَانِ شَرعًا

وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ، فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟!

الأَصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]. إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِن الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمُ.

الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ اللهِ، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُمْ وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّار، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِيَ قَولُهُ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِيَ قَولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِيَ قَولُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لا بُدَّ فِيهِمْ مِنْ تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلا بُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلا بُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ

وَالتَّقوَىٰ، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوصَافٌ لَعَلَّهَا لا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبحَانَ اللهِ وَبِحَمدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: ٧ - ١١].

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.





الأصل الأول: الإخلاص

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَال المصنِّفُ:

مِنْ أَعجَب العُجَابِ، وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ[١]، بَيَّنَها اللهُ تَعَالَىٰ بَيانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ[٢] فوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ[٣].

الأَصلُ الأَوَّلُ: إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ، وَكَونُ أَكثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ

---

(١) ذكر الشيخُ عبيدُ بن عبد الله بن سُليمان الجابري - حفظه الله - في (ص٦) من كتابه «تنبيه ذوي العقول السَّليمة إلىٰ فوائد مستنبطة من السِّتَّة الأصول العظيمة» - تعريف الأصول: قوله: «الأصول: جمع أصل، وهو في اللُّغة: ما يُبنىٰ عليه غيرُه، ومنه الأساس، أصل البناء، والجذع: أصل الشجرة، قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٌ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

والمراد هنا: قواعد مستنبطة مِن الكتاب والسُّنَّة للدلالة علىٰ كمال حكمة الله وقُدرته، وكمال هديه وتشريعه، وهذه القواعد السِّتُّ استنبطها الشَّيخُ من الكتاب والسُّنَّة». اهـ.

(٢) قال شيخنا أحمد النجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العاميُّ: هو مَنْ لا يقرأ ولا يكتب».

(٣) إنْ دلَّ هذا فإنَّما يدلُّ علىٰ بُعدهم عن الله، وهجرهم للعمل بكتابه تعالىٰ، وسُنَّة رسولنا محمَّد ﷺ إلَّا مَنْ هداه الله، فمَنْ رَزَقَه اللهُ ذَكاءً وعقلًا واعيًا، ولم يرزقه الله زكاءً في أعماله، فهذا ما عرَف حقَّ الله عليه، وكأنَّ هذا المُعْرِض عن العمل الصَّالح ما سمع قول ربِّه تعالىٰ وهو يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]؛ إذ العبرة بالعمل، لا بكثرة العلم والذَّكاء، والله أعلم.

الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِم.

التعليق:

قوله: «إِخْلَاصُ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ بِاللهِ، وَكَوْنُ أَكْثَرِ القُرْآنِ لِبَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ»:

أقول: الإخلاص لله هو القاعدة العظيمة من قواعد الدِّين الَّتي ينبني عليها، ويتلوه المتابعةُ، فالدِّينُ يقوم علىٰ هذين الأصلين:

١- إخلاصُ الدِّين لله تعالىٰ وحده لا شريك له.

٢- متابعةُ رسوله ﷺ، فلا يُقبَل عملٌ إلَّا بتوفُّرِ هذين الشَّرطين فيه، فمَنْ عَمِلَ عملًا لم يُؤسَّسْ علىٰ هذين الأصلَين، فإنَّ عملَه يكون مردودًا عليه، حتَّىٰ ولو أخلَّ بواحدٍ منهما؛ فمَنْ أخلَص لله ولكنَّه لم يتابع رسولَ الله ﷺ؛ فإنَّ عملَه باطلٌ لعدم المتابعة، ومَنْ تابع الرَّسول ﷺ فقط ولم يخلصْ لله، فإنَّ عملَه باطلٌ أيضًا؛ لعدم الإخلاص.

فمن الأدلَّة علىٰ الإخلاص: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

والأدلَّة علىٰ هذا كثيرةٌ، وأكثر السُّوَر المكيَّة آياتها في حوارٍ مع المشركين، وبيان بطلان دينهم، والاستدلال علىٰ إبطاله، وبيان أنَّ معبودِيهم - وهي الآلهة الَّتي يعبدونها - لا تملك شيئًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

وقوله في آيةٍ أخرىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]، وبيان عجز هذه الآلهة وضعفها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وفي أثناء ذلك يُبيِّن الله عَزَّوَجَلَّ قُدرتَه في مخلوقاته الَّتي خَلَقَها، وآياته الَّتي أودعَها في هذا الكون ليدُلَّك علىٰ كمالِهِ وقُدرتِهِ، وأنَّه هو الإلهُ الحقُّ المستحقُّ للأُلُوهيَّة دون سواه، وأنَّه هو الَّذي ينبغي أنْ يُعبَدَ وأنْ تُخْلَصَ له العبادةُ لما له علىٰ النَّاس مِن فضلٍ بخلقهم وإيجادهم، وما يُسْدي لهم مِن النِّعم، وما يتفضَّل به عليهم مِن الرِّزْق، فهو المستحقُّ للعُبُوديَّة دون سواه؛ والكلام في هذا يطول لو أردنا أن نسلك شيئًا من التَّقصِّي، وما ذُكر فيه الكفاية.

وأمَّا المتابعة؛ فأدلَّتها كثيرةٌ أيضًا من كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ؛ فمنها ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَىٰ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»(١).

أمَّا قوله: «**ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكْثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الإِخْلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقْصِيرِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَاتِّبَاعِهِمْ**».

المقصود بهذا الكلام: أنَّه لمَّا أُدخل في الدِّين ما أُدْخِل من البدع، كبدع الصُّوفيَّة، وبدع التَّشيُّع، وما إلىٰ ذلك من البدع؛ أظهر الشَّيْطان لكثيرٍ من النَّاس أنَّ إخلاص العبادة لله، وعدم دعاء أولئك الصَّالحين - في زعمهم - يكون فيه تَنقُّصٌ للصَّالحين، وتقصيرٌ في حقوقهم، وأنَّ مَنْ دعا أولئك الصَّالحين، واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله، فقَدْ عرف حقَّهم؛ علمًا بأنَّ الله يمنع ويأبىٰ أن يُشْرك معه غيره في شيءٍ من العبادة؛ حتَّىٰ ولو كان مَلَكًا مُقرَّبًا، أو نبيًّا مرسلًا.

وقَدْ فَصَّل الله عَزَّوَجَلَّ في بعض آياته بين الحقِّ المشترك بينه وبين رسوله، والحقِّ الخالص له، فقال جلَّ مِن قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

فجعل الطَّاعة مشتركةً بينه وبين الرَّسول، وجعل الخشية والاتِّقاء له وحده،

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

وقَدْ قال الله عَزَّوَجَلَّ عن الرَّسول ﷺ الَّذي هو أكرم الخَلْق عليه، وأعلاهم عنده منزلةً، وأفضلهم عنده مقامًا: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وبهذا يتبيَّن أنَّ قولهم هذا قولٌ باطلٌ، وخطأٌ فاحشٌ لا يجوز لأحدٍ أن يعتقده، وأنَّ المُوحِّدين لم يهضموا الصَّالحين حقَّهم؛ بل يحبُّونهم لله إِنْ كانُوا صالحين علىٰ الحقيقة.

ولكنَّهم لا يُعطونهم شيئًا من حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لِعلمِهم أنَّ ذلك مُوجِبٌ لسخطه تعالىٰ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ لمَنْ قال له: أَنْتَ سَيِّدُنَا وَابنُ سَيِّدِنَا: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولُ اللهِ، وَاللهِ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَا رَفَعَنِي اللهُ عَزَّوَجَلَّ»(١).

وقال لمَنْ قال له: يا رسول الله، جَهِدَتِ الأنفسُ، وضاعتِ العيالُ، ونَهكَتِ الأموالُ(٢)، وهَلَكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللهَ لنا، فإنَّا نستشفعُ بك علىٰ الله، ونستشفعُ بالله عليك.

قال رسولُ الله ﷺ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وسَبَّح رسولُ الله ﷺ، فما زال يُسبِّحُ حتَّىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال: «وَيْحَكَ! إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ باللهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ.

وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟! إِنَّ عَرْشَهُ عَلَىٰ سَمَوَاتِهِ هَكَذَا - وقال بأصابعه - مِثْلُ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٤١ و٢٤٩)، (١٣٥٥٣ و١٣٦٢١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٧) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (١٠٩٧).

(٢) أي: نقصت، أو فنيت.

القُبَّةِ عَلَيهِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بالرَّاكِبِ»[١].

وقَدْ تَبيَّنَ مِن هذا أنَّ مَنْ يَزْعم أنَّ تحقيق التَّوحيد، وإخلاصه لله تعالىٰ تَنقُّصٌ بالصَّالحين، فإنَّ قوله هذا باطلٌ، وإنَّه ضالٌّ من الضُّلالِ الَّذي يجب علىٰ المسلمين أنْ يحذروهم علىٰ دينهم، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وضعَّفه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الضَّعيفة» (٢٦٣٩).

الأصل الثاني
الأمر بالاجتماع والائتلاف
والنهي عن التفرق والاختلاف

الأَصْلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِماعِ فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عنِ التَّفرُّقِ فِيهِ، فبيَّنَ اللهُ هَذا بيانًا شَافيًا تفْهمُهُ العوامُّ، ونهانَا أَنْ نَكُونَ كالذِّينَ تَفرَّقُوا واخْتلَفُوا قَبْلَنا فَهلَكُوا، وذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ المُسْلِمينَ بِالاجْتِمَاعِ في الدِّينِ، ونَهاهُمْ عَنِ التَّفرُّقِ فِيهِ.

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا مَا وَردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلك، ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الافْتِرَاقَ في أصُولِ الدِّينِ وفُروعِهِ هُو العِلْمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّينِ لا يقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ.

التعليق:

لقَدْ قَرَنَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الأمر بالاجتماع في الدِّين، وعدم التَّفرُّق فيه بالعبادة، وهو من العبادة.

فقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ومفاد هاتين الآيتين ما يلي:

١- هو أنَّ المعبودَ هو الله، فلا تجوزُ العبادةُ لغيره.

٢- وكذلك لابدَّ أن تكون الأُمَّة واحدةً مجتمعةً علىٰ هذا الهدف، وهو وحدانيَّة المعبود، وأنَّه هو اللهُ وحدَه لا شريكَ له.

ووحدة الأُمَّة بأنْ تكون الأُمَّة واحدةً، آخذةً مِن ربِّها عن نبيِّها ﷺ الأوامر

والنَّواهي؛ تَتلقَّىٰ عنه أوامره ونواهيه بواسطة رسوله ﷺ مِمَّا جاء في الكتاب والسُّنَّة فتعمل بها؛ ولهذا أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ هذا الَّذي بَيَّنه لأُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ هو شرعُ كلِّ الأنبياء والأمم، وعلىٰ رأسهم أولو العزم، كما قال جلَّ من قائل: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشُّورىٰ: ١٣].

فأخبر أنَّه وَصَّىٰ بذلك نوحًا أوَّلَ الرُّسل، ووَصَّىٰ به مُحمَّدًا ﷺ؛ وهو آخرُ الرُّسُل في قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، وَوَصَّىٰ به إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ؛ وهؤلاء الثَّلاثة هم الباقون من أولي العزم: إبراهيم الخليل، وموسىٰ الكليم، وعيسىٰ ابن مريم روح الله وكلمته الَّتي ألقاها إلىٰ مريم.

فقوله: ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: لله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾: هذا أمرٌ بأنْ يكون الدِّين لله تجتمع علىٰ ذلك الأُمَّة؛ فإنْ حصل في ذلك اختلافٌ، فلتكُن العودة إلىٰ الله ورسولِه فيما حصل فيه الاختلاف، وعندئذٍ يُحَلُّ الاختلاف بما أمَر اللهُ به في قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورىٰ: ١٠].

وفي قوله: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣].

ولقَدْ حضَّ الرَّسولُ ﷺ علىٰ الاجتماع، وعدم التَّفرُّق؛ بل إنَّه قضىٰ علىٰ كلِّ أسباب التَّفرُّق والاختلاف.

ومَنْ تأمَّل الأحكام الشَّرعيَّة يجدُ أنَّ الرَّسولَ ﷺ في تشريعاته الَّتي تلقَّاها مِن ربِّه لم يَدَعْ سببًا مِن الأسباب الَّتي تؤدِّي إلىٰ الاختلاف إلَّا وَحَسمَه، امتثالًا لأمر الله حيثُ يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إلىٰ غير ذلك من الآيات.

قوله: «وَيَزِيدُه وُضُوحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ العَجَبِ العُجَابِ فِي ذَلِكَ»:

أقول: الأدلَّة في السُّنَّة، منها قوله ﷺ: «نَضَّرَ الله امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[(١)].

ومنها قولُه ﷺ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ»[(٢)].

ومنها حديثُ: «افْتَرَقَتْ اليهودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وسَبْعِينَ فِرْقَةً، وافْتَرقَتِ النَّصارَىٰ علىٰ اثْنَتَينِ وسبْعِينَ فِرْقَةً، وستَفْتَرِقُ هذِهِ الأُمَّةُ علىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً». قالُوا: مَنْ هِيَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[(٣)]، إلىٰ غير ذلك من الأدلَّة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي»، و«صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عرفجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

قوله: «ثُمَّ صَارَ الأَمْرُ إِلَىٰ أَنَّ الافْتِرَاقَ في أُصُولِ الدِّين وَفُرُوعِهِ هُوَ العِلْم والفِقْه فِي الدِّينِ، وَصَارَ الاجْتِمَاعُ فِي الدِّينِ لا يَقُولُهُ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَوْ مَجْنُونٌ»:

لعلَّ مقصودَ المُؤلِّف ما حصل بين المسلمين من الافتراق في أصول الدِّين وفروعه، فالافتراق في أصول الدِّين حصل كثيرًا: فمن (جهميَّة) إلىٰ (اعتزال) إلىٰ (قَدَريَّة) إلىٰ (مُرجئة)، إلىٰ غير ذلك.

وكذلك الافتراق في الفروع: فمِنْ حنفيَّةٍ إلىٰ مَالكيَّةٍ إلىٰ شَافعيَّةٍ إلىٰ حنابلةٍ وظاهريَّةٍ؛ وهذا الافتراق في الفقه الإسلاميِّ لا يُعدُّ افتراقًا، بل هو مجالٌ لتنوُّع الأفهام واختلافها في المسائل الَّتي يَسُوغ فيها الاجتهاد، وليس هذا بعيبٍ، ولا نقصٍ؛ ولكن العيب والنَّقْص هو تَرْك الدَّليل لقول الإمام، هذا هو الَّذي يُذَمُّ صاحبُه ويُلامُ.

ولعلَّ المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قصد إلىٰ هذا الاختلاف، وأنَّ كثيرًا مِن أهل زمنِهِ قَدْ ذهبوا إلىٰ أنَّ مَنْ ترك هذه المذاهب وأخذ بالدَّليل، اتَّهموه بما وصف المُؤلِّف من الجنون والزَّنْدقة.

والزَّنْدقة[1] هي عدم الاكتراث بالدِّين، وعدم المبالاة به - والعياذ بالله - وبالله التَّوفيق.



(١) قال في «القاموس المحيط» (ص٨٩١ الرسالة): «الزنديق - بالكسر - من الثنوية، أو القائل بالنُّور والظُّلمة، أو مَن لا يؤمن بالآخرة وبالرُّبوبيَّة، أو مَن يُبطنُ الكُفر ويُظهرُ الإيمانَ». اهـ.

الأصل الثالث

السَّمع والطَّاعة لولاة الأمر في غير معصية

الأَصلُ الثَّالِثُ: إِنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَن تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنواعِ البَيَانِ؛ شَرعًا[1] وَقَدَرًا،

(١) إن الله قد بيَّن لنا في كتابه، ووضَّح ﷺ لنا في سُنَّته وجوب طاعة السلطان فيما ليس فيه معصية لله ولا لرسوله ﷺ؛ فإن أمَر السُّلطانُ بمعصيةٍ فلا سمْع إذًا ولا طاعة، وهو ما بَيَّنه شيخُنا من الأدلة علىٰ هذه المسألة عند قول المؤلف: «فبيَّن الله هذا بيانًا شافيًا كافيًا بوجوهٍ من أنواع البيان شرعًا».

وأمَّا قوله: «قدرًا»: فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ علىٰ الأمَّة الإسلاميَّة؛ أفرادًا وشعوبًا حينما عادت وتعود إلىٰ كتاب ربِّها، وسُنَّة نبيِّها محمَّد ﷺ، وتعمل بهذين المصدرين المنزلين من عند الله تبارك وتعالىٰ، ومِن تلك الأمور الَّتي أمَر الله بها، وأمَر بها رسولُه ﷺ: طاعة وليِّ الأمر بالمعروف، والاجتماع عليه، وعدمُ الخروج عليه بالقول والفعل، فإنَّ الله قدْ وَعَدَ مَن فعَل ذلك بالخيرية، والعزَّة، والتَّمكين في الأرض، والنُّصرة علىٰ الأعداء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وحينما تترُك الأمَّة الإسلاميَّة العمل بالكتاب والسُّنَّة وتتعبَّد بشيءٍ لم يأمر الله به، فإنَّه قد كتب وقدَّر في اللوح المحفوظ بأنَّ مَنْ كان هذا حاله ومن ذلك عدم طاعة السُّلطان والخروج عليه بأنواع الخروج، فإنَّ الله إذا رأىٰ مِن عباده هذا يبتليهم بالتَّفرُّق والتَّمزُّق، ويجعل بأسَهم بينهم، ويسود الفساد والبلاء بين أفرادها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فلنعتصم جميعًا بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ولنجعل نصب أعيُننا أنَّ كلَّ أمرٍ مِن الله أو مِن رسوله ﷺ =

ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ فَكَيْفَ العَمَلُ بِهِ؟!

التعليق:

سبق لنا أنْ بيَّنَّا ما بيَّنه الله لعبادِه في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وفي الآيةِ الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وفي قوله: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

وعرفنا مِنْ تلك الأدلَّة بأنَّ الله أمرَنا أنْ نعبدَ إلهًا واحدًا هو اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأمرنا أن تكون أمَّتُنا أمَّةً واحدةً.

فتبيَّن أنَّ الدِّين يقوم على أصلَين:

١- أنَّ الإلهَ واحدٌ، وهو المُتعبَّد له بأنواع العبادات، وهو اللهُ دون سواه.

٢- أنَّ الأُمَّةَ يجبُ أنْ تكونَ واحدةً، وألَّا تتفرَّق في الدِّين، ويقول المُؤلِّف هنا: «**إنَّ مِنْ تمام الاجْتماع السَّمْعَ وَالطَّاعةَ لمَنْ تَأمَّر علينا، ولَوْ كانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا**»: سواء كان برًّا أو فاجرًا، وسواءً كان مُطيعًا أو عاصيًا؛ وطاعة مَنْ ولَّاه الله أمرَنا واجبةٌ علينا، وهو من تمام اجتماع الكلمة؛ وقَدْ وردت في ذلك الآية،

=

بأنَّه أمر واجب الامتثال إلَّا ما دلَّت النُّصوص علىٰ أنَّ هذا الأمرَ علىٰ سبيل الاستحباب، وأنْ نعتقدَ فيه اعتقادًا جازمًا لا مِرْيةَ فيه بأنَّ فيه الخير، وبخلافه يحصل الشَّرُّ، وأنَّ كلَّ نهي نهانا الله عنه في كتابه، أو نهانا عنه رسولُنا محمَّدٌ ﷺ في سُنَّته، فإنَّه نهي يحرم علينا الوقوع فيه، إلَّا ما دلَّت الأدلَّة علىٰ أنَّ النَّهيَ فيه علىٰ سبيل الكراهة والتَّنزيه؛ لأنَّا إذا وقعْنا في النَّهي فسيحصل علينا الشَّرُّ؛ إنْ عاجلًا وإنْ آجلًا.

فإن عُدنا - أيُّها المسلمون - إلىٰ الله عودةً صادقةً ظفرنا بسعادة الدَّارَين: دار الدُّنيا، ودار الآخرة، وإنْ تخلَّفْنا، فإنَّ الأمر علىٰ العكس مِن ذلك، واللهُ المستعان.

وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وأمَّا الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرة، منها:

أمْر النَّبيِّ ﷺ بالسَّمع والطَّاعة لوليِّ الأمر، وعدم الخروج عليه، فعن عُبادةَ بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعة في مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَألَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»(١).

ومنها: حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيهِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٢).

ومنها: حديث عوف بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمْ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ».

قيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بالسَّيْفِ؟ فقالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»(٣).

ومنها: حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يقولُ: سمعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(٤).

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥١).

اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[(١)].

والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ، يأمرُ الله عَزَّوَجَلَّ على لسانِ رسولِه ﷺ بطاعة السُّلْطان وعدم الخروج عليه.

بيَّن اللهُ هذا بيانًا شافيًا في مواضعَ كثيرةٍ، فلا داعي للإطالة فيها: فمَنْ كان مُؤمنًا بالله، ومُؤمنًا برسول الله ﷺ، فَلْيتقِ الله، ولا يَنزعنَّ يدًا مِن طاعةٍ؛ فإنَّ الخروج يَعمُّ الخروج بالقول، والخروج بالفعل، والمنازعةُ تَعمُّ المنازعةَ في القَول، والمنازعة في الفِعل، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢).



الأصل الرَّابع
بيانُ العلم والعلماء وبيانُ مَن تشبَّه بهم وليس منهم

الأَصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلْمِ(١) وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقْهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ

(١) المراد بالعلم: هو العلمُ الشَّرعيُّ، وهو ما قاله اللهُ في كتابه، وما قاله رسولُ الله ﷺ في سُنَّته، وما استنبطه أهلُ العلم منهما مِن الأحكام الشَّرعيَّة، والَّتي يَنبني عليهما حفظ الدِّين والمال والعرض والعقل والنَّسل. والعلماءُ هم العارفون بذلك، العاملون بما فيهما، والدَّاعون إليهما، الصَّابرون على الأذى فيهما.

ويُسمَّون أيضًا بالفقهاء، وإليك - أخي القارئ الكريم - بعضَ النُّصوص الشَّرعيَّة مِن الكتاب والسُّنَّة الدَّالَّة على فضل العلم والعلماء، والفقه والفقهاء؛ لتكون لك فيها أعظم واعظٍ وأجلُّ حافزٍ؛ لتسلك طريقهم وتحتذي بهم، وعلى رأس أولئك العلماءِ: عُلماء الصَّحابة والتَّابعين، ومَن جاء بعدَهم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

وها هي النُّصوص غضَّة طريَّة - زادك الله توفيقًا وهُدًى - قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال جلَّ من قائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقد جاء في الحديث عن قَيس بن كَثير؛ قال: قَدِمَ رجلٌ مِن المدينةِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ، فَقَالَ: مَا أَقْدَمَكَ يَا أَخِي؟ فَقَالَ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَالَ: أَمَا جِئْتَ لحاجَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: أَمَا قَدِمْتَ لِتِجَارَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: مَا جِئْتَ إلَّا في طَلَبِ هَذَا الحَدِيثِ؟ قال: نَعَم.

قال: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الملائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّمَواتِ ومَنْ في الأَرْض حَتَّى الحيتَانُ في الماءِ، وَفَضْلُ العَالم عَلَى العَابدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ، إِنَّ الأَنبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ».

أخرجه التِّرمذيُّ (٢٦٨٢)، وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح التِّرمذيِّ»، وأشار إليه أيضًا في «صحيح ابن ماجه» (رقم ٢٢٣)؛ وانظره في «صحيح الترغيب» (١/ ١٣٨) (٧٠).

وقال الرَّسولُ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، =

وَلَبَسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعالَىٰ هَذَا الأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠]. إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا من الكَلامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلالاتُ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِنْدِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهيِ عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمُ.

التعليق:

إنَّ شيخَ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ عاش في القرن الثَّاني عشر، وعاش في زمنٍ انتشر فيه الشِّرْك الأكبر؛ وهي عبادة القبور وغيرها مِمَّا يُتَّخذُ آلهةً، فأنكر عليهم ودعاهم إلىٰ التَّوحيد، وإلىٰ العقيدة السَّلفيَّة الصَّحيحة، عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الَّتي مضىٰ عليها إمام أهل السُّنَّة أحمد بن

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وقال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». رواه البخاريُّ (٧١) ومُسلمٌ (١٠٣٧)، من حديث معاوية رضي الله عنه، إلىٰ غير ذلك من الأدلَّة الدَّالَّة علىٰ فضل العلم وأهله، وما أحسن قول الشَّيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قال:

يَا طَالِبَ العِلْمِ لا تَبْغِ بِهِ بَدَلًا ... فَقَدْ ظَفِرْتَ وَرَبِّ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ

وَقَدِّسِ العِلْمَ وَاعْرِفْ قَدْرَ حُرْمَتِهِ ... فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ وَالآدَابَ فَالْتَزِمِ

فاجتهد - يا طالب العلم - في تحصيل العلم الشرعي، وخُذه مِن أفواه الشُّيوخ السَّائرين علىٰ نهج السَّلف، ولا تنسَ أنْ تُخلِصَ في ذلك لله ربِّك، عالم الغيب والشَّهادة؛ زادك الله علمًا وتُقىً لله ربِّ البريَّات.

حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)، فلمَّا أعلن فيهم إنكار الشِّرك عادَوْه وآذَوْه، وزعموا أنه زنديقٌ

(١) وإليك - أخي القارئ الكريم - مُلخَّصًا عن عقيدة المسلم (المنهج السَّلفي) التي يجب أنْ يَدِينَ العبدُ بها ربَّه ليجدَ جزاء ذلك يوم يلقاه، والتي ذكرها شيخُنا أحمدُ بن يحيىٰ النجميُّ في كتابه «الفتاوىٰ الجليَّة عن المناهج الدَّعويَّة»، وهو إجابة عن سؤالٍ وَرَدَ عليه يسأل فيه السَّائل الشَّيخ عن ذلك، وعن التَّعريف بغيرها، فارجع إليه؛ زادك الله توفيقًا وعلمًا.

(المنهج السَّلفيُّ):

١ - أن ندينَ لله عَزَّوَجَلَّ بالتَّوحيد، فلا ندعو أحدًا سواه، ولا نلتجئ إلىٰ أحدٍ غيره؛ في جلب نفع أو دفع ضرٍّ، وأنْ نتعبَّد ببغض المشركين، وعداوتهم؛ إلَّا أنَّه يجبُ علينا أنْ ندعوَهم أوَّلًا إلىٰ التَّوحيدِ، ونُبيِّن لهم أنَّه لا إسلام بدون توحيدٍ، وأنَّ مَنْ دعا إلهًا غيرَ الله كفر، فمَنْ أصرَّ بعد ذلك فإنَّه يجبُ علينا البعد عنه، وبغضه لله عَزَّوَجَلَّ.

٢ - عقيدة السَّلف تَنبني علىٰ أنْ يُوصفَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما وصف نفسَه في كتابه، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ من غير تحريفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تأويلٍ.

٣ - نثبت لله الأسماءَ الحسنىٰ الَّتي أثبتَها لنفسِه، ومدح نفسَه بها؛ سواء كانت واردة في الكتاب أو السُّنَّة.

٤ - نؤمن بأنَّه لا وصول إلىٰ رضا الله، ولا إلىٰ الجنَّة إلَّا من طريق رسول الله ﷺ، وأمَّا مَن طلب الوصول إلىٰ رضا الله مِن غير طريق رسوله ﷺ فإنَّه قد ضلَّ، وعمي عن الحقِّ، وخسر دنياه وآخرته.

٥ - نؤمن بأنَّ شرع الله تعالىٰ هو ما جاء مِن طريق الوحيَين: كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ؛ وإلىٰ ذلك أشار ربُّنا بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

٦ - أنْ نعتقدَ بأنَّ القُرآنَ كلامُ الله، منزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ، والسُّنَّة هي المُبيِّنة له، ويفسَّر القرآن بالسُّنَّة وبتفسير الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسانٍ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فالتَّفسير للقرآن يكون بالأثر، أي: مِن طريق الصَّحابة والتَّابعين، وبالأحاديث الموصلة إلىٰ ذلك. والكتب الَّتي تحوي ذلك هي الَّتي يجب اقتناؤها وقراءتها كـ: «تفسير ابن جرير»، و«تفسير البغوي»، وتفسير «الدُّر المنثور» للسُّيوطيّ، وأمثال ذلك.

٧ - يجبُ أنْ نأخذَ السُّنَّة علىٰ طريقة المحدِّثين؛ في التَّصحيح والتَّضعيف، فنأخذ ما صحَّ، ونترك الضَّعيف.

٨ - ندين لله عَزَّوَجَلَّ بطاعة ولاة الأمر في المعروف؛ إذْ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق، ما داموا مُسلِمِين يحكِّمون شرع الله، ويُقيمُون حدودَ الله، وما داموا يُقيمون الصَّلاة، وأنَّ طاعتهم واجبةٌ وإنْ جاروا، وأنَّ مَن قال خلاف ذلك، وأجاز الخروج علىٰ الإمام المسلم وإنْ كان جائرًا، فهو مبتدعٌ ضالٌّ يجبُ علىٰ علماء المسلمين أنْ يَردُّوا عليه قولَه، ويُبيِّنوا ضلالَه.

٩ - أنَّه لا يجوز نشر مثالب وُلاة الأمور؛ لأنَّ في ذلك إثارةً للفتن، وتسبُّبًا لوقوعها وإشاعتِها.

=

خارجيٌّ يُكفِّر المسلمين بدون موجبٍ للتَّكْفير، وهو إنَّما كَفَّر مَنْ دعا غير الله مُعتقدًا فيه جَلْب النَّفْع، ودَفْع الضُّرِّ، ولم يُكفِّر هؤلاءِ إلَّا بعْد إقامةِ الحُجَّةِ عليهم.

فكان أهل العلم في زمانه قسمين:

١- قسم عَادَوْه وآذَوْه وأَفْتَوا بكُفْره، وهم الأكثرون، وهم الَّذين عبَّر عنهم بقوله: «**وَبَيَان مَنْ تَشبَّه بهم وليس مِنْهُم**»، وهؤلاء أخبارُهم مُفصَّلةٌ في الكُتُب الَّتي ذُكِرَتْ فيها سيرةُ الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك تاريخ الدَّولة السّعوديَّة إبَّان نشأتها.

وقَدْ صَوَّر الشَّيخ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الكحلاني ثمَّ الصَّنعاني ما جرىٰ للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بحسب ما وصل إليه من أخبارٍ، "وذلك من خلال قصيدته الَّتي بعث بها إليه في الدَّرعيَّة سنة (١١٦٣هـ).

ومِمَّا قال في مُقدِّمتها النَّثريَّة: لمَّا طارت الأخبارُ بظهور عَالِمٍ في نجد يُقال له: مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، ووصل إلينا بعضُ تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التَّقْوىٰ، وفي النَّهْي عن المنكر والأمر بالمعروف، اشتاقت النَّفْس إلىٰ مُكَاتبتِهِ بهذه الأبيات، - وهذا أنقله من كتاب «أثر دعوة الشيخ محمد بن

=

١٠ - يجب أن ندين لله عَزَّوَجَلَّ بالسُّنَّة، ونتبعها، ونمقت البدعَ والمبتدعين؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»؛ وفي روايةٍ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**». أخرجه البخاريُّ (٢٦٩٧)، ومسلمٌ (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

هذه خلاصة وكلمات موجزة من عقيدة السَّلف يجبُ أنْ نأخذَ بها وأنْ نسيرَ عليها إنْ كُنَّا نُريدُ النَّجاةَ ونُريدُ الحقَّ. ويجبُ علينا أنْ ننبذَ أقوالَ الرِّجال الَّتي لا تستند إلىٰ دليل، فالرِّجال يُعرفون بالحقِّ، وليس الحقُّ يُعرفُ بالرِّجال.

وأخيرًا: يجب علينا أنْ نضرعَ إلىٰ الله أنْ يُرينا الحقَّ حقًّا ويرزُقَنا اتِّباعَه، ويُرينا الباطلَ باطلًا ويرزُقَنا اجتنابَه، إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد خير الخليقةِ وأتقاها وأبرّها، وأزكاها، وعلىٰ آله وصحبه أجمعِينَ.

عبد الوهّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربيّة» (ص٤٧٧) للشَّيْخ عبد الله بن محمد بن حسين أبو داهش -، قال: ومنها قوله:

لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوَائِفِ قَوْلَهُ ... بِلَا صَدَرٍ فِي الحَقِّ مِنْهُمْ وَلَا وِرْدِ
وَمَا كُلُّ قَوْلٍ بِالقَبُولِ مُقَابَلٌ ... وَلَا كُلُّ قَوْلٍ وَاجِبُ الرَّدِّ وَالطَّرْدِ
سِوَىٰ مَا أَتَىٰ عَنْ رَبِّنَا وَرَسُولِهِ ... فَذَلِكَ قَوْلٌ جَلَّ قَدْرًا عَنِ الرَّدِّ
وَأَمَّا أَقَاوِيلُ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا ... تَدُورُ عَلَىٰ قَدْرِ الأَدِلَّةِ فِي النَّقْدِ". اهـ

وأقول: كلُّ طوائف البدع قدْ أنكروا قوله؛ لأنَّ دعوته سَلفيَّةٌ بحتةٌ تقوم علىٰ الأدلَّة مِن كتاب الله، وصحيح سُنَّة رسول الله ﷺ، وعلىٰ فَهْم السَّلَف الصَّالح، ولذلك فإنَّ دعوته تهدم الخرافة الَّتي قامتْ عليها عقيدةُ الصُّوفيَّة، وعبادة القُبور، وتأبىٰ التَّعْطيل الَّذي قامتْ عليه عقيدةُ الجهميَّة، وتأبىٰ تأمير العُقول علىٰ النُّصُوص، فما قَبِلتْهُ منها أُخِذَ، وما لم تَقْبَله منها رُدَّ؛ وهو الَّذي قامتْ عليه عقيدةُ المعتزلة، وتأبىٰ تأويل نُصُوص الصِّفات الَّذي يُؤدِّي إلىٰ تعطيلها، وهو الَّذي قامتْ عليه عقيدةُ الأشعريَّة؛ لذلك فقدْ أنكرتْ دعوته هذه الفئات كلّها مع أتباعهم من العوامِّ، ومُعْظَمُهم رَمَوْهُ بالكفر والزَّنْدقة.

٢- قسمٌ لم يقبل دعوته رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهم إلَّا القليل، أو أقلُّ القليل من العلماء، وهم الَّذين لهم إلمامٌ بالنُّصُوص الشَّرعيَّة وبسيرة النَّبيِّ ﷺ، وما كان عليه السَّلَف الصَّالح في زمن الخلفاء الرَّاشدين، والأئمَّة المهتدين؛ ومن هؤلاء الأفذاذ مُحمَّد بن إسماعيل الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، صاحب «سبل السّلام»، و«تطهير الاعتقاد» الَّذي أنكر عقائد المبتدعة في ذلك الزَّمان.

قال الشَّيخ عبد الله أبو داهش: «وقدْ مضىٰ الأمير الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بَسْط

حديثه عن أحوال النَّاس عند ظهور دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، فأشار إلىٰ البدع الضَّالَّة والمعتقدات الباطلة الَّتي كانت منتشرةً في رُبُوع الإسلام عندئذٍ، إذ قال:

أَعَادُوا بِهَا مَعْنَىٰ سُوَاعَ وَمِثْلِه ... يغُوث وودٍّ بِئْسَ ذَلِكَ مِنْ وُدِّ
وَقَدْ هَتَفُوا عِنْدَ الشَّدَائِدِ بِاسْمِهَا ... كَمَا يَهْتِفُ المضْطَرُّ بِالصَّمَدِ الفَرْدِ
وَكَمْ عَقَرُوا فِي سُوحِهَا مِنْ عَقِيرَةٍ ... أُهِلَّتْ لِغَيرِ اللهِ جَهْرًا عَلَىٰ عَمْدِ
وَكَمْ طَائِفٍ حَوْلَ القُبُورِ مُقَبِّلٍ ... وَمُسْتَلِم الأَرْكَان مِنْهُنَّ بِالأَيْدِي
لَقَدْ سَرَّنِي مَا جَاءَنِي مِنْ طَرِيقِهِ ... وَكُنْتُ أَرَىٰ هَذِي الطَّرِيقَةَ لِي وَحْدِي

إلىٰ أن قال:

وَهَذَا اغْتِرَابُ الدِّينِ فَاصْبِرْ فَإِنَّنِي ... غَرِيبٌ وَأَعْدَائِي كَثِيرٌ بِلَا عَدِّ»

وبالجملة؛ فإنَّ الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ يُريدُ أنْ يُفرِّقَ بين أهل العلم والفقه في الدِّين، وبين المُتّسمين بالعلم والفقه، وليسوا أهلًا لذلك، فإنَّهم ينبذون مَنْ جاء بالحقِّ بألقابٍ كاذبةٍ، ويصفونه بأوصافٍ خاطئةٍ، فيقولون: مجنونٌ أو زنديقٌ أو غير ذلك، كما قال المشركون للنَّبيِّ ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

قوله: «**ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الأَشْيَاءِ**»؛ أي: اتِّباع الكتاب والسُّنَّة، صار هو أغرب الأشياء «**فَصَارَ العِلْمُ وَالفِقْهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لبسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ**»؛ وذلك أنَّه كان في زمنه مَنْ ردَّ عليه وعاداه، وزعموا أنَّه خارجيٌّ، وسَمَّوه هو وأصحابه خوارج، وزعموا أنَّه هو المقصود بقول النَّبيِّ ﷺ: «**رَأْس**

الكُفْر نَحْوَ المشْرِقِ»[(١)]، وهذا زعمٌ باطلٌ، وإنَّما المقصودُ به الإلحاد والاشتراكيَّة الَّتي دعَتْ إليها الدُّول الإلحاديَّة كروسيا وأتباعها في الاعتقاد والفِكْر، وحاربتْ الشَّرائع كلَّها، وعلىٰ رأسِها شريعةُ الإسلام؛ بل حاربتْ كلَّ مظاهر الدِّين الإسلاميِّ كالحجاب، واللِّحية، واعتياد إتيان المساجد، فعليهم لعائن الله، وموجبات غضبه.

والمُهِمُّ: أنَّ علماء ذلك الزَّمن حَمَلوا الحديث علىٰ أنَّه إشارةٌ إلىٰ دعوة الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ مع أنَّ دعوةَ الشَّيخ هي إحياءٌ لدعوة التَّوحيد الَّتي بُعِثَ بها النَّبيُّ ﷺ وكلُّ نبيٍّ، وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه البخاري (٣٣٠١)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



الأصل الخامس

بيان الله لأوليائه

الأَصلُ الخَامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ اللهِ[1]، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُم وَبَيْنَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّارِ، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ (آلِ عِمرَانَ) وَهِي قَولُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ (المَائِدَةِ)، وَهِي قَولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآيَة.

وَآيَةٌ فِي يُونُس، وَهِي قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأمرُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لا بُدَّ فِيهِم مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَنْ تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُمْ.

وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُمْ، وَلا بُدَّ مِنْ تَرْكِ الإيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، فَمَنْ تَعَهَّدَ بِالإيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ فَلَيسَ مِنهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛

---

(١) قال شيخُنا أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الولي: هو مَنْ والىٰ الله عَزَّوَجَلَّ؛ فامتثل أوامره واجتنب نواهيَه، وصدَّق خبرَه، ووالىٰ مَنْ والاه الله، وعادىٰ مَنْ عاداه الله؛ امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

التعليق:

هذا الأصل ركَّز فيه شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الصُّوفيَّة(١) الَّذين يزعمون أنَّ الأولياءَ هم الَّذين يظهرون بالأحوال، والكرامات، وتبدو منهم الشَّطحات، فزعمُوا أنَّ الشَّيخَ هو مَنْ تقرَّب بالقُرب من الله إلىٰ أنْ يصل إلىٰ درجةٍ تسقط عنه فيها التَّكاليف، فيشرب الخمر فتنقلب في فمه لبنًا؛ وإذا زنىٰ بامرأةٍ: قالوا: إنَّما أفاض عليها من نورِهِ.

ومَنْ أراد أنْ يعرف ما عليه الصُّوفيَّة من الشّطح، والكفر، والادّعاءات العريضة

---

(١) قال الدُّكتور غالب بن عليٍّ عوَّاجي: «اختَلفَتْ كلمةُ العُلماء حول التَّعريف الحقيقيِّ للصُّوفيَّة وللتَّصوُّف اختلافًا كثيرًا... ولكن مهما قيل عن كثرتِها واختلافِ النَّاس فيها؛ فإنَّها كلَّها لا طائل مِن ورائها عند التَّمعُّن في دراستِها، مما يستدعي الحال غضّ النَّظر عن تلك التَّعريفات كلّها، وإلقاء الضَّوء علىٰ الأقرب منها». ثُمَّ ساقَ تعريفَها في اللُّغة، وبيَّن أنَّها مأخوذةٌ من مادَّة (صوف)، وأنها قد جاءت علىٰ عدَّة معان؛ فتطلق ويراد بها: الصُّوف المعروف من شعر الحيوانات، وتطلق كلمة (صوف) علىٰ الميل، فيقال: صافَ السَّهم عن الهدف بمعنىٰ: مال عنه، وصافَ عن الشَّرِّ، أي: عدل عنه، إلىٰ غير ذلك من معاني الصُّوفيَّة في اللُّغة.

وأُوضّح؛ **لأنَّ لها عدَّة تعريفات اصطلاحيَّة**؛ اختلفت باختلاف مراحلها الَّتي مرَّت بها، وقال: «مهما قيل عن كثرة التَّعريفات للتَّصوُّف؛ فإنَّه يصدق عليه عمومًا أنَّه بدعةٌ محدثةٌ في الدِّين، وطرائق ما أنزلَ الله بها مِن سُلطان». ثُمَّ ذكَر أنَّ مِن أبرز تعريفاتها:

١ - **التَّصوُّف**: هو تجريدُ العمل لله تعالىٰ، والزُّهد في الدُّنيا، وتَرْكُ دواعي الشُّهرة، والميل إلىٰ التَّواضع والخمول وإماتةُ الشَّهوات في النَّفس.

٢ - قيل: إنَّ سببَ التَّسمية للمتصوّفة بهذا الاسم: إنَّما كان نسبةً إلىٰ لبسهم الصُّوف الَّذي يُعبّر عن الزُّهد والتَّقشُّف، وترك التَّنعم والملذَّات المباحة... إلىٰ غير ذلك من التَّعريفات التي ذكرها صاحب كتاب «فرق معاصرة تنتسب إلىٰ الإسلام» (ص٥٧٨ وما بعدها) بتصرُّف.

لحقوق الله عَزَّوَجَلَّ غيرَ مُبالين ولا مُكترثين، فليرجع إلىٰ كتاب: «الكشف عن الصُّوفية لأوَّل مرَّة»، وكتاب: «هذه هي الصُّوفيَّة» لعبد الرَّحمن الوكيل.

بل إنَّهم يجعلون ذلك فخرًا لهم، وإنَّهم قَدْ بلغوا إلىٰ مرتبةٍ لم يبلُغها غيرهم، وإنَّ الشَّيخ هو الَّذي يرىٰ الله عيانًا! ويَتحدَّث معه! ويَلْقىٰ النَّبيَّ ﷺ وما أشبه ذلك من الادِّعاءات الَّتي لعب بهم الشَّيطان فيها، فأضلَّهم عن الطَّريق المستقيم، فأخرجهم إلىٰ طريقة أصحاب الجحيم، فهم يزعمون أنَّ هؤلاء هم أولياء الله ليس غيرهم؛ أمَّا مَنِ اتَّبع الكتاب والسُّنَّة وعُني بالحديث والآثار، وتكلَّم في الفقه، وأمر بالاستقامة علىٰ شرع الله، فهؤلاء يُسَمَّون أهل الظَّاهر.

وشيوخ الصُّوفيَّة عندهم أهل الباطن، بل إنَّهم حقيقةً هم: أهل (الباطل)؛ بلام بدل النُّون؛ فشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكو مِن أهل زمانِه؛ لأنَّهم يجعلون أولياء الله مَنْ هم أعداء لله، وحاربوه أشدَّ المحاربة.

ولكن هل القولُ قولهم، والاعتقادُ اعتقادهم؟ الجواب: لا.

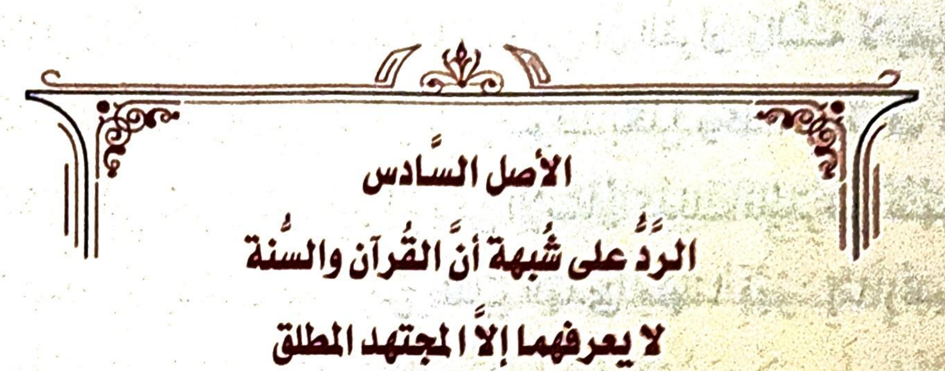
ولكن حقيقة الوليِّ: هو مَنْ يُعظِّم كتاب الله، ويُعظِّم سُنَّة رسول الله ﷺ، ويَتَّبع الرَّسول ﷺ في كلِّ قولٍ وفعلٍ، وفي كلِّ أمرٍ واعتقادٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

أي: الَّذين آمنوا بالله، وكانوا يَتَّقون الله، ويفعلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، ويؤمنون بالله، ويؤمنون بوعده ووعيده، وبعثه ولقائه، وجَنَّته ونارِه، ويجاهدون في سبيل ذلك بألسنتِهم، وأقلامِهم، وسُيُوفِهم، هؤلاء هم الأولياءُ.

ولقَدْ أوضح الفروق بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيْطان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المُسمَّىٰ بـ: «الفُرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان»؛ ألَا إنَّ أولياءَ الله هم أهل الحديث، ومتَّبعُو الآثار، المُدوِّنون لها، والعاكفون علىٰ حِفْظها وتدوينها، والعمل بها، والدَّعوة إليها! هؤلاء هم أولياء الله! فإيَّاك أنْ تُخْدَعَ، وأنْ يَجْتاحَك الكذَّابون أصحابُ الادِّعاءات الكاذبة، وبالله التَّوفيق.





الأصل السَّادس
الرَّدُّ على شُبهة أنَّ القُرآن والسُّنة لا يعرفهما إلاَّ المجتهد المطلق

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبْهَةِ[1] الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيطَانُ فِي تَركِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ

---

(١) الشُّبهة - كما ذكرها الجُرجانيُّ في كتاب «التَّعريفات» (ص١٦٥) -: «إنَّها في الأصل هي: ما لم يتيقَّن كونه حرامًا أو حلالًا». اهـ.

وتطلقُ هنا ويُراد بها: جعلُ الباطل في صورة الحقِّ، وهذه حُجَّة كلِّ مُبطل من شياطين الإنس والجنِّ؛ إذ إنَّ مِنَ الذُّنوب ما هي شهواتٌ، ومنها ما هي شبهاتٌ.

فالشَّهواتُ أعني بها: فعل الأشياء المُحرَّمة المعلومة من الدِّين بالضَّرورة؛ كتحريم شُرب الخمر، وفعل الزِّنىٰ واللِّواط أو التَّهاون بالصَّلاة، أو بغير ذلك من المعاصي، وهي الَّتي قال الله فيها: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وأمَّا الشُّبهات: فهي الَّتي يُوردها أعداء الدِّين علىٰ بعض المسلمين لتزيين باطلهم مِن بدعٍ وكُفرياتٍ، أو بغير ذلك من المعاصي الَّتي دون ذلك، وإلقاء المتشابه مِن القول علىٰ بعض المسلمين؛ ليقعوا فيما دَعَوْا إليه مِن الضَّلال.

دلَّ علىٰ ما قلناه من الحذر من الشُّبهات التي يُلقيها أعداءُ الإسلام علىٰ بعض المسلمين ما ورد في «مسند الإمام أحمد»، وأبي داود - واللفظ له - بإسنادٍ صحيحٍ؛ صحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «المشكاة» (رقم ٥٤٨٨) من حديث عمران بن حصين يحدث، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ؛ فَوَاللهِ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَيَتْبَعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ -أو- لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ».

ومِن تلك الشُّبهات ما أورده أعداء التَّوحيد في هذا الأصل مِن الدَّعوة إلىٰ ترك العمل بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ بحجَّة أنَّ القُرآن والسُّنَّة لا يعرفُهما ولا يفهمُهما إلَّا المجتهدُ المطلق، كما سيبيِّن بطلان مقالتهم هذه شيخُنا أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ[1] المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوصَافٌ لَعَلَّهَا لا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لا شَكَّ وَلا إِشكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ المَلعُونَةِ مِنْ وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[2] [يس: ٧-١١].

آخِرُهُ، وَالحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

---

(١) قد بيَّن فضيلة الشَّيخ محمَّد بن صالح العُثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه علىٰ هذه (الأصول السِّتَّة) (ص١٨١) طبعة دار الثُّريا، تعريف الاجتهاد، فقال: «الاجتهاد في اللُّغة: بذل الجهد لإدراك أمرٍ شاقٍّ. واصطلاحًا: بذل الجهد لإدراك حُكمٍ شرعيٍّ»؛ ثم سأذكر لك - أخي القارئ الكريم - تعريف المجتهد المطلق أو بمعنىً آخر: هو المفتي، فقد قال في ذلك الشيخ عبيدُ بن عبد الله الجابري في كتاب «تنبيه ذوي العقول السَّليمة» (ص٧٥): «المجتهد المطلق: هو العالم الذي يَستفرغ وُسعه بالنَّظر في الأدلَّة حتَّىٰ يحصل له الظَّنُّ الغالب، أو القطع بحُكم شرعيٍّ، وهو الذي يبحث عن الحقِّ بدليله». اهـ.

(٢) (القول) في الآية: العذاب، و﴿أَكْثَرِهِمْ﴾، أي: كفار العرب الذين ماتوا علىٰ الكفر.

الأغلال: القُيود التي تُشَدُّ بها أيديهم إلىٰ أعناقهم.

﴿مُّقْمَحُونَ﴾: رافعو رؤوسهم، غاضُّو أبصارهم يوم القيامة، وهم في النَّار.

وفِي روايةٍ: «نضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فوَعَاهَا، وَأَدَّاهَا إِلَىٰ مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غير فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[١].

وقال ﷺ: «أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ»[٢].

وقال ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٣].

فهل أمْر الله ورسوله بحفظ القرآن والسُّنَّة، وتبليغهما يُعَدُّ عَبَثًا؟ إذا قلنا إنَّه لا يمكن للإنسان المُتعلِّم أو العالم أنْ يفهم معاني كتاب الله، ومعاني سُنَّة رسول الله ﷺ، هل أمْر الله عباده بالمستحيل حين قال: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]؟!

لقَدْ بلغ الشَّيطان أُمنيَّته بهذه الشُّبهة حين صرف بها النَّاس عن كتاب الله، وسُنَّة رسول الله ﷺ، بل إنَّه لم يُصِبِ الشَّيطان من أهل العلم بمثل هذه الشُّبهة؛ حين صرفهم عن شرع الله؛ تعلُّمًا وتعليمًا واجتهادًا واستنباطًا، بل وجعل ذلك - أي: البحث عن معاني كتاب الله ومعاني سُنَّة رسول الله ﷺ والاجتهاد في الاستنباط منهما - جعل ذلك ضَرْبًا من الجنون، ونوعًا من الزَّنْدقة.

بل قال لأولئك القوم الَّذين قالوا هذه المقالة: إنَّه لا بدَّ لكلِّ واحدٍ منهم أن يُقلِّد إمامًا مِن الأئمَّة الأربعةِ، لا يخرج عن أقواله وآرائه واجتهاداتِه، ولا يجوز له إذا قلَّد ذلك الإمامَ أنْ يَحِيدَ عن رأيِه، ولو قَدْرَ أُنْمُلَةٍ؛ بل إنَّه يجبُ عليه ألَّا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الصَّحيحة» (٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يُقلِّدَ أحدًا غيرَه، وإذا وجد الدَّليل خلاف قولِ إمامِه، فليؤوِّلِ الدَّليل حتَّىٰ يتناسب مع قول إمامه؛ لأنَّه زعم لإمامه الحَصَانةَ عن الخطأ؛ وإنَّه لا يتصوَّر منه وقوع الخطأ.

بل كادوا أنْ يُصرِّحُوا بعصمةِ أئمَّتهم، وكلٌّ منهم يعتقد في إمامه العصمةَ، وأنَّ قولَه هو الحقُّ وإنْ خالفَ الدَّليلَ، وإذا رأيته يخالف الدَّليلَ، فاتَّهِمْ عقلك! واتَّهِمْ رأيَك! واجعل قول الإمام في حصانةٍ عن الخطأ والبُطلان.

يا لها من كارثةٍ! أدَّت بأصحاب هذه المذاهب أن يختلفوا اختلافًا أدَّىٰ إلىٰ الفُرْقة والتَّباغض والتَّعادي والتَّناحر، بل كلُّ أهلِ مذهبٍ يُضلِّلون الآخرين في أقوالهم أو بعض أقوالهم، مع أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يَلُمْ أحدًا علىٰ الاجتهادات الَّتي تكون مِن النَّاس المُؤهَّلين في اللُّغة والقواعد حين قال: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيظَةَ**»[(١)].

فَاجْتَهد قومٌ وصلَّوا قبل وصولهم، وقالوا: إنَّما أراد الحثَّ والتَّعْجيلَ بالسَّيْر، فإذا كُنَّا قَدْ بلغنا جُهدنا ودخل وقت العصر قبل أنْ نصلَ إلىٰ بني قُريظةَ، فنحنُ نُصلِّي الصَّلاة لوقتها، ونحمل قوله ﷺ هذا علىٰ أنَّه إنَّما أراد الإسراع في الذَّهاب؛ والتزم قومٌ باللَّفظ، فأخَّروا صلاة العصر حتَّىٰ وصلوا إلىٰ بني قريظة، وقَدْ فات وقت العصر، فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك ولم يُعنِّف أحدًا منهم، ولا قال لأحدٍ منهم: أنت أخطأت!

يا سبحان الله! لماذا خَلَق الله لنا العُقول؟!

أليس خلقها لنا لنفكِّر بها، ونتفكَّر في آياته القُرآنيَّة، ونتفكَّر في آياته الكَونيَّة؟!

---

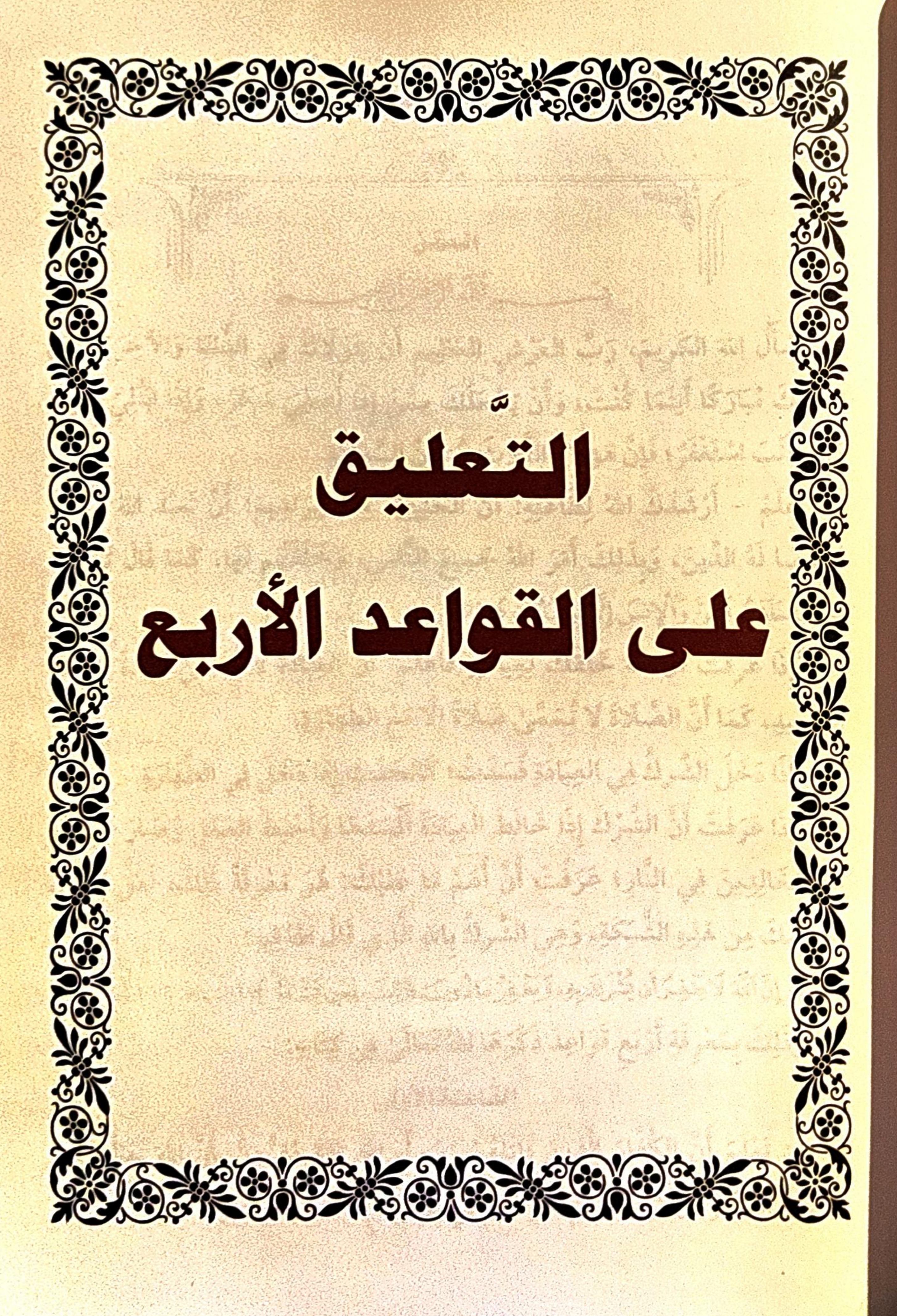
(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

هذا هو الغرَض الَّذي خلَق الله لنا العُقول مِن أجله؛ بل ذمَّ الله النَّاس الَّذين لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يُبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يَسمعون بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال جلَّ وعَلَا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمَّد: ٢٢ - ٢٤].

وأخيرًا: فإنَّ القرآن مليءٌ بالرَّدِّ علىٰ هذه الشُّبهة، والسُّنَّة مليئةٌ بالرَّدِّ عليها، ولكن ماذا نقول إذا كان أهل العلم - الَّذين يُظنُّ بأنَّهم سَيردُّون علىٰ هذه الشُّبْهة، ويُبطلونها بالأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله - هم الَّذين قرَّروها! وانبرَوْا لمحاربة مَنْ ردَّها، واتِّهامه بالزَّندقة! وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.





التّعليق على القواعد الأربع



المتن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُم لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ: أَنَّ العِبَادَةَ لَا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّركُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.



وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُم يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيْرِ اللهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَحْجَارَ وَالأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ

مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَدَلِيلُ المَلَائِكَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنْبِيَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجَارِ وَالأَشْجَارِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ... » الحَدِيثُ.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ،

وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

تَمَّتْ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عنوان السعادة

قالَ شيخُ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ.

التعليق:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.

وبعدُ: فقَدْ هيَّأ الله في القرن الثَّاني عشر الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقام بدعوة التَّوحيد في نجدٍ، وكتب الله لها النَّجاح بعد جهادٍ مريرٍ وطويلٍ، فألَّف المُؤلَّفات، وجاهد المشركين حتَّىٰ دخلُوا في دين الله، وعادُوا إلىٰ رحابِهِ؛ فوحَّدوه.

ومن ضمن مُؤلَّفاته وأعظمها نفعًا: «الثَّلاثة الأصول»، وكتاب «التَّوحيد»، و«كشف الشُّبهات»، و«القواعد الأربع»، والَّتي هي مقصود بحثنا الآن.

قوله: «**أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَينَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ**»:

يا لها من دعوةٍ عظيمةٍ! فمَنْ تولَّاه الله في الدُّنيا والآخرة فقَدْ فاز ونجا، وحاز الدَّرجات العُلا، وأكرمه الله بالجنَّة الَّتي مَنْ دخلها يحيا فلا يموتُ، ويَصِحُّ فلا يَسْقَمُ، ويشِبُّ فلا يَهرَمُ.

إذا تولَّاك الله في الدُّنيا، يسَّر لك العلم الصَّحيح المأخوذ من الكتاب والسُّنَّة، ووفَّقك للعمل به، وإذا تولَّاك في الآخرة صرف عنك العذاب، ويسَّر لك أسباب السَّعادة، فكان البرزخ في حقِّك نعيمًا، وفزت بالجنَّة بعد ذلك، وإذا جعلك مباركًا أينما كنت، فَقَدْ حصل لك ما يتمنَّاه الصَّالحون من الأعمال الصَّالحة الخالصة لله جَلَّ وَعَلَا الَّتي يترتَّب عليها الخير في المواطن الثَّلاثة: في الدُّنيا، والبرزخ، والآخرة، وقَدْ دعا لك أيضًا، فقال: «**وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنوَانُ السَّعَادَةِ**».

أي: عامتها، فالله يجزي الشَّاكرين بالزِّيادة، ويعطي الصَّابرين الأجر العظيم الَّذي لا يحصره حاصرٌ، ولا يعدُّه عادٌّ، كما في الحديث الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّه: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ، قال الله عَزَّوَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّه لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي**»(١).

قوله: «**وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ**» أي: إذا وقع في الذَّنب بسبب بَشَرِيَّته الَّتي يَتعرَّض بها إلىٰ ما يَتعرَّض له البشر، فيقع في المعاصي من حيث يشعر أو لا يشعر، ولكن الله تعالىٰ وَعَدَ، ووعدُهُ الحقُّ، أنْ يغفر لمَنِ استغفرَ، وأنْ يتوبَ علىٰ مَنْ تاب.

وفي الحديث القُدسي: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا...، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي...**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١١٥١)، وابن ماجه (١٦٣٨) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقَدْ أخبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نهايةِ هذا الدُّعاء بأنَّ هذه الثَّلاث الخصال هي عنوان السَّعادة، ثمَّ دخل في المقصودِ بقوله: اعلم أرشدك الله لطاعته... إلخ.







معنى الحنيفيَّة

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ: أَنْ تَعبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّاريات: ٥٦].

التعليق:

فهذه هي العبادة الَّتي تُسمَّىٰ عبادةً، والَّتي يَحُوز صاحبها الأجر الوفير والخير الكثير، أمَّا مَنْ خلط فعبد اللهَ وعبدَ غيرَه؛ فإنَّ عبادته لا تكون عبادةً لله، وفي الحديث الَّذي يرويه النَّبيُّ ﷺ عن ربِّه: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1].

ثمَّ استدلَّ علىٰ ذلك بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

وفي هذه الآية ما يفيد بأنَّ خَلْق الجنِّ والإنس ما كان لشيءٍ سوىٰ العبادة، فالله خَلَق العباد ليعبدُوه، ووعدهم بالمغفرة والجنَّة إذا عبدُوه؛ كما في حديث معاذ بن جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ؟» قلتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَىٰ اللهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا»، فقلتُ: يَا رَسولَ الله، أَفَلَا أُبشِّرُ به النَّاس؟ قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ؛ فَيَتَّكِلُوا»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

وفي هذه الآية(١) دلالةٌ على أنَّ المقصود بخَلْق الجنِّ والإنس هو أنْ يَبْتليَهم اللهُ بالأوامر والنَّواهي، ويَبْتليَهم بأمورٍ أُخرىٰ تعتبر صوارف عن طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمَنْ تأثَّر بالصَّوارف، وترك العبادة كان من الخاسرين، ومَنِ اشْتَغل بالعبادة، وأخذ من الدُّنيا ما يستعين به علىٰ مطلوبِهِ، كان من النَّاجين، وبالله التَّوفيق.



(١) أي: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

لا عبادة إلا مع التوحيد

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لا تُسَمَّىٰ عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لا تُسَمَّىٰ صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا دَخَلَ الشِّركُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ؛ كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

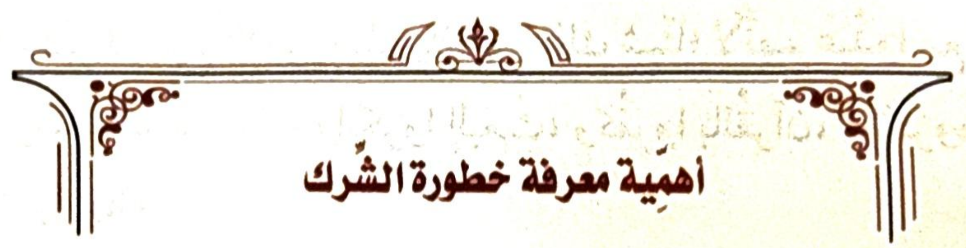
التعليق:

لقَدْ مَثَّل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بمثالٍ حِسِّيٍّ يعرف به المثال المعنويُّ؛ فالشِّرْك يبطلُ العبادة، كما أنَّ الحَدثَ يفسد الطَّهارة، فمَنْ أدخل في عبادتِه شِرْكًا، فقَدْ أفسدها، ولم تَعُدْ صالحةً للاستفادة منها، كما أنَّ الحَدَث إذا دخل في الطَّهارة؛ سواء كان العبدُ قائمًا في صلاته أو خارجًا عنها، فإنَّ طهارتَه قَدْ بطلت، ولا يُمكنه أنْ يَستمرَّ في صلاته إنْ كان يُصلِّي، أو يدخل فيها إنْ كان لا يُصلِّي، وإنْ فعل فإنَّه يُعتَبر مجنونًا، فاسدَ العقل، إذا ظنَّ أنَّ العبادةَ تستقيم له مع وجود الشِّرْك الأكبر، وكم في آياتِ القُرآن ما يدلُّ علىٰ ذلك، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال الله علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال الله لنبيِّه مُحمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولمَّا ذكر اللهُ الأنبياءَ في سُورة (الأنعام) قال جَلَّ مِن قائل: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].



أهمية معرفة خطورة الشرك

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ؛ عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ: هُوَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِن هَذِهِ الشَّبَكَةِ وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَن تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَم يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

التعليق:

مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ توحيد الرُّبُوبيَّة لا يدخل به أحدٌ في الإسلام، فمَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبوبيَّة؛ أقرَّ بأنَّ اللهَ هو الخالق، وهو الرَّازق، وهو المُدبِّر، وهو المُحيي والمميت الذي يُصِحُّ ويُمرِضُ، والَّذي يُغني ويُفقر، والَّذي يُسعِدُ ويُشْقِي، مَنْ أقرَّ بهذا لا يُدخِلُه إقرارُهُ به في الإسلام؛ لأنَّ المشركين الَّذين قاتلهم رسول الله - صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم - واستباحَ دماءَهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءَهم وأطفالهم، كلُّهم كانوا يعتقدون أنَّ اللهَ هو الخالقُ

الرَّازق المُدبِّر لجميع الأمور، فلم ينفعهم ذلك شيئًا؛ لأنَّهم عبدُوا مع الله غيرَه، وكفرُوا برسالة مُحمَّدٍ ﷺ، وأنكروا البعثَ، وكفرُوا بالقُرآن، وأنكرُوه، وزعموا أنَّه سحرٌ أو كهانةٌ.

فمَنْ آمن بواحدةٍ من هذه الأربع وكَفَرَ بثلاثٍ، أو مَنْ آمن بثلاثٍ وكَفَرَ بواحدةٍ؛ فإنَّه يعتبر كافرًا، حلال الدَّم والمال بعد أنْ تُقَام عليه الحُجَّة.

فمَنِ اعْتَقَد رُبُوبيَّة الله علىٰ كلِّ شيءٍ، واعتقد رسالة مُحمَّدٍ ﷺ، واعتقد البعث بعد الموت، ولكنَّه استباح اتِّخاذ وسائط مع الله عَزَّوَجَلَّ يدعوهم من دون الله، ويزعم أنَّهم شفعاءُ إلىٰ الله؛ فإنَّه في هذه الحالة لا تُقبَل منه صلاةٌ، ولا صومٌ، ولا زكاةٌ، ولا حجٌّ، ولا يَقْبَلُ الله منه أيَّ عملٍ صالحٍ؛ لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وبالله التَّوفيق.





القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ

أَنَّهُم يَقُولُون: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ المَنفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِن غَيرِ اللهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ المُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالمَشْفُوعُ لَهُ: مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

التعليق:

مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ الَّذين عبدُوا غيرَ الله لم يعبدُوهم علىٰ أنَّهم هم الَّذين خلقُوا هذا الكون، وهم الَّذين رزقُوا مَنْ فيه، وهم الَّذين أحْيَوا الأحياء وأماتُوا الموتىٰ، ولا أنَّهم هم الَّذين يُنزلون الغيث مِن السَّماء، أو أنَّهم هم الَّذين

يُنبتون النَّبات مِن الأرض، كلُّ ذلك ما كانوا يعتقدون أنَّهم يَتصرَّفون فيه، ولكن كان قولهم وحُجَّتهم أنَّهم عبدُوهم مِن أجل أنْ يشفعُوا لهم عند الله؛ حيثُ قالُوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وحيث قالوا: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فما كان أحدٌ منهم يعتقد أنَّ تلك الآلهة تخلقُ أو ترزق أو تحيي أو تميت، كلُّ ذلك لم يكن، وإذا كان الأمر كذلك فيجبُ أنْ نَتيقَّن أنَّ هؤلاءِ القوم الَّذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد، قاتلَهم رسولُ الله ﷺ، واستباحَ دماءَهم، وغَنِمَ أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأطفالهم.

إذا علمْنا ذلك علِمْنَا أنَّ مَنْ كان في هذا الزَّمان يعبدُ غيرَ الله، ويزعم أنَّ فيه الولاية الَّتي تجعله مُقرَّبًا إلىٰ الله أكثرَ مِن غيره، وأنَّ الله لا يَردُّ له شفاعةً، ولا يرفض له طلبًا، مَنِ اعتقد ذلك؛ فإنَّه يُعتبَر مُشركًا شِرْكًا أكبرَ مُخرجًا من المِلَّة.

علمًا بأنَّ الشَّفاعة تنقسم إلى قسمين:

١- شفاعة مَنفيَّة. **٢- شفاعة مُثبتَة.**

فالشَّفاعة المَنفيَّة: هي الَّتي تُطلَبُ من غير الله عَزَّوَجَلَّ استقلالًا.

والشَّفاعة المُثبتَة: هي الَّتي تُطلَبُ من الله، وشروطها اثنان:

١- أن تطلب من الله عَزَّوَجَلَّ دون سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- أن يكون المشفوع فيه مِمَّنْ أَذِنَ اللهُ له في الشَّفاعة فيه بأَنْ يكون مُوحِّدًا، قال ﷺ لمَّا سأله أبو هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاس بِشَفَاعَتِكَ يومَ القِيامَةِ؟ قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**

مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ: نَفْسِهِ - »(١).

وقَدْ جاء في النُّصوص الشَّرعيَّة أنَّ الله يُعطي الشُّفعاءَ الشَّفاعةَ، فيُشفِّعهم في أقوامٍ قَدْ صارُوا حُمَمًا، فيخرجونهم من النَّار، ثمَّ يدخلونهم الجنَّة، ويضعونهم علىٰ نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحِبَّة في حَمِيل السَّيْل(٢).

فلا ينبغي، ولا يجوز أن تطلب الشَّفاعة من غير الله، بل الَّذي ينبغي أنْ تُطْلب الشَّفاعة من الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

وجاء في النُّصوص: أنَّ الله يخرج أقوامًا بعد شفاعة الشَّافعين من النَّار، لم يفعلوا خيرًا، يخرجهم بحثياتٍ ثلاثٍ(٣).

ومِن أجل ذلك فينبغي أنْ تُطلب الشَّفَاعة مِن الله وحدَه، وبالله التَّوْفيق.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) يشيرُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاريُّ (٦٥٦٠)، ومسلمٌ (١٨٤) عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وأَهلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهرِ الحَياةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ».

«امتحشوا» احترقوا. «حُممًا»: فحمًا. «الحبَّة» بذور البقول والعشب تَنبت في البراري وجوانب السيول. «حميل السَّيل»: غُثاؤه، وهو ما جاء به من طين وغيره؛ فإذا كان فيه حبَّة واستقرَّت علىٰ شط الوادي تنبت بسرعة.

(٣) كما في الحديث الَّذي سبق، وكما في الحديث الذي أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٩٤) (١١٩١٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: «... ثُمَّ يَقُولُ اللهُ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ الأَنْبِيَاءُ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَبَقِيَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. قَالَ: فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ - أَوْ قَالَ: قَبْضَتَيْنِ - نَاسٌ لَمْ يَعْمَلُوا لِلَّهِ خَيْرًا قَطُّ قَدِ احْتَرَقُوا حَتَّىٰ صَارُوا حُمَمًا. قَالَ: فَيُؤْتَىٰ بِهِمْ إِلَىٰ مَاءٍ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...» الحديث. وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» (٢٢٥٠).

وأمَّا لفظ: «ثَلَاث حَثَيَاتٍ» فقد ورد في أقوامٍ لم يَدخلُوا النَّار أصلًا، كما في الحديث الَّذي أخرجه التِّرمذيُّ (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، مِن حديث أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ»، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٥٥٦).



القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَىٰ أُناسٍ مُتفَرِّقِينَ فِي عِباداتِهِمْ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَنبِياءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الأَحْجارَ وَالأَشْجارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ وَلَم يُفرِّقْ بَيْنَهُمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَدَلِيلُ المَلائِكَةِ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِياءِ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الأَحْجارِ وَالأَشْجارِ: قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ[1]، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[2]، كَمَا لَهُم ذَاتُ أَنْوَاطٍ...» الحَدِيثُ[3].

التعليق:

إنَّ مقتضىٰ هذه القاعدة أنَّ كلَّ ما دُعِيَ من دون الله من ملائكةٍ، وأنبياءَ، وصالحين، وأشجارٍ، وأحجارٍ، وغير ذلك كلُّها عاجزةٌ عن أن تُسْعِفَ عابديها بالمطلوب، أو تنجيهم من المهروب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ أخبر أنَّ كلَّ مدعوٍّ من دونه لا يملك شيئًا وإنْ قلَّ، حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقال جلَّ مِن قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج: ٧٣].

إلىٰ غير ذلك مِن الآيات الَّتي تُبيِّن عجز المدعوِّين من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وضعفهم، وعدم قُدرتهم علىٰ إعطاء مَنْ عبدَهم شيئًا وإنْ قلَّ، ثمَّ إنَّهم أيضًا عاجزون عن جَلْب النَّفْع لأنفسِهم، فكيف بغيرهم؟!

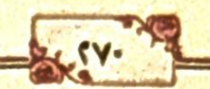
إذًا؛ فليس هناك ميزةٌ لأحدٍ دون أحدٍ في هذا الباب.

---

(١) أنواط: جمع نَوْطٍ: وهو مصدرٌ سُمِّي به المنوطُ، سمِّيت بذلك لكثرة ما يُناط بها - أي يُعلَّق - من السِّلاح لأجل التَّبرك.

(٢) أي: اجعل لنا شجرة نتبرَّك بها، كما للمشركين شجرة يتبرَّكون بها، ويُعلِّقون عليها أسلحتهم.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٥٤٠٨).



وبهذا يعلم أنَّ مَنْ عَبَدَ الملائكة، أو عبد الأنبياء كـ: (عيسى، وعُزير)، هو وَمَنْ عَبَدَ الأحجار والأشجار سواء، كلُّهم مشركون بالله، والمعبودات من دون الله كلُّها عاجزةٌ أن تنفع عابديها بشيءٍ وإنْ قلَّ، وبالله التَّوْفيق.

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمٌ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

التعليق:

إنَّ مشركي هذا الزَّمان زادوا علىٰ مُشركي زمن النَّبيِّ ﷺ كثيرًا بحيث إنَّ الَّذين كانُوا في زمن النَّبيِّ ﷺ كانُوا يُشركون في الرَّخاء، ويُخلصون في الشِّدَّة، ويعتقدون أنَّ الشِّدَّة لا ينفع فيها إلَّا اللهُ، لم يبلغ بهم شِرْكهم إلىٰ أنَّ أولئك المَدْعوِّين يخلقون أو يرزقون أو يُحيُون ميتًا، وإذا نظرتَ فيما هو مُدوَّنٌ في هذا الزَّمن من قِبل المشركين فإنَّك ترىٰ العجائب.

ولَقَدْ قرأتُ في كتابٍ يُسمَّىٰ «نفس الرَّحمن» أُتِيَ به من اليمن، قال فيه صاحبُهُ: «إنَّ رجلًا ضاف عبد القادر الجيلاني، وكان عبد القادر غائبًا، فأتىٰ مَلَك الموتِ، فقبض رُوحَ الضَّيف.

فقالت زوجةُ عبد القادر: لقَدْ أسأتَ إلىٰ عبد القادر حيث قبضتَ رُوحَ ضيفه وهو في بيته، وكان مَلَك الموت قَدْ جمع أرواحًا، فجعلها في زنبيلٍ، ثمَّ عرج بها إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فلمَّا رجع عبد القادر، أخبرته زوجتُهُ بالحادث، فذهب ولحق مَلَك الموت وهو يحمل الأرواح في ذلك الزَّنبيل، ثمَّ إنَّه ضرب زنبيل مَلَك الموت، فسقط

من يد ملك الموت، فطارت الأرواح إلىٰ أجسادها، وعادوا كلُّهم أحياء».

هذا الكلام قرأته في كتابٍ مطبوعٍ قبل حوالي أربعين سنةً، وما زلتُ أذكر اسمه «نفس الرحمن» فانظر إلىٰ هذه الرُّعونة! وماذا بلغ إليه حال الخُرافيِّين القُبُوريِّين الَّذين يُعظِّمون أُناسًا حتىٰ يجعلوهم آلهةً، ويدَّعون ذلك بأخبارٍ مكذوبةٍ كهذا الخبر.

وأذكر أنَّه جاء إلينا وجلس عندنا رجلان من الصُّومال، أحدهما اسمه عليٌّ ابن الشَّيخ عثمان زياد، وهذا درسنا عليه في اللُّغة، والآخر اسمه عبد الصَّمد، وكَمَّل دراسته في الجامعة الإسلاميَّة فيما أذكر، قالا: قرأنا علىٰ رجلٍ في الحبشة في كتاب «الزُّبد» لابن رسلان، فلمَّا بلغنا إلىٰ قوله:

وَالأَوْلِيَا ذَوُو كَرَامَاتٍ رُتَبْ ... وَمَا انْتَهَوا لِوَلَدٍ مِنْ غَيْرِ أَبْ

فقال ذلك الرَّجل: بلىٰ قد انتهوا، فقالا له: كيف ذلك؟ قال: إنَّ فلانًا الشَّيخ الصُّوفيَّ كان معروفًا بالصَّلاح، وكان عقيمًا، فَسَخِر منه رجلٌ يعرفه.

فقال: إنَّ فلانًا حصل له ولدٌ فسمَّاه باسمي، وجمع أصحابه وذهب بهم إلىٰ ذلك الشَّيخ، فلمَّا جاؤوا إلىٰ الشَّيخ وجدوا أنَّ للشَّيخ ولدًا، فنظروا إليه، وعادوا مقتنعين بأنَّ للشَّيخ ولدًا، وبعد أن ذهبوا ذهب بالولد.

فانظر أيضًا ما في هذه الرُّعُونة، وأنَّ فلانًا حصل له ولدٌ، وهو لم يكن له ولدٌ، وإلىٰ غير ذلك من الأخبار الباطلة، والحكايات الَّتي يُوهمون فيها النَّاس بصدق ما يَدَّعون من القُدرة لأوليائهم علىٰ ما لا يَقدر عليه إلَّا الله، فنعوذ بالله من الضَّلال.

وبهذا تعرف مدىٰ ما بلغ إليه الخُرافيُّون القُبُوريُّون في هذا الزَّمن من المبالغة في الشِّرك الَّذي زادوا به علىٰ شرك أبي جهلٍ وأبي لهبٍ، وأمثالهم من مُشركي

العرب الَّذين قاتلهم رسولُ الله ﷺ، فاستباحَ دماءَهم، وغنم أموالهم، وسبىٰ نساءهم وأولادَهم.

ومع ذلك فإنَّ كثيرًا من النَّاس، بل مِمَّن يدَّعون العلم لم يخرجوهم مِن الإسلام، ولم يحكموا عليهم بالكفر مع أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فالشِّرك الأكبر يهدم الإسلام ويبطله كما يبطل الحَدَث طهارةَ المُتطهِّر، وبالله التَّوفيق.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه.

والحمد لله ربِّ العالمين.





التعليق على تعليقات سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله على «نواقض الإسلام»

للإمام المُجدِّد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

تعليق

فضيلة الشيخ العلَّامة المُحدِّث

أحمد بن يحيى النجمي رحمه الله

تعليقات الإمام ابن باز على نواقض الإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلام علىٰ مَنْ لا نبيَّ بعدَه، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنِ اهتدىٰ بِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاعلمْ - أيُّها المسلمُ - أنَّ الله سبحانه أوجبَ علىٰ جميع العباد الدُّخُولَ في الإسلام، والتَّمسُّكَ به، والحذر مِمَّا يخالفُه، وبعث نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ للدَّعوة إلىٰ ذلك، وأخبر عَزَّوَجَلَّ أنَّ مَنِ اتَّبعه فَقَدِ اهتدىٰ، ومَنْ أعرض عنه فَقَدْ ضلَّ، وحذَّر في آياتٍ كثيراتٍ مِن أسباب الرِّدَّة، وسائر أنواع الشِّرْك والكفر، وذكَر العلماءُ - رحمهم الله - في باب حُكْم المُرتدِّ أنَّ المسلمَ قَدْ يَرتدُّ عن دينِهِ بأنواعٍ كثيرةٍ مِن النَّواقض الَّتي تُحِلُّ دَمَه ومالَه، ويكون بها خارجًا مِن الإسلام، ومِن أخطرها وأكثرها وُقوعًا عشرةُ نواقض، ذكَرها الشَّيخُ الإمامُ مُحمَّد بنُ عبدِ الوَهَّاب وغيره من أهل العلم - رحمهم الله جميعًا -، ونذكرها لك فيما يلي علىٰ سبيل الإيجاز؛ لتَحْذَرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاءَ السَّلامة والعافية منها، مع توضيحاتٍ قليلةٍ نذكرها بعدها:

الأوَّل: الشِّركُ في عِبادةِ الله تعالىٰ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]، ومِن ذلك: دُعاءُ الأموات، والاستغاثة بهم، والنَّذر والذَّبح لهم كمَنْ يذبح للجنِّ أو للقبر.

الثَّاني: مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشَّفاعة، ويتوكَّل عليهم، فقدْ كفَر إجماعًا.

الثَّالث: مَنْ لم يُكفِّر المشركين، أوْ شكَّ في كفرهم، أو صَحَّح مذهبهم - كفَر.

الرَّابع: مَنِ اعْتقد أنَّ غير هَدْي النَّبيِّ ﷺ أكمل من هَدْيه، أو أنَّ حُكْم غيره أحسن من حكمِهِ، كالَّذي يُفضِّل حُكْم الطَّواغيت علىٰ حُكمِهِ، فهو كافرٌ.

الخامس: مَنْ أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرَّسُولُ ﷺ ولو عمِل به، فقدْ كفَر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ⁽٩⁾﴾ [محمَّد: ٩].

السَّادس: مَنِ اسْتهزأ بشيءٍ مِن دين الرَّسُول ﷺ، أو ثَوابِهِ، أو عقابِهِ؛ كفَر، والدَّليلُ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ⁽٦٥⁾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبة: ٦٥].

السَّابع: السِّحْر، ومنه الصَّرْف والعَطْف، فمَنْ فَعَله أو رضي به، كفَر، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ⁽١٠٢⁾﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامن: مظاهرة المشركين ومعاونتُهم علىٰ المسلمين، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ⁽٥١⁾﴾ [المائدة: ٥١].

التَّاسع: مَنِ اعْتقد أنَّ بعضَ النَّاس يَسَعُه الخروج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ - كما وسع الخضر الخُرُوج عن شريعة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فهو كافرٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ⁽٨٥⁾﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراضُ عن دين الله، لا يَتعلَّمه ولا يعملُ به، والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ⁽٢٢⁾﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فَرْق في جميع هذه النَّواقض بين الهازل والجادِّ والخائف، إلَّا المُكره، وكلّها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا.

فينبغي للمسلم أن يَحْذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله مِن موجبات غضبه، وأليم عقابه، وصَلَّىٰ الله علىٰ خير خَلْقه مُحمَّدٍ وآله وصحبه وَسلَّم.

انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويدخل في القسم الرَّابع: مَنِ اعْتقَد أنَّ الأنظمةَ والقَوانين الَّتي يَسنُّها النَّاس أفضلُ من شريعة الإسلام، أو أنَّها مُساويةٌ لها، أو أنَّه يجوزُ التَّحاكمُ إليها، ولو اعتقدَ أنَّ الحُكْم بالشَّريعة أفضلُ، أو أنَّ نظامَ الإسلام لا يصلحُ تطبيقُهُ في القرن العشرين، أو أنَّه كان سَببًا في تَخلُّف المسلمين، أو أنَّه يُحْصر في علاقة المرء بربِّه، دون أنْ يَتدخَّل في شُؤون الحياة الأخرىٰ.

ويدخلُ في الرَّابع أيضًا مَنْ يرىٰ أنَّ إنفاذَ حُكم الله في قَطْع يد السَّارق أو رَجْم الزَّاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كلُّ مَنِ اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإنْ لم يعتقد أنَّ ذلك أفضلُ مِن حُكم الشَّريعة؛ لأنَّه بذلك يكون قَدِ اسْتَباح ما حَرَّمه الله إجماعًا، وكلُّ مَنِ اسْتَباح ما حَرَّم الله مِمَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة؛ كالزِّنا، والخمر، والرِّبا، والحكمُ بغير شريعة الله - فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

ونسأل الله أنْ يُوفِّقنا جميعًا لما يرضيه، وأنْ يهدينا وجميعَ المسلمين صراطه المستقيم، إنَّه سميعٌ قريبٌ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وآله وصحبه.

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة
البحوث العلمية والإفتاء
عبد العزيز بن عبد الله بن باز





المقدمة

الحَمْدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ مَنْ لا نَبيَّ بعدَه، وعلىٰ آله وأصحابه ومَنِ اهتدىٰ بِهُداه.

أمَّا بعدُ:

فاعلمْ - أيُّها المسلمُ - أنَّ الله سبحانَه أوجبَ علىٰ جميع العباد الدُّخُولَ في الإسلام، والتَّمسُّكَ به، والحذر مِمَّا يخالفه، وبعثَ نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ للدَّعوة إلىٰ ذلك، وأخبر عَزَّوَجَلَّ أنَّ مَنِ اتَّبعه فَقَدِ اهْتَدىٰ، ومَنْ أعرضَ عنه فَقَدْ ضَلَّ، وحذَّر في آياتٍ كثيراتٍ مِن أسبابِ الرِّدَّة، وسائر أنواع الشِّرْك والكُفر، وذكَر العُلماءُ - رحمهم الله - في باب حُكم المُرتدِّ أنَّ المسلمَ قَدْ يَرتدُّ عنْ دِينِه بأنواعٍ كثيرةٍ مِن النَّواقض الَّتي تُحلُّ دمَه ومَالَه، ويكون بها خارجًا مِن الإسلام، ومن أخطَرِها وأكثَرِها وُقُوعًا عشرة نواقض، ذكَرها الشَّيخ الإمام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب وغيره مِن أهل العلم - رحمهم الله جميعًا -، ونذكرها لك فيما يلي علىٰ سبيل الإيجاز؛ لتَحذَرَها وتُحذِّر منها غيرَك، رجاءَ السَّلامةِ والعافية منها، مع توضيحاتٍ قليلةٍ نذكرها بعدها.

التعليق:

يقول الشَّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المُقدِّمة: «فَاعْلَمْ أيُّها المسلم أنَّ الله سبحانه أَوْجَب علىٰ جميع العباد الدُّخُول في الإسلام، والتَّمسُّك به، والحذر مِمَّا يخالفه...».

من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]. فقال بخسارِ كلِّ مَنْ دان بغير الإسلام.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [آل عمران: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩١].

إذًا، فالإسلامُ هو الدِّينُ الحقُّ الَّذي لا يَقْبل اللهُ مِن أحدٍ دينًا سواه. ثمَّ إنَّ لهذا الإسلام نواقض، مِن أشهرها النَّوَاقض الَّتي ذكرها شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.





الناقض الأول
الشرك

«فالأوَّل من هذه النَّواقض: الشِّرك في عبادة الله».

التعليق:

والدَّليل علىٰ ذلك: أنَّ الله أخبر أنَّه لا يغفر الشِّرك، فالمشرك لا يُغفر له ذنبٌ، ولا تُقبل منه حسنةٌ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وكما قال عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. وكما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، وكما قال سبحانه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣].

والشِّرك الأكبر حقيقتُهُ: الدُّعاء لغير الله؛ سواء كان دعاءً للأموات والمقبورين، أو دعاءً للأصنام، أو دعاءً للملائكة، أو دعاءً للأنبياء والمرسلين، كلُّ ذلك شركٌ بالله، موجبٌ لإحباط العمل والخُلود في النَّار.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦]. إلىٰ غير ذلك من الآيات الدَّالَّة علىٰ ذلك، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ» قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَىٰ يا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي

فَقَدْ أَبَىٰ»(١).

وطاعة النَّبِيِّ ﷺ تتلخَّص في كونه يُطَاع في كلِّ ما أَمَر به، وأوَّل أوامره ﷺ هو عبادة الله وحده دون سواه، فمَنْ أشركَ مع الله غيره فَقَدْ عصىٰ الله ورسولَه؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بعث نَبِيَّه مُحمَّدًا ﷺ بالإسلام، وأوَّله وأهمُّ شيءٍ فيه: الإيمان بالله، والكفر بالطَّاغوت، ومَنْ عَبَد مع الله غيره فإنَّه لم يؤمن بوحدانيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يكفُر بالطَّاغوت الَّذي أَمَر الله بالكُفر به.

وهذا النَّاقض له أدلَّةٌ كثيرةٌ، وذُيُولٌ ومغازٍ يغزو بها الشَّيطان المسلمين ليدخلهم بها في الشِّرك حتَّىٰ يكونُوا مُعرَّضين للانسلاخ من دين الله، وتحقيقُهُ بالرُّجُوع إلىٰ الكُتُب المُصنَّفة في ذلك؛ ككتاب «التَّوحيد» للشَّيْخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب، و«كشف الشُّبهات» وككتب العقائد الَّتي تهتمُّ بالأسماء والصِّفَات وتُبيِّن الواجب علىٰ العبد إزاءها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ»...



الناقض الثاني

اتخاذ الوسائط

«الثَّاني: مَنْ جعَلَ بينَه وبينَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ، وَيَسْأَلُهمْ الشَّفَاعَةَ، ويَتَوَكَّلُ عَلَيهِمْ، فَقَدْ كَفَر إجْمَاعًا».

التعليق:

فهذا الثَّاني يُعتبَر بيانًا للأوَّل؛ إذ إنَّ الأوَّل فيمَنْ دعا غير الله عَزَّوَجَلَّ، واعْتقد فيه جَلْب النَّفْع ودَفْع الضُّرِّ، وهذا الثَّاني فيمن جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشَّفاعة، ويَتوكَّل عليهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، وقال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ٤٤﴾ [الزمر: ٤٤].

فلا يجوز لأحدٍ أن يَسأل أحدًا من المخلوقين الشَّفاعة؛ لأنَّ الشَّفاعة مِلْكٌ لله، فلا يجوز أن تُطلَب إلَّا منه، فهو يُكرم الشَّافع بالشَّفاعة، ويَرحم المشفوع له إذا مات علىٰ التَّوْحيد، ولهذا قال أبو هريرة للنَّبيِّ ﷺ: مَنْ أحقُّ النَّاس بشفاعتِكَ يا رَسولَ الله؟ فقال: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا أَحَدٌ قَبْلَكَ لمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ العِلْمِ، أَحَقُّ النَّاس بشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قيل: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتِكَ يَومَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لما رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَىٰ الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتِي يَومَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ».



الناقض الثالث
ترك تكفير المشركين

قوله: «الثَّالث: مَنْ لم يُكفِّر المشركين، أو شكَّ في كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ - كَفَرَ»:

التعليق:

المشركون قَدْ أخبرَ اللهُ بكُفْرهم، فمَنْ لم يُكفرهم فإنَّه قَدْ كَذَّب اللهَ في خبره، فلذلك كان كافرًا بهذا السَّبب، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]. وقال تعالىٰ عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الحديثِ القُدسيِّ: «**أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[(١)].

ومن هنا نعلم أنَّ الَّذين يَدَّعون أنَّهم دعاةٌ إلىٰ الله ومع ذلك يُقرُّون المشركين علىٰ ما هُم عليه مِن الشِّرك، ولا يُنكرون مذهبَهم، فإنَّهم علىٰ خطَرٍ عظيمٍ؛ لأنَّهم كَذَّبوا الله في خبره، وهُمْ مع ذلك يزعمون أنَّ شِرْكَ التَّحْكيم كفرٌ، ويسكتون عَمَّن يَتطوَّفون بالقُبُور ويَطْلبون من أصحابها الحوائج مع العلم أنَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التَّطوُّف بالقُبُور لا فرق بينه وبَيْن التَّطوُّف بالأوثان والأصنام، وطلب الحاجات من أصحاب القُبُور كطلبِ الحاجات من الأصنام، علمًا بأنَّ شِرْك التَّحْكيم فيه خلافٌ.

وقَدْ قال ابن عَبَّاسٍ إنَّه مِن الشِّرك الأصغر إذا لم يعتقد الإنسان أنَّ حُكْم القوانين أحسن من حكم الله.

أمَّا شرك القُبُور ودعاء أصحابها فهو شركٌ صريحٌ، وهذا مِمَّا يحتجُّ به علىٰ الإخوان المسلمين؛ لأنَّهم تابعوا إمامَهم، فحكموا بالكفر علىٰ من حَكَّم غير الشَّرْع، ولم يَحْكموا بالكفر والشِّرك الأكبر علىٰ مَنْ تَطوَّف بالقُبُور ودعا أصحابها، وهذه بلِيَّةٌ عظيمةٌ.

والمهمُّ: أنَّ المشركين شركُ القبور كفَّارٌ، ومَنْ لَمْ يُكفِّرهم، أو صَحَّح مذهبهم، أو عَذَرهم بالجهل، فإنَّه مثلُهم، وبالله التَّوفيق.





الناقض الرابع

اعتقادُ أنَّ هديَ غيره أكمل مِن هديه ﷺ

«الرَّابع: مَنِ اعْتَقَدَ أنَّ غَيرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ، أوْ أنَّ حُكْمَ غَيرِهِ أحْسَنُ مِن حُكْمِهِ، كالَّذي يُفضِّل حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حِكْمِهِ - فَهُوَ كافرٌ».

التعليق:

مَنِ اعْتقَد أنَّ غيرَ هدي النَّبِيِّ ﷺ أحسن مِن هَدْيه فإنَّه يكفر بذلك، وقَدْ كان النَّبيُّ ﷺ يقول في خُطَبه: **«إنَّ خَيرَ الحدِيثِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُور مُحدَثَاتُها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكُلَّ بدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**[1].

هذا إخبارٌ منه ﷺ بأنَّ هَدْيه خيرُ هديٍ، وأكملُه وأحسنُه وأعدلُه، فمَنِ اعْتقَد أنَّ هَدْيَ غيره أحسنُ مِن هَدْيه، وأنَّ طريقةَ غيره أحسن مِن طريقتِهِ؛ فإنَّه يكفر بذلك لأنَّه كَذَّبَ اللهَ في خبره حيث يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

فمَنِ احْتقَر أصحاب اللِّحىٰ، وزَعم أنَّ اللِّحْية وَساخةٌ وقذارةٌ، فإنَّه علىٰ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا خَطَبَ احمرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأنَّه مُنْذِرُ جَيشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، ويقول: «بُعِثْتُ أنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ»، ويَقْرُنُ بينَ إِصْبعَيهِ؛ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ، ويَقُولُ: «أمَّا بَعْدُ؛ فَإنَّ خَيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الهَدْيِ هُدَىٰ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»...

وأخرجه النسائي (١٥٧٨) أيضًا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان رسولُ الله ﷺ يَقُولُ في خُطْبَتِهِ: يَحْمَدُ اللهَ، وَيُثْنِي عَلَيهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ؛ إِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»...

خطرٍ عظيمٍ؛ كالَّذين يُقلِّدون الغرب ويحتقرون الأحكامَ الإسلاميَّة والأخلاقَ الإسلاميَّة، فهم علىٰ خطرٍ كما قلتُ؛ لأنَّهم رأوا أنَّ هَدْي الكُفَّار أحسن من هَدْيه، وكذلك الَّذين يَحْكُمون بالأوضاعِ الجَاهليَّة ويزعمون أنَّها أحسنُ مِن حُكْم الإسلام، والعياذ بالله.





الناقض الخامس

بغض شيء ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ

«الخامس: مَنْ أَبْغَضَ شَيئا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ - فَقَدْ كَفَرَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [محمَّد: ٩] ».

التعليق:

إنَّ كراهة شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وكراهة حكمه، وكراهة هَدْيه، وكراهة شيءٍ مِمَّا جاء به ﷺ، فهذا خطرٌ، فينبغي للمسلم أن يعتقد أنَّ جميعَ الأحكامِ الشَّرعيَّة الَّتي جاء بها الإسلام أنَّها حقٌّ وعدلٌ، ويجب عليه أنْ يحاول بكلِّ مستطاعٍ ألَّا يكره شيئًا مِمَّا جاء به النَّبيُّ ﷺ؛ فإنَّ الكُرْه لما جاء به علامةٌ علىٰ النِّفاق، ورُبَّما سَبَّب الخُرُوج مِن الإسلام، والعياذُ بالله، فأولئكَ الَّذين كرهُوا ما أنزل الله حَبِطَتْ أعمالهم، وصارُوا مُرْتدِّين بذلك؛ كأصحاب مسجدِ الضِّرار[1] والمنافقين الاعْتِقَاديِّين في زمنه ﷺ[2]، فَهُمْ ما حَمَلهم علىٰ ذلك إلَّا بُغْض ما

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١٠٧ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

قال العلَّامة الشنقيطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان» (8/ 323): «ومعلومٌ أنَّ مسجدَ الضِّرار كان بمنطقة قباء، وطلبوا من الرسول الله ﷺ أنْ يُصلِّيَ لهم فيه تبرُّكًا في ظاهر الأمر، وتقريرًا لوجوده - يتذرَّعون بذلك، ولكنَّ الله كشف عن حقيقتهم».

(٢) النِّفاقُ: هو إظهار الخير وإبطان الشَّرِّ، وهو نوعان: نفاقٌ اعتقاديٌّ، ونفاقٌ عمليٌّ.

والنِّفاق الاعتقاديٌّ كفرٌ أكبرُ، وصاحبُه في الدَّرك الأسفل مِن النَّار، ومعناه: أن يُظهر الإيمان ويُبطن الكفر. =

جاء به، وحُبُّ ما يُناقضه، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التَّوبة: ١٠٧].

فمَنْ كَرِه ما جاء به، وفَضَّل عليه غيره فأحبَّه؛ فإنَّه بذلك يكفر، والعياذ بالله، ونسألُ الله العفو والعافية.

= وسبب النِّفاق: أنه لما اعتزَّ الإسلام بعد هجرةِ الرَّسول ﷺ صار هناك أُناس يريدون العيش مع المسلمين، ولكنهم لن يستطيعوا أن يعيشوا بين المسلمين إلَّا إذا أظهروا الإسلام، وهم لا يريدون الإسلام ولا يحبُّون الإسلام، فلجأوا إلىٰ حيلة النفاق، وهي: أن يُظهروا الإسلام من أجل أن يعيشوا مع المسلمين، ويبقوا في قرارة نفوسهم علىٰ الكفر، فسمّوا بالمنافقين، هذا هو النِّفاقُ الاعتقاديُّ.

وأمَّا النِّفاقُ العمليُّ فمعناه: أنَّ بعضَ المسلمين الَّذين عقيدتُهم سليمةٌ ومؤمنون بالله، لكنَّهم يتَّصفون ببعض صفات المنافقين، مثل: الكذب في الحديث، والغدر في العهد، وإخلاف الوعد، قال ﷺ: «آيَةُ المنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، هذا نفاق عمليٌّ، صاحبه مؤمن، ولكن فيه خَصْلَة مِن خصال المنافقين، وهي خطيرةٌ جدًّا، ربَّما أنَّها تؤول إلىٰ النِّفاق الأكبر إذا لم يتُبْ منها. انظر: «إعانة المستفيد بشرح كتاب التَّوحيد» (١/ ١١) للشَّيخ صالح الفوزان - حفظه الله -.



الناقض السادس

الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ

«السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ ثَوَابِهِ، أَوْ عِقَابِهِ، كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]».

التعليق:

الاستهزاءُ دليلٌ علىٰ الاستخفاف، والاستخفافُ بدين الله سواء كان مِمَّا جاء في القرآن، أو مِمَّا جاء في السُّنَّة، كلُّ ذلك لا يجوزُ الاستهزاءُ به.

ما ورد في القرآن مطلقًا، وما ورد في السُّنَّة وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ فإنَّه لا يجوز الاستهزاء به، وحرامٌ علىٰ مَنْ يؤمن بالله ورسوله أنْ يستهزئ بكتابِ رَبِّه، أو بالثَّابت مِن سُنَّة رسولِهِ ﷺ، فالاستهزاءُ دليلٌ علىٰ الاستخفاف كما قلتُ، والاستخفافُ بشرعِ الله عَزَّوَجَلَّ موجبٌ للكُفر، وقَدِ استدلَّ شيخُ الإسلام بهذه الآية: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥، ٦٦](١).

فدلَّ علىٰ أنَّ هؤلاء كانُوا مؤمنين، وأنَّهم كفرُوا بسبب الاستهزاءِ، وهذا

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرَّدِّ علىٰ البكري» (٢/ ٦٦٥): «لا ريب أنَّ الاستخفاف بالنَّبيِّ ﷺ كفر، والاحتجاج بهذه الآية يدلُّ علىٰ أنَّ الاستهزاء بالله تعالىٰ كُفرٌ، وبآيات الله تعالىٰ كفرٌ، وبرسوله ﷺ كُفرٌ، من جهة أنَّ الاستهزاء كفرٌ وحدَه بالضَّرورة، فلم يكن ذكر الاستهزاء بآياته وبرسوله شرطًا في ذلك، فعُلِمَ أنَّ الاستهزاء بالرَّسول ﷺ أيضًا كفرٌ، وإلَّا لم يكن في ذِكره فائدةٌ، وكذلك الاستهزاء بالآيات».



الاستهزاء الَّذي ورد في سبب نزول الآية أنَّهم لمَّا كانوا في سفرٍ في غزوةِ تبوك قال واحدٌ مِمَّنْ يُتَّهم بالنِّفاق: «مَا رَأَينَا مَثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ»[1].

فأنزل الله هذه الآيات الَّتي تُبيِّن كُفْرهم بهذا الاستهزاء مع أنَّهم مِمَّنْ صحبوا النَّبيَّ ﷺ في تلك الغزوة.



(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣ - ٥٤٤ هجر)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩). وأورده الشَّيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النُّزول» (ص١٠٨ - ١٠٩ مكتبة ابن تيمية). وورد نحوه عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ١٥٨)، و«تفسير الطبريّ» (١١/ ٥٤٣ و٥٤٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٣٠).



الناقض السَّابع

السِّحر

«السَّابع: السِّحْر، ومِنْهُ الصَّرْفُ وَالعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ به، كَفَرَ، والدَّليلُ قَوْلُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]».

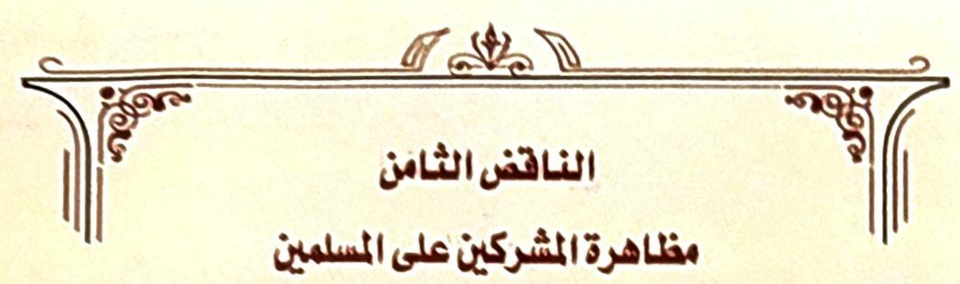
التعليق:

السِّحْر أنواعٌ، ومنه الصَّرْف[1] والعَطْف[2] إلا أنَّه دَلَّت الأدلَّة علىٰ أنَّه لا يستطيع عمل السِّحْر إلَّا مَنِ اتَّصَف بالكُفر، ولهذا فإنَّ المَلَكين ببابل هاروت وماروت لا يُعلِّمان أحدًا حتَّىٰ يقولَا له علىٰ سبيل المُناصحة: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فمَنْ أصرَّ علَّماه، وخرج الإيمان من قلبِهِ، واتَّصَف بالسِّحْر، والعياذ بالله، ومَنِ اتَّصَف بالسِّحْر وقَدَر عليه فهو يُعتَبر كافرًا بذلك، أمَّا الصَّرْف والعطف فمعناه: الكراهية والحبُّ، فالصَّرْف: الكراهية. والعطف: الحبُّ، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) الصَّرف: عملٌ سحريٌّ يُقصد منه تغيير الإنسان عما يَهْواه؛ كصرف الرَّجل عن محبَّة زوجته إلىٰ بغضها.

(٢) العطف: عملٌ سحريٌّ يُقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يَهْواه بطُرقٍ شيطانيةٍ.



الناقض الثامن

مظاهرة المشركين على المسلمين

«الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى المسْلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]».

التعليق:

مظاهرةُ المشركين ومُعَاونتُهم علىٰ المسلمين إعجابًا بهم وبدينهم، وحبًّا لهم ولدينهم وتفضيلًا لهم علىٰ المسلمين، وتفضيلًا لدينهم علىٰ دين الإسلام: هذا هو الكفر، أمَّا التَّعاون مع الكُفَّار علىٰ ما يُحرِّمه الإسلام، أي: علىٰ إبعادِهِ وإبطالِهِ وجهادِ أهلِهِ كالَّذي يُسمَّىٰ بالإرهاب، وهو دين الخوارج الَّذين يُكفِّرون المسلمين ويقتلونهم، ويعملون الأعمال التَّخريبيَّة الَّتي تُرهب النَّاس؛ سواء كانوا مسلمين أو كافرين، وكذلك التَّعاون معهم، أو طلب معاونتهم فيما هو مباحٌ، فذلك جائزٌ.

فَقَدْ طلب عليٌّ بن أبي طالبٍ من يهوديٍّ من بني قينقاع[(١)] صائغًا أن يذهب معه ليجيئوا بشيءٍ من الإذخر الَّذي يستعين به الصَّوَّاغون علىٰ صياغتهم، فيبيعه عليٌّ منهم ليستعين به علىٰ وليمة فاطمة، والحديث في «صحيح البخاريِّ»[(٢)].

---

(١) قينقاع: قبيلة من قبائل اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة.

(٢) يشير الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري واللفظ له (٢٠٨٩) ومسلم (١٩٧٩)، عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الخُمُسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ مِنَ الصَّوَّاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرُسِي». و«الشارف»: هي الناقة المُسِنَّة. و«الخُمُس»: أي: خُمُس الغنيمة الذي جُعِل أمرُه إلىٰ رسول الله ﷺ. و«أبتني» أي: أدخل بها. «صوَّاغًا» هو الذي يَصوغ الحلي.

وقَدْ مات النَّبيُّ ﷺ ودِرْعُهُ مرهونةٌ عند يهوديٍّ في شعيرٍ اشتراه منه نفقةً لأهله صلوات الله وسلامه عليه(١).

فهذا لا يدخل في مظاهرة المشركين، وإنَّما المظاهرة للمشركين ومعاونتهم المذمومة هي ما سبق بيانه، وكذلك تولِّيهم ومُصادقتهم(٢) وإعطاؤهم أسرار المسلمين، كلُّ ذلك من المظاهرة الَّتي تُوجِبُ الكفر، والعياذُ بالله.



---

(١) أخرج البخاري (٢٩١٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ».

(٢) قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة: ٢٢].



الناقض التاسع

اعتقادُ أنَّ أحدًا يسعُه الخروج عن شريعة محمَّد ﷺ

«التَّاسع: مَنِ اعْتقَد أَنَّ بَعْضَ النَّاس يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ - كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِقَولِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]».

التعليق:

أقولُ: الدِّينُ الإسلاميُّ هو الطَّريقُ إلىٰ الله، المُوصِلُ إلىٰ رضاه، وإلىٰ جنَّته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ورسولُ الدِّين الإسلاميِّ الَّذي جاء به هو مُحمَّدٌ ﷺ؛ ولذلك فإنَّه لا يسعُ أحدًا الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ، ومَنْ زَعَم ذلك واعتقدَ بأنَّه يسعُه الخُرُوج، أو يسع أحدًا الخُرُوج عن شريعة مُحمَّدٍ الَّتي جاء بها من عند الله عَزَّوَجَلَّ؛ مِن كتابٍ وسُنَّةٍ وعملِ السَّلَف الصَّالحِ من الصَّحَابة والتَّابعين فمَنْ بعدَهم مِن أهل الحديث والأثر.

مَنْ زَعَم أنَّه يَسَعُهُ الخُرُوج عن ذلك كما وسع الخضر الخُرُوج عن شريعة موسىٰ - صلىٰ الله عليهما وعلىٰ نبيِّنا وسلَّم - كما قال ذلك بعض الصُّوفيَّة - فإنَّه كافرٌ ضالٌّ مضلٌّ (١)، وإنْ كان قبل ذلك مُسلمًا، فإنَّه يكون بذلك قَدِ ارْتدَّ عن

---

(١) مَن اعتقدَ أنَّ الخضرَ خرَج عن شريعةِ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد أخطأ خطأً فادحًا؛ لأنَّ رسالةَ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليست عامَّةً، وإنما هو نبيُّ بني إسرائيل، والخضر ليس من جملة مَن أُرسل إليهم موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل الخضر =

الإسلام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، ولقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩]، ولقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

وقال ﷺ: «كلُّكُمْ يَدخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ»(٢).

والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ:

منها: أوامر الله المُتكرِّرة في القرآن الَّتي أَمَر فيها عباده باتِّباع كتابِهِ؛ كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨].

ومنها: أَمْرُهُ باتِّباع رسولِهِ، والأمرُ بالأَخْذ بما جاء به؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

ومنها: قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ

=

علىٰ الصَّحيح نبيٌّ يُوحىٰ إليه، فلا يقال: إنَّ الخضر خرج عن شريعة مُوسىٰ عليهما السلام؛ لأنه لم يكن من أمَّة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أصلًا حتَّىٰ يخرج عن شريعتِه.

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

ومنها: توعُّده سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَنْ شاقَّ الرَّسُول واتَّبع غير سبيل المؤمنين في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

نسأل الله أن يُثبِّت قُلُوبَنا على طاعتِه، وأن يغفر لنا ما حصل مِنَّا من قُصُورٍ، وبالله التَّوفيق.





الناقض العَاشر

الإعراضُ عن دين الله تعالى

«العاشرُ: الإعراضُ عنْ دِين اللهِ، لا يَتعلَّمُه ولَا يَعْمَلُ بهِ، والدَّليلُ قَولُه تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢]».

ولا فَرْق في جميع هذِه النَّوَاقِض بينَ الهَازلِ والجَادِّ وَالخَائفِ، إلَّا المُكره، وكلُّها مِن أعظم ما يكونُ خطَرًا، وَأَكثر مَا يكونُ وُقُوعًا.

فينْبغِي للمُسلم أنْ يَحْذَرَهَا، وَيخافَ منها علىٰ نفسِه، نَعُوذُ باللهِ مِن مُوجِبَاتِ غضَبِه، وَأَلِيم عِقَابِه، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خير خَلْقِه مُحمَّدٍ وآلِه وصَحْبِه وَسَلَّمَ. انتهَىٰ كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

التعليق:

وأقولُ: الإعراضُ ينقسم إلى قسمين:

- إعراضٌ جزئيٌّ.
- وإعراضٌ كليٌّ.

فالأول: وهو الإعراضُ الجزئيُّ لا يُخْرج من الإسلام، بل يكون صاحبُهُ فاسقًا إذا كان مُقِرًّا بالشَّهادتين - شهادة ألَّا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله - ومُؤدِّيًا للصَّلاة في أوقاتها، فمَنْ كان هذا حالُهُ، فإنَّه لا يَخْرجُ مِن الإسلام، ولكنَّه يكونُ مُسلمًا عاصيًا.

والثَّاني: الإعراضُ الكُلِّيُّ؛ فهذا هو الكفرُ؛ بأن يُعْرض عن الدِّين بالكُلِّيَّة، لا

يعمل به، ولا يَتعلَّمه، ولا يرفع به رأسًا، فمَنْ كان هذا حالُهُ فهو مُسْتَخفٌ بدين الله عَزَّوَجَلَّ، غير مُكْترثٍ به، ولا مُرِيدٍ له، ولا راغبٍ فيه، بل هو مُتَّبعٌ لهواه، فمَنْ كان هذا حالُهُ، لا يعمل بشيءٍ من أوامر الإسلام، ولا ينتهي عن شيءٍ من مُحرَّماته، ولا يُصدِّق بشيءٍ من أخبارِهِ، فهذا يُعتَبر كافرًا مُرتدًّا يستحقُّ أن يُسْتتاب، فإنْ تاب وإلَّا قُتِل مُرتدًّا، وبالله التَّوْفيق.

«**ولا فَرْق في جميع هذه النَّوَاقض بين الهازِل**»: من الهزل، أو الهازئ من الهزء، وهو السُّخْريَّة، «**والجَادِّ**» أي: لا فرق بينهم، فإنَّ الهزل بدين الله والهزء به، والسُّخْرية منه مِمَّا يوجب الارتداد عن الإسلام، فدينُ الله حقٌّ، والهزلُ استخفافٌ بالحقِّ، واستخفافٌ بمَنْ جاء به، واستخفافٌ بمَنْ شَرَعه وأنزله كما قَدْ سبق لنا في قول القائل من المنافقين: «لَمْ أرَ مثل قُرَّائنا هؤلاء أكذب أَلْسنًا، ولا أرغب بُطُونًا، ولا أجبن عند اللِّقاء»، فأنزل الله في حَقِّهم ما سبق بيانه[1].

«**والخائف، إلَّا المُكْره**»: وكذلك الخائف إذا لم يكن خَوْفُهُ بلغ إلىٰ حدِّ الخطر حتَّىٰ يكون مُكْرهًا.

«**وكلُّها مِن أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خطَرًا، وَأَكْثَر مَا يكونُ وُقُوعًا، فينْبَغِي للمُسلم أنْ يَحْذَرَها، ويَخافَ منها علىٰ نفسِه**» وبالله التَّوْفيق.

---

(١) أي: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وقد أخرج القصةَ ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٣١٣)، وابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٥٤٣ هجر). وأوردها الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النُّزول» (ص١٠٨ - ١٠٩) - كما سبق -.



خاتمة

ويدخلُ في القسم الرَّابع: مَنِ اعْتقَدَ أنَّ الأنظمةَ والقَوانينَ الَّتي يَسُنُّها النَّاس أفضلُ مِن شريعةِ الإسلام، أو أنَّها مُساويةٌ لها، أو أنَّه يجوزُ التَّحاكُمُ إليها، ولَوْ اعتقَدَ أنَّ الحُكْمَ بالشَّريعة أفضلُ، أو أنَّ نظامَ الإسلام لا يصلحُ تطبيقُهُ في القِرن العِشرين، أو أنَّه كان سَبَبًا في تَخلُّفِ المسلِمِينَ، أو أنَّه يُحْصر في علاقة المرء بربِّه، دون أنْ يَتدخَّلَ في شُؤونِ الحياةِ الأُخرَىٰ.

ويدخلُ في الرَّابع أيضًا مَنْ يرىٰ أنَّ إنفاذَ حُكم الله في قَطْع يد السَّارق أو رَجْم الزَّاني المُحصَن لا يُناسِبُ العصرَ الحاضرَ، ويدخل في ذلك أيضًا كلُّ مَنِ اعْتَقَدَ أنَّه يجوزُ الحُكم بغير شريعةِ الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإنْ لم يعتقد أنَّ ذلك أفضل من حكم الشَّريعة؛ لأنَّه بذلك يكون قَدِ اسْتَباح ما حَرَّمه الله إجماعًا، وكلُّ مَنِ اسْتَباح ما حَرَّم الله مِمَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة؛ كالزِّنا، والخمر، والرِّبا، والحكم بغير شريعة الله - فهو كافرٌ بإجماع المسلمين.

ونسألُ اللهَ أنْ يُوفِّقنا جميعًا لما يُرضيه، وأنْ يَهديَنا وجميعَ المسلمين صراطه المستقيمَ، إنَّه سميعٌ قريبٌ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا مُحمَّدٍ، وآلِه وصَحبِه.

التعليق:

كذلك ما ذَكَره المؤلِّف: «مَنِ اعْتقَد أنَّ الأنظمةَ والقوانينَ الَّتي يَسُنُّها النَّاسُ أفضلُ مِن شريعةِ الإسلام»:

قلتُ: ولو زعَم أنَّها مُساويةٌ للشَّريعة فهذا كفرٌ أيضًا، لكن مَنْ حَكَم بها وهو

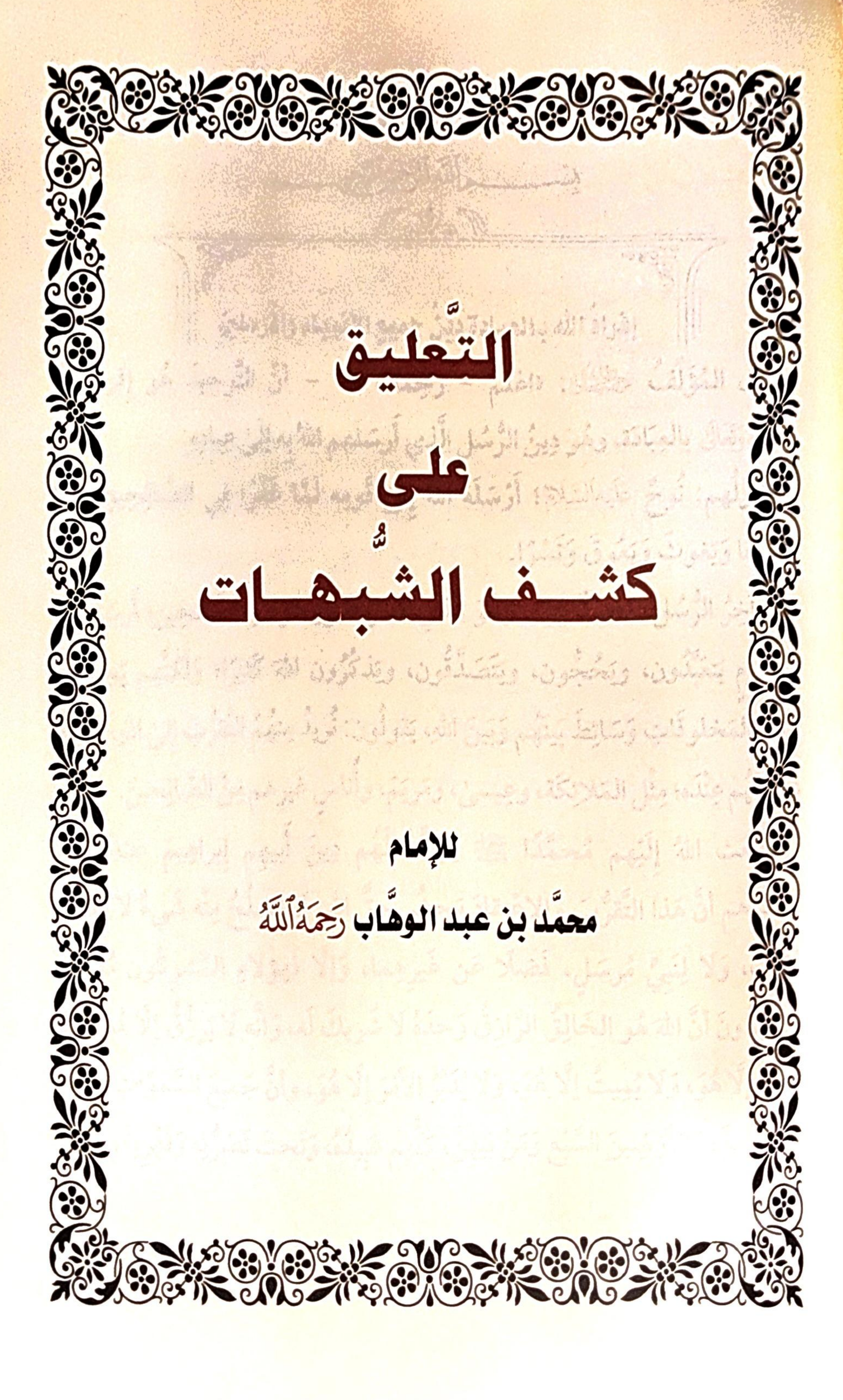
يعتقد أنَّ الحُكْم بالإسلام هو الواجب، فهو فاسقٌ ولا يكفر، وكذلك مَنْ ظنَّ «أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقُهُ في القرن العشرين»، وأنَّ تطبيقه هو السَّبب في تَخلُّف المسلمين، وتَأخُّرهم عن رَكْب الحضارة، فهذا رِدَّةٌ أيضًا، وكذلك مَنِ اعْتَقَد أنَّ الإسلام «يُحْصر في علاقة المرءِ بِربِّه، دون أنْ يتدخَّلَ في شُؤون الحياةِ الأُخرىٰ».

وأقولُ: هذا يُعَدُّ رِدَّةً؛ لأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر بكمال دِينه، وأنَّه شاملٌ لجميعِ شؤونِ الحياة والعِلاقات بين النَّاس، فالإسلامُ نَظَّمها، وبَيَّن الحُقُوق فيها، فمَنْ زَعَم أنَّ الإسلامَ محصورٌ في شيءٍ دون شيءٍ فإنَّه قَدْ كَفَر بالإسلام؛ لأنَّ الإسلام شمل الحُقُوق المتبادلة بين النَّاس: بين الوالد والولد، والزَّوْج والزَّوْجة، والجار وجاره، والقريب وقريبه، إلىٰ غير ذلك من الأحكام الشَّرعيَّة الَّتي بَيَّنها الإسلام وحَدَّدها، فمَنْ زَعَم أنَّ حُكْم الله «بقَطْع يدِ السَّارق، أو رَجْم الزَّاني المُحْصَن، أو جَلْد الزَّاني البِكْر»، مَنْ زعم أنَّ ذلك وَحْشيَّةٌ، وأنَّه «لا يُناسبُ العصرَ الحاضرَ» فهو مُرْتدٌّ، كما قال مَنْ كَتَب التَّكْملة الأخيرة[١].

وكذلك «كلُّ مَنِ اعْتَقَدَ أنَّه يجوزُ الحُكْمُ بغير شَريعةِ الله في المعاملاتِ أو الحدودِ أو غيرِهما»، فإنَّ هذا لا يجوز أيضًا، ويُعَدُّ رِدَّةً بخلاف ما لو حكم بغير ما أنزل الله لسببٍ من الأسباب، وهو يعلم أنَّ حُكْم الله هو الحقُّ، فإنَّ هذا فسقٌ وليس بكفرٍ، وبالله التَّوْفيق.

---

(١) يقصد: سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله رحمة واسعة، كما بيَّن ذلك في تكملته علىٰ النواقض العشرة.



التَّعليق

على

كشف الشُّبهات

للإمام

محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

إفرادُ الله بالعبادةِ دينُ جميعِ الأنبياءِ والمرسلين

قَالَ المُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَم - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ التَّوحِيدَ هُو إِفرادُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالعِبادَةِ، وهُو دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرسَلَهم اللهُ بِه إِلَىٰ عِبادِهِ:

فَأَوَّلُهم: نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلىٰ قَومِه لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِين: وَدًّا وسُواعًا ويَغوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا.

وآخِرُ الرُّسُلِ: مُحمَّدٌ ﷺ، وهُوَ الَّذي كَسرَ صُورَ هَؤلاءِ الصَّالحِين؛ أَرسَلَه اللهُ إِلىٰ قَوْمٍ يَتعبَّدُون، ويَحُجُّون، ويَتَصدَّقُون، ويَذكُرُون اللهَ كَثيرًا؛ ولَكنَّهم يَجعَلُون بَعضَ المَخلوقَاتِ وَسَائطَ بَينَهُم وبَينَ اللهِ، يَقولُون: نُريدُ مِنهُمُ التَّقرُّبَ إِلىٰ اللهِ، ونُريدُ شَفاعَتَهُم عِنْدَه؛ مِثْلِ المَلائكَة، وعِيسىٰ، ومَريَمَ، وأُناسٍ غَيرِهم مِنَ الصَّالِحينَ.

فَبعَثَ اللهُ إِلَيْهم مُحمَّدًا ﷺ يُجدِّدُ لَهُم دِينَ أَبيهِم إِبراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويُخبِرُهم أنَّ هَذا التَّقرُّبَ والاعْتقادَ مَحضُ حقِّ اللهِ، لا يَصلُحُ مِنه شَيءٌ لا لِمَلَكٍ مُقرَّبٍ، ولا لِنَبِيٍّ مُرسَلٍ، فَضلًا عَن غَيرِهِما، وإِلَّا فَهؤلاءِ المُشرِكُون مُقرُّونَ ويَشهَدُونَ أنَّ اللهَ هُو الخَالِقُ الرَّازِقُ وَحدَهُ لا شَريكَ لَه، وأَنَّه لا يَرزُقُ إِلَّا هُوَ، ولا يُحيِي إِلَّا هُوَ، ولا يُمِيتُ إِلَّا هُوَ، ولا يُدبِّرُ الأَمرَ إِلَّا هُوَ، وأنَّ جَميعَ السَّمواتِ السَّبْعِ ومَنْ فِيهِنَّ، والأَرَضِينَ السَّبْعِ ومَنْ فِيهِنَّ، كُلُّهم عَبِيدُهُ، وتَحتَ تَصرُّفِه وقَهْرِهِ».

التعليق:

أقولُ: بيَّن شيخُ الإسلامِ مُحمَّد بنُ عبدِ الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المقطعِ أنَّ

التَّوحيدَ هو إفرادُ اللهِ بالعبادةِ دون سواه، وأنَّ العبادةَ لا يجوزُ أنْ يُصرَفَ منها شيءٌ لِغير اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومِن أجلِ ذلكَ أرسلَ اللهُ الرُّسلَ، وأنزلَ الكتُبَ؛ لِبَيانِ هذا التَّوحيدِ، وأنَّه هو أساسُ الدِّينِ، وقاعدةُ الملَّةِ الَّتي عليها يُبنَىٰ، وأنَّ مَن أَشرَكَ مع اللهِ شيئًا مِن خَلْقِه فإنَّه قدْ خرَجَ عن هذا التَّوحيدِ، واسْتحقَّ الذَّمَّ واللَّومَ، والعُقوبةَ مِن اللهِ - تعالىٰ -.

وأنَّ كلَّ مَنْ سواهُ مِن المخلوقين لا يَجوزُ للعبدِ أنْ يُقدِّم لهم شيئًا مِن أنواعِ العبادةِ؛ لا دُعاءً، ولا رغبةً، ولا رهبةً، ولا خشيةً، ولا استغاثةً، ولا استعاذةً، وأنَّ ذلكَ يَستوي فيه جميعُ المخلوقِينَ؛ مِن أفضَلِ الملائكةِ (جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) إلَىٰ أَدنَىٰ شَخْصٍ مِن العِبادِ، كلُّ ذلكَ لا يجوزُ أنْ يُدعَىٰ مِن دونِ الله، ولا أنْ يُصرَفَ لهم شيءٌ مِن أنواعِ العبادةِ.

وأنَّ قوْلَ المشركينَ: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣]، يَقصِدون بذلكَ أنَّ هؤلاءِ المعبودِين يَكونُون وسائطَ بينهم وبينَ الله عَزَّوَجَلَّ، هذه الشُّبهةُ الَّتي صُرِفَتْ بها العِبادَةُ لِغير اللهِ - تعالىٰ - إنَّها شُبهةٌ باطلةٌ، وأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يَرضَىٰ أنْ يُعبَدَ معه أحدٌ غيرُه، ولِذلكَ أرسلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نُوحًا إلىٰ قومِه حينَ عبدُوا مع الله أُولئكَ الصَّالِحين، وصوَّروا صُوَرَهم، وقدَّمُوا لهم أنواعَ العباداتِ مِن النُّذُور والدُّعاءِ وغير ذلكَ بِزعمِهم أنَّهم يكونون شُفعاءَ.

وَردَّ اللهُ علىٰ مَن قالَ هذا القولَ بقولِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، أَي: إنَّ الَّذينَ تَعبُدونَهم همْ كانوا يَبتغُون إلىٰ اللهِ الوسيلةَ، والوسيلةُ هي كلُّ ما تَوَصَّلْتَ به إلىٰ شيءٍ[١]؛ كقَوْلِ العرَب بأَنَّ الرِّشَا هُو الحَبْل الَّذي تُوضَع فِيه

(١) انظر: «لسان العرب» (١١/ ٧٢٤ - ٧٢٥ صادر).

الدَّلْو، ويَنزِل علىٰ المَاءِ حتَّىٰ يَأخُذَه مِن قَعْر البِئْر[1]، وَهُو وَسيلَةٌ، فكُلُّ مَا تَوَصَّلْتَ بِشَيْءٍ إِلَىٰ شَيْءٍ فَهُو وَسيلَةٌ إِلَيْه.

لكِن مِن الوَسيلَةِ مَا هُو جَائِزٌ ومَا هُو مَمنُوعٌ:

فالتَّوسُّلُ إِلَىٰ اللهِ بالعبادةِ الَّتي شرَعَها علىٰ ألسنةِ رُسلِه، وأنزَلَها في كتُبِه هذه هِي الوسيلةُ المطلوبةُ.

أمَّا الوسيلةُ المُحرَّمةُ: فهي ما حرَّمَهُ اللهُ؛ مِن دعاءِ هؤلاءِ المعبودِينَ، واللُّجوءِ إليهم عندَ الكُربةِ فيما لا يَقدرُ عليه إلَّا اللهُ؛ لِأنَّ هؤلاء هُم مملوكون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كسائِر الخلْقِ.

وثَانِيًا: أنَّ قياسَ اللهِ بالملُوكِ لا يَجوزُ؛ لأنَّ الملوكَ مَخلوقون ضعفاءُ، فهُمْ إذَا جُعِلتْ بينهم وبين مَن يُريدُون حاجات منهم وسائطُ وشفاعاتٌ، فذلك يَليقُ بهم، أمَّا رُبوبيَّةُ اللهِ فهي لا تَحتاجُ إلىٰ ذلك؛ لأنَّ اللهَ لا تَخفىٰ عليهِ الأمورُ الَّتي تَخفَىٰ علىٰ العبادِ، وليس بين اللهِ وخلْقِه وسائطُ يُوصلون ما يَخفىٰ عنه، واللهُ مُطَّلعٌ علىٰ كلِّ شيءٍ، وإذا سألهُ عبْدٌ مِن العبادِ عرَف سُؤالَه وحاجتَه قبْلَ أنْ يَتكلَّم بِها السَّائلُ؛ فاستجابَ له إنْ شاء وصرَف عنه ما طلَبَ صرفَه مِن المكروهاتِ، وجلَب له ما طلَب جلبَه مِن المنافِع، فهذه الشُّبهةُ شبهةٌ ساقطةٌ في حقِّ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبالله التَّوفيقُ.

---

(١) انظر: «الصِّحاح» للجوهري (٦/ ٢٣٥٧ العلم للملايين)، و«القاموس المحيط» للفيروزآباي (١/ ١٢٨٨ الرسالة).



مُشركو العرب يُقرّون بتوحيد الرُّبوبيَّة

فَإِذَا أَرَدْتَ الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلاءِ المُشرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَشهَدُونَ بِهَذَا فَاقْرَأْ قَولَهُ - تَعالَىٰ -: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقَوْلَه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٩].

فَإِذَا تَحقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوحِيدِ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْعِبَادَةِ الَّذي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الاعْتِقَاد كَما كَانُوا يَدعُون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْلًا وَنَهارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو المَلَائِكَةَ لِأَجْلِ صَلَاحِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ لِيَشْفَعُوا لَهُ، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ اللَّاتِ، أَوْ نَبِيًّا مِثْل عِيسَىٰ، وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم عَلَىٰ هَذا الشِّرْكِ وَدَعَاهُم إِلَىٰ إِخلاصِ العِبادَةِ للهِ وَحْدَه كَمَا قَالَ - تَعالَىٰ -: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَكَما قَالَ - تَعالَىٰ -: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وَتَحقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُم لِيَكُونَ الدُّعاءُ كُلُّه للهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّه للهِ،

والاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا باللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ كُلُّها للهِ، وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلائِكَةَ، وَالأَنْبِيَاءَ، وَالأَوْلِيَاءَ، يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ؛ عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَّوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ المُشْرِكُونَ، وَهَذَا التَّوحِيدُ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ فَإِنَّ الإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لِأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، سَوَاء كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ للهِ وَحْدَهُ كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ.

وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِالإِلَهِ مَا يَعْنِي المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّد)، فَأَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ؛ وَهِيَ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَالمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لا مُجَرَّدُ لَفْظِهَا، وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ هُوَ إِفْرَادُ اللهِ - تَعَالَىٰ - بِالتَّعَلُّقِ، وَالكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَالبَرَاءَةُ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ ﷺ: «قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1]، قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، فَالعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلامَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الكَلِمَةِ مَا عَرَفَهُ جُهَّالُ الكَفَرَةِ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ القَلْبِ لِشَيْءٍ مِنَ المَعَانِي، وَالحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، وابن حبّان (٦٦٥١ التّعليقات الحسان)، عن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعّفه الألبانيّ في «صحيح وضعيف التّرمذيّ»، و«التّعليقات الحسان».

وأخرج ابنُ حبّان في «صحيحه» (٦٥٢٨) من حديث طارق المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في سُوقِ ذِي المَجَازِ وعليه حُلَّةٌ حمراءُ، وهو يقول: «يا أيُّها النَّاسُ قُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا...» الحديث. وصحّحه الألبانيّ في «التّعليقات الحسان».

مَعْنَاهُ: لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ إِلَّا اللهُ، وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا اللهُ، فَلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعْنَىٰ: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

التعليق:

في هذا المقطعِ يَذكُر شيخُ الإسلام مُحمَّد بنُ عبدِ الوهَّاب بأنَّ المشرِكِينَ الَّذين قاتلَهم الرَّسولُ ﷺ كانوا يُؤمنون بِتوحيدِ الرُّبوبيَّة؛ فَهُم يَعلمون أنَّ اللهَ هو الخالقُ الرَّازقُ المُحيي المُميتُ، وهو المُدبِّرُ لِجميع الأُمورِ، لَمْ يَعتقدُوا أنَّ اللَّاتَ والعزَّىٰ خلقَتْهم، ولا أنَّها هي الَّتي تُميتُهم، ولا أنَّها هي الَّتي خلقَتِ السَّمواتِ والأرضَ، بَلْ إنَّهم يَعلمُون بأنَّ الله خلَقَ هذه الأشياءَ: السَّموات السَّبعَ، والأرضينَ السَّبعَ ومَن فيهنَّ، وما بينهما، وهذا ما يُسمَّىٰ بِتوحيدِ الرُّبوبيَّة.

فإذا علِمْنَا أنَّ المُشركين كانُوا يُقرُّون بِتوحيدِ الرُّبوبيَّة، ومع ذلكَ فهُم يَصرفونَ شيئًا مِن عِباداتِهم ودعائهم ونذْرِهم، يَصرفون هذه الأشياءَ وما هوَ مثلُها لِغير اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مُعتقِدين شفاعةَ الآلهةِ الَّتي يَعبُدونها، فأَخبَرَ اللهُ عن ذلك بأنَّهم مُعترفُون بتوحيدِ الرُّبوبيَّة، ولكنَّهم يُنكِرون إفرادَ اللهِ بالعبادةِ، ولِذلكَ قاتلَهُم رسولُ الله ﷺ؛ فسفَكَ دماءَهم، وسبَىٰ ذراريَهم، وغنِمَ أموالَهم بسببِ كونِهم يَصرفون العبادةَ لِغير الله.

إذَا عُلِم هذا، فإنَّه يَتبيَّنُ أنَّ الخصومةَ بيْنَ الأنبياءِ وأُمَمِهم إنَّما هي في توحيدِ الألوهيَّة، قال - تعالىٰ -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال - تعالىٰ -: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فَتبيَّنَ مِن هذا أنَّ دعوةَ غيرِ اللهِ شِرْكٌ، وطلَبَ الحوائجِ منهُم - الَّتي لا يَقدرُ

عليها إلَّا الله - منزلةً مخرجٌ من الملَّة، مبيحٌ لدم قائله، ولغنيمة ماله، وسبي نسائهم، وهذا التَّوحيدُ هو الَّذي فيه الخصومةُ بين الرُّسل وأممهم».

كان كفَّارُ قريشٍ يعرفون أنَّ معنى كلمة (لا إله إلَّا الله): لا معبودَ بحقٍّ إلَّا اللهُ؛ فلذلك قالوا للنَّبيِّ ﷺ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فعرفوا أنَّ كلمة (لا إله إلَّا الله) تنفي عبادتَهم الَّتي يقدِّمونها للآلهة؛ كاللَّات والعُزَّى وما أشبهَ ذلك.

إذًا، فأولئك المشركون كانوا أعلمَ بمعنى (لا إله إلَّا الله) من هؤلاء المسلمين الَّذين يقولون: لا إله إلَّا الله، وهُم مع ذلك يعبدون غيرَ الله بالدُّعاء، والخوف، والرَّجاء، والنَّذر، والرَّغبة، والرَّهبة، وغير ذلك، إذا علمتَ هذا أيُّها العبدُ عرفتَ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد أنقذَكَ ممَّا وقع فيه أولئك، وأنعمَ عليكَ بتوفيقك للعقيدة الصَّحيحة الَّتي ضلَّ عنها أولئك المشركون، فاحمدِ الله على توفيقه إيَّاكَ، وسلامتِكَ من الشِّرك الَّذي وقع فيه كثيرٌ من النَّاس، وبالله التَّوفيق.





الموتُ على الشِّركِ يُوجبُ الخُلودَ في النَّار

إذا عَرَفْتَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِم الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهَذَا؛ أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: الفَرَح بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وَأَفَادَكَ أَيْضًا: الخَوْفَ العَظِيمَ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يَكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ، فَلَا يُعْذَرُ بِالجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ - تَعَالَىٰ - كَمَا ظَنَّ المُشْرِكُونَ، خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمَكَ اللهُ مَا قَصَّ عَلَىٰ قَوْمِ مُوسَىٰ مَعَ صَلَاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

التَّعليق:

وَأَقُولُ: في هذا المقطع ذكرَ شيخُ الإسلامِ أنَّ مَن عرفَ الشِّركَ، وعرفَ أنَّه لَا يُغفر كما في الآيةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّساء: ٤٨]، وعرفَ أنَّ الدِّينَ الَّذِي أرسلَت به الرُّسلُ، وأُنزلتْ به الكتبُ، هو توحيدُ الله الَّذي لم يَقبلْ مِن أحدٍ دينًا سِواه، فإنَّه حينئذٍ تَستفيدُ فائدتَين:

١- مُوافَقَتكَ للعقيدة الحقَّة؛ فتفرَح بمُوافقتِها، وتَغتبِط بذلك، وتَحرِص عليه، وتَسأل الله الثَّبات عليه.

٢- أنَّك تَستفيدُ مِن ذلكَ خطرَ العقيدَة؛ بمعنىٰ عِظَمها وشَرَفها والخوف مِن ضياعِها وذَهابِها، فيكثُر مِنكَ السُّؤالُ والابتهالُ إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا أنْ يُثبِّتكَ علىٰ هذه العقيدةِ الَّتي مَن حادَ عنها هلَك، والَّتي خاف إبراهيمُ علىٰ نفسِه وعلىٰ بنيه أنْ تُسلَبَ منهُ، فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فتَسأل الله دائمًا الثَّباتَ علىٰ الحقِّ الَّذي مَن سُلبَه أو ضلَّ عنه فقدْ سُلبَ منه كلُّ خيرٍ، ونزَل به كلُّ شرٍّ، فتَحرِص كلَّ الحرصِ وتَدْعُو الله كثيرَ الدُّعاء أنْ يُثبِّتكَ علىٰ الدِّين حتَّىٰ تَمُوتَ عليه. وبالله التَّوفيق.



حكمةُ الله في ابتلاءِ أنبيائه بأعداء من الإنسِ والجنِّ

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَّوْحِيدِ إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَدْ يَكُونُ لِأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣]، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ أَهْل فَصَاحَةٍ، وَعِلْمٍ، وَحُجَجٍ؛ فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلَاحًا لَكَ تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

التَّعليق:

وأقولُ: ذكَر الشَّيخُ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - أنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبيًّا بِهذا التَّوحيدِ إلَّا جَعَل له أَعْداءً، وَمِمَّا يَدُلُّ علىٰ ذلكَ قَولُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفُرقان: ٣١].

فهذه الآيةُ دالَّةٌ علىٰ أنَّ الأنبياءَ يُبتلَونَ بأعداءٍ أقوياءَ أصحاب فَصاحةٍ وَلِسْنٍ(١)، يُجادِلونَ بالباطل.

---

(١) اللِّسْنُ -بكسْر اللَّام-: اللُّغَة، يقال: لكلِّ قوم لِسْنٌ، أي: لُغةٌ يتكلَّمون بها.

ويُرِيدُونَ دَحضَ الحَقِّ بالبَاطِلِ، وقدْ حكَىٰ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن مُجادَلَة أولئكَ المشركِينَ في قولِه جَلَّ وَعَلَا عنهم أنَّهم قالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقولُه في مَوضُوعِ التَّذْكيَةِ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وكما حكَىٰ - سبحانه - أقوالًا مِن أَقوالِ المُشركينَ، وردَّ عليهم.

فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدْ علِمَ أنَّ هؤلاءِ الأعداء للأنبياءِ يَبذُلُون جُهدَهم في الصَّدِّ عن سَبيلِ الله، وإيهامِ مَن لا يَعلمُ الحقَّ بأنَّهم علىٰ الحَقِّ، وأنَّ الأَنبياءَ علىٰ الباطل، وليس بِبعيدٍ عنَّا ما ذكرَ في مُجادلةِ قُريشٍ للنَّبيِّ ﷺ، وزَعْمِهم أنَّه أَتاهُم بشَيْءٍ لَمْ يَأتِ بِه أَحَدٌ قومَه، سفَّهَ أحلامَهم، وعابَ آلهتَهم، وسبَّ آباءَهم، فيُظهرُون للسَّامعينَ أنَّهم علىٰ الحقِّ، والنَّبيّ ﷺ علىٰ الباطلِ.

والحقيقةُ العكسُ، بَل الأنبياءُ هم الَّذين علىٰ الحقِّ وأنَّ أعداءَهم علىٰ الباطل، بلْ قد قال إمامُهم ومُقدَّمُهم لربِّ العزَّة والجلالِ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، أيْ: أَدْفعهم عنهُ، وأُبْعِدُهم عنه، واللهُ - تعالىٰ - قدْ أخبَرَ أنَّ كَيدَ الشَّيطانِ كان ضعيفًا، إلَّا أنَّ أَهلَ الحقِّ يَنبغِي لَهم أنْ يَتسلَّحُوا بالعلْم الَّذي يُجادلون به أعداءَ اللهِ، ويُبطلُون به حُججَهم، ويَفضَحونَ به مَزاعمَهم الباطلةَ، فإذا فعلُوا ذلك تَحصَّنُوا مِن الشَّيطانِ، ولم يَنلْهم بِأذًىٰ. وبِاللهِ التَّوفِيق.





العاميُّ مِن الموحِّدين يَغلِبُ ألفًا مِن علماءِ المُشركِينَ

ولكِنْ إِذَا أَقْبَلْتَ عَلَىٰ اللهِ، وَأَصْغَيْتَ إِلَىٰ حُجَجِهِ وَبَيِّنَاتِهِ؛ فَلَا تَخَفْ، وَلَا تَحْزَنْ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيطَانِ كَانَ ضَعِيفًا.

وَالعَامِيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ - تَعَالَىٰ - يَقُولُ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافَّات: ١٧٣].

التَّعليق:

ذلكَ لأنَّ الموحِّدَ حجَّتُه قَويَّة تُؤيِّدُها الفطرةُ، ويَشهدُ لها الحِسُّ والعقلُ، أمَّا المشركُ فحُجَّتُه ضعيفةٌ، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قال في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

وفِي سُورَة (العَنكبوتِ) ضرَبَ اللهُ مثَلًا لِحُجَّة المُشرِك بأنَّها أوهنُ مِن بيت العنكبُوت، ذلكَ لِأنَّ آلهةَ المُشركين لا يَملكون شيئًا، فقال تعالىٰ: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال في مَوضعٍ آخَرَ: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، والحقُّ واضحٌ لا غبَش عليه، وباللهِ التَّوفِيق.





أهلُ العلمِ والإيمانِ هُم الغالبُون بالحُجَّة واللِّسانِ والسَّيفِ والسِّنانِ

فَجُنْدُ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا أَنَّهُم الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَىٰ المُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلَاحٌ، وَقَدْ مَنَّ اللهُ - تَعَالَىٰ - عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّحل: ٨٩].

التَّعليق:

أَقُولُ: كتابُ اللهِ فِيهِ بيانُ ما يَحتاجُ إليهِ النَّاسُ في دينِهم، فهو مُبيِّنٌ فِيه، وليس معنىٰ ذلكَ أنَّ كلَّ باطِلٍ يكونُ مذكُورًا في القرآنِ، ومردودًا فيه صراحةً، ولكن أُصول المسائِلِ الَّتي يُحتاجُ إليها في الدِّينِ موضَّحةٌ في كتابِ اللهِ؛ إمَّا نصًّا، وإمَّا مفهومًا، وقدْ قال اللهُ سُبحانَهُ وتَعالَىٰ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النِّساء: ٨٣].

والمُهِمُّ: أنَّ القُرآنَ بيَّن أصولَ مسائل الدِّينِ، وما تَجدَّد علىٰ مدَىٰ العصور، فهو لا يَخرُج عن الأُصول الَّتي بينَّها؛ إمَّا بالنَّصِّ، وإمَّا بالمفهومِ، وإمَّا بالقياسِ، كما في هذه الآيَة، واللهُ - تعالىٰ - يقولُ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، أَي: لَا يَأْتُونَ بمَسْأَلَة وَلَا شَيْءٍ مِن البَاطِلِ إِلَّا رَدَدْنا عَلَيْه وبيَّنَّاه، ووَضَّحْناهُ، فكلُّ مَن كانَ عِلمُه بالكتابِ والسُّنَّة أعمقَ كان ردُّه علىٰ المُخالفين أكثرَ وأوفرَ، وكلُّ مَن كان دُون ذلك؛ فإنَّ ردَّه يَكونُ بِحسَبِه.



دحضُ القرآنِ لمزاعمِ أهلِ البُطلانِ

فَلَا يَأْتِي صَاحِبُ باطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي القُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبَيِّنُ بُطْلَانَهَا، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قَالَ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا.

التَّعليق:

وَأَقُولُ: أخبرَ الشَّيخُ محمَّد بنُ عبد الوهَّاب أنَّ القرآنَ قد ردَّ علَىٰ المُشركينَ واليهود والنَّصارىٰ في كلِّ ما جاءوا به مِن الحُجَج، فزيَّف حُججَهم، وبيَّن بُطلانَها، وأخبرَ نبيَّه وأمَّة نَبيِّه بالحقِّ في ذلك الجِدال.

فمثلًا: حين قالَ المُشركون للمُسلمينَ حين قالوا: إنَّ الميتةَ حرامٌ، وإنَّه لا يَحلُّ إلَّا المُذكَّىٰ، فألقَىٰ الشَّياطينُ إلىٰ أوليائِهم بأنَّكم تُحرِّمون عقيرةَ الله، وتأكلونَ عقيرَتكم، عند ذلك أنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قولَه - تعالىٰ -: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١][1].

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» (٢٨١٨)، و«سنن الترمذي» (٣٠٦٩)، و«سنن النَّسائي» (٤٤٣٧)، و«سنن ابن ماجه» (٣١٧٣).

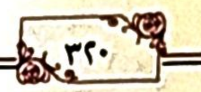
ومثلُ سؤالِ اليهودِ عن الرُّوح، فأنزلَ اللهُ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥][(١)]، إلىٰ غير ذلكَ مِن الأسئلةِ.

وإنَّ أَجوبَةَ الشُّبهة الَّتي يُلقيها أعداءُ الإسلامِ قد ورَدتْ في القُرآنِ مَردودًا عليها؛ فإذا جاءتْ شُبهةٌ مِن عند المُشركين والكفَّار المحدثين فإمَّا أنْ تكونَ مُساويةً لحجج المشركين المذكُورةِ في القُرآن لفظًا ومعنًىٰ، وإمَّا أنْ تكونَ مُخالِفةً لَها، ولكنَّها مِن حيث المعنىٰ تكونُ داخلةً تحتَ عامٍّ، أو تحتَ مُجمل.

وإنَّ أهلَ العلْم الجديرين به، المُتمرِّسين علىٰ معرفتِه ومعرفةِ السُّنَّة، لابدَّ أنْ يَجدوا في الكتابِ والسُّنَّة ما يَردُّ تلك الشُّبهةَ، حتَّىٰ وإنْ كانتْ ممَّا اسْتجدَّ في العَصْر ولم يكُن معرُوفًا في الأزمنةِ القديمةِ، وإنَّ طالبَ العلم يحتاجُ إلىٰ إدامةِ النَّظر في كتابِ اللهِ، والتَّعرُّف علىٰ الحُجج الَّتي أدلىٰ بها المُشركون، ثُمَّ المقارنة بينها وبين حُججِ أهل الباطل في هذا الزَّمَن؛ فمَن وفَّقه اللهُ يَستطيعُ أنْ يَرُدَّ عليهم ردًّا مُفحمًا، إمَّا بالحُجج الَّتي رَدَّ بها القُرآنُ عليهم، أو بِغيرِها ممَّا يُشابهُها. وباللهِ التَّوفيقُ.



(١) انظر: «صحيح البخاريّ» (٤٧٢١)، و«صحيح مسلم» (٢٧٩٤).



الجوابُ المجملُ والمفصَّلُ على افتراءاتِ أهلِ الباطلِ

فنَقُولُ: جَوابُ أَهْلِ البَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ.

أَمَّا المُجْمَلُ: فَهُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ، وَالفَائِدَةُ الكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ [آل عمران: ٧].

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ بَعْضُ المُشْرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ؛ أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ، فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ:

إِنَّ اللهَ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ المُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ، وَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ المُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ كُفْرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ المَلَائِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَالأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، هَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ بَيِّنٌ، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ.

وَمَا ذَكَرْتَ لِي أَيُّهَا المُشْرِكُ مِنَ القُرْآنِ، أَوْ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ لَا يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللهِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلَكِنْ لا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ، فَلَا تَسْتَهِنْ بِهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ وَلا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ إِلَا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا، وَلا ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ، وَلَكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ.

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ: وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.

فَإِنْ قَالَ: هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ! كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟ فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ - وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِ وَفِعْلِهِمْ بِمَا ذُكِرَ - فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وَيَدْعُونَ عِيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٥، ٧٦].

وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

وَقَوْلَهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

فَقُلْ لَهُ: أَعَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ، الضَّارُّ، المُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ، أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ.

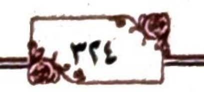
فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

التَّعليق:

وأَقُولُ: إنَّ الشِّركَ باللهِ سببُه تقديسُ بعضِ المخلُوقين، والغُلوُّ فيهم، وزيادتُهم عن حقِّهم، أو دعوىٰ أنَّ الشَّفاعةَ لهم، وهذه كلُّها قد ردَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليها بقولِه - تعالىٰ -: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وردَّ علىٰ مَن زعَم أنَّ الشَّفاعةَ لأولئك المُشركين بقولِه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمر: ٤٤]، وما أَشْبهَ ذلك مِن الحُجَج الَّتي ذكرَها القُرآنُ، وردَّ عليها.

فما عليكَ إلَّا أنْ تَقرأَ القرآنَ، وتَقرأَ التَّفسيرَ المرويَّ عن الصَّحابةِ، ثُمَّ تتأمَّلَ فيها؛ فإنَّ ما أَدلىٰ به أهلُ الباطل في هذا الزَّمنِ شبيهٌ لِمَا أدلَىٰ به أهلُ الباطل في الأزمنةِ السَّابقةِ، واللهُ - تعالىٰ - يقولُ: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذَّاريات: ٥٣].





أكبرُ شُبَه أهلِ الباطلِ

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا لَنَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمًا جَيِّدًا، فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا.

التَّعليق:

أقولُ: إنَّ شُبهَةَ المشركين الَّذين يَعبدون غيرَ اللهِ مِن الأولياءِ والصَّالحين، ويَزعمُون أنَّهم شُفعاءُ لهم عند الله، ويَزعمُون أنَّ الشِّركَ إنَّما هو عبادةُ الأصنامِ، وأنَّهم لم يَعبدُوا الأصنامَ، ويَزعُمون أنَّ الَّذين بُعثَ فيهم رسولُ الله ﷺ ما كانُوا يَشهدُون أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللهِ، فانْحصرَت الشُّبهةُ في ثلاثةِ أُمورٍ، وهي:

١- أنَّ المُشركينَ كانُوا يَعبدُون الأصنامَ، وهمْ يَعبدُون الأولياءَ، وزعمُوا أنَّ الفرْقَ بيْن الأصنام وبين الأولياءِ والأنبياءِ فرْقٌ واضحٌ، يُبيحُ لهم عِبادةَ الأولياءِ، والصَّالِحين، والأنبياءِ، فيُردُّ عليهم:

أوَّلًا: أنَّ المُشركين الَّذين قاتلُهم رسولُ الله ﷺ كان مِنهم مَن يَعبدُ الملائكةَ، ومنهم مَن يَعبدُ الأولياءَ والأنبياءَ، ومنهم مَن يَعبدُ عيسىٰ ابنَ مريمَ وأمَّه، فقاتَلَهم بدُون تَفريقٍ بين مَن يَعبدُ الأنبياءَ والأولياءَ، وبين مَن يَعبدُ الأصنامَ.

بل قد بيَّن اللهُ في القُرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ أنَّ مَن عبَد غيرَ الله فهو مُشركٌ، بِدُونِ فَرقٍ بَيْن الأَولياءِ، وَالأَنبياءِ، والمَلائكةِ، وبَيْن الأَصنَام.

كما بيَّنه شيخُ الإسلامِ بِقولِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]، فتبيَّن أنَّ مَن عبَد الملائكةَ، أو الجنَّ، أو الأصنامَ، فهو مُشركٌ؛ إذْ إنَّ العبادةَ لا تَصلحُ إلَّا للهِ.

ثانيًا (أي: الشُّبْهَة الثَّانِيَة): وهو زَعمُهم أنَّ المشركين ما كانُوا يَشهدُون أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وهُم يَشهدُون هذه الشَّهادةَ، والمشركون مُقرُّونَ بأنَّ أوثانَهم لا تُدبِّرُ شيئًا، إنَّما أرادُوا منهم الجاه والشَّفاعةَ، فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ عبادةَ غيرِ اللهِ كلّها شِركٌ وَكُفرٌ، وأنَّ المُسلمَ الَّذي يَشهدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وقدْ سمِعَ القُرآنَ وحُججَه، ثمَّ بعْد ذلكَ يدعُو غيرَ الله مِن الأَولياءِ وَالصَّالِحِين، فإنَّه أبْعَدُ لَه؛ لِكَونِه يَعبُدُ غَيْرَ اللهِ عَلىٰ عِلمٍ.

ثالثًا: يَحتجُّون بأنَّهم لم يُريدُوا منهم الإحياءَ والإماتةَ، أو القُدرَة علىٰ الغَيب، وإنَّما أرادُوا منهم الشَّفاعةَ، فيقالُ لهم: إنَّ الشَّفاعةَ لا تُطلَبُ إلَّا مِن الله، فهو الَّذي يَملكُها دون سواه، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزُّمر: ٤٤].

فالشَّفاعةُ لا يَجوزُ أنْ تُطلبَ مِمَّن لا يَملكُها، وقد تبيَّنَ في هذا بُطلانُ حُججِهم، وعدَمُ بقاءِ أيِّ حُجَّةٍ لَهم فيما عمِلوه مِن عبادةِ غير اللهِ عَزَّوَجَلَّ. وباللهِ التَّوفِيق.







حقُّ الله على العباد

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الالْتِجَاءُ إِلَى الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ للهِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؟

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِيَ هَذَا الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلَاصُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ، فَإِنْ كَانَ لا يَعْرِفُ العِبَادَةَ، وَلَا أَنْوَاعَهَا، فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ عَلِمْتَ هَذَا عِبَادَةً للهِ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلَابُدَّ أَنَّهُ يَقُولُ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: فَإِذَا عَمِلْتَ بِقَوْلِ اللهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وَأَطَعْتَ اللهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ (نَبِيٍّ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ غَيْرِهِمَا)، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ أَيْضًا: المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلَابُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ، وَالالتِجَاءِ، وَنَحْوِ

ذَلِكَ، وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

التَّعليق:

إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَعبُدُ إِلَّا اللهَ، وهَذا الالْتِجاءُ إِلَىٰ الصَّالِحينَ ودُعاؤُهم لَيْس عِبادَةً.

فَقُل لَهُ: أَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيكَ إِخلاصَ العِبادَةِ للهِ وَحْدَه، وَهُو حَقُّه عَلَيكَ؟ فإِنْ كَانَ لَا يَعرِفُ العِبادَةَ وأَنْواعَها، فَبَيِّنْها لَهُ، يَعنِي أَنَّك تُبَيِّن لَه أَنواعَ العِبادَةِ، وأَنَّ أَنواعَ العِبادَة هِي الصَّلاةُ، والدُّعاءُ، والخَوفُ، والرَّجاءُ، والخَشيَةُ، والإِنابةُ، والرَّغبةُ إليه في تَحقيقِ ما تَطلُب، والرَّهبةُ منه، أي: مِن عذابِه في الآخرةِ، وسخَطِه عليك، هذه هي أنواعُ العبادةِ، ومنها الذَّبحُ، والنَّذرُ.

فنقولُ له: مَن دعا غيرَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في جلْب نفْعٍ لا يَقدرُ عليه إلَّا اللهُ، أو دفعِ ضرٍّ لا يقدرُ عليهِ إلَّا اللهُ، فهل هذا يُعتبر قد عبد غيرَ اللهِ أم لا؟

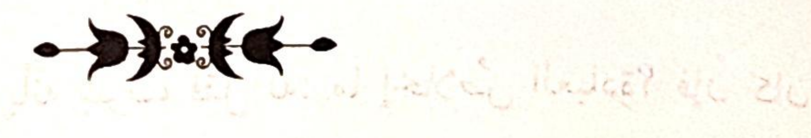
والجوابُ: أنَّه قد عبَد غيرَ اللهِ بدعوتِه غيرَه، والالتجاءِ إليهِ، مع أنَّ اللهَ - سبحانه - يقولُ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فإذا أقرَّ بهذا، واعترَف بأنَّه شِركٌ، فقُل له: ما إخلاصُ العبادةِ؟ فإنْ كان يَجهلُ الإخلاصَ فقُل له: إنَّ الإخلاصَ هو أنْ تَعبدَ اللهَ وحدَه دُون سِواه بأنْ تُفردَه بصلاتِك وصيامِك ودُعائكَ، ورغبَتِك، ورَهبَتِك، وجميعِ أنواعِ العبادةِ، هذا هو الإخلاصُ، وهذه هي العبادةُ.

وكما قلْنا: إنَّ مَن دعا مَخلوقًا مِن المخلُوقِين فإنَّه قد هدَم ذلكَ الإخلاصَ

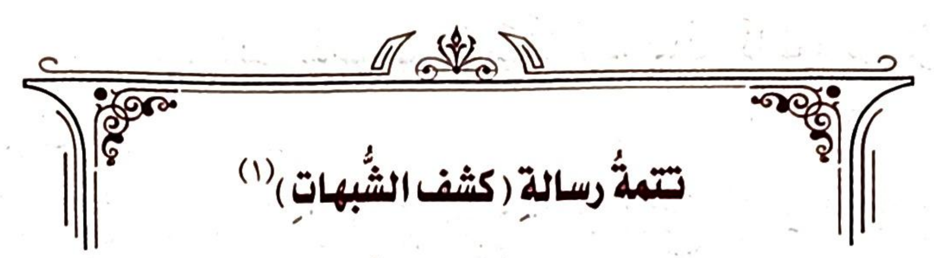
وأبْطلَه، وكان بذلك مُشركًا مُستحِقًّا للوَعيدِ الَّذي تَوعَّدَ اللهُ به المُشركين بِقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، فلو ذبحْتَ علىٰ اسمِ مَخلوقٍ بأنْ تقولَ: هذا للهِ ثمَّ لِعبْد القادر الجيلاني، فهو لِعبدِ القادر الجيلانِي وليس لله؛ لِأنَّ اللهَ - تعالىٰ - يقولُ في الحديثِ القُدسيِّ: «أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(١).

فإذا أقرَّ بِهذا فقُل له: هل المشركون الَّذين بُعِثَ فيهم رسولُ الله ﷺ، ونزَل فيهم القرآنُ، هل كانُوا يَعبُدون الملائكةَ، والصَّالحينَ، والأصنامَ، ويَدعُونَ هذه المعبوداتِ مِن دون الله، ويَذبحون لها، ويَنذرون؟ فإنْ قال: نعَم، فقُل له: هلْ كانُوا بذلكَ مُشركينَ يَستحقُّون ما تَوعَّدَ اللهُ به المشركين؟ فإذا قال: نعَم، فقُلْ له: وبهذا فقَد اعْترفْتَ أنَّ صرْفَ شيءٍ مِن هذه العباداتِ لغير الله شركٌ مُوجِبٌ لِتحريمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ الجنَّةَ علىٰ فاعلِه، واستحقاقِه لِغضَب اللهِ ومقْتِه، ومِن أَجْل ذلكَ أباحَ اللهُ قتْلَ أولئِك المشركين وإزهاقَ أَرواحِهم، وسبْيَ نسائِهم وغنيمةَ أموالهم مِن أَجْل أنَّهم أَشركوا باللهِ شِركًا أكبرَ يُوجِبُ عليهم ذلكَ. وباللهِ التَّوفِيقُ.



---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِّيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



تتمة رسالة (كشف الشُّبهات)(١)

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتبرأُ مِنْهَا؟

فَقُلْ: لا أُنْكِرُهَا، وَلا أَتبرَّأُ مِنْهَا، بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ.

وَلكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمر: ٤٤].

وَلا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللهِ، كَمَا قَالَ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَهُوَ لا يَرْضَىٰ إِلَّا التَّوْحِيدَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا للهِ، وَلا تَكُونُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، وَلا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ - تَبيَّنَ لَكَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالِ هَذَا.

فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، فَقَالَ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ

(١) أضفنا بقيَّة متن رسالةِ: «كشفِ الشُّبهاتِ» وإنْ لم يتناولها الشَّيخُ أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّعليق؛ لتتمَّ الفائدةُ بذِكرِها كاملةً.

أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَ نَبِيَّهُ فِيكَ، فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وَأَيْضًا؛ فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ المَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟ فَإِن قُلتَ هَذَا رَجَعْتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلَّا؛ وَلَكِنَّ الالتِجَاءَ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ.

فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِنْ تَحْرِيمِ الزِّنَا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللهُ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ؟

أَمْ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُهُ، وَلَا تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلَا تَعْرِفُهُ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ، وَلَا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟

فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لَا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ.

فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ وَالأَحْجَارَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ.

وَإِنْ قَالَ: هُوَ مَن قَصَدَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بِنْيَةً عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ اللهُ عَنَّا بِبَرَكَتِهِ، أَوْ يُعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ.

فَقُلْ: صَدَقْتَ، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَىٰ القُبُورِ

وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، فَهُوَ المَطْلُوبُ.

وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ ودعاءَهُمْ لا يَدْخُل فِي ذَلِكَ؟ فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ المَلائِكَةِ، أَوْ عِيسَىٰ، أَوِ الصَّالِحِينَ، فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ، فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ.

وَسِرُّ المَسْأَلَةِ: أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ.

فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي.

فَإِنْ قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ.

فَقُلْ: وَمَا مَعْنَىٰ عِبَادَة الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ.

فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَة اللهِ وَحْدَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ القُرْآنُ، فَهُوَ المَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْهُ، فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لا يَعْرِفُهُ، وَإِنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ، بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ فِيهِ كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ حَيْثُ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لا يَكْفُرُونَ بِدُعَاءِ المَلائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُونَ لِمَا قَالُوا: المَلائِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، فَإِنَّا لَمْ نَقُلْ: عَبْدُ القَادِرِ ابْنُ اللهِ، وَلا غَيْرُهُ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَىٰ اللهِ كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ، قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿قُلْ هُوَ

ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١].

وَالأَحَدُ: الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ.

وَالصَّمَدُ: المَقْصُودُ فِي الحَوَائِجِ، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدِ السُّورَةَ.

وَقَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا، وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللَّاتِ مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا، لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ أَيْضًا العُلَمَاءُ فِي جَمِيعِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي (بَابِ حُكْمِ المُرْتَدِّ) أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ للهِ وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، فَقُلْ: هَذَا هُوَ الحَقُّ؛ وَلَكِنْ لا يُعْبَدُونَ.

وَنَحْنُ لَمْ نَذْكُرْ إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ، وَشِرْكَهمْ مَعَهُ، وَإِلَّا فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَتِهِمْ، وَلَا يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ البِدَعِ وَالضَّلَالِ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًىٰ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا (كَبِيرَ الاعْتِقَادِ) هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ القُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ لا يُشْرِكُونَ، وَلا يَدْعُونَ المَلَائِكَةَ وَالأَوْلِيَاءَ وَالأَوْثَانَ مَعَ

اللهِ إِلَّا فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ للهِ الدُّعَاءَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٤٠ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠، ٤١].

وَقَوْلُهُ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾ [الزمر: ٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ (وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الضَّرَّاءِ وَالشِّدَّةِ فَلَا يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَنْسَوْنَ سَادَتَهُمْ، تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الْأَوَّلِينَ.

وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الْأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ: إِمَّا أَنْبِيَاءَ، وَإِمَّا أَوْلِيَاءَ، وَإِمَّا مَلَائِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَشْجَارًا أَوْ أَحْجَارًا مُطِيعَةً للهِ لَيْسَتْ عَاصِيَةً.

وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الْفُجُورَ؛ مِنَ الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، أَوِ الَّذِي لَا يَعْصِي - مِثْل: الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ -، أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ، وَفَسَادَهُ، وَيُشْهَدُ بِهِ.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا، وَأَخَفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلَاءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ،

فَأَصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا.

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لا يَشْهَدُونَ أَنْ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَيُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ ﷺ وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبُونَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟!

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلامِ، وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ؛ كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَالصَّلاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الصَّوْمَ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ الحَجَّ.

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَجِّ، أَنْزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ البَعْثَ، كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

فَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، فَهُوَ الكَافِرُ حَقًّا، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مَا ذُكِرَ، زَالَتِ الشُّبْهَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الإِحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا.

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِنْ كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَجَحَدَ

وُجُوبَ الصَّلاةِ، أَنَّهُ كَافِرٌ حَلالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا البَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وَجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لا تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ؟؟ كَفَرَ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لا يَكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ!

وَيُقَالُ أَيْضًا: هَؤُلاءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُؤَذِّنُونَ وَيُصَلُّونَ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ، فَقُلْ: هَذَا هُوَ المَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا إِلَىٰ رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ وَلَا الصَّلاةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ، أَوْ يُوسُفَ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ! سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩].

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلامَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ مِثْلَ الاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وَشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ المُسْلِمِينَ؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لا يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيْضًا: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَانِ بَنِي

العَبَّاسِ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ المُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ المُسْلِمِينَ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لِأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ وَالقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ البَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: (بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ)؟

وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلامِهِ.

ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْوَاعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مَثَل كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ أَيْضًا: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ وَيُزَكُّونَ وَيَحُجُّونَ وَيُوَحِّدُونَ؟!

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦]، فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ، فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَنْ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا: مَا حَكَىٰ اللهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ إِسْلامِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ، أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَحَلَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيرُ قَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا»[1].

وَلَكِنْ لِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ:

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ»، لَمْ يَكْفُرُوا.

فَالجَوَابُ أَن نَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، وَلا خِلَافَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَفَرُوا.

وَكَذَلِكَ لا خِلَافَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ، وَلَكِنْ هَذِهِ القِصَّةُ تُفِيدُ أَنَّ المُسْلِمَ، بَلِ العَالِمَ قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الشِّرْكِ لا يَدْرِي عَنْهَا، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ: (التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ) أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ وَمَكَائِدِ الشَّيْطَانِ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ كُفْرٍ وَهُوَ لا يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ، أَنَّهُ لا يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَالَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ.

وَتُفِيدُ أَيْضًا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الكَلَامُ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: يَقُولُونَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَىٰ أُسَامَةَ قَتْلَ مَن

---

(١) أخرجه الترمذيّ (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، وصححه الألباني في تعليقه على «المشكاة» (٥٤٠٨).

قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(١)]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(٢)] وَأَحَادِيثُ أُخَرُ فِي الكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا.

وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لا يَكْفُرُ، وَلا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ المُشْرِكِينَ الجُهَّالِ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ).

وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُصَلُّونَ وَيَدَّعُونَ الإِسْلَامَ.

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بِالنَّارِ، وَهَؤُلَاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَ: (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَهَا، فَكَيْفَ لا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرْعًا مِنَ الفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟ وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَىٰ الأَحَادِيثِ.

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ: فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإِسْلَامَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَىٰ الإِسْلَامَ إِلَّا خَوْفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ.

وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ، وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ اللهُ - تَعَالَىٰ - فِي ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لا يُقتَلُ إذا قالَها لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًى.

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ التَّوْحِيدَ وَالإِسْلامَ، وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ إِلَىٰ أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ!»[(١)]، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[(٢)]، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[(٣)]، «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٤)]، مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً وَتَهْلِيلًا وَتَسْبِيحًا، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلاتَهُمْ عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَلا كَثْرَةُ العِبَادَةِ، وَلا ادِّعَاءُ الإِسْلامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قِتَالِ اليَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ بَنِي حَنِيفَةَ.

وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي المُصْطَلِقِ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ.

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي احْتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ.

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: وَهُوَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا جدًّا.

(٢) تقدَّم تخريجه قريبًا جدًّا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ»(١).

قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا.

وَالجَوَابُ أَنْ نَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ!

فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالمَخْلُوقِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لا نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ - فِي قِصَّةِ مُوسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الحَرْبِ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا المَخْلُوقُ.. وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ: فَاسْتِغَاثَتُهُمْ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ.

وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلَامَكَ، فَتَقُولَ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ.

وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ، فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ، بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فَكَيْفَ بِدُعَائِهِ نَفْسِهِ ﷺ؟

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: وَهِيَ قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرِيلُ فِي الهَوَاءِ، فَقَالَ لَهُ: «أَلَكَ حَاجَةٌ؟»، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا»(٢).

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٤٧١٢)، ومسلمٌ (١٩٤)، مِن حديثِ أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رُوي هذا في حديث عن أُبيّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ذكره البغويُّ في «تفسيره» (٥/ ٣٢٧)، والقُرطبيُّ في «تفسيره» (١١/ ٣٠٣)، وأورداه بصيغةِ التَّمريض مِن غيرِ إسنادٍ. ولفظُه: عن أُبيّ بن كعب أنَّ إبراهيمَ قالَ حين أوثقُوه ليلقُوه في النَّار: «لا إله إلَّا أنت، سُبحانك ربّ العالمين، لك الحمدُ، ولك الملكُ، لا شريك =

قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرِيلَ شِرْكًا، لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَالجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَىٰ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النَّجم: ٥]، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ وَالجِبَالِ وَيُلْقِيهَا فِي المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ لَفَعَلَ.

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَىٰ رَجُلًا مُحْتَاجًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ أَوْ أَنْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ إِلَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ لا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ، فَأَيْنَ هَذَا مِنِ اسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

وَلْنَخْتِمِ الكَلَامَ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ - بِمَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ، تُفْهَمُ مِمَّا تَقَدَّمَ،

=

لك». ثُمَّ رمَوا به في المنجنيق إلىٰ النَّار، واستقبلَه جبريلُ، فقال: يا إبراهيمُ، لك حاجةٌ؟ فقال: أمَّا إليك فلا. قال جبريلُ: فاسألْ ربَّك. فقال إبراهيمُ: حسبِي مِن سُؤالي علمُه بحالي!

وذكَره العجلونيُّ في «كشف الخفاء» برقم (١١٣٦)، والألبانيُّ في «الضَّعيفة» (١/ ٧٤، برقم ٢١) فلم يُجاوزا به البغويَّ، إلَّا أنَّهما ذكَراه عن كعب الأحبار!

وذكَره شيخُ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٥٣٩) فقال - ما ملخصه -: «وأوَّلُ هذا الحديثِ معروفٌ، وهو قولُه: «أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا»... وأمَّا قولُه: «حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي» فكلامٌ باطلٌ».

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٨٣): «وقد رُوِيَ أنَّ جبريلَ قال: هل لك مِن حاجةٍ؟ قال: «أَمَّا إِلَيْك فَلَا»، وقدْ ذكَرَ هذا الإمامُ أحمدُ وغيرُه».

رواه عن أحمد ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٠٨)، وذكره القاضي ابن أبي يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤١٦) وابن مُفلح في «الآداب الشرعية» (٣/ ٢٦٩ - الرسالة).

ويروىٰ مثله عن جماعةٍ مِن السَّلَف؛ انظر: «تفسير ابن جرير» (١٨/ ٤٦٧)، و«الجامع لشعب الإيمان» (٢/ ٣٥٢، برقم ١٠٤٥ - الرشد)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦/ ١٨٢ و١٨٣ و١٨٤).

وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلَامَ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فِيهَا.

فَنَقُولُ: لا خِلَافَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالعَمَلِ، فَإِنِ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ؛ كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَالِهِمَا.

وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ، وَلَكِنَّا لا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلا يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ، وَلَمْ يَدْرِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوه إِلَّا لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وَهُوَ لا يَفْهَمُهُ أَوْ لا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ، فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: ١٤٥].

وَهَذِهِ المَسْأَلَةُ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ، تَتَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ، تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ؛ لِخَوْفِ نَقْص دُنْيَا أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ، وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ، فَإِذَا هُوَ لا يَعْرِفُهُ.

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ:

أُولاهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبة: ٦٦].

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالكُفْرِ أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ، أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧].

فَلَمْ يَعْذِرِ اللهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ.

وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، سَوَاءٌ فَعَلَهُ خَوْفًا، أَوْ مُدَارَاةً، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ المَزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ إِلَّا المُكْرَه، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾، فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ - تَعَالَىٰ - إِلَّا المُكْرَهَ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَىٰ الكَلَامِ أَوِ الفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أَوِ الجَهْلِ، أَوِ البُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فَآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ، وَاللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.





الأمالي النَّجميَّة

على

مسائل الجاهليَّة

الَّتي خالف فيها رسولُ الله ﷺ أهل الجاهليَّة

تأليف

فضيلة الشيخ العلّامة

أحمد بن يحيى النجمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا، وسَيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه ﷺ.

أمَّا بعد:

فقَدْ يسَّر الله عَزَّوَجَلَّ لي[1] زيارةً إلىٰ مدينة صامطة في منطقة جازان، وذلك لغرض زيارة الشَّيخَين الجليلَين؛ العلَّامة أحمد بن يحيىٰ النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلَّامة زيد بن محمد المدخلي حفظه الله تعالىٰ، والاستفادة من علمهما، وذلك في شهر محرَّم من شهور سنة ثمان وعشرين وأربع مئة وألف من هجرة المصطفىٰ ﷺ.

وقَدْ يسَّر اللهُ عَزَّوَجَلَّ لي لقاء الشَّيْخين، وحضور بعض الدُّرُوس عندهما، ومن ذلك أنَّني قرأتُ علىٰ شيخنا أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتاب: «مسائل الجاهليَّة» للإمام المُجدِّد مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكانت طريقة الشَّيخ في التَّدريس أنَّه يملي الدَّرس علىٰ الطُّلَّاب، ثمَّ بعد الانتهاء من الدَّرْس يعرض الطَّالب علىٰ الشَّيخ ما كتب، والشَّيخ يُصحِّح ما يحتاج إلىٰ تصحيحٍ بحيثُ يأخذ الطَّالب شيئًا محرَّرًا، ولا يخفىٰ ما في هذه الطَّريقة من فائدةٍ وتوثيقٍ للعلم.

ثمَّ راجعتُ أيضًا الشَّرح علىٰ الأشرطة المُسجَّلة، وقَدْ كان أخونا مُحمَّد العصيمي - حفظه الله - يُسجِّل تلك الدُّرُوس، ولم أجد إلَّا فُرُوقًا قليلةً أَثْبَتُّها كما في الأشرطة.

---

(١) كاتب هاته المقدِّمة هو الأخ أبو عبد الله علي بن رسلان حنش النّعماني وفَّقه الله.

وقَالَ تعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ونهَانَا عَنْ مُشَابهتِهم بقولِه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ونهَانَا عَنِ التَّفرُّق في الدُّنيا بقولِه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

التعليق:

أمر الله عَزَّوَجَلَّ أُمَّة مُحمَّدٍ بالاجتماع وعدم التَّفرُّق، فقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والمقصود بالتَّفرُّق: التَّفرُّق في الاعتقاد، فلا يجوز لأُمَّة مُحمَّدٍ أن يتفرَّقوا في اعتقادهم، بل الواجب عليهم أن تكون عقيدتهم واحدةً، ولهذا قال: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٣].

فالواجب علىٰ المسلمين: الاجتماع في عقيدتهم، وعدم التَّفرُّق فيها، أمَّا الاختلاف في الأحكام الفرعيَّة فهو لا يُعدُّ تفرُّقًا، ولا يُشكِّل خطرًا إلَّا إذا حصل في العقيدة، وما جاء في أُمَّة مُحمَّدٍ من الاختلاف فهو علىٰ خلاف ما أمر الله عَزَّوَجَلَّ به، ولم يخالف منهم إلَّا أهل البدع من جهميَّةٍ واعتزاليَّةٍ وقدريَّةٍ وتشيُّعٍ

وصُوفيّةٍ وغير ذلك.

فكلُّ مَنْ خالف عن نَهْج الحقِّ الَّذي أنزل في الشَّريعة، فهو مخالفٌ ومباينٌ لما كان عليه سلف الأُمَّة، وهذا هو الَّذي نوَّه عليه الحديث: «وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّار إِلَّا وَاحِدَةً». قالوا: مَنْ هُمْ يا رسول الله؟ قال: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي»(١).

❁❁❁

(٣) مخالفة وليِّ الأمر، وعدم الانقيادِ له

الثَّالثة: أنَّ مُخالفةَ وليِّ الأمر وعَدَمَ الانقيادِ لَهُ فضيلةٌ، والسَّمعَ والطَّاعةَ له ذلٌّ ومهانةٌ، فخالفُهم رسولُ الله ﷺ، وأَمَرَ بالصَّبر علىٰ جَوْر الوُلاة، وَأَمَرَ بالسَّمع والطَّاعة لهم والنَّصِيحةِ، وغلَّظ في ذَلِكَ، وَأبْدَأَ فيهِ وَأَعادَ.

وهذه الثَّلاثُ هي الَّتي جمَع بينها فيما صَحَّ عنه في «الصَّحيحَين» أنَّه قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ»(٢).

وَلَم يَقَعْ خَللٌ في دِين النَّاس ودُنياهُم إلَّا بسَبَبِ الإخلالِ بهذهِ الثَّلاثِ أو بعضِها.

التعليق:

يعني أنَّ أهلَ الجاهليَّة كانوا يَرَوْن أنَّ الانقياد لوليِّ الأمر ذلٌّ ومهانةٌ، وخالفهم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، بلفظ: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». وحسَّنه الألبانيُّ رحمه الله في «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٢٦٤١). وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

(٢) أخرجه مسلم بنحوه (١٧١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم أجده عند البخاري، وهذا اللفظ أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤/ ٣٩٩ الرسالة) (٨٧٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ١٨٢) (٣٣٨٨).

النَّبيُّ ﷺ، وأمر بالانقياد لوُلَاة الأمور، ونَهىٰ عن الخروج عليهم، وغلَّظ في ذلك.

ففي النَّهي عن الخروج علىٰ وُلَاة الأمر أحاديثُ كثيرةٌ في غاية الصِّحَّة والصَّراحة، فمَنْ خالف هذه الأحاديث فهو خارجيٌّ يجب علىٰ وُلَاة الأمر متابعتُه والقضاء عليه، وقَدْ بَيَّنَّا هذا في مواضعَ حُشِدَتْ فيها الأدلَّة علىٰ وجوب السَّمْع والطَّاعة لوُلَاة الأمر، وبالله التَّوفيق.

❁❁❁

(٤) التَّقليد المذموم

الرَّابعة: أنَّ دينَهم مَبنيٌّ عَلَىٰ أُصُولٍ، أَعظمُها التَّقليدُ، فهو القاعدةُ الكُبرىٰ لجميع الكُفَّار؛ أوَّلهم وآخرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

فأتاهم بقوله: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] الآية.

وقوله: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

التعليق:

الرَّابعة من المسائل الَّتي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهليَّة أنَّ دينَهم مبنيٌّ علىٰ أصولٍ، أعظمُها: التَّقليدُ.

وهو القاعدة الكُبرىٰ لجميع الكُفَّار؛ أوَّلهم وآخرهم، كما قال تعالىٰ:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. معنىٰ قولهم: «عَلَىٰ أُمَّةٍ»: علىٰ طريقةٍ، و(الأُمَّة) تُطلَقُ في القُرآن، ويُرادُ بها معانٍ:

تُطْلَق ويُرَاد بها الجماعةُ الكثيرون من النَّاس الَّذين مَضَوْا، كما في هذه الآية ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾.

وتُطْلَقُ ويُرَاد بها مُدَّةٌ من الزَّمَن غيرُ محدودةٍ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥].

وتُطْلَق ويُرَاد بها القُدوة من النَّاس، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

وتُطْلَق ويُرَاد بها جماعةٌ من النَّاس كانُوا علىٰ دينٍ واحدٍ، وجمعها: أُمَمٌ، ومن ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي. فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ ﷺ وَقَوْمُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»[1].

والمُهمُّ أنَّ الكُفَّار دينُهُم مبنيٌّ علىٰ التَّقليد للآباء والأجداد، وذلك ليس بنافعٍ، إنَّما ينفع ما جاء من عند الله عَزَّوَجَلَّ بواسطةِ رسولٍ من رُسُله، ونحن أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ يجب علينا أن نَتَّبع ما جاء مِن عند الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

فالله عَزَّوَجَلَّ أمرنا باتِّباع ما نزَل مِن عندِه، ولم يأمرْنا بشيءٍ سواهُ، وباللهِ التَّوفيقُ.

❁❁❁

(٥) الاغترارُ بالكَثرة

الخامسة: أنَّ مِن أكبرِ قواعدِهم: الاغترارُ بالأكثر، ويَحْتجُّون به علىٰ صِحَّةِ الشَّيءِ، ويَسْتدلُّون علىٰ بُطْلانِ الشَّيءِ بغُرْبتِهِ وقلَّةِ أهلِه، فَأَتَاهُمْ بضدِّ ذلِك، وأوضَحه في غَيرِ مَوْضِعٍ مِنَ القُرْآنِ.

التعليق:

قوله: «مِن أَكْبَر قَواعِدِهم: الاغترارُ بالأكْثرِ، ويَحتجُّون بهِ عَلَىٰ صِحَّةِ الشَّيءِ...» إلخ.

أقول: إنَّ مِن الاغترار بالأكثر أو الكثرةِ ما يُسمَّىٰ بالانتخابات أو الاقتراع أو ما أشبه ذلك، فمَنْ حاز أصواتًا كثيرةً كان هو المُقدَّم حتَّىٰ لو كان من أفْجَرِ النَّاس، وهذه طريقة الكُفَّار الَّتي يَسيرُون عليها في انتخاباتِهم لرئاسة الدَّولة، أو للوزراء، أو لغير ذلك.

والنَّبيُّ ﷺ ما كان يرسلُ أحدًا أميرًا علىٰ سريَّةٍ أو غزوةٍ إلَّا مَنْ تفرَّس فيه الأمانة والقُوَّة، ولهذا قال ﷺ لنصارىٰ نجران لمَّا قالوا: أرْسِلْ معنا رجلًا أمينًا: «لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فاستشرف لها كثيرٌ من الصَّحابة، فقال:

«قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ»[(١)].

وقال ﷺ يومَ خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ». قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[(٢)] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ، غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا.

فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ»، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا.

فقَالَ: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[(٣)].

وقَدْ كان - صلوات الله وسلامه عليه - إذا أرادَ أن يُرسل سريَّةً، استعرضَ مَنْ فيها، فسألهم عمَّا يحفظون مِن القُرآن، فمَنْ وجدَه يحفظ سورةَ البقرة، جعله أميرًا عليهم.

فالمُهِمُّ أنَّ الإسلامَ يُقدِّمُ مَنْ يُقدَّمُ فيه بالفضل والعلم والاتِّصاف بالتَّقْوىٰ ورجاحة العقل، وهذا هو مُقتضىٰ الشَّريعةِ الإسلاميَّة.

أمَّا أهلُ الكفر فإنَّهم يُفضِّلون ويُقدِّمون بالكثرة، وقَدْ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٠) واللفظ له، ومسلم (٢٤٢٠) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أي: يخوضون ويتحدثون في ذلك.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال جلَّ مِن قائل: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وبالله التَّوفيق.

❁❁❁

(٦) الاحتجاج بالمُتقدِّمين

السَّادسة: الاحتجاج بالمُتقدِّمين؛ كقوله: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].
﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

التعليق:

المسألة السَّادسة مِمَّا خالف فيه نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ أهلَ الجاهليَّة: الاحتجاج بالمُتقدِّمين؛ كقوله سبحانه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

أقول: هذا قول فرعون عند المحاورة بينه وبين مُوسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقدْ أجابه موسىٰ بقوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَٱرْعَوْا أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٢ - ٥٤].

وكذلك قال بعضُ الأمم لنبيِّهم: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

فالاحتجاج بالمُتقدِّمين احتجاجٌ باطلٌ، لا يجوزُ للإنسان الَّذي انطوىٰ قلبُه علىٰ الإيمان وسَلِمَ مِن شُبُهات الشَّيْطان أنْ يحتجَّ بهذه الحُجَج الواهية، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي خلقَنَا، وهو الَّذي أرسلَ إلينا الرُّسُل لِنَتَّبعَ آياتِه، ونَدين بشِرْعَتِه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُسلِّمنا من أمور الجاهليَّة؛ قليلها وكثيرها، صغيرها وكبيرها، إنَّه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

❁ ❁ ❁

(٧) الاستدلال بقومٍ أعطوا قوى في الأفهام والأعمال

السَّابعة: الاستِدلالُ بقَومٍ أُعطُوا قُوَىٰ في الأفهام والأعمَالِ، وفي الملْك والمال والجَاه، فردَّ اللهُ ذلك بقولِه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف: ٢٦] الآية.

وقوله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] الآية.

التعليق:

المسألة السَّابعة: الاستدلالُ بقومٍ أُعْطوا قوىٰ في الأفهام والأعمال، وفي الملك والمال والجاه، وردَّ الله عَزَّوَجَلَّ ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقال في سورة الأنعام: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

أقول: أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات أنَّ الكُفَّار احْتجُّوا بمَنْ أُوتُوا مِن أُمور الدُّنيا فهمًا فيها وإعمالًا لها، فواتاهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما قُدِّرَ لهم من الملك والمال والجاه، فكان أهلُ الجاهليَّة يَحْتجُّون بهؤلاءِ، وإنَّ الاحتجاج بمثل هؤلاء احتجاجٌ باطلٌ، فمَنْ أُوتيَ شيئًا مِن أُمورِ الدُّنيا؛ فإنَّما أُوتيه ابتلاءً، وسيكون حُجَّةً عليه يومَ القيامةِ.

والمُهمُّ أنَّ الطُّرق الشَّرعيَّة هي الاقتداء بالرُّسُل الَّذين هم يَتلقَّون عن الله عَزَّوَجَلَّ وَحْيَه، ويدعُون النَّاسَ إلىٰ عبادتِه، وإلىٰ امتثالِ أمره واجتناب نهيه، والخضوع لجلاله، والخوف من قُوَّته وقُدرته، فمَنْ أُوتيَ ذلك، فإنْ لم يستعملْه في طاعةِ ربِّه؛ فإنَّه سيكون وَبَالًا عليه، فما أغنَتْ عنْ قومِ عادٍ قُوَّتهم، وما أغنىٰ عن قارُون مالُه، ولم يُغنِ عن فرعون سلطانُه.

فكلُّ هؤلاء لم يُغنِ عنهم ما أُوتُوا شيئًا، بل كانَ وبالًا عليهم؛ فعادٌ حين افتخروا بقُوَّتهم، وقالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ﴾. ردَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾ [فصلت: ١٥].

فأرسل الله عَزَّوَجَلَّ عليهم الرِّيح العقيم؛ فكانت تطير بهم كالرِّيش في الهواء، وتصخهم[١] بالحجارة الَّتي تطيرُ بها الرِّيح، فتقتلعُ رؤوسَهم؛ فصارُوا كأعجاز نخلٍ خاويةٍ.

وفرعون ألقاه في البحر هو وقومه الَّذين يفتخرُ بهم ويرىٰ أنَّهم قُوَّةٌ تمنعُه.

---

(١) تصدمهم.

وقارونُ ابتلعتهُ الأرضُ هو وقُصوره وأهله وحَشَمه وكنوزه.

وهكذا كلُّ مَنِ افتخر بشيءٍ وعارض به شرائع الله، وأراد أن ينتصر به علىٰ تكذيب الرُّسُل، فإنَّ ذلك يكون وبالًا عليه في الدُّنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

(٨) الاستدلالُ على بُطلان الشَّيء بأنَّه لَمْ يَتَّبعه إلَّا الضُّعفاء

الثَّامنة: الاستدلالُ علىٰ بُطلان الشَّيءِ بأنَّه لم يَتَّبعْهُ إلَّا الضُّعَفَاءُ؛ كقوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وقوله: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾، فردَّ اللهُ بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

التعليق:

ثامنًا: الاستدلالُ علىٰ بُطلان الشَّيء بأنَّه لم يتبعْه إلَّا الضُّعفاءُ؛ كقولِ قوم نوحٍ لنوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١١ - ١١٣].

وقالتْ قُريش: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾، فردَّ الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾.

ولمَّا قالتْ قُريش أيضًا: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ حين دعا إلىٰ الإسلام، دخَل في الدِّين أقوامٌ من الموالي منهم: بلالٌ وعمَّارٌ وأمُّه وأبوه، وكانت عجوزٌ عمياء من الموالي يُقال لها: زِنِّيرة، فقالت قريشٌ، بل قال مَنْ يريد دَفع النَّاس عن الدُّخول في الدِّين، كأبي جهلٍ وأمثاله: أرأيتم لو أنَّ أمر مُحمَّدٍ رشدٌ كان تَسبقُنا زنِّيرة إليه! لو كان أمر

مُحمَّدٍ رشدًا لم تسبقنا إليه، أفتسبقنا زنيرة إلىٰ رشدٍ؛ فأنزل الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾(1) [الأحقاف: ١١].

وهكذا عَرضوا علىٰ النَّبيِّ ﷺ أن يَطرد الأَعْبُد الَّذين اتَّبعوه حتَّىٰ يتابعوه هم؛ فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ عليه:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ولمَّا سأل هرقلُ أبا سفيان: «قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ... وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ»(2).

فهذه دلائل تدلُّ علىٰ أنَّ أتباع الحقِّ - غالبًا - يكونون من الضُّعفاء، وإنَّما يتَّبع الحقَّ أصحابُ العزَّة إذا رأوه عزَّ؛ فها هم الأشراف بعد موقعة هوازن يتألَّفهم رسول الله ﷺ، ويعطي كلَّ واحدٍ منهم مئةً من الإبل من أجل أن يدخلوا في الإسلام، ويكونُوا مِن أنصارِه(3)، وبالله التَّوفيق.

---

(١) انظر: «الدُّرّ المنثور» (٧/ ٤٤٠ دار الفكر)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ١٨٩ الكتب المصريَّة).

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «صحيح البُخاري» (٣١٤٧)، و«صحيح مُسلم» (١٠٥٩)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٩) الاقتداء بفسَقةِ العلماء والعُبَّاد

التَّاسعة: الاقتداءُ بِفَسَقةِ العُلماءِ والعُبَّادِ، فأتىٰ بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤].

وبقوله: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

التعليق:

يقول المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التَّاسعة: الاقتداء بفسَقة العلماء والعُبَّاد؛ بدليل قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

وبقوله: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

كما أمَر الله عَزَّوَجَلَّ باتِّباع الحقِّ وأهل الحقِّ من الرُّسُل، وأتباع الرُّسُل، كذلك أيضًا نَهىٰ عن اتِّباع الفَسَقة من العلماء والعُبَّاد، واتِّباع هؤلاء يورد إلىٰ الهَلَكة، ويُحتِّم علىٰ صاحبه سوءَ المصير؛ لأنَّ أولئك قَدْ تَجرَّدوا مِن خَشيةِ اللهِ - والعياذ بالله -، وصارتْ نِيَّاتُهم وأعمالُهم كلُّها مقصودةً للدُّنيا.

فلذلك تجدُهم يأكلون أموال النَّاس بالباطل، ويزعمون أنَّه ليس عليهم في أموال الأُمِّيِّين سبيلٌ، ومِن جانبٍ آخر؛ فإنَّ بعضَهم يغلُو ويضلُّ النَّاس بغُلوِّه، فيحسبُه مَنْ يراه أنَّه علىٰ الحقِّ، وهو علىٰ باطلٍ؛ لأنَّه لم يقنع بالحقِّ، بل تجاوزه وغلا.

وقَدْ رصدتْ الآية السَّابعة والسَّبعون من سورة المائدة علىٰ أهل هذا الانحراف انْحِرَافهم، ونَهَتْ عن ذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

ومن ذلك ما قَرَّره بعض أهل الكتاب من الغُلُوِّ في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حيث جعلوه ابنًا لله، تعالىٰ الله عن ذلك.

وإنَّما خَلَقه الله عَزَّوَجَلَّ من أمٍّ بلا أبٍ ليبيِّن قُدرته علىٰ ذلك، ثمَّ أنطق عيسىٰ وهو في المهد بعد ساعاتٍ من ولادته بما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في سورة مريم، حيث قال حينما كان أهل مريم يُؤنِّبُونها علىٰ الإتيان بولدٍ، وهي غير ذات زوجٍ حين جاءت تحمله: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٢٨ - ٣٥].

وكان في هذا المقطع شواهدُ تدلُّ علىٰ أنَّه عَبْدٌ من عباد الله، لا يجوز أن يُتَّخذ إلهًا مع الله عَزَّوَجَلَّ أو من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وفي ذلك دلالةٌ علىٰ براءة ساحة والدته، حيث قال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾. ولم يقل: بوالديَّ، فنهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أهلَ الكتاب عن الغُلوِّ الَّذي يخرج بهم إلىٰ عبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا أهلُ الجاهليَّات، أقوامٌ منهم يَغلُون في الدِّين ليصطادُوا بذلك قلوبَ الجَهَلةِ.

وأقوامٌ منهم يأكلون الأموال بالباطل، وقد نهىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عن متابعة هؤلاء وهؤلاء.

ويَصلح أيضًا أن يُقال بأنَّ النَّبيَّ ﷺ ردَّ علىٰ الَّذين أرادوا الغُلوَّ، حين: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْواجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا.

فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»(١).

ومن هنا نعلم أنَّ الغُلوَّ مسلكٌ مِن مسالكِ الجاهليَّة، وأنَّ الخوارج حين غَلَوا وكفَّروا المسلمين، كانوا مِن هذا القَبيل الَّذي نهىٰ عن متابعتهم، وعن السَّماع لإضلالهم وأقوالهم وأفعالهم، وبالله التَّوفيق.

❁ ❁ ❁

(١٠) الاستدلال على بطلان الدِّين بقِلَّة أفهام أهله، وعدم حفظهم

العاشرة: الاسْتدْلالُ علىٰ بُطلانِ الدِّينِ بقِلَّةِ أفهام أهلِه، وعَدَم حِفْظِهِم؛ كقَولِهم: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود: ٢٧].

التعليق:

المسألة العاشرة: أنَّهم يَسْتدلُّون علىٰ بطلان الدِّين بقِلَّة أفهام بعض أهله،

(١) أخرجه البُخاريُّ (٥٠٦٣)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعدم حفظهم؛ كقولهم: ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾، وهذا الاستدلال خاطئٌ؛ لأنَّ ما كل أهل الدِّين يكونون كذلك، بل إنَّ المنافقين هم الَّذين يكونون عندهم الجهل، وعندهم السَّفَه وقلَّة المعرفة للحقِّ، كما ذكَر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم في قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في سُورة مُحمَّدٍ: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [محمد: ١٦].

فليس أهل الدِّين كلُّهم علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ، بل يوجد منهم الفُقهاء والعُلماء، ويوجد منهم العوامُّ الأُميُّون الَّذين لا يَقرؤُون ولا يَكتبُون، وقَدْ يوجدُ فيهم المنافقون أيضًا.

❁❁❁

(١١) الاستدلال بالقِياس الفاسد

الحادية عشرة: الاسْتدلالُ بالقِيَاس الفَاسِدِ؛ كَقَولِهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

التعليق:

الحادية عشرة: الاستدلال بالقياس الفاسد؛ كقولهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾، هذه الفِرْية قَدْ ردَّ الله عليها في مواضعَ من كتابِهِ، ردَّ عليها في أوَّل سورة الأنعام بقوله: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

ردًّا علىٰ قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: ٨].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾.

وإنَّ مِن الحكمة أنْ يُرسل إلىٰ البَشَر بشرًا مثلهم؛ إذْ لو كان مِن جنسٍ غير

جنسهم لما استطاعوا أنْ يأخذُوا عنه، ولهذا أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ في سُورة إبراهيم حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم أنَّهم قالُوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٠، ١١].

❁❁❁

(١٢) إنكارُ القياس الصَّحيح

الثَّانية عشرة: إنْكارُ القِياس الصَّحِيح، والجامع لهذا وما قبله عدمُ فَهْم الجَامِع والفَارِق.

التعليق:

الثَّانية عشرة: أي: أنَّ أهل الجاهليَّة أنكروا القياس الصَّحيح، وذلك أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ دلَّل علىٰ إحياء الموتىٰ بإحياء الأرض بعد موتها، لذلك قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت: ٣٩].

وقَدْ أنكر أهل الجاهليَّة هذا الاستدلال، وزعموا أنَّه باطلٌ، وكَفَىٰ بحُجَّة الله حُجَّةً عليهم، وبالله التَّوفيق.

❁❁❁

(١٣) الغلوُّ في العُلماء والصَّالحين

الثَّالثة عشرة: الغُلُوُّ في العُلَماءِ والصَّالحينَ؛ كَقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ﴾ [النساء: ١٧١].

التعليق:

الثَّالثة عشرة: الغلوُّ في العلماء والصَّالحين، وقَدْ تقدَّم هذا البحث في المسألة التَّاسعة، وتَبيَّن من ذلك أنَّ الغُلوَّ من طرائق أهل الجاهليَّة، حتَّىٰ ولو كان المغلوُّ فيه نبيًّا أو وليًّا أو صالحًا؛ فإنَّه بشرٌ، لا يجوز أن يتجاوز به مقام البشريَّة، وأن يُرفع بالغلوِّ الزَّائد إلىٰ مقامات الأُلوهيَّة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واحدٌ أحدٌ، فردٌ صمدٌ، ليس له شبيهٌ، ولا نظيرٌ، ولا عدلٌ، ولا وزيرٌ، بل هو الغنيُّ بنفسه، وكلُّ مَنْ سواه إليه فقيرٌ.

❁❁❁

(١٤) نفيُ الحقائق الشَّرعيَّة، وإثبات ما لم يكُن ثابتًا

الرَّابعة عشرة: أنَّ كلَّ مَا تَقَدَّم مَبْنِيٌّ علىٰ قَاعِدَةٍ، وهِيَ النَّفيُ والإثْباتُ، فيتَّبعُونَ الهوىٰ والظَّنَّ، ويُعْرِضونَ عمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ.

التعليق:

الرَّابعة عشرة: أنَّ أهل الجاهليَّة من قواعدهم الباطلة: نفي الحقائق الشَّرعيَّة، وإثبات ما لم يكن ثابتًا؛ فَيتَّبعون الهوىٰ في إثباتِه، ويَتَّبعون في ذلك الظَّنَّ، ويُعْرِضون عمَّا جاءت به الرُّسُل، وأنَّ الأدلَّة علىٰ هذه الفقرة من واقع الصُّوفيَّة كثيرةٌ، حيث يجعلون الرَّسُول البشريَّ مشتركًا في مقام الأُلوهيَّة، بل ويجعلونَ مشايخهم أيضًا كذلك، ويُعْطُونَهم حقَّ الإله الحقِّ بغير دليلٍ، بل باتِّباع الهوىٰ، ولو اتَّبعوا ما جاءت به الرُّسُل لما حصل منهم ذلك، وبالله التَّوفيق.

❁❁❁

(١٥) اعتذارُهم عن اتِّباع ما آتاهم الله بعدم الفهم

الخامسة عشرة: اعْتِذَارُهم عَنْ اتِّبَاع مَا آتَاهُمْ اللهُ بِعَدَمِ الفَهْمِ؛ كَقَولِهِمْ:

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ [البقرة: ٨٨]. ﴿يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]، **فأَكْذَبَهُمُ اللهُ، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الطَّبْعِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَأَنَّ الطَّبْعَ بِسَبب كُفْرِهِمْ.**

التعليق:

وأقول: مثل ذلك ما قالت قريشٌ للنبيِّ ﷺ حيث قال الله عنهم: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصّلت: ٥].

وقَدْ أخبَر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأنَّ ذلك بسبب كُفرهم بالقُرآن، وقولهم فيه بأنَّه سِحْرٌ، وأنَّ الَّذي جاء به رجلٌ مسحورٌ، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٤٨].

والمُهِمُّ أنَّ ذلك بسبب إعراضهم عن القُرآن وكلامهم فيه، وفيمن جاء به، فعُوقِبُوا بسبب ذلك بأَنْ حِيلَ بينهم وبين فَهْمِهِ، والعياذُ بالله.

❁ ❁ ❁

(١٦) اعتياضهم عمَّا أتاهُم مِن الله بكُتُب السِّحْر

السَّادسة عشرة: **اعْتِيَاضُهُمْ عمَّا أَتَاهُمْ مِنَ اللهِ بكُتُبِ السِّحْر، كَمَا ذَكَرَ اللهُ ذَلِكَ فِي قَوْلِه:** ﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠١، ١٠٢].

التعليق:

أخبر الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات أنَّ اليهودَ تركُوا الكتاب الَّذي جاء به موسىٰ

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو التَّوراة، وأعرضوا عنه، وتركُوه، واعتاضُوا عنه بالسِّحْر، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

وذلك أنَّ الشَّياطين عَمَدوا إلىٰ كُتُب السِّحر، فدفنوها تحت كرسيّ سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين توفَّاه الله عَزَّوَجَلَّ، وزعموا للنَّاس أنَّ سليمانَ ما كان يقهر النَّاس والطَّير والرِّيح وغير ذلك ويُسخِّرهم إلَّا بالسِّحر، فأكذبهم الله عَزَّوَجَلَّ، وبرَّأ سليمانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مِمَّا قالوا، وأخبر بأنَّ الشَّياطينَ هم الَّذين كفرُوا باختيارهم للسِّحر بدَل الكتاب الَّذي أُنزل علىٰ نبيِّهم.

❁ ❁ ❁

(١٧) نسبة باطلهم إلى الأنبياء

السَّابعة عشرة: نسبةُ بَاطِلِهم إِلَىٰ الأَنْبِياءِ؛ كَقَولِهِ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧].

التعليق:

السَّابعة عشرة: أنَّهم يفعلون الجُرْمَ وينسبونه إلىٰ الأنبياء مِن غير خوفٍ مِن الله، ولا وَجَلٍ مِن لقائه؛ فردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾.

ولزعمهم أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، فأكذبَهم اللهُ، وبَيَّن

أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قبل اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، فبرَّأ اللهُ نبيَّه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وردَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليهم في ادِّعائهم ذلك، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥، ٦٦].

والمُهمُّ: أنَّ الله أكذبَهم في نسبتهم إبراهيم عَزَّوَجَلَّ إلىٰ ما هُمْ عليه من الباطل.

❁ ❁ ❁

(١٨) تناقضُهم في الانتساب

الثَّامنة عشرة: تَناقُضُهُمْ في الانتِسَاب؛ يَنْتَسِبُونَ إلىٰ إبْراهيمَ مَعَ إظْهَارِهِمْ تَرْكَ اتِّباعِهِ.

التعليق:

أي: أنَّهم يزعمون أنَّهم تابعون لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأنَّهم ينتسبون إليه، وهم مع ذلك تاركون لاتِّباعه، وفي ذلك تناقضٌ منهم، وبيانٌ لكذبهم.

❁ ❁ ❁

(١٩) قدحهم في بعض الصَّالحين بفِعْل بعض المُنتسبين إليهم

التَّاسعَة عشْرة: قَدْحُهُمْ في بَعْضِ الصَّالحِينَ بفِعْل بَعْضِ المُنتسِبِينَ إلَيهِمْ؛ كَقَدْح اليَهُودِ في عِيسَىٰ، وَقَدْح اليَهُودِ وَالنَّصارَىٰ في مُحَمَّدٍ ﷺ.

التعليق:

قدحهم في بعض الصَّالحين بفعل بعض المنتسبين إليهم؛ كقدح اليهود في عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وزعمهم أنَّه ابن زنا - والعياذ بالله -، وقدح اليهود والنَّصارىٰ في مُحمَّدٍ ﷺ، وهذا كلُّه كذبٌ وتمويهٌ وتضليلٌ لأتباعهم.

(٢٠) اعتقادُهم أنَّ سحر السَّحرة ككرامات الصَّالحين

العشرون: اعْتِقَادُهُم فِي مَخَارِيقِ السَّحَرَةِ وَأَمْثَالِهِمْ أَنَّهَا مِنْ كَرَامَاتِ الصَّالِحِينَ، وَنِسْبَتهُ إِلَىٰ الأَنْبِيَاءِ كَمَا نَسَبُوهُ لِسُلَيمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

التعليق:

سبق أَنْ ذَكَرنا أَنَّهم دفنوا كُتُب السِّحر تحت كرسي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأَنَّهم زعمُوا أَنَّه ما كان يُسَخِّر الرِّيح والطَّير إلَّا بهذه المخاريق السِّحريَّة، سواءً زعموا أَنَّها كراماتٌ، أو نسبوه إلىٰ ذلك علىٰ سبيل القدح فيه، المُهمُّ: أنَّ الله برَّأه مِمَّا قالوا.

❁ ❁ ❁

(٢١) تَعَبُّدهم بالمكاء والتَّصدية

الحادية والعشرون: تَعَبُّدُهُمْ بِالمُكَاءِ وَالتَّصْدِيَةِ.

التعليق:

أخبر الله عَزَّوَجَلَّ بأنَّ العرب كانوا يَتعبَّدون بالمكاء والتَّصدية عند الطَّواف بالبيت.

والمكاء: الصَّفير.

والتَّصدية: التَّصفيق.

فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].

❁ ❁ ❁

(٢٢) أنَّهم اتَّخذوا دينهم لهوًا ولعبًا

الثَّانية والعشرون: أَنَّهُم اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا.

التعليق:

الثَّانية والعشرون: أنَّهم اتَّخذُوا دينَهم لهوًا ولعبًا، وإِنْ كان المقصودُ به

قريشًا ومَنْ وَالَاهُمْ مِن العرب، إلَّا أنَّه يتناول أيضًا جماعةَ الصُّوفيَّة الَّذين يزعمون أنَّ الغناءَ والرَّقصَ عبادةٌ.

❁ ❁ ❁

(٢٣) ظنُّهم أنَّ عطاء الله لهم يدلُّ على رضاه عنهم

الثَّالثةُ والعشرونَ: أنَّ الحيَاةَ الدُّنيا غَرَّتْهُم، فَظَنُّوا أَنَّ عطاءَ اللهِ منها يَدُلُّ على رِضاهُ؛ كقَولِهِمْ: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

التعليق:

الثَّالثة والعشرون: أنَّهم اغترُّوا بحياتهم الدُّنيا، فظنُّوا أنَّ عطاء الله منها يدلُّ على رضاه، وكثيرٌ من المسلمين اليوم يعتقدون هذا الاعتقاد، ويَظنُّون أنَّ مَنْ آتاه الله الدُّنيا إنَّما يؤتيه ذلك بسبب رضاه عنه، ولقَدْ ردَّ الله عَزَّوَجَلَّ على هؤلاء في سورة سبأ حيث قال فريقٌ من الكُفَّار: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٥، ٣٦]؛ أي: يضيق. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٦، ٣٧].

بل أخبر الله في سورة الزُّخرف بأنَّ الله يُعجِّل للكفَّار طَيِّباتهم في الدُّنيا، ولولا الخوف بأَنْ يغترَّ المؤمنون فيكفرون لجَعَلَ اللهُ للكافرين سُررًا من فِضَّةٍ، ومعارج عليها يظهرون، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥]، فدلَّ على أنَّ الكُفَّار يُؤتَونَ من الدُّنيا أكثر مِمَّا يُؤتَىٰ المؤمنون.

(٢٤) تركُ الدُّخُول في الحقِّ إذا سبقهم إليه الضُّعفاء

الرَّابعة والعشْرون: تركُ الدُّخُول في الحقِّ إذَا سَبَقَهُمْ إلَيهِ الضُّعَفَاءُ تكَبُّرًا وَأنَفَةً، فَأنْزَلَ اللهُ تعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآيات.

التعليق:

سبق أنْ ذكرت أنَّ بعض أشراف قريش حين أسلم جماعةٌ من الموالي، وكانت منهم عجوزٌ عمياء، يقال لها: زنيرة، فقال أبو جهلٍ: أرأيتم لو كان أمر مُحمَّدٍ رشدًا أتسبقنا إليه زنيرة! فتركوا الدُّخُول في الحقِّ بعد أن علموا أنَّه حقٌّ تكبُّرًا وأنَفَةً.

❁ ❁ ❁

(٢٥) الاستدلال على بطلانه بسَبْق الضُّعَفاء

الخامسةُ والعشرون: الاسْتِدْلالُ عَلَىٰ بُطْلانِهِ بسَبْق الضُّعَفاءِ؛ كَقَولِه: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

التعليق:

كذلك أيضًا كما سبق لَوْ كان أمرُ مُحمَّدٍ خيرًا ما سبَقَنا إليه الموالي.

❁ ❁ ❁

(٢٦) تحريف كتاب الله

السَّادسة والعشرون: تَحريفُ كِتَاب اللهِ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وهُم يعلَمُونَ.

التعليق:

السَّادسة والعشرون: كذلك أيضًا من جرائمهم: تحريفهم لكتاب الله من بعدِ ما عقلوه وهم يعلمون، وذلك دليلٌ علىٰ عدم مبالاتهم.

ومن هذا القبيل: تبديل اليهود ما أمرهم الله به، حيث أمرهم أن يقولوا

(حطة)، ويدخلوا ساجدين، فقالوا: (حنطة) ودخلوا يزحفون على أستاههم.

فقال الله عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

❁❁❁

(٢٧) تصنيف الكُتُب الباطلة ونسبتها إلى الله

السَّابعة والعشرون: تَصنِيفُ الكُتُب البَاطِلَة وَنِسبَتُها إلَى اللهِ؛ كَقَولِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٩].

التعليق:

كان الكتاب الَّذي عند اليهود غير مُعْجِزٍ بالنِّسْبة للفظه؛ فكانوا يلحقون فيه إلحاقاتٍ، ويكتبون أشياء من عند أنفسهم، ويزعمون أنَّها من الله ومن كتابه، فأنزل الله في حقِّهم قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

❁❁❁

(٢٨) أنَّهم لا يَقبلون مِن الحقِّ إلَّا الَّذي مَع طائفتِهم

الثَّامنة والعشرون: أَنَّهُم لَا يَقْبَلُونَ مِن الحَقِّ إِلَّا الَّذي مَعَ طَائفتِهم؛ كقَولِه: ﴿قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٩١].

التعليق:

معنى هذه الفقرة أنَّهم لا يقبلون الحقَّ إلَّا من طائفتهم، وهذه هي العُنْصريَّة بعينها، فما جعل الله الحقَّ في قومٍ بعينهم، ولكن الحقَّ فيما أنزل على الرُّسُل في

الكتب الإلهيَّة، وهم يقولون نؤمن بما أنزل علينا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾.

۞ ۞ ۞

(٢٩) أنَّهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله طائفتهم

التَّاسعة والعشرون: أَنَّهم مَع ذَلِكَ لا يَعْلَمُونَ بما تَقُولُه طَائِفتُهم، كما نبَّه اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيهِ بقَولِه: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

التعليق:

قال: التَّاسعة والعشرون: أنَّهم مع ذلك لا يعلمون بما تقولُه طائفتُهم؛ أي: أنَّهم لا يعلمون ما جرىٰ مِن طائفتهم مِن القتل لأنبياء الله حيث قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

۞ ۞ ۞

(٣٠) فرحهم بحزبهم بعد تفرّقهم

الثَّلاثون: وَهِيَ مِنْ عَجَائِبِ آياتِ اللهِ؛ أَنَّهُم لمَّا تَركُوا وَصِيَّةَ اللهِ بالاجْتِمَاع، وارْتَكَبُوا مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ مِنَ الافْتِرَاقِ، صَارَ كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيهِم فَرِحِينَ.

التعليق:

هذه الفقرة تدلُّنا علىٰ أنَّ الأمر المشروع في الكتب السَّابقة، وعلىٰ أَلْسِنة الرُّسُل جميعًا هو الوصيَّة بالاجتماع وعدم التَّفرُّق، ومع ذلك يرتكبون ما نهىٰ الله عنه من التَّفرُّق، مخالفين لما أمرهم الله به من الاجتماع.

قلت: وهذه الفقرة تنطبق علىٰ أصحاب الحِزْبيَّات الَّذين يُفرِّقون الأُمَّة، ويُشتِّتون شَمْلها وجَمْعها، بِناءً علىٰ أهوائهم، وعلىٰ استحساناتهم، فينشأ عن

ذلك الوقوع فيما حَرَّم الله، والبعد عمَّا أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، وما ذلك إلَّا بسبب إعجابِهِم بآرائهم، وتَقْدِيمِها علىٰ ما أمر الله به في كتابه، وإِنْ أَمَرهُمْ أحدٌ بما أمر الله تعالىٰ به، آذَوْه وانْتَهكوا عِرضه، وقالوا فيه القالات السَّيِّئة تنفيرًا منه، كما قالت اليهود في عبد الله بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

❁ ❁ ❁

(٣١) معاداتهم الدِّين الَّذي انتسبوا إليه غاية العداوة، ومَحبَّتهم دين الكُفَّار

الحادية والثَّلاثون: وهِيَ مِنْ أَعْجَب الآيَاتِ أَيْضًا: مُعَادَاتُهُمْ الدِّينَ الَّذِي انْتَسَبُوا إِلَيهِ غَايةَ العَدَاوةِ، وَمَحبَّتُهم دِينَ الكُفَّار - الَّذِينَ عَادَوْهُمْ وَعَادَوْا نَبيَّهُم وَفِئَتهم - غايةَ المحبَّة، كما فَعَلُوا مَعَ النَّبيِّ ﷺ لمَّا أَتَاهُمْ بدِينِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتَّبَعُوا كُتُبَ السِّحْرِ، وَهِيَ مِنْ دِينِ آلِ فِرْعَونَ.

التعليق:

معنىٰ ذلك: أنَّ اليهود ينتمون إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وينتسبون إليه، ويزعمون أنَّهم يُجلُّونه، وأنَّهم تابعون له، وهم مع ذلك يُعَادون دين مُحمَّدٍ ﷺ الَّذي أتاهم بدينٍ كدين موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل هو دين موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ إنَّ دين الأنبياء واحدٌ، وهو التَّوحيد، وإن اختلفتْ في الفروع شرائعُهم، فالأصلُ واحدٌ.

وعجيبٌ أمرُ اليهود حينما يُعادُون الدِّين الَّذي هم ينتسبون إليه، ويأخذون

---

(١) أخرج البخاري (٤٤٨٠) عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ عبدَ الله بنَ سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأَسْلَمَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اليَهُودَ قَوْمٌ بُهتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي، فَجَاءَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟». قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا، وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟». فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا، وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ».

بالدِّين الَّذي يُضادُّه، وهو دينُ فرعون وآله القبط، فهم بذلك قَدْ عَادَوا الدِّينَ الَّذي ينتمون إليه بسبب جهلهم، وانتكاس فِطَرِهم.

فلَوْ كانوا يعقلون لعلموا أنَّ دين الله هو ما جاءت به الرُّسُل، ومن أعظمهم وأفضلهم موسىٰ ومُحمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

❁❁❁

(٣٢) كُفْرهم بالحقِّ إذا كان مع مَنْ لا يَهْوُونَهُ

الثَّانية والثَّلاثون: كُفْرُهم بالحقِّ إِذَا كَانَ مَعَ مَنْ لَا يَهْوُونَهُ؛ كما قَالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].

التعليق:

الثَّانية والثَّلاثون: كُفْرهم بالحقِّ إذا كان مع مَنْ لا يَهْوُونَهُ.

هذه الفقرة بِناءً علىٰ الفقرة الَّتي قبلها حيث إنَّهم كفروا بنُبوَّة مُحمَّدٍ ﷺ بعد أن تبيَّن لهم أنَّه الرَّسول الحقُّ الموعود به؛ لأنَّه جاء من طريقِ مَنْ لا يَهْوُونَهُ؛ فإنَّهم كانوا ينتظرون أن يخرج ذلك النَّبيُّ الموعود به منهم، فلمَّا جاء من العرب، أنكروه وَعَادَوْهُ.

❁❁❁

(٣٣) إنكارهم ما أقرُّوا أنَّه من دينهم كما فعلوا في حجِّ البيت

الثَّالثة والثَّلاثون: إنْكَارُهُمْ مَا أَقَرُّوا أَنَّهُ مِن دِينِهِمْ كَمَا فَعَلُوا في حَجِّ البَيتِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

التعليق:

وهذه الفقرة أيضًا مُتفرِّعةٌ عمَّا قبلها؛ فهم أنكرُوا الحجَّ الَّذي دعا إليه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي يزعمون أنَّهم ينتمون إليه مع أنَّهم مُقرُّون بالكتاب، وهو

التَّوراة، فأنكروا شيئًا مِن الدِّين الَّذي ينتمون إليه؛ إذ إنَّ الحجَّ كان مشروعًا في دينهم لكن ليس بفرضٍ.

كما جاء في الحديث: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟».

فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَق.

قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَىٰ الله بِالتَّلْبِيَةِ»، ثمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ هَرْشَىٰ، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟».

قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَىٰ.

قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَىٰ نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ[١]، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ[٢]، وَهُوَ يُلَبِّي»[٣].

❁ ❁ ❁

(٣٤) أنَّ كلَّ فِرْقةٍ تدَّعي أنها النَّاجية

الرَّابعة والثَّلاثون: أنَّ كلَّ فِرْقةٍ تدَّعِي أنها النَّاجيةُ، فأَكْذَبهُمُ اللهُ بقولِهِ: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

ثمَّ بيَّنَ الصَّوابَ بقولِه: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢].

التعليق:

توضيح هذه الفقرة: أنَّ أصحاب البدع والحِزْبيَّات، وكلُّ مَنْ كان خارجًا عن طريقة الرُّسُل، كلُّ فِرْقةٍ من هذه الفِرَق تدَّعي أنَّها هي النَّاجية، فمثلًا في الإسلام: المعتزلة يَظنُّون ويقولون: إنَّهم هم النَّاجون، وإنَّهم هم الَّذين عرفوا

---

(١) أي: مكتنزة اللحم.

(٢) خلبة، يعني: ليف.

(٣) أخرجه مسلم (١٦٦) من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الحقَّ. والجهميَّةُ كذلك، والمرجئةُ كذلك، والشِّيعةُ كذلك، والصُّوفيَّةُ كذلك، وكلُّ اسمٍ يدخل تحته أنواع كلِّ فئةٍ تظنُّ أنَّها هي النَّاجية، فأكذبَهم اللّه تعالىٰ، وبيَّن أنَّ النَّجاةَ إنَّما هي لأتباع الرُّسُل الَّذين مَشَوا علىٰ البراهين والحُجَج الَّتي جاءت مِن عند الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ اثْنَتَينِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً».

قالوا: مَنْ هُم يَا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «هُمُ الَّذِينَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي»[1].

فأتباع الرُّسُل هُمُ النَّاجون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وأصحابُ البدع والفسق هُمُ الهالكون في كلِّ زمانٍ ومَكانٍ.

❁❁❁

(٣٥) التَّعبُّد بكشف العَورات

الخامسة والثَّلاثون: التَّعبُّد بكشْفِ العَورَات؛ كقولِه: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

التعليق:

كان أهلُ الجاهليَّة إذا أرادوا أنْ يطوفُوا بالبيت؛ إمَّا أنْ يَستعيرُوا ثيابًا مِن أهل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ أُمَّتِي مَا أَتَىٰ عَلَىٰ بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَىٰ أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سُنن التِّرمذي»، وفي «صحيح الجامع» رقم (٥٣٤٣).

الحَرَم، أو يطوفوا عُريانِين، فإذا لم يجد المعتمرُ أحدًا يُعطيه ثوبًا، طاف عُريانًا، وكانوا يَطوفون بالبيت في ظُلْمة اللَّيْل.

وتقول المرأة:

الْيَــوْمَ يَبْــدُو بَعْضُــهُ أَوْ كُلُّــه فَمَــا بَــدَا مِنْــهُ فَــلا أُحِلُّــه

فَعابَهُمُ الله في ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

❁ ❁ ❁

(٣٦) التَّعبُّد بتحريم الحلال

السَّادسة والثَّلاثون: التَّعبُّد بتَحريمِ الحَلالِ كما تَعبَّدُوا بالشِّرْكِ.

التعليق:

وقَدْ تَعبَّدوا بتحريم الحلال؛ أي: بِتَرْك الأَكْل مِن بعض الأطعمة، كما بيَّن الله بعضَ ذلك في سُورة الأنعام؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

❁ ❁ ❁

(٣٧) التَّعبُّد باتِّخاذ الأحبار والرُّهبان أربابًا من دون الله

السَّابعةُ والثَّلاثونَ: التَّعبُّدُ باتِّخاذِ الأَحْبارِ وَالرُّهْبانِ أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللهِ.

التعليق:

كذلك التَّعبُّد أيضًا بمتابعة الأحبار والرُّهْبان فيما لم يُنزل اللهُ به سُلطانًا، فقال جلَّ مِن قائلٍ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

❁ ❁ ❁

(٣٨) الإلحادُ في الصِّفاتِ

الثَّامنة والثَّلاثون: الإلحادُ في الصِّفاتِ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢].

التعليق:

الإلحاد في الصِّفات بحيث يُعطِّلونها أو يُشبِّهونها أو يُأَوِّلونها، وهذا كلُّه مُحرَّمٌ عليهم، وكان الواجب أن يَرْضَوا بما رضيَ اللهُ به لنفسه، وفعلُوا ذلك حين فعلوه زاعمين أنَّهم يُنَزِّهونَ اللهَ عن صفات المخلوقين، أمَّا أهلُ الجاهليَّة فقَدْ أنْكرُوا بعضَ ذلك.

❁❁❁

(٣٩) الإلحادُ في الأسماء

التَّاسعة والثَّلاثون: الإلحادُ في الأَسْمَاءِ؛ كقولِه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

التعليق:

الإلحادُ في الأسماء أيضًا بأنْ يُنكروا بعضَ صفاتِ الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

الإلحاد في الأصل: الميل.

فالإلحاد في صفات الله وأسمائه، هو أن تحمل علىٰ ما لا يجوز، ولا يليقُ بجلال الله.

❁❁❁

(٤٠) التَّعطيل

الأربعون: التَّعطيلُ؛ كقَولِ آلِ فِرْعَونَ.

التعليق:

كقول آل فرعون، المُهِمُّ أنَّ أهل التَّعطيل أنكروا صفات الله، وفرعون إِمَامُهُمْ فِي ذلك حيث أخبر الله عنه أنَّه قال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

❁ ❁ ❁

(٤١) نسبة النَّقَائص إلى الله سبحانه

الحادية والأربعون: نسبةُ النَّقَائِصِ إِلَيهِ سُبحَانَهُ؛ كالوَلَدِ والحَاجَةِ والتَّعَب، مَعَ تَنْزِيهِ رُهْبَانِهِمْ عَنْ بَعْضِ ذَلِكَ.

التعليق:

هذه ردَّ اللهُ عليهم فيها في مواضعَ مِن كتابه، فحينَ نسبُوا الولدَ إلىٰ الله قال ردًّا عليهم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٩٠، ٩١].

وقال ردًّا عليهم في ادِّعاء التَّعب له: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾ [ق: ٣٨].

واللُّغُوب: هو التَّعب والإعياء.

وأمَّا الحاجةُ؛ فكقولِ بعض اليهودِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: ١٨١] نعوذُ باللهِ.

❁ ❁ ❁

(٤٢) الشِّرْك في الملك

الثَّانية والأربعون: الشِّرْكُ في الملْكِ كَقَولِ المجُوسِ.

التعليق:

إذ إنَّ المجوس زعمتْ أنَّ هناك خَالِقَينِ أو إِلَهَينِ: النُّور والظُّلْمة، النُّور إلهُ الخير، والظُّلْمة إلهُ الشَّرِّ، تقدَّس الله عَزَّوَجَلَّ أنْ يكون كما وصف الجاحدون، بل كُلُّ شيءٍ خَلْقُهُ ومُلْكُهُ.

❁ ❁ ❁

(٤٣) جحود القَدَر

الثَّالثة والأربعون: جُحُودُ القَدَر.

التعليق:

ردَّ اللهُ عليهم بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

وبقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢].

(٤٤) الاحتجاج على الله به

الرَّابعة والأربعون: الاحْتِجَاجُ علىٰ اللهِ بِهِ.

التعليق:

أي: الاحتجاج علىٰ الله بالقَدَر حيث قال بعضُ المشركين: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: ٢٠].

❁ ❁ ❁

(٤٥) معارضة شرع الله بقدره

الخامسة والأربعون: مُعَارضةُ شرْعِ اللهِ بقَدَرِهِ.

التعليق:

معارضة شرع الله بقَدَرِهِ، حيث زعموا أنَّ الله قدَّر عليهم الشَّقاوة، ولم يُمَكِّنهم من الطَّاعة قَدَرًا، ولكن هذا زعمٌ باطلٌ، واللهُ قَدْ مكَّن المشركين وآتاهم أسماعًا وأبصارًا وأفئدةً ليعلموا الحقَّ، ويعملوا به.

❁ ❁ ❁

(٤٦) مَسبَّة الدَّهْر

السَّادسة والأربعون: مَسبَّة الدَّهْر؛ كَقَولهم: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٤].

التعليق:

أي أنَّ هذا من أعمال الجاهليَّة، زعموا أنَّ الدَّهْر هو المُتصرِّف، لكن الدَّهر مُصرَّفٌ بأمرِ اللهِ وقَدَره، وليس الدَّهر هو المُتصرِّف كما هو واضحٌ، وفي الحديث: **«يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**[1].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤٧) إضافة نِعَمِ الله إلى غيره

السَّابعة والأربعون: إِضَافَةُ نِعَمِ الله إلىٰ غَيره؛ كقَولِهِ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣].

التعليق:

إضافة النِّعم إلىٰ غير الله؛ كقولهم: «لولا كُلَيْبة هذا لأتانا اللُّصوص»، لولا فلان ما صار كذا، ولولا فلان لم يحصل كذا.

❁ ❁ ❁

(٤٨) الكُفْر بآيات الله

الثَّامنة والأربعون: الكُفْرُ بآيَاتِ اللهِ.

التعليق:

أي: بأنَّهم يكفُرون بآياتِ الله، ويجحدُونَها مع وُجُودِها.

❁ ❁ ❁

(٤٩) جحد بعض آيات الله

التَّاسِعَةُ وَالأربعون: جَحْدُ بَعْضِهَا.

التعليق:

أي: جحد بعض آيات الله؛ كقولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

❁ ❁ ❁

(٥٠) قولهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾

الخمسون: قَولُهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

التعليق:

هذه توضيحٌ للفقرة قبلها، يعني الدَّليل علىٰ جحدهم: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

(٥١) قولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾

الحادية والخمسون: قَولُهم في القُرْآنِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

التعليق:

يعني: أنَّهم قَدَحُوا في القرآن، وزعموا أنَّه قول البشر، وتَحدَّاهم الله، فقال: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

❁ ❁ ❁

(٥٢) القدح في حكمة الله تعالى

الثَّانية والخمسون: القَدْحُ في حِكْمَةِ اللهِ تَعالَىٰ.

التعليق:

ومن مسائل الجاهليَّة: القدح في حِكْمَةِ الله تعالىٰ.

❁ ❁ ❁

(٥٣) إعمالُ الحِيَل الظَّاهرة والباطنة في دَفْع ما جاءتْ به الرُّسُل

الثَّالثة والخمسون: إعمالُ الحِيَل الظَّاهرة والباطنة في دَفْع ما جاءتْ به الرُّسُل؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وقوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢].

التعليق:

أوضح اللُه عَزَّوَجَلَّ في هذه الآيات أنَّهم مَكَروا مكرًا كبيرًا لردِّ آيات الله عَزَّوَجَلَّ، ومِن ذلك أنَّهم قالُوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصِّلت: ٢٦]. ومِن ذلك قولُه: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾.

(٥٤) الإقرار بالحقِّ ليَتَوصَّلوا به إلى دَفْعِه

الرَّابعة والخمسون: الإِقْرَارُ بالحَقِّ لِيَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَىٰ دَفْعِهِ، كَما قَالَ في الآيةِ.

التعليق:

أي: كما قال في الآية السَّابقة: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢].

❁❁❁

(٥٥) التَّعصُّب للمذهب

الخامسة والخمسون: التَّعصُّبُ للمَذْهَب؛ كَقَولِه فيهَا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].

التعليق:

هذه الظَّاهرة وُجِدَتْ في الزَّمن القديم، وهي الآن موجودةٌ عند أصحاب الحِزْبيَّات من إخوانيَّةٍ وسروريَّةٍ، وغير ذلك، أنَّهم لا يقبلون تَوْجيهًا، ولا يعملون بنصيحةٍ إلَّا إذا كانت من أهل مَذْهبِهم.

❁❁❁

(٥٦) تسمية اتِّباع الإسلام شركًا

السَّادسة والخمسون: تَسمِيةُ اتِّبَاع الإِسْلَام شِرْكًا، كَمَا ذَكَرَهُ في قَولِه تعَالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] الآيتين.

التعليق:

أي: أنَّ هذا لا يُتصوَّر أنْ يؤتيَه اللهُ أحدًا مِن البشر، الكتاب والحُكْم والنُّبوَّة،

ثمَّ يقول للنَّاس: كونوا عبادًا لي من دون الله، لا يمكن أن يكون ذلك كذلك، بل مَنْ آتاه الله الكتاب والحُكْم والنُّبوَّة يأمر النَّاس بعبادة الله وحده.

❁ ❁ ❁

(٥٧) تحريف الكَلِم عن مواضعه

السَّابعة والخمسون: تَحْرِيفُ الكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِه.

التعليق:

تحريف الكَلِم عن مواضعه، وذلك أنَّهم كانوا يأتون النَّبيَّ ﷺ يقولون: راعِنَا، يقصدون بذلك من الرُّعونَةِ، ويُوَرُّون بأنَّهم يقصدُون من المراعاة.

❁ ❁ ❁

(٥٨) لَيُّ الألْسِنَة بالكتاب

الثَّامنة والخمسون: لَيُّ الألْسِنَة بالكِتَابِ.

التَّعليق:

أي: أنَّهم يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهم بالكتاب؛ أي: حين تلاوتِه؛ إذ يُحسِّنُونه، ويكون فيه ما أدخلوا فيه من الكذب الَّذي ليس من الكتاب.

❁ ❁ ❁

(٥٩) تلقيبُ أهل الهُدى بالصّباة والحشويَّة

التَّاسعة والخمسون: تَلقِيبُ أَهلِ الهُدَىٰ بالصُّباة والحَشَويَّة.

التعليق:

أي: أنَّهم لَقَّبوا المسلمين بالصُّبَاة، والمقصود بالصَّابي: هو الَّذي تَحوَّل من دينه إلىٰ دينٍ جديدٍ.

(٦٠) افتراء الكذب على الله

السِّتُّون: افْتِرَاءُ الكَذِبِ عَلَىٰ اللهِ.

التَّعليق:

لقَدْ ردَّ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ أهل الجاهليَّة فيما زعموا من الكذب علىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذلك موجودٌ في كتاب الله كثيرٌ.

(٦١) التَّكذيب بالحقِّ

الحادية والسِّتُّون: التَّكْذِيبُ بالحَقِّ.

❁❁❁

التَّكذيب بالحقِّ؛ أي: أنَّ الحقَّ يكون واضحًا، فيُكذِّبون به، ويصرفون ذلك إلىٰ أوجهٍ باطلةٍ، كما تَقدَّم في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

ومِنْ ذلك قولُهم: «السَّام عليك»، بدل: السَّلام[1].

❁❁❁

(٦٢) كونهم إذا غُلبوا بالحُجَّة، فزعوا إلى الشَّكْوى للملوك

الثَّانية والستُّون: كَونُهُمْ إِذَا غُلِبُوا بِالحُجَّةِ، فَزِعُوا إِلَىٰ الشَّكْوَىٰ للمُلُوكِ، كَمَا قَالُوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

التعليق:

من خصال أهل الجاهليَّة الَّتي دَرَجَ عليها جميعُهم مِن الأوَّل إلىٰ الآخر،

---

(١) أخرج البخاري (٦٩٢٧) ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ». قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ».

واقتداء الآخر بالأوَّل فيها كونهم إذا غُلِبوا بالحُجَّة فزِعُوا إلىٰ الشَّكْوىٰ للمُلوك، إذا علمُوا أنَّ الملوكَ في أيدِيهم وسينصرونهم كما قالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

فجعلوا الإفساد حاصلًا من نبيِّ الله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهكذا أهلُ الضَّلال في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، هذه صفتُهم حيثُ يرمون خَصْمَهم بالإفساد مع أنَّهم هم الَّذين جاؤوا بالإفساد، وموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يأمر بعبادةِ الله وحدَه، ويدعوهم إلىٰ الحقِّ الَّذي أمَر الله به، وفرعون يأمرهم بعبادته، ولهذا قالوا: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾.

❁❁❁

(٦٣) رميُهم أهلَ الحقِّ بالفسادِ في الأرض

الثَّالثة والستُّون: رميهم إيَّاهم بالفساد في الأرض كما في الآية.

التعليق:

هكذا أصحاب البدع يَرْمُونَ الخَصم بِمَا هم فيه من الفساد أو التَّفريق أو ما أشبه ذلك من الأمور الَّتي يرمون بها أهلَ الحقِّ، فجعلوا دعوةَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فسادًا، ودَعْوتَهم إلىٰ تَأْليهِ فرعون صوابًا وحقًّا، وهم الكاذبون الضُّلَّال.

وفي قِصَّة عبد الله بن سلامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أسلم وجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: "يا رَسُولَ الله، إنَّ اليَهُودَ قَومٌ بُهتٌ، فَاسْأَلهُم عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بإسْلامِي، فَجَاءَتْ اليَهُودُ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلَام فِيكُمْ؟**».

قالوا: خيرُنَا وَابنُ خَيرِنَا، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلام؟**».

قَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِن ذَلِكَ، فَأَعَادَ عَلَيهِم، فَقَالُوا مِثْلَ ذلك، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ

اللهِ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتَنَقَّصُوه. قَالَ: هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ"[1].

فهكذا أهل الباطل دائمًا في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

❁❁❁

(٦٤) رَمْيُهم إيَّاهم بانتقاص دِين الملك

الرَّابعة والسِّتُّون: رَمْيُهُمْ إِيَّاهُمْ بانْتِقَاص دِين الملِك؛ كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وكما قال تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] الآية.

التعليق:

وهكذا أيضًا يأتون بالأساليب الَّتي يستثيرون بها غضب السُّلطة؛ لهذا قالُوا: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾. أو «وإِلَاهَتَكَ»[2].

❁❁❁

(٦٥) رَمْيُهم إيَّاهم بانتقاص آلهة الملك

الخامسة والستُّون: رَمْيُهُمْ إِيَّاهُمْ بانْتِقَاص آلهةِ الملْكِ كَمَا في الآيَةِ.

التعليق:

قَدْ سَبَق توضيحُه لهذه الفقرة.

❁❁❁

---

(١) أخرج البخاري (٣٣٢٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٢٣ سلامة): «كما رُوي أنَّ ابنَ عبَّاس قَرَأَ: «وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ»، قال: عبادتَك، أي: أنَّه كان يُعْبَدُ ولا يَعْبُدُ».

(٦٦) رَمْيهم أهل الحق بتبديل الدِّين

السَّادسة والستُّون: رَمْيهم إيَّاهم بتبديل الدِّين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] الآية.

التعليق:

وهذا كذلك، أي: أنَّ أعداء الدَّعوة الإسلاميَّة يسلكون مسالك شتَّىٰ ليثيروا السُّلْطة علىٰ الدَّعوة الإسلاميَّة الحقَّة.

❁ ❁ ❁

(٦٧) رَمْيهم أهل الحق بانتقاص الملك

السَّابعة والستُّون: رَمْيهم إيَّاهُم بانْتِقَاص الملكِ؛ كقولهم: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

التعليق:

هذا كما تَقدَّم.

❁ ❁ ❁

(٦٨) دعواهم العمل بما عندهم من الحقِّ

الثَّامنة والستُّون: دَعْوَاهُمْ العَمَل بِمَا عِنْدَهُم مِن الحَقِّ؛ كَقَولِهِم: ﴿نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: ٩١]، مَعَ تَرْكِهِمْ إيَّاهُ.

التعليق:

يعني: أنَّ اليهودَ والنَّصَارَىٰ عندما دُعُوا إلىٰ الإسلام قالوا: نُؤمنُ بما أَنْزلَ علينا، مع أنَّ الَّذي أُنزلَ عليهم يأمُر بالإيمانِ بالنَّبيِّ ﷺ، وفي كتابهم صِفتُهُ، ولكنَّهم تركُوا ذلك كلَّه، وزعمُوا أنَّهم إنَّما تَابَعُوا ما هو عندَهم مِن الكتاب، مع

أنَّ الحقيقةَ أنَّهم قَدْ تركُوا الكتاب وخالفُوه حينَ أبَوا أنْ يَقْبَلُوا رسالة مُحمَّد بن عبد الله ﷺ الَّذي هو موصوفٌ عندهم بـ: «رسول الأُمِّيِّين».

❁❁❁

(٦٩) الزِّيادة في العبادة

التَّاسعة والستُّون: الزِّيَادَةُ في العِبَادَةِ؛ كَفِعْلِهِمْ يومَ عَاشُوراءَ.

التعليق:

الزِّيادة في العبادة حتَّىٰ يوهمُوا النَّاس بأنَّهم علىٰ حقٍّ، وعندهم عبادةٌ، فهم يَتشبَّثون بجزئيَّةٍ من الجزئيَّات، ويتركون الأسس والقواعد من الدِّين، وكتابُهم يأمرُهم بمُتابعة النَّبيِّ ﷺ الَّذي هو رسولُ الأُمِّيِّين، فتركُوا الأمر بذلك وخالفُوه، وأخذُوا بجزئيَّة صيام يوم عاشوراء؛ ليوهموا الآخرين بأنَّهم مُتمسِّكونَ بكُتُبهم، وكذَبُوا.

❁❁❁

(٧٠) نقصُهم من العبادة

السَّبعون: نَقْصُهُمْ منهَا، كَتَرْكِهِمْ الوُقوفَ بعَرَفاتٍ.

التعليق:

أي: نقصُهم مِمَّا أمرت به الشَّريعة الَّتي يزعمون أنَّهم عليها؛ كَتَرْكهم الوقوف بعرفات، حيث وقفوا بالمزدلفة، وقالوا: نحن الحُمس[(١)] أهل حَرَم الله، لا نتركه ونخرج منه، وعرفة خارج حدود الحَرَم، ومزدلفة داخل حدود الحَرَم، فزَعَموا أنَّهم علىٰ الدِّين الَّذي وَرِثُوهُ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وليس كذلك.

---

(١) الحمس: قريش ومن دَان بدينهم في الجاهلية، واحدهم أَحْمس؛ سمُّوا التحمسهم، أي: تشدّدهم في دينهم.

(٧١) تَرْكُهم الواجب ورعًا

الحادية والسَّبعون: تَرْكُهُمْ الوَاجِبَ وَرَعًا.

التعليق:

أي: كغلوِّهم في الإحداد، وفي النِّكاح أحدثوا أشياءَ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٥١٢): «وتَمامُ الورع: أَنْ يعلمَ الإنسانُ خيرَ الخيرَين، وشرَّ الشَّرَّين، ويعلمَ أنَّ الشَّريعةَ مبناها علىٰ تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلَّا فمَن لم يوازنْ ما في الفعل والتَّرك من المصلحة الشَّرعيَّة والمفسدة الشَّرعيَّة، فقد يدعُ واجباتٍ ويفعلُ محرَّماتٍ. ويرىٰ ذلك مِن الورع؛ كمَن يدعُ الجهادَ مع الأُمراءِ الظَّلَمةِ، ويرىٰ ذلك ورعًا، ويدعُ الجمُعة والجماعة خَلْف الأئمَّة الَّذين فيهم بدعة أو فجور، ويرىٰ ذلك مِن الورع، ويمتنعُ عن قَبول شهادةِ الصَّادقِ، وأخْذ عِلم العالم لما في صاحبه مِن بدعة خفيَّة، ويرىٰ تَرْك قَبول سَماع هذا الحقّ الذي يجبُ سماعُه مِن الورع».

❁ ❁ ❁

(٧٢) تَعبُّدهم بترك الطَّيِّبات مِن الرِّزق

الثَّانية والسَّبْعون: تَعبُّدُهمْ بترْكِ الطَّيِّباتِ مِن الرِّزْقِ.

❁ ❁ ❁

التَّعليق:

تَعبُّدهم بِتَرْك الطَّيِّبات مِن الرِّزقِ، وتَعبُّدُهم بِتَرْك الزِّينةِ هذا يشتملُ عليه حديث الثَّلاثة الَّذين جاؤوا إلىٰ بيت النَّبيِّ ﷺ "يَسْأَلُونَ عن عِبادَةِ النَّبيِّ ﷺ،

فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ.

وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا - وَاللهِ - إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

❁ ❁ ❁

(٧٣) تَعبُّدهم بترْك زينة الله

الثَّالثة والسَّبعون: تَعَبُّدُهُمْ بِتَرْكِ زِينَةِ اللهِ.

التعليق:

هذه والَّتي قبلَها قَدْ ردَّ اللهُ عليهم فيها بقولِه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

❁ ❁ ❁

(٧٤) دعوتهم النَّاس إلى الضَّلال بغير علمٍ

الرَّابعة والسَّبعون: دَعْوتُهم النَّاسَ إِلَىٰ الضَّلال بغيرِ عِلْمٍ.

التعليق:

يعني: كونُهم يدعون النَّاس إلىٰ الضَّلال وهم يحسبُون أنَّهم علىٰ الحقِّ،

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٠٦٣)، ومسلمٌ (١٤٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهذا كفعْل أهل الحِزْبيَّات؛ يعني: كلُّهم وإنْ اختلفُوا؛ بعضُهم يبيحُ هذا ويمنعُ هذا، لكنَّهم تَبَعٌ لمُؤسِّسيهم، وكدعوة أصحاب القُبُور، وما أشبَهَ ذلك.

❁ ❁ ❁

(٧٥) دعوتهم النَّاس إلى الكُفْر مع العلم

الخامسة والسَّبْعون: دَعْوَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلىٰ الكُفْر معَ العِلمِ.

التعليق:

يعني: مع أنَّهم يعلمون أنَّ دعوة النَّبيِّ ﷺ حقٌّ، ومع ذلك يدعون أصحابَهم إلىٰ الكُفْر، كما قال قومُ شعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

كونهم يقولون لنبيِّ الله شُعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: لنُخرجَنَّك يا شُعَيبُ والَّذين آمَنُوا مَعَكَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتعُودُنَّ في مِلَّتِنَا؛ يعني: تَرجعون معنا في دِينِنا.

❁ ❁ ❁

(٧٦) المكر الكُبَّار

السَّادسة والسَّبعون: المكرُ الكُبَّارُ؛ كَفِعْلِ قَومِ نُوحٍ.

التعليق:

قال الله: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح: ٢٢].

وما أكبر المكر الَّذي يعمله الآن أصحاب الحِزْبيَّات!

ومن مَكْرهم وكَيْدهم للحقِّ وأهل الحقِّ: كونهم يضعون أيديَهم في أيدي الرَّافضة، ويُوافقونهم علىٰ سَبِّ أصحاب النَّبيِّ ﷺ، ورَمْي أزواجه مِمَّا بَرَّأَهُنَّ

اللهُ منه، وبالأخصِّ عائشة الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها وعن أبيها.

❁❁❁

(٧٧) أنَّ أئمَّتهم إمَّا عالمٌ فاجرٌ، وإمَّا عابدٌ جاهلٌ

السَّابعة والسَّبعون: أَنَّ أَئِمَّتَهُمْ إِمَّا عَالِمٌ فَاجِرٌ، وَإِمَّا عَابِدٌ جَاهِلٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، **إِلَىٰ قَوْلِهِ:** ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٨].

التعليق:

قال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٨].

الأماني: أي: إلَّا قرأه مُجرَّد تلاوةٍ فقط، فهم يقتدون بمَنْ يسير على أهوائهم، سواء كان عالمًا فاجرًا، أو عابدًا جاهلًا، أو رجلًا يطلب المناصب ويُضحِّي بكلِّ شيءٍ في طريقها.

الواحد منهم يرىٰ الحقَّ واضحًا أمامه، ويتركه من أجل أن يَتوصَّل إلىٰ رئاسةٍ، كم سَيتمتَّع بها؟!

لو فرضنا أنَّك تَتمتَّع بها مئة عامٍ، أي شيءٍ يكون هذا في المستقبل الَّذي لا نهايةَ له.

❁❁❁

(٧٨) دعواهم: أنَّهم أولياءُ الله مِن دون النَّاس

الثَّامنة والسَّبعون: دَعْوَاهُمْ: أَنَّهُمْ أَوْلِياءُ اللهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ.

التعليق:

كما يقول المبتدعةُ: أنَّهم أولياءُ الله من دون أهل السُّنَّة، ويزعمون أنَّهم على حقٍّ، وأهل السُّنَّة على باطلٍ، وهذا كذبٌ، بل هم مُنافقون يخدعون النَّاس بفِعْل الفضائل، ويهدمون دينَهم بتركِ العقائدِ، وإنَّ بُغْضَ المُوحِّدين لهو أَعْظَمُ ضلالةٍ ارتكبُوها.

❁ ❁ ❁

(٧٩) دعواهم مَحبَّة الله مع تَرْكهم شرعه

التَّاسعة والسَّبعون: دَعْوَاهُمْ مَحبَّةَ الله معَ تَرْكِهم شَرْعَه؛ فطَالبَهم اللهُ بقَولِه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١].

التعليق:

حينما ادَّعوا مَحبَّة الله بلا دليل، عند ذلك ردَّ اللهُ عليهم، وشرَط عليهم شرْطًا يُبيِّنُ الدَّليل؛ فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

❁ ❁ ❁

(٨٠) تَمنِّيهم الأماني الكاذبة

الثَّمانون: تَمنِّيهِمْ الأَمَانِيَ الكاذِبَةَ؛ كقَولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

وقَولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ﴾ [البقرة: ١١١].

التعليق:

قولهم هذا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾، يقولون: أربعين يومًا

نصبرُ عليها، وبعدها نخرجُ منها، ويخلفنا مُحمَّدٌ وقومه، ولهذا قالُوا للنَّبيِّ ﷺ في بعض المواقف لمَّا سألهم: نكونُ فيها كذا وكذا، ثمَّ تخلفونا.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «اخْسَئُوا، واللهِ لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»(١).

فهذه فِرْيةٌ افتراها بعضُ عُلمائهم، فقال: إنَّ اليهود يُعذَّبون أربعين يومًا فقط، فهم اعْتَمَدوا علىٰ هذه الفِرْية؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

❁❁❁

(٨١) اتِّخاذ قبور أنبيائِهم وصالحيهم مساجد

الحادية والثَّمانون: اتِّخَاذُ قُبورِ أَنْبيائِهِم وصَالحيهِم مَسَاجِدَ.

التعليق:

وهذا لا يجوزُ، وقَدْ قال الرَّسولُ ﷺ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»، يُحذِّر ما صنعُوا، هكذا جاء في الحديث(٢)، فلعنهم النَّبيُّ ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩)، والحديث بتمامه: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لما فُتِحَتْ خَيبرُ أُهْدِيَتْ للنَّبيِّ ﷺ شاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟». قَالُوا: فُلَانٌ. فَقَالَ: «كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ». قَالُوا: صَدَقْتَ. قَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا. فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟». قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْسَئُوا فِيهَا، والله لا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟». فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ. قَالَ: «هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا؟». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟». قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ».

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة، وعبد الله بن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فالقبور لا يجوز أن تُتَّخذ مساجد، ولا يجوز أن تكون في مُصلَّيات النَّاس، ولا يجوزَ أن تُوضَع في قبلةِ النَّاس، ولا يجوز أن تُتَّخذ المساجد عليها أو حولها.

❁ ❁ ❁

(٨٢) اتِّخاذ آثار أنبيائهم مساجد

الثَّانية والثَّمانون: اتِّخاذُ آثَارِ أَنْبيائِهم مَسَاجِدَ، كَما ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ.

التَّعليق:

كذلك أيضًا اتِّخاذ آثار أنبيائهم مساجد، هذا من صفة أهل الكتاب.

وانتقل بطريق الوراثة إلىٰ المسلمين، وبالأخصّ الصُّوفيَّة؛ فإنَّهم - مثلًا - لو واحدٌ منهم رأىٰ فلانًا في مكانٍ كذَا! قالوا: هذه رؤيا حقّ، ويعملون فيه مسجدًا، ومن هذا القبيل.

❁ ❁ ❁

(٨٣) اتِّخاذ السُّرج على القبور

الثَّالثة والثَّمانون: اتِّخَاذُ السُّرُج عَلَىٰ القُبورِ.

التَّعليق:

وهذا ما نهىٰ عنه النَّبيُّ ﷺ قال: «وَلَا تَتَّخِذُوا عَلَيهَا السُّرُجَ»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) ورد معنىٰ هذا في حديث ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ولفظه: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» أخرجه أحمد (٢٠٣٠) و(٢٦٠٣) و(٢٩٨٤) و(٣١١٨)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والنسائي (٢٠٤٣)، والترمذي (٣٢٠) وحسَّنه. وضعَّفه غير واحد من أهل العلم؛ انظر: «البدر المنير» لابن الملقِّن (٢/ ٤٨٣ - ٤٨٦ الهجرة)، و«تحذير الساجد» (ص٥١ - ٥٢)، و«إرواء الغليل» (٧٦١)، و«السلسلة الضعيفة» (٢٢٥).

(٨٤) اتِّخاذ القبور أعيادًا

الرَّابعة والثَّمانون: اتِّخاذُهَا أَعْيَادًا.

التعليق:

أمَّا هذا فهو الشَّيءُ الكثيرُ؛ بأَنْ جعلُوا لكلِّ قبر عيدًا يأتُون إليه، ويَتطوَّفُون به، ويسألون صاحبه ما لا يُطلب إلَّا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كَشِفَاءِ المريضِ، وردِّ الضَّالَّة، وإعطاء الولد، ورفع العاهة، وما إلىٰ ذلك من الأمور.

❁ ❁ ❁

(٨٥) الذَّبْح عند القبور

الخامسة والثَّمانون: الذَّبْحُ عِندَ القُبورِ.

التعليق:

كذلك الذَّبح عند القُبور إراقة للدِّماء لمَنْ لا يخلُقها، والله خَلَق الدَّابَّة، وخلقَ الدَّمَ فيها؛ فإذا أُريق هذا الدَّم لغير خالقِه؛ فإنَّ هذا يكونُ شركًا أكبر مُخرِجًا مِن المِلَّة.

❁ ❁ ❁

(٨٦) التَّبرُّك بآثار المعظَّمين

السَّادسة والثَّمانون: التَّبَرُّكُ بِآثَار المُعظَّمِين؛ كَدَارِ النَّدْوة، وافْتِخَار مَنْ كانَت تحتَ يَدِه بذَلِكَ، كَما قِيل لحَكِيم بنِ حِزام: بِعْتَ مَكْرُمَةَ قُرَيش. فقَالَ: ذَهَبَتِ المكَارمُ إلَّا التَّقْوَىٰ[١].

التعليق:

ما شاء الله، بعت مكرُمة قريش، قال: ذهبت المكارمُ إلَّا التَّقْوىٰ.

هؤلاء المُعظِّمون للآثار قالوا هذا القول؛ فردَّ عليهم: ذهبت المكارم إلَّا

(١) انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/ ٣٦٢ الجيل).

التَّقْوىٰ، إنَّ المكارم الجاهليَّة ذهبَتْ ولا خيرَ فيها، والافتخار بها أيضًا لا يجوزُ.

❁❁❁

(٨٧) الفخر بالأحساب

السَّابعة والثَّمانون: الفَخْرُ بالأَحْسَابِ.

التعليق:

الفخر بالأحساب: أنَّ الشَّخْص يفتخر بحَسَبِهِ ونَسَبِهِ، يقول: أنا فلانٌ ومِنْ آلِ فلانٍ، وهكذا، فالفخر بالأحساب الجاهليَّة الَّتي ليس لها شيءٌ من المفاخر الدِّينيَّة لا تنفعُ، بل المفاخر الدِّينيَّة هي الَّتي تنفعُ بإذْنِ اللهِ تعالىٰ.

ولهذا سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «**يُوسُفُ نَبِيُّ اللهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللهِ، ابنِ نَبِيِّ اللهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللهِ**»[(١)].

هذه هي المكارم، علمًا بأنَّ حتَّىٰ المكارم كأَنْ يكون الإنسان من أهل بيت أهل علمٍ أو جاهٍ أو ما أشبه ذلك، لو كانوا كذلك ما ينفع الوارث إلَّا أن يسلك مسلكهم، ويعمل عملهم.

فأقول: الافتخار بالأنساب لا ينفع، ولهذا جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «**لَيَنْتَهِينَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بآبَائِهِمْ، إنَّما هُمْ فَحْمُ جهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْونَ عَلَىٰ اللهِ مِن الجِعْلَانِ الَّتِي تُدَهْدِهُ الخرَاءَ بِأَنْفِهَا**[(٢)]»[(٣)]، أو كما قال ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٨٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) **الجعلان:** جمع الجُعَل، وهي دويبة سوداء تدير الغائط، يقال لها: الخنفساء. وقوله: «التي تدهده الخراء»، أي: تدحرجه. والمعنىٰ: أن أحد الأمرين واقع ألبتة؛ إما الانتهاء عن الافتخار، أو كونهم أذلَّ عند الله تعالىٰ من الجُعل الموصوفِ.

(٣) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥) وحسَّنه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه عند =



(٨٨) الطَّعْن في الأنساب

الثَّامنة والثَّمانون: الطَّعْنُ في الأَنْسَابِ.

التعليق:

الطَّعْن في الأنساب: هذه من طريقة أهل الجاهليَّة، فهم يطعنون في بعض القبائل، يقولون: فلانٌ إنَّما هو مِن قبيلة كذا، يعني: يطعنون فيه، وهذا لا يجوز، لا فضلَ لأبيض علىٰ أسود إلَّا بالتَّقْوىٰ، ولا لأحمرَ علىٰ أسودَ إلَّا بالتَّقْوىٰ.

❁❁❁

(٨٩) الاستسقاء بالأنواء

التَّاسعة والثَّمانون: الاسْتِسْقَاءُ بالأَنْوَاءِ.

التعليق:

الاستسقاء بالأنواء: يقولون: مُطِرْنَا بنوءِ كذا وكذا، المنزلة هذه جَادَتْ، والمنزلة الثَّانية لم تَجُدْ، وما أشبَهَ ذلك، هذا لا يجوزُ؛ لأنَّ فيه إسنادَ النِّعم إلىٰ غير الله، وهو مِن الشِّرْك الأصغر.

❁❁❁

(٩٠) النِّياحة

التِّسعون: النِّيَاحَةُ.

التعليق:

النِّياحة علىٰ المَيِّت تُعتبَر اعتراضًا علىٰ القَدَرِ، ولذلك جاء في الحديث عن

= الترمذي: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ». وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف أبي داود».

النَّبيُّ ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ، وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[١]. هكذا قال النَّبيُّ ﷺ كما في الحديث الَّذي أخرجه مسلمٌ.

لذلك كانت النِّياحةُ مذمومةً؛ لأنَّها اعتراضٌ علىٰ قَدَرِ الله عَزَّوَجَلَّ، لكن لو كان بكاءُ الإنسان بكاءً من الرَّحْمة، هذا ما فيه شيءٌ.

ولهذا النَّبيُّ ﷺ عندما ذهب إلىٰ ابنه وهو يَجُود بنفسه، ذرفت عيناه، وكان معه عبد الرَّحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْتَ تَنْهَىٰ عَنْ البُكَاءِ؟! قَالَ: «إِنِّي لَمْ أَنْهَ عَنْ دَمْعِ العَيْنِ وَخُشُوعِ القَلْبِ، وَلَكِنْ نُهِيتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ: صَوتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ، وَلَهْوٍ وَمِزْمَارٍ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ»[٢]، أو كما قال ﷺ؛ يعني بذلك: النِّياحة والغِنَاء.

❁❁❁

(٩١) أَنَّ أجلَّ فضائلهم البغي

الحادية والتِّسعون: أَنَّ أَجَلَّ فَضَائِلِهم البَغْيُ، فذَكَرَ اللهُ فيهِ مَا ذَكَرَ.

التعليق:

يعني: أنَّهم يَتمَدَّحون بالبغي، إذا كان واحدٌ منهم عنده جرأةٌ وشجاعةٌ، وبغىٰ علىٰ آخرين، وأَخَذ منهم ما أَخَذ، يجعلون هذا من فضائلهم، وهذا غلطٌ، الفضائل في الإسلام هي بالتَّقْوىٰ وبالمكارم الَّتي يكون فيها الدَّعْوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والدَّعوة إلىٰ دينه، والعمل بشريعته، والسَّير علىٰ نَهْجه.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤)، من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٦٢) (١٢١٢٤)، والترمذي (١٠٠٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح وضعيف الجامع» (٩٣٢٥).

(٩٢) أنَّ أجلَّ فضائلهم الفخر

الثَّانية والتِّسعون: أنَّ أجلَّ فَضَائِلِهِمْ الفَخْرُ، وَلَو بحَقٍّ، فنُهِيَ عنهُ.

التعليق:

يعني: أنَّ الافتخار حتَّىٰ ولو كان بالحقِّ؛ فإنَّه يكون منهيًّا عنه؛ لأنَّه إذا كان بالباطل فهو باطلٌ، وإنْ كان بحقٍّ، فإنَّه يدعُو الإنسانَ إلىٰ التَّرفُّع والاعتداد بعمله والافتخار به؛ فلذلك نُهيَ عنه مِن أجل هذا، ربَّما حبِطَ عملُه بسبَب الافتخار الَّذي حصَلَ منه وإن كان بحقٍّ.

❁❁❁

(٩٣) التعصُّب للطَّائفة على الحقِّ والباطل

الثَّالثة والتِّسعون: أنَّ تَعصُّبَ الإنْسَانِ لطائِفَتِه عَلَىٰ الحقِّ والبَاطِلِ أَمْرٌ لا بُدَّ منهُ عِنْدَهُم، فَذَكَرَ اللهُ فيه مَا ذكَر.

التعليق:

تَعصُّب الإنسان لطائفته ونُصرتهم -ولو كانوا مُبطلين- هذا لا يجوزُ، ولهذا جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَثَلُ الَّذي يَنْصُرُ قَومَهُ بالبَاطِلِ كَمَثَلِ الْبَعِيرِ يَتَرَدَّىٰ فَيَنْزِعُ بذَنْبِهِ**»[1]. ذنبه يَتقطَّع وهو مكانه ما يخرج.

فالَّذي ينبغي للمسلم أن تكون نصرتُهُ للحقِّ، وإنْ كان أخوك علىٰ حقٍّ انصره بالحقِّ، لكن إنْ رأيته علىٰ باطلٍ، فارْدَعْهُ.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٥٠) (٣٨٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٥) (٧٢٧٥)، بلفظ: «مَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَىٰ غَيْرِ الْحَقِّ كَمَثَلِ الْبَعِيرِ يَتَرَدَّىٰ؛ فَهُوَ يَمُدُّ بِذَنَبِهِ» من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٣٨٣).

ولهذا لمَّا قال الرَّسولُ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالمًا أَوْ مَظْلُومًا»، قال: هذا إذا كان مظلومًا أنصره، فكيف إذا كان ظالمًا؟ قال: «تَرْدَعُهُ عَنْ ظُلْمِهِ»[1]، أي: تمنعه عن ظلمه، هذا معنىٰ نصره.

والمُهِمُّ: أنَّ الافتخار حتَّىٰ ولو كان بالحقِّ، أو تَعصّب الإنسان لطائفته سواء بحقٍّ أو بباطلٍ، هذا كلُّه لا يجوز، إنَّما تجوز النُّصْرة بالحقِّ حتَّىٰ لو كان إنسانًا بعيدًا، ويكون معه الحقُّ، وقريبُك معه باطلٌ، انصر البعيدَ علىٰ قريبك، بأن تقول له: أنت مخطئٌ.

❁ ❁ ❁

(٩٤) أنَّ من دينهم: أَخْذَ الرَّجل بجريمة غيره

الرَّابعة والتِّسعون: أنَّ مِن دِينِهم: أَخْذَ الرَّجُل بجَريمَةِ غَيرِه، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

التعليق:

كان النَّاس في زمنِ الجاهليَّة إذا قُتِلَ رجلٌ (قتَله واحدٌ من قبيلةٍ أخرىٰ) يذهبون ويقتلون أيَّ واحدٍ من تلك القبيلة، لا سِيَّما إذا كان من الرُّؤوس، وهذا خطأٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قرّر بأنَّ أيَّ إنسانٍ لا يُؤخَذ إلَّا بجريرته، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨، ٣٩]. لا تحمل نفسٌ وِزْرَ غيرها، لا يجوز هذا، بل العدلُ والإنصافُ في شرائع الله كلِّها أنَّ كلَّ نفسٍ تؤخَذُ بجريرتِها ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٥٢)، ولفظه: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ».

أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ٣٣ - ٣٨].

الوليد بن المغيرة لمَّا قال لقومِه: لقَدْ سمعتُ مِن مُحمَّدٍ كلامًا ما هو مِن كلام الجنِّ، ولا من كلام الإنس، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه، مغدقٌ أسفله، وإنَّه ليحطم ما تحته.

قالوا: صبأ الوليد(١)، ذهب إليه ابن أخيه الفاجر الظَّالم أبو جهلٍ، ورأىٰ أنْ يستثيره بشيءٍ، وجلس إليه حزينًا، قال له: مَا لَكَ؟

قال: بلغني أنَّك ذهبت إلىٰ مُحمَّدٍ لتصيب من طعامه! قال: أنَّىٰ أريد أن أصيب من طعامه وأنا أكثركم مالًا؟ ثمَّ قال: بلغني أنَّك اتَّبعتَه، لابدَّ أن تقول فيه قولًا حتَّىٰ تعلم قريشٌ ذلك.

قال له: وزرك عليَّ.

معناه: أنَّه عرف الحقَّ ويريد أن يُحوِّله عنه.

فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٣، ٣٤].

الكُدْية: الحجر تكون في البئر، يحفرون وإذا وصلوا إلىٰ حجرٍ قالوا: أكدت، فأنزل الله فيه: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [النجم: ٣٣ - ٣٨].

ذهب به، وجَمَع له قريشًا، وأتىٰ يريد أن يَتكلَّم في مُحمَّدٍ ﷺ، وفيما جاء به، ما وجد شيئًا إلَّا أنَّه قطَّبَ وجهه وتكلَّم، وقال: إنَّه ساحرٌ، أقرب ما نقول فيه: إنَّه ساحرٌ، أَلَمْ تَرَوْا أنَّه يُفرِّق بين الرَّجل وولده، وبين الرَّجل وزوجته؟! وأنزل الله

---

(١) أي: ترك دينه، ودخل في دين غيره.

به هذه الآيات المُتقدِّمة، وأنزل الآيات أيضًا الَّتي في سورة (المدَّثر): ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ١١ - ٢٨].

❁ ❁ ❁

(٩٥) تعيير الرَّجل بما في غيره

الخامسة والتِّسعون: تَعييرُ الرَّجُل بما في غَيرِه، فقَالَ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ».

التعليق:

حينما حصل بين بلالٍ وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما شيءٌ من الخلاف، قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: لأعرضنَّ العصا بأنفك يابن السَّوداء. فقال له ﷺ: **«أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»**[١].

فالسَّوَاد والبياض ليس بكرمٍ، وإنَّما الكرم التَّقْوىٰ. والكرم العلم الشَّرعيُّ والعمل به، والدَّعوة إليه، إنَّ الله يرفع بهذا الدِّين أقوامًا، ويضع به آخرين.

ولمَّا جلس أبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهلٍ، وصفوان بن أُميَّة، جلسوا في باب عمر، ومعهم صهيب، وفلان وفلان من الموالي؛ إذًا، فَأَذِنَ عمر في الموالي قبلهم، فقال لهم سهيلٌ: لا تغضبوا، هذا ما نعلتم بأنفسكم، دُعيَ القوم فَتقدَّموا، ودُعِيتُم فتأخَّرتم[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣١٨) (٥٢٢٧)، عن الحسن رضي الله عنه.

(٩٦) الافتخار بولاية البيت

السَّادسة والتِّسعون: الافْتِخَارُ بولَايَةِ البَيْتِ، فَذَمَّهُمُ اللهُ بقَوْلِهِ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧].

التعليق:

يعني: كونهم يفتخرون بولاية البيت، وهم يعبدُون غيرَ الله، هذا لا ينفعهم؛ لأنَّ الافتخار مع أنَّ المفتخر يفتخر بباطلٍ، وإلَّا في الحقيقة الولاية علىٰ البيت تكون للموحِّدين، وليس لمَنْ يعبدُون الأوثانَ، ويضعُون فيه الأوثان.

❁ ❁ ❁

(٩٧) الافتخارُ بكونهم ذُرِّيَّة الأنبياء

السَّابعة والتِّسعون: الافْتِخَارُ بكَونِهم ذُرِّيَّةَ الأَنْبِياءِ، فَأَتَىٰ اللهُ بقَولِهِ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

❁ ❁ ❁

التَّعليق:

الافتخار بكونهم ذرِّيَّة الأنبياء، هذا يكون فيه الفخر لو كانوا علىٰ طريقةِ هؤلاء الأنبياء وماشين علىٰ طريقهم، لكن إذا كان الإنسانُ مخالفًا لطريقةِ آبائه الَّذين يفتخرُ بهم فلا ينفعه ذلك، كيف كان يوسفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ أثنىٰ عليه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «الكَريم ابْن الكَرِيم ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ»[1].

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الفخر يكون بحقٍّ، إذا كان المفتخر علىٰ طريقة مَنِ افْتَخر

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٠)، من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

...من أهل الحقِّ، والأفضل له ألَّا يَفْتخرَ، بل يجب أن يتواضع.

❁❁❁

(٩٨) الافتخار بالصَّنائع

الثَّامنة والتِّسعون: الافْتِخَارُ بالصَّنائِعِ؛ كَفِعْلِ أَهل الرِّحْلتَينِ عَلَىٰ أَهْلِ الحَرْثِ.

التعليق:

يعني: أهل الرِّحلتين: رحلة الشِّتاء والصَّيف، كما قال تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: ١ - ٣].

لمَّا كان البيت ما فيه زراعةٌ، لذلك وفَّقهم اللهُ لاكتساب معيشَتِهم وأقواتِهم من هذه التِّجارةِ، فهم يرتحلون إلىٰ اليمن في وقت الشِّتاء، ويرتحلون إلىٰ الشَّام في وقت الصَّيف؛ لأنَّ الشَّام في وقت الشِّتاء يكون شديدَ البُرودةِ.

❁❁❁

(٩٩) عظمة الدُّنيا في قلوبهم

التَّاسعة والتِّسعون: عَظَمَةُ الدُّنْيَا في قُلُوبهم؛ كَقَولهم: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف: ٣١].

التعليق:

يقصدون بالعظمة: أصحاب الثَّراء، وأصحاب الجاه، وما أشبه ذلك، وهم بفهمهم هذا مساكين؛ أي: الافتخار بعظمة الدُّنيا.

❁❁❁

(١٠٠) التَّحكُّم على الله

المئة: التَّحَكُّمُ عَلَىٰ اللهِ كَمَا فِي الآيَةِ.

التعليق:

يعني: كونهم يَرَوْن أنَّ الَّذي يستحقُّ إنزالَ القُرآن، وإنزالَ الرِّسالة عليه واحدٌ يكون من الوُجهاء وعنده مالٌ، أمَّا الرَّسولُ ﷺ وإنْ كان مِن أهل الشَّرَف لكن ما عنده مالٌ، كان فقيرًا، فقال: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، يعنون عتبة بن ربيعة أو فلانًا من ثقيفٍ، والقريتان: هما مكَّة والطَّائف.

❁ ❁ ❁

(١٠١) ازدراء الفقراء

الحادية بعد المئة: ازْدِرَاءُ الفُقَرَاءِ، فَأَتَاهُم بقَولِهِ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢].

التعليق:

ازدراءُ الفقراء، والدَّليلُ علىٰ ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالىٰ في سورة (الكهف): ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

ومِن الأدلَّة علىٰ بُطلان ما عليه أهلُ الجاهليَّة، وأنَّ الدِّينَ بخلافِ ذلك: معاتبةُ الله لنبيِّه ﷺ في سُورة (عبس) بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا

يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ - ١٠].

وكان الرَّسول ﷺ مهتمًّا بجماعةٍ من أشراف قريش، يرىٰ أنَّ دخولهم في الإسلام فيه مصلحةٌ للإسلام، وأنَّ بإسلامهم سيدخل في الإسلام أقوامٌ معهم، فعاتبه ربُّه في ذلك، فسبحان مَنْ هو بصيرٌ بمواقع الخير.

لذلك فقَدْ كان النَّبيُّ ﷺ إذا جاءه الأعمىٰ يقول: «**مَرْحَبًا بمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي**»[1].

فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ ما كان عليه أهل الجاهليَّة من ازدراء الضَّعَفَة باطلٌ، وفي الحديث أو الأثر: «**إِنَّما تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بضُعَفَائِكُمْ**»[2].

❁ ❁ ❁

(١٠٢) رَمْيُهم أتباعَ الرُّسُل بعدم الإخلاص وطلب الدُّنيا

الثَّانية بعد المئة: رَمْيُهُمْ أَتْبَاعَ الرُّسُل بعَدَمِ الإخْلَاص وَطَلَب الدُّنْيَا، فَأَجَابَهُمْ بقَولِهِ: ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٥٢]. الآية وَأَمْثَالها.

التعليق:

أي: أنَّ أصحابَ الجاهليَّات يَرْمون أتباع الرُّسُل بما هم منه براءٌ، منهم مَنْ يرميهم بعدم الإخلاص وطلب الدُّنيا؛ لأنَّ مِن عادةِ أهل الجاهليَّات أَنْ يرمُوا الخصمَ بما ليسَ فيه.

وقَدْ رأينا من هذا شيئًا كثيرًا؛ فمثلًا أصحاب الحِزْبيَّات الآن يدَّعون علىٰ السَّلفيِّين أنَّهم أتَوا بالتَّفْريق، وما جاء بالتَّفْريق إلَّا أصحاب الحِزْبيَّات.

---

(١) ذكره الألبانيُّ في «الضَّعيفة» (٣/ ٦٣٥)، وقال: «لا أعلم لهذا الحديث أصلًا يُمكنُ الاعتماد عليه».

(٢) أخرجه البخاريُّ (٢٨٩٦)، من حديث سعدٍ رضي الله عنه.

(١٠٣) الكفر بالملائكة

الثَّالثة بعد المئة: الكُفْرُ بالملائِكَةِ.

(١٠٤) الكفر بالرُّسُل

الرَّابعة بعد المئة: الكُفْرُ بالرُّسُلِ.

(١٠٥) الكفر بالكُتُب

الخامسة بعد المئة: الكُفْرُ بالكُتُبِ.

التعليق:

هذه الثَّلاث مترابطةٌ؛ إذ إنَّهم إذا كفرُوا بالملائكة، كفرُوا بالرُّسُل، وكفرُوا بالكُتُب، وإذا كفرُوا بالكُتُب والرُّسُل، كفرُوا بالملائكة، علمًا بأنَّ الكثير مِن الكُفَّار الَّذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يُؤمنون بوجودِ الملائكة، ويقولون: إنَّهم بنات الله، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

فلعلَّ إنكار الملائكة عند بعضهم، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩].

أمَّا إنكار الرُّسُل، فالدَّليل عليه: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

وأمَّا الكفر بالكُتُب، فالدَّليلُ عليه قولهم لرسول الله ﷺ، لمَّا تلا عليهم القرآن: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١].

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].

(١٠٦) الإعراض عمًّا جاء عن الله

السَّادسة بعد المئة: الإعراضُ عمَّا جاءَ عَنِ اللهِ.

التعليق:

الدَّليل علىٰ ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٣ – ٥].

❁ ❁ ❁

(١٠٧) الكفر باليوم الآخر

السَّابعة بعد المئة: الكُفْرُ بالْيَوم الآخِرِ.

التعليق:

والدَّليلُ علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

❁ ❁ ❁

(١٠٨) التَّكْذيب بلقاء الله

الثَّامنة بعد المئة: التَّكْذِيبُ بِلِقَاءِ اللهِ.

التعليق:

التَّكذيبُ بلقاءِ الله، وذلك بتكذيبهم بالبعثِ بعْدَ الموتِ؛ كما في الآية الَّتي أَشَرْنَا إليها سابقًا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

❁ ❁ ❁

(١٠٩) التَّكْذيب ببعض ما أخبرتْ به الرُّسُل عن اليوم الآخر

التَّاسعة بعد المئة: التَّكْذيبُ ببَعْضِ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَنْ اليَوم الآخِر، كما في قَوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ [الكهف: ١٠٥].

ومِنْهَا التَّكْذيبُ بقَولِه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

وقوله: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

التعليق:

التَّكْذيبُ ببعض ما أخبرَتْ به الرُّسُل، أي: عن اليوم الآخر كما في الآيات الَّتي ساقها المُؤلِّف ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾.

❁❁❁

(١١٠) قتْل الَّذين يأمرون بالقسط من النَّاس

العاشرة بعد المئة: قَتْلُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِن النَّاسِ.

التعليق:

قتْل الَّذين يأمرون بالقِسط من النَّاس، أي: أنَّهم يقتلون الأنبياء، ويقتلون الَّذين يَأْمُرون بالقِسط مِن النَّاس، ولهذا توعَّدهم الله كما في سورة آل عمران، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢]، والعياذُ بالله.

(١١١) الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت

الحادية عشرة بعد المئة: الإِيمَانُ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ.

التعليق:

الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت هذا مِن خصالِ أهل الجاهليَّة.

❁ ❁ ❁

(١١٢) تفضيل دين المشركين على دين المسلمين

الثَّانية عشرة بعد المئة: تَفْضِيلُ دِينِ المشْرِكِينَ عَلَىٰ دِينِ المسلِمِينَ.

التَّعليق:

أي: أنَّ أهلَ الجاهليَّة يُفضِّلون دينَ المشركين المبنيَّ علىٰ الخُرافة والكذب والتَّلبيس علىٰ دين الإسلام الَّذي هو التَّوحيد.

❁ ❁ ❁

(١١٣) لبس الحقِّ بالباطل

الثَّالثة عشرة بعد المئة: لبْسُ الحقِّ بالبَاطِلِ.

التعليق:

كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

❁ ❁ ❁



(١١٤) كتمان الحقِّ مع العلم به

الرَّابعة عشرة بعد المئة: كِتْمَانُ الحَقِّ مَعَ العِلْمِ بِهِ.

التَّعليق:

الدَّليلُ عليه الآية الَّتي مرَّت في الفقرة قبلها في قوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

❁ ❁ ❁

(١١٥) القول على الله بلا علمٍ

الخامسة عشرة بعد المئة: قاعدةُ الضَّلالِ، وَهِيَ: القَوْلُ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ.

التعليق:

أي: أنَّ القولَ علىٰ الله بلا علمٍ هو قاعدةُ أهل الجهل والضَّلال، فهم يُرسلون الكلامَ بدون أَدِلَّةٍ، وإنَّما هو بالتَّخمين، وما تهيَّأ لهم في عقولهم مِمَّا يُزيِّنه لهم الشَّيْطانُ.

❁ ❁ ❁

(١١٦) التَّناقض الواضح لمَّا كذبوا بالحقِّ

السَّادسة عشرة بعد المئة: التَّنَاقُضُ الوَاضِحُ لمَّا كَذَّبُوا بالحَقِّ، كَما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق: ٥].

التعليق:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾؛ أي: أنَّهم لمَّا كذَّبوا بالحقِّ حصل عندهم الاضطراب والتَّناقض وعدم الثَّبات، لهذا وصف أمرهم بأنَّه مريجٌ؛ أي: غير ثابتٍ، بل هو متزلزلٌ ومتناقضٌ.

❁ ❁ ❁

(١١٧) الإيمان ببعض المُنَزَّل دون بعضٍ

السَّابعة عشرة بعد المئة: الإيمانُ ببَعْض المُنَزَّل دُونَ بَعْضٍ.

التعليق:

الإيمان ببعض المُنَزَّل دون بعضٍ، يؤمنون بما وافق أهواءهم، ويكفرون بما عدا ذلك.

ما وافق أهواءهم آمنوا به، وما عدا ذلك فإنَّهم يردُّونه.

❁ ❁ ❁

(١١٨) التَّفريق بين الرُّسُل

الثَّامنة عشرة بعد المئة: التَّفْريقُ بَينَ الرُّسُلِ.

التَّعليق:

كونهم يؤمنون ببعض الرُّسُل ويكفرون ببعضٍ مع أنَّ الإيمانَ بالرُّسُل يقتضي الإيمان بهم جميعًا، فمَنْ آمَن بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يجب عليه أن يؤمن بمحمدٍ ﷺ، وهكذا مَنْ آمن بعيسىٰ وموسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أنَّهم أنبياء يجب أن يؤمن بِمُحمَّدٍ، صَلَّىٰ الله وَسلَّم عليهم جميعًا.

❁ ❁ ❁

(١١٩) مخاصمتهم فيما ليس لهم به علمٌ

التَّاسعة عشرة بعد المئة: مُخَاصَمَتُهُمْ فيمَا لَيْسَ لهُمْ بِهِ عِلْمٌ.

التعليق:

مخاصمتهم فيما ليس لهم به علمٌ، حيث إنَّهم يقولون أشياء لا دليل لهم عليها؛ كزعمهم أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يهوديًّا أو نصرانيًّا، اليهود يقولون: كان

يهوديًّا، والنَّصارىٰ يقولون: إنَّه كان نصرانيًّا، مع أنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة كلّها ما جاءت إلَّا من بعده، ولا أُرسِلَ أولئك الرُّسُل إلَّا من بعده، فهم ذُرِّيَّته.

❁ ❁ ❁

(١٢٠) دعواهم اتِّباع السَّلَف مع التَّصريح بمخالفتهم

العشرون بعد المئة: دَعْوَاهُمْ اتِّبَاعَ السَّلَفِ مَعَ التَّصْرِيحِ بِمُخَالَفَتِهِمْ.

التعليق:

دعواهم اتِّباع السَّلَف مع التَّصريح بمخالفتهم، يعني مثلًا كاليهود يَدَّعون أنَّهم أتباع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وليسوا كذلك، بل هم مخالفون له.

❁ ❁ ❁

(١٢١) صَدُّهم عن سبيل الله مَنْ آمن به

الحادية والعشرون بعد المئة: صَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ.

التعليق:

صَدُّهم عن سبيل الله مَنْ آمن به، حيث جلسوا للنَّاس بالمرصاد يُثبِّطون عن الإيمان بالرَّسول ﷺ، ويكذبون في سبيل ذلك من أجل أن يصرفوا النَّاس عن الإيمان.

❁ ❁ ❁

(١٢٢) مَودَّتهم الكفر والكافرين

الثَّانية والعشرون بعد المئة: مَودَّتُهم الكُفْرَ وَالكَافِرِينَ.

التعليق:

مثلًا: «ذهاب اليهود إلىٰ قريشٍ، وزعمهم لمَّا سألتهم قريشٌ، فقالوا لهم: هل نحن خيرٌ أَمْ مُحمَّدٌ؟ قالوا: ما أنتم وما مُحمَّدٌ؟ قالوا: ننحر الكوماء[١]،

(١) الكوماء: الناقة المرتفعة السنام. انظر: «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٣٨٩).

ونسقي الحجيج، ونفعل ونفعل، ومُحمَّدٌ صنبور[١]، قطع أرحامنا، وسفَّه أحلامنا، وضلَّل آباءنا.

فقالوا: أنتم خيرٌ من مُحمَّدٍ، فأنزل الله الآية في سورة النِّساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١]»[٢].

❁ ❁ ❁

(١٢٣)، (١٢٤)، (١٢٥)، (١٢٦)، (١٢٧)، (١٢٨)

العيافة، والطَّرْق، والطِّيَرة، والكهانة، والتَّحاكم إلى الطَّاغوت، وكراهة التَّزويج بين العبدين

الثَّالثة والعشرون بعد المئة، والرَّابعة، والخامسة، والسَّادسة، والسَّابعة، والثَّامنة والعشرون بعد المئة: **العِيافَةُ، وَالطَّرْقُ، والطِّيَرَةُ، والكِهَانَةُ، والتَّحَاكُمُ إلىٰ الطَّاغوتِ، وكَرَاهَةُ التَّزويج بينَ العَبْدَينِ، واللهُ أعلمُ.**

وصَلَّىٰ اللهُ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبِه وَسلَّمَ.

التعليق:

يعني: أنَّ هذه الأمور من أمور الجاهليَّة.

العِيافة: هي التَّشَاؤم بالطُّيور، أو التَّفاؤل بها.

---

(١) الصنبور: الأبتر الذي لا عقب له. انظر: «النهاية» (٣/ ٥٥).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٧٤) عن عكرمة ﷺ قال: «جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلىٰ أهل مكَّة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنَّا وعن محمَّد! فقالوا: ما أنتم وما محمَّد؟ فقالوا: نحن نصلُ الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء علىٰ اللبن، ونفك العُناة، ونسقي الحجيج، ومحمَّد صنبور؛ قطع أرحامنا، واتَّبعه سُرَّاق الحجيج بنو غفار، فنحن خير أو هو؟ قالوا: أنتم خيرٌ وأهدَىٰ سبيلًا... ».

الطَّرْق: هو ضَرْب الرَّمل، الخطُّ الَّذي قال النَّبيُّ ﷺ عنه[(١)]، أي: الطَّرْق بالحصىٰ، كان في السَّابق[(٢)] هنا بعض العجائز عندها سبع حباتٍ من البُنِّ، وتكشح[(٣)] عن الغائب.

الطِّيَرة: يعني التَّطيُّر والتَّشاؤم بالأشياء، والكهانة، والتَّحاكم إلىٰ الطَّاغوت، هذه كلُّها من أمور الجاهليَّة.

---

(١) يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الحديث الذي أخرجه مسلم (٥٣٧) عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «... ومنا رجال يخطون! قال: «**كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ؛ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ**».

وأصل الخط: ضرب من التكهن بأن يأتي صاحب الحاجة إلىٰ المُنَجِّمِ فيعْطيه شيئًا من مال ونحوه، فيخطُّ له في أرض رخوة خطوطًا كثيرة بالعَجَلة لئلا يَلْحَقَها العَدَدُ، فيمحو منها خطَّين خطَّين، فإن بقي خَطان فهما علامة النَّجاح، وإن بقي خطٌّ واحدٌ فهو علامة الخَيْبة.

قال الإمام النَّوويُّ في شرحه علىٰ مسلم (٥/ ٢٣): «قال: «**كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عليهم السَّلام يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ**» اختلف العلماء في معناه: فالصحيح أن معناه: مَن وافق خطه فهو مباح له، ولكن لا طريق لنا إلىٰ العلم اليقيني بالموافقة؛ فلا يباح، والمقصود: أنه حرام؛ لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وإنما قال النبي ﷺ فيمن وافق خطه فذاك، ولم يقل: هو حرام بغير تعليق علىٰ الموافقة؛ لئلا يتوهَّم متوهِّم أنَّ هذا النَّهيَ يدخلُ فيه ذاك النَّبيُّ الذي كان يخطُّ، فحافظ النبي ﷺ علىٰ حُرمة ذاك النَّبي مع بيان الحُكم في حقِّنا، فالمعنىٰ: أنَّ ذلك النَّبيَّ لا منع في حقِّه، وكذا لو علمتم موافقته ولكن لا علم لكم بها.

وقال الخطابيُّ: «هذا الحديث يحتمل النَّهي عن هذا الخطِّ إذا كان علمًا لنبوة ذاك النَّبيِّ وقد انقطعت؛ فنهينا عن تعاطي ذلك». وقال القاضي عياض: «المختار: أن معناه أن من وافق خطَّه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول، لا أنَّه أباح ذلك لفاعله». قال: «ويحتمل أنَّ هذا نُسخ في شرعنا». فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق علىٰ النهي عنه الآن».

(٢) أي: في منطقة جازان، جنوب المملكة العربية السعودية.

(٣) هي التي تتَّخذ لها سبع حبَّات من البن، فيأتيها الواحد فيقول لها: اكشحي عن ضالتي - مثلًا - أو عن غائبي. فتنظر في هذه الحبَّات فتقول له: ضالَّتك في المكان الفُلاني، وغائبُك في مكان كذا وكذا، فإذا كانت حبَّة البن منبطحةً فهو كذا وكذا، وإن كانتْ علىٰ شكْل كذا فهو كذا وكذا. قاله الشَّيخُ أحمدُ النَّجميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

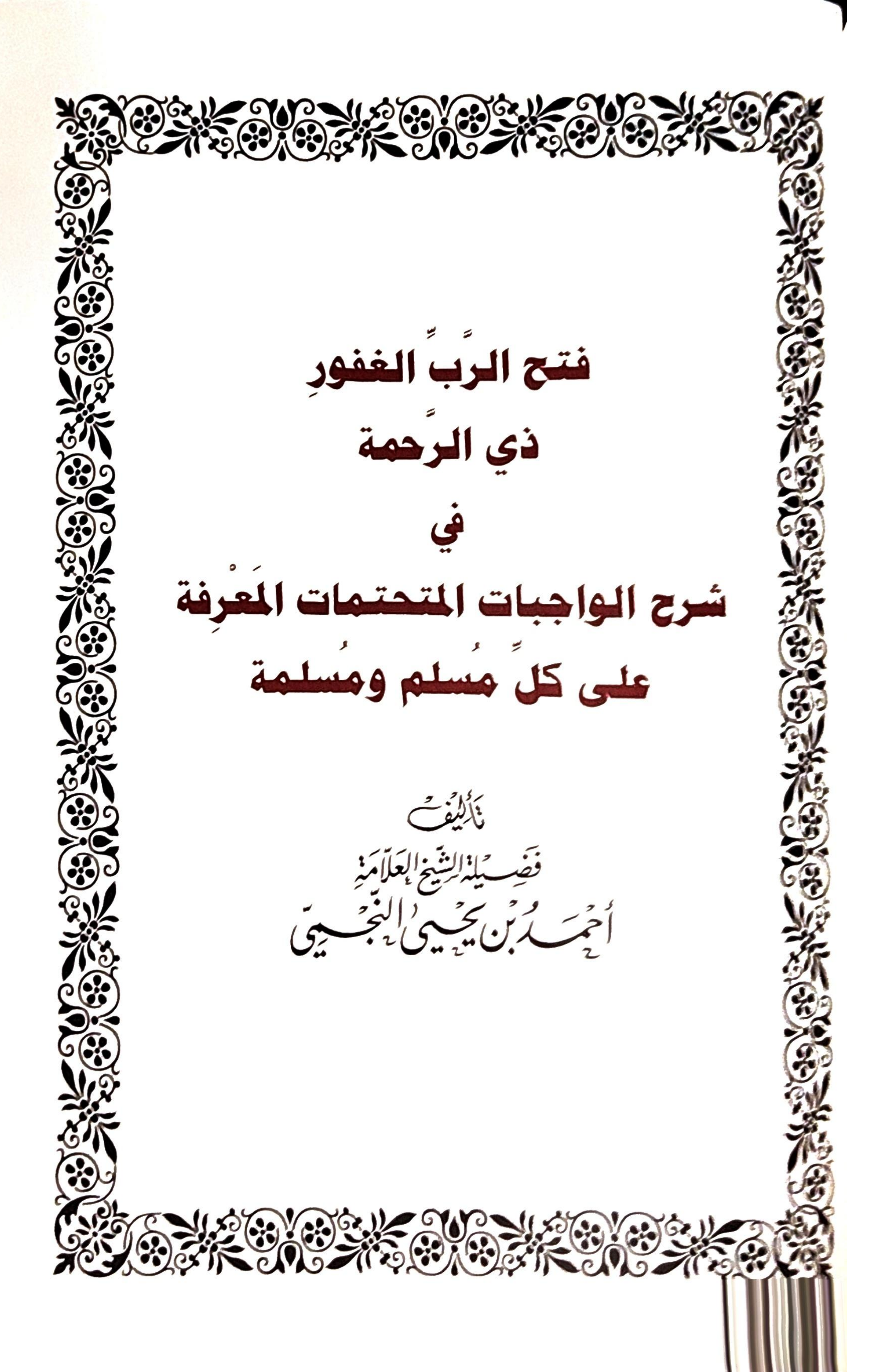
وكراهة التَّزويج بين العبدين[1]، لعلَّ المراد ما كان عليه أهل الجاهليَّة من جَعْل الإماء تزني بأجرٍ، ولذلك كانوا لا يُزوِّجونها ويمنعون ذلك الزَّواج، يعني: لا يريدون تزويجها من أجل أن تدرَّ عليهم المال بأن تزني، وتأتي لهم بأُجرتها، والعياذ بالله.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].

وصَلَّىٰ الله وَسلَّم علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه.



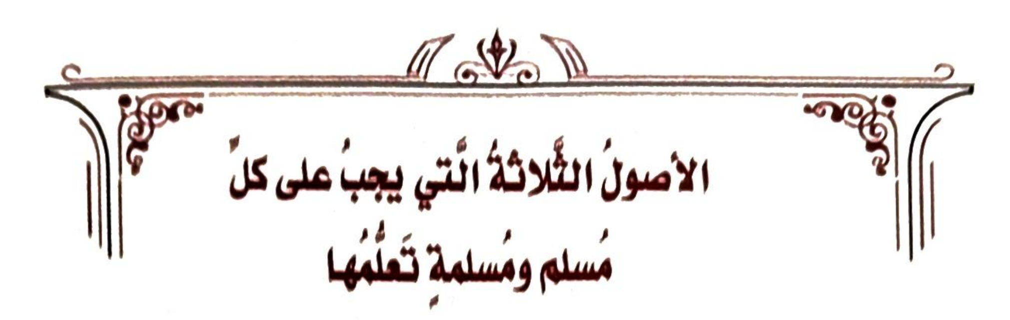
(١) في بعض النُّسخ «بين العبدَين» بالياء، وهي هكذا في شرح شيخنا صالح الفوزان حفظه الله، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، تمَّ الانتهاءُ مِن تبييض هذا الشَّرح المبارك مع التَّعليق عليه صبيحةَ يوم الخميس (١٦/ ٤/ ١٤٢٨هـ) في مدينة الرِّياض - حرَسها الله - أبو عبد الله علي بن رسلان حنش النّعمانيّ.



فتح الرَّبِّ الغفورِ
ذي الرَّحمة
في
شرح الواجباتِ المتحتمات المَعْرِفة
على كلِّ مُسلم ومُسلمة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



الأصولُ الثَّلاثةُ الَّتي يجبُ على كلِّ مُسلم ومُسلمةٍ تعلُّمُها

وهي: معرفةُ العبدِ ربَّه ودِينَه ونَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ:

فإنْ قيل لك: مَنْ ربُّك؟ فقل: ربِّيَ الله الَّذي رَبَّاني ورَبَّىٰ جميع العالمين بنعمتِهِ، وهو مَعْبودي، ليس لي معبودٌ سواه.

وإذا قيل لك: ما دينُك؟ فقُلْ: دِيني الإسلامُ، وهو الاستسلامُ للهِ بالتَّوْحيدِ والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة من الشِّرْك وأهلِهِ.

وإذا قيل لك: مَنْ نَبيُّك؟ فقل: مُحمَّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشم، وهاشم من قريشٍ، وقريشٌ من العرب، والعرب من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلىٰ نَبيِّنا أفضل الصَّلاة والتَّسْليم.

❁❁❁

الشرح:

قال المُصنِّف[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواجبات المتحتمات المَعْرِفة...؛ أي: الَّتي لا

(١) إنَّ الجامع لهذه الرسالة هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي وَفَّقه الله، وهو كما نحسبه طالب علم ببريدة، وسائرًا علىٰ طريقة السلف الصالح - بإذن الله - نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نُزكِّي علىٰ الله أحدًا.
وأحبُّ أن أنبِّه طلبةَ العلم النَّاشئين - وَفَّقهم الله - أنَّه غيرُ فضيلة الشَّيخ الدَّاعية السَّلفي المصلح: عبد الله بن محمَّد بن حمد القرعاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيخ شيخنا الشَّيخ أحمد النَّجمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشَّارح لهذه الرسالة، ولقد قام المصنِّف - وَفَّقه الله - بجمع متن هذه الرِّسالة المفيدة من كلام شيخ الإسلام - المصنف القائل =

يجوز لأحدٍ التَّهاونُ فيها أو التَّساهُل بتعلُّمِها.

وهي: معرفةُ العبدِ ربَّه ودينَه ونبيَّه مُحمَّدًا ﷺ.

فأمَّا معرفة العبد ربَّه: فهو أنْ يعرفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بآياتِه ومخلوقاتِه.

والآيات تنقسم إلى قسمين:

- آياتٌ شرعيَّةٌ قرآنيَّةٌ: وهي آياتُ القُرآن(١).

- آياتٌ كونيَّةٌ قَدَريَّةٌ: وهي الَّتي أشار إليها الله في قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فبعْد علْم العبد ومعرفتِه لربِّه عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّه بذلك تَحَتَّم علىٰ العبد توحيدُه لربِّه وإلهه الملك الحقِّ المبين بأداء واجب العبادة له وحدَه(٢) سبحانَه دونَ أحدٍ سواهُ؛ كائنًا مَنْ كان؛ لأنَّه هو الَّذي خلَقَك وربَّاك وربَّىٰ جميعَ العالمين بنعمِهِ، ولذلك فهو المعبود الحقُّ الَّذي ليس هناك معبودٌ بحقٍّ سواه، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

أمَّا معرفة الدِّين: وهو أن تعرف دينَ الإسلام بالأدلَّة، وهو الاستسلام لله

لها والجامع لها من كلام السلف، رحمهم الله، هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأحفاده رحمهم الله تعالىٰ أجمعين.

وهذه الواجبات جَمَعها الشيخ عبد الله من منثور كلامهم في كتبهم ورسائلهم - رحمهم الله - فالقول في هذا الشرح ينسبه شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ صاحب الكلام، لا إلىٰ جامعه، فلينتبه لذلك - وَفَّقكم الله.

(١) آيات القرآن الكريم التي يعلم بها العبدُ ربَّه ويعرفه، ويعرف بها العبدُ ما شرعه الله وأمر به فيعمل به، وذلك بها وبما أوحاه الله أيضًا علىٰ نبيِّه ﷺ من السُّنَّة الشَّارحة والمبيِّنة للآيات القرآنيَّة، فيعرفُ ويعلم العبد ما يحبُّه اللهُ ويرضاهُ بهذا القُرآن الكريم والوحي والنُّور الَّذي أرسل الله به رسولَه ﷺ وأوحاه عليه؛ فإنَّ العبادَ لا يعرفون ولا يعلمون ما يحبُّه اللهُ ويرضاهُ، وما يكرهُه ويأباهُ؛ إلَّا بإرساله تعالىٰ الرُّسل، وإنزاله الكتب.

(٢) يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

بتوحيده[1]، والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة والخلوص من الشِّرْك وأهله.

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، فالإيمان، فالإحسان، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ كما جاءت مُفصَّلةً في حديث سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان الَّذي رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه[2]، ورواه مسلمٌ وأبو داودَ والدَّارقطنيُّ عن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنه[3].

وأمَّا معرفة نبيِّك مُحمَّدٍ ﷺ: فهو عبد الله ورسوله، بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ ليدلَّ النَّاس علىٰ طاعة ربِّهم، ويُبيِّنَ لهم كيف يعبدونَه ولا يشركون به شيئًا.

وأمَّا نَسَبُه فهو مُحمَّد بنُ عبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشمٍ، وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ مِن العرب المستعربة[4]، والعربُ المستعربةُ من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلىٰ نَبيِّنا أفضل الصَّلاة وأتمُّ التَّسليم.

---

(١) أي: توحيد الرب الإله الحق ذي الأسماء الحُسنىٰ والصِّفات العليا بالعبادة الَّتي أمَر اللهُ بها؛ مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنها الدُّعاءُ والذَّبحُ لله والرَّغبة [والحبّ فيه]، والرّهبة [والخوف، والخشوع، والخشية منه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بالله، والنذر لله، وغير ذلك من العبادة التي شرعها الله ورسوله ﷺ]، وصرفها كلّها بأنواعها من عباداتٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ لله وحدَه لا شريكَ له؛ لأنَّ مَنْ صرَف شيئًا لغير الله فهو مُشركٌ كافرٌ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩ و١٠).

(٣) أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والدارقطني (٢٧٠٨).

(٤) العرب فيها: عرب (عاربة)، و(مُتعرِّبة)، و(مُستَعْرِبة).

فالعاربة: قبائل بادتْ ودرستْ آثارُهم، كعاد وثمود وطَسْم وجَدِيس، وهم العرب البائدة.

والمتعربة من العرب: بنو قحطان بن عابر، الذين نطقوا بلسان العاربة وسكنوا ديارَهم.

والمستعربة من العرب: أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصَّلاة والسَّلام. (المرجع: «المعجم الوسيط»).



أصل الدين وقاعدته

أصلُ الدِّين وقاعدته أمران:

الأوَّل: الأمرُ بعبادةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لهُ، وَالتَّحْريض علىٰ ذَلكَ، وَالمُوَالاةُ فِيهِ، وَتكفيرُ مَنْ تَرَكَهُ.

الثَّاني: الإنْذارُ عن الشِّرْك في عِبادَةِ اللهِ، والتَّغْليظُ في ذَلكَ، وَالمعَاداةُ فِيهِ، وتكْفِيرُ مَنْ فَعَلَه.

الشرح:

أمران، وهما:

الأوَّل: أن يخصَّ العبد الرَّبَّ وحدَه بالعبادة دون أي: أحدٍ سواه كائنًا مَنْ كان، وأنْ يدعوَ العبدُ إلىٰ توحيدِ ربِّه وإلهه إنْ أمكنَه ذلك، ويحبّ فيه، ويبغضَ فيه، ويوالي عليه، ويعادي عليه، فإنَّ الموالاةَ والمعاداةَ مِن أصولِ هذا الدِّين، فقدْ أخبر الله عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه تبرَّأ مِن قومه ومن معبوداتهم الَّتي يَعبدونها مِن دون الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

الثَّاني: الكفر بالطَّاغوت، بأنْ يُنْذِرَ ويُحَذِّرَ مِنَ الشِّرك بجميع صوَره في رُبوبيَّة الله وأُلوهيَّته، ومِن الشِّرك والإلحادِ في أسمائه وصفاتِه، والأصل في ذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فلا يصحُّ التَّوحيد إلَّا بالكُفر بالطَّاغوت، والبراءةِ مِن الشِّرْك وأهلِه.





شروطُ لا إله إلَّا اللهُ

الأوَّل: العلمُ بمعناها نفيًا وإثباتًا.

الثَّاني: اليقينُ، وهو: كمالُ العلم بها، المنافي للشَّكِّ والرَّيب.

الثَّالث: الإخلاص المنافي للشِّرْك.

الرَّابع: الصِّدْق المنافي للكذِب.

الخامس: المَحبَّة لهذه الكلمةِ، ولِمَا دَلَّتْ عليه، والسُّرُور بذلك.

السَّادس: الانقيادُ لحُقُوقها، وهي: الأعمالُ الواجبةُ، إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاتِه.

السَّابع: القَبُول المنافي للرَّدِّ.

الشرح:

معناها: لا مَعبودَ بحقٍّ إلَّا اللهُ.

رُكناها:

١- النَّفي في قولِه: «لَا إِلَهَ».

٢- والإثباتُ في قولِه: «إِلَّا اللهُ».

فـ «لا إله» نَفَت الأُلُوهيَّة عن كلِّ أحدٍ سواهُ، و«إلَّا الله» أثبتَتْ الأُلُوهيَّة لله وحدَه لا شريكَ لهُ.

شُرُوطها سبعةٌ:

الأوَّل: العلمُ بمعناها نفيًا وإثباتًا، فالنَّفيُ في جملة: «لَا إِلَهَ»، والإثبات في جملة: «إِلَّا اللهُ»، بحيث يعلم وجوب الكفر بكلِّ الآلهة سوى الله، ونفي العبوديَّة عنها، كما يجبُ أنْ يثبت ويفرد الله بالعبادة وحدَه لا شريك له، وضدُّ

العلم بها، الجهل بذلك.

الثَّاني: اليقينُ، وهو أنْ يكون المُتكلِّم بها مُتيقِّنًا أي: كاملَ العلم بها بقلبه، ومؤمنًا بها إيمانًا لا يعتريه ولا يَتطرَّق إليه شكٌّ ولا ريبٌ.

الثَّالث: الإخلاصُ المنافي للشِّرْك بأنْ يكون قائلُها مخلصًا عند نُطْقِه بها، قاصدًا بذلك وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنْ تَصْدُر منه جميعُ الأعمالِ خالصةً لله، دون أنْ تَشوبَها شائبةُ الشِّرك أو الرِّياء.

الرَّابع: الصِّدق المنافي للكذب المانع مِن النِّفاق بأنْ يكونَ صادقًا؛ إذْ إنَّ أقوامًا قَدْ قالوها وهم كاذبون في قولهم وشهاداتِهم، كما قال عزَّ مِن قائل سبحانه عنهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

الخامس: المحبَّة لهذه الكلمة، ولِمَا دلَّت عليه واقتضته والفرح بفضل الله عليه بها، والسُّرور برحمته له أَنْ وَفَّقه وهداه لهذا، (فما كُنَّا لنهتدي لولا أَنْ هدانا الله)، وتكون المحبَّة بأن يكون القائل لها محبًّا لها، عالمًا بأنَّها سبيل النَّجاة، وأنَّه لا نجاة لأحدٍ إلَّا بتحقيقها والاتِّصاف بها، وتعني كذلك مَحبَّة أهلها وبُغْض أعدائها.

السَّادس: الانقيادُ لله بحُقوقِها، وهي الأعمال الواجبة إخلاصًا لله، وطلبًا لمرضاته، وأنْ يَبذلَ في سبيلها كلَّ ما طُلِب منه، فهو يكفر بالطَّاغوت، ويُؤمن بالله، ويُؤدِّي الصَّلاة له، ويعطي الزَّكاة من ماله راضيًا بذلك، قاصدًا بذلك وجهَ الله، ويبذل نفسَه ومالَه إذا تطلَّب الأمر لذلك بالجهاد في سبيل الله، فهو يسمح بإزهاق نفسِه وسفكِ دمِه، إذا أراد ولزم الأمر لذلك، طالبًا من الله أن يؤتيَه النَّصرَ أو الشَّهادة، فيحيا حياةً خيرًا منها، وقَبِلَ بالتِّجارة مع الله، بأنْ يشتريَ اللهُ منه

نفسه وماله بأنَّ له الجنَّة.

السَّابع: القَبول المنافي للرَّدِّ بأنْ يقبلَها، قاصدًا بذلك رضا الله عَزَّوَجَلَّ وطامعًا أنْ يُثيبه بذلك وتكونَ سببًا لدخوله الجنَّة.

وأزيد شرطًا ثامنًا تجدر الحاجة إلىٰ ذِكْره في زماننا هذا بانتشار بعض الأوراد الصُّوفيَّة[1] الَّتي تُفرِّق وتَفْصِل بين جزءيها، فأقول: ويحسُن، بل ويجب ويَتحتَّم أن يوالي ويصل العبد المسلم بين جزءي «لا إله إلَّا الله» عند النُّطْق بها، فيتبع النَّفي بالإثبات مخالفة لمن يَفْصِل من أهل البدع والطُّرُق الصُّوفيَّة.

وأن يعتقد أنَّ مَنْ فصل النَّفي عن الإثبات فقَدْ جاء بقولٍ باطلٍ وهذا مقتضٍ للكفر؛ لأنَّ مَنْ قال: «لا إله، لا إله، لا إله، لا إله، لا إله...» وأخذ يُردِّد هذا الجزء وحده كثيرًا، فقَدْ قرَّر نفي أُلوهيَّة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ هذا فإنَّه إذا جاء بعد ذلك بجملة: «إلَّا الله» مفصولةً عن جملة النَّفي؛ فقوله باطلٌ، وعقيدتُهُ كُفْريَّةٌ؛ لأنَّ مَنْ قال: «لا إله» أربع مئة مَرَّة، وقال: «إلَّا الله» مئة مرة، أو أكثر من ذلك، أو أقل؛ فإنَّه قَدْ فصل النَّفي عن الإثبات قصدًا يوجب كُفْر قائله، ويُحتِّم عليه أنَّه قَدْ خرج من الإسلام، إذ إنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

فهذا كأنَّه يقول: إذا فَصَل وفرَّق بينهما: (علمت أنَّه لا إله)، ثمَّ هو يُكرِّر هذا الباطل والكفر كثيرًا نعوذ بالله من ذلك.

وأقول: لقَدْ أفسَدت الصُّوفيَّة الإسلام إفسادًا فظيعًا - والعياذ بالله - وخرَّبَتْهُ خرابًا مُدمرًا، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

---

(١) كما هو موجود عند فرقة التبليغ هداهم الله، والتي تعتبر من الطرق الصوفية العصرية.



أدلة هذه الشُروط

مِن كتاب الله تعالى ومن سُنة رسولِه ﷺ

دليلُ العِلْمِ: قَولُه تَعالَىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وَقَولُهُ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] أي: بـ «لا إله إلّا الله» ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] بقُلُوبِهم ما نَطَقُوا به بِأَلْسِنتِهِمْ.

ومن السُّنَّة: الحديثُ الثَّابتُ في الصَّحِيح عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الجَنَّةَ».

ودليلُ اليقين: قَولُه تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥] فَاشْتَرط في صِدْق إِيمَانِهِمْ باللهِ ورَسُولِهِ كونَهم لَمْ يَرْتَابُوا - أي: لَمْ يَشكُّوا - فأَمَّا المُرْتابُ فَهُوَ مِنَ المنافِقِينَ.

ومن السُّنَّة: الحديثُ الثَّابتُ في الصَّحِيح عَنْ أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللهَ بهمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»، وفي روايةٍ: «لا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبُ عَنِ الجَنَّةِ»، وعن أبي هُريرةَ أيضًا مِن حَديثٍ طَوِيلٍ: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيقِنًا بِهَا مِنْ قَلْبِهِ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ».

ودَلِيلُ الإخلاصِ: قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

ومِن السُّنَّة: الحديثُ الثَّابتُ في الصَّحِيح عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبيِّ ﷺ:

«أَسْعَدُ النَّاس بشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ مِنْ نَفْسِهِ»، وفي الصَّحيح عن عِتْبَانَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ عز وجل»، وللنَّسائيِّ في «اليوم واللَّيلة» مِنْ حديثِ رَجُلَين مِنَ الصَّحابةِ عَنْ النَّبيِّ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الملْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، مُخْلصًا بهَا مِنْ قَلْبِهِ، يُصَدِّقُ بهَا لِسَانُهُ إِلَّا فَتَقَ اللهُ لها السَّمَاء فَتْقًا، حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَحُقَّ لعَبْدٍ نَظَرَ إِلَيهِ اللهُ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ».

وَدَلِيلُ الصِّدْق: قولُهُ تعالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١، ٣] وقولُه تعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

ومن السُّنَّة: ما ثَبَتَ في «الصَّحيحَين» عَنْ مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه عَن النَّبيِّ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ».

وَدَلِيلُ المَحبَّة: قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن السُّنَّة: ما ثَبَت في الصَّحيح عن أَنَسٍ رضي الله عنه، قال: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحبُّه إلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ».

وَدَلِيلُ الانْقِيَادِ: ما دلَّ عليه قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٤] وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] وقوله: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] أي: بـ «لا إله إلَّا الله»، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

ومن السُّنَّة: قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبعًا لما جِئْتُ بِهِ»، وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

وَدَلِيلُ القَبُولِ: قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥] وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

ومن السُّنَّة: مَا ثَبَتَ في الصَّحيح عن أبي مُوسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ والعِلْم كَمَثَل الغيثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّة قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهِ النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائفة أُخْرَىٰ، إنَّما هِي

قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ ماءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَني اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذي أُرْسِلْتُ بِهِ».

الشرح:

دليل العلم: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

العلم شرطٌ في صِحَّة النُّطْق بها، أي بـ: «لَا إله إلَّا الله»، فمَنْ قال: «لا إلهَ إلَّا الله» وهو لا يعلمُ، بل رُبَّما قَدْ يقعُ فيما يناقضُ هذه الكلمةَ وهو لا يَدري؛ فإنَّه لا ينتفعُ إلَّا أنْ يكون عالمًا بمعناها مِن نفيٍ وإثباتٍ.

ومن الأدلَّة علىٰ ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]؛ أي: شهد بـ: «لا إله إلَّا الله»، وهم يعلمون معناها بقُلوبهم، وما نطقُوا به بألسنتِهم.

ومِن السُّنَّة: الحديث الثَّابت في الصَّحيح عن عُثمان رضي الله عنه قال: قال رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجنَّةَ»**(١)؛ أي: يعلمُ علْمَ اليقين أنَّ كلَّ مَألوهٍ سوىٰ الله فإنَّه قَدْ أُلِهَ وعُبِدَ بباطلٍ، وأنَّ اللهَ هو الإلهُ الحقُّ الَّذي تجبُ العبادة له وحدَه لا شريكَ له.

دليل اليقين: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]. لم يَشكُّوا في هذه الحقيقة، وهي شهادةُ أنْ «لا إلهَ إلَّا الله»، ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ الَّذين صَدَّقوا القولَ بالفعل.

فاشترط في تصديق إيمانِهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، والارتيابُ هو الشَّكُّ وضعفُ اليقين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦).

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث سؤال المَلكين منكر ونكير في القبر قوله: (فأمَّا المُرتاب) المنافق الشَّاكُّ؛ فإنَّه حين يُسْأل يقول: «هَا، هَا، لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيئًا فَقُلْتُهُ»[(١)]، والعياذُ بالله.

اللَّهمَّ املأ قلوبَنا إيمانًا ويقينًا، وامنحْنا عافيةً تحفظُ بها قلوبَنا من الزَّيغ حتَّىٰ نلقاك.

قولُه: ومن السُّنَّة، الحديثُ الثَّابت في الصَّحيح عن أبي هُريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيرَ شَاكٍّ فِيهِما إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»[(٢)].

وهذا قاله حينما كان هو وأصحابُه سائرين في غزوة تبوك، ونفدتْ أَزْوَادُهم[(٣)]، فاستأذنُوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينحرُوا بعضَ رواحِلِهم؛ فأذن لبعضهم، فجاء عمرُ إلىٰ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا رسول الله، إنَّك إنْ أذنتَ لهم في نَحْر رواحلهم قلَّ الظَّهْرُ، ولكن فليجمعوا ما عندهم من بقايا أزوادهم، ثمَّ ادعُ الله فيها بالبركة، ففعل النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان هذا يأتي بِبُرِّه، وهذا يأتي بتمره، حتَّىٰ اجتمع شيءٌ من ذلك؛ فدعا الله عَزَّ وَجَلَّ، وأمرَهم فجاؤوه، فملؤوا ما عندهم من أوانٍ حتَّىٰ فضلَتْ فضلةٌ، فعند ذلك قال: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِما عَبْدٌ غيرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (٧٨٩) واللفظ له، وأحمد (٤/ ٢٨٧)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١/ ٩٣ - ٩٨)، وغيرهم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألبانيُّ في «أحكام الجنائز» (ص١٥٩). وله شاهدٌ عند البخاريِّ (٨٦)، ومسلم (٩٠٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧).

(٣) جمع زاد، وهو ما عندهم من الطعام والماء، يَتَزَوَّدون به في سفرهم.

وفي روايةٍ: «... فيُحْجَب عَنْ الجَنَّةِ»(١).

وكذا ما جاء في الحديث الطَّويل الَّذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر فيه قوله ﷺ له: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيقِنًا بِها قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ»(٢).

وذلك حين أعطاه النَّبيُّ ﷺ نَعْليه، وأَمَره أن يبشِّر النَّاس، فبَشَّرهم.

وهذه الأحاديث رُبَّما ظنَّ بعض طَلَبة العلم أنَّ ذلك يكون دخولًا لأوَّل وَهْلَةٍ، والحقيقة أنَّ ذلك وعدٌ بدخول الجنَّة لمَنْ ماتَ علىٰ التَّوحيد، وقَدْ يكون ذلك بدون عذابٍ أو بعد عذابٍ.

فالمُوحِّد الَّذي يموت علىٰ التَّوْحيد، ويَلْقىٰ اللهَ ببعض الذُّنُوب؛ هو تحت المشيئة، إِنْ شاء اللهُ عفا عنه فأدخلَه الجنَّةَ بدون عذابٍ، وإِنْ شاء الله أدخلَه النَّارَ حتَّىٰ يُطهِّره ويُنقِّيه من ذنوبه، ثمَّ بعْدَ ذلك يُدخلُه الجنَّةَ.

فالإخبار بأنَّه يدخلُ الجنَّة، قَدْ يكون مِمَّنْ يدخلُها بلا حسابٍ ولا عذابٍ من أوَّل أمره، وقَدْ يكونُ هو إخبارٌ بمآلِ أمْره، أي: أنَّ مآلَه سيكون دُخوله إلىٰ الجنَّة؛ سواء كان ذلك بعد عذابٍ أو بدون عذابٍ، وبهذا تجتمع الأدلَّة.

دليل الإخلاص: قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣].

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

ومن السُّنَّة: الحديثُ الثَّابتُ عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ». أو قال: «... مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣١).

نَفْسِهِ»(١).

وفي الحديث الصَّحيح عن عِتْبان بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(٢).

وللنَّسائيِّ في «عمل اليوم واللَّيلة» من حديث رجلين من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، مُخْلِصًا بها قَلْبُهُ، يُصَدِّقُ بهَا لِسَانُهُ، إِلَّا فَتَقَ اللهُ لَهَا السَّمَاءَ فَتْقًا، حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَه»(٣).

وأقول: الإخلاص مأخوذٌ من الخلوص، وهو الصَّفاء والنَّقاء، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

فقوله: لبنًا خالصًا، أي: قَدْ خلص وصفي ونقي من بين الأشياء الَّتي خرج منها، فكذلك الإخلاصُ هو الصَّفاء والنَّقاء؛ بأنْ يقولَ هذه الكلمة خالصةً لله، لا يُريد بها شيئًا مِن أُمور الدُّنيا العابرة، وإنَّما يُريد بها الدَّيْنُونَة(٤) لله ربِّ العالمين بحقِّه علىٰ عباده الَّذي ألزمهم به، وهو: أنْ يعبدُوه وحدَه لا شريكَ له.

فالإخلاص: هو ما يكون كذلك، اللَّهمَّ اجعلنا لك مخلصين، وعلىٰ نَهج رسولك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تابعين.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥).

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٥٠) (٢٨)، وقال الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «ضعيف التَّرغيب والتَّرهيب» (٩٣٢): «منكر». وانظر: «السِّلسلةَ الضَّعيفة» حديث رقم (٦٦١٧).

(٤) دينونة من الدِّيانة؛ أي: أن يدين بها لله، أو يتدين بها لله.

دليل الصِّدْق: قولُه تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

وقوله في حقِّ المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠].

والمرض: المرادُ به مرض النِّفاق والشُّبهة، وهو الشَّكُّ في صِحَّة ما يؤمن ويقول به عباد الله المؤمنين من شهادة أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله.

وفي «الصَّحيحين» عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ»**(١).

فالصِّدْق هو موافقة الظَّاهر للباطن؛ بأن يَتَّفق القلبُ واللِّسانُ علىٰ هذه الشَّهادة، ولم يكن كاذبًا مُدَّعيًا لما ليس فيه، كالمنافقين الَّذين قالوها بألسنتهم، وقلوبهم تُكذِّب ألسنتَهم، فهؤلاء كَذَّبهم اللهُ، فقال جلَّ مِن قائل: ﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١١].

وقال سُبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

فمَنْ شهد بهذه الشَّهادة صادقًا، متواطئًا قلبُهُ مع لسانه عليها، مُعتقدًا وجوبَ هذه الشَّهادة، والعمل بها، وعدم مخالفتها، فذلك هو المؤمن الَّذي حرَّمه الله

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) واللفظ له، ومسلم (٣٢).

علىٰ النَّار، أمَّا مَنْ قال بلسانه خلافَ ما في قلبه، وشَهِدَ بما لم يعتقدْه، فذلك لا تنفعُه شهادتُه، نعوذ بالله مِن حُبوط العمل، وأنْ يقولَ الإنسانُ ما لم يَعتقدْه.

دليل المحبَّة: قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

والدَّليل من السُّنَّة: مَا ثَبَتَ عن أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَان: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**(١).

ومحبَّة المؤمن لربِّه هو تقديم طاعته علىٰ طاعة غيره، والحرصُ علىٰ رضاه بامتثال أمره واجتناب نهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده، وأن تحبَّ ما يحبُّ، وتكره ما يكره؛ تَذلُّلًا له، وخضوعًا لجلاله، رغبةً فيما عنده من الخير، ورهبةً مِمَّا عنده من العذاب.

أمَّا مَحبَّة الله للمؤمن فهي صفةٌ ثابتةٌ له جَلَّ وَعَلَا تليق بجلاله، فيجب علىٰ المسلم أن يصف الله بما وصف به نفسه من الأسماء الحسنىٰ والصِّفات العليا، فنؤمن بأنَّه يحبُّ المؤمنين، ويبغض الكافرين، وأنَّه يُثيب مَنْ أطاعه، ويعاقب مَنْ عصاه، ولا يجوز أن نَتأوَّل هذه الصِّفة الَّتي هي صفة المحبَّة، بل يجب علينا أن نُؤمنَ بها ونُمِرَّها كما جاءتْ، ونعتقدَ أنَّ صفاتِ الله تليقُ بجلالِه، ولا تُقَاسُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

بصفات المخلوقين، وإنِ اتَّفقَتْ في الأسماء مع صفات المخلوقين، فإنَّها تختلف في الحقائق.

دليل الانقياد: قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]؛ أي: بـ: «لا إله إلَّا الله».

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن السُّنَّة قولُه ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبعًا لما جِئْتُ بِهِ**»(١).

وهذا معناه صحيحٌ وموافقٌ لأصول الدِّين هو تمام الانقياد وغايته عندما يكون الرَّسول ﷺ (وما جاء به) أحبَّ إلىٰ العبد المسلم من نفسه ووالده وولده والنَّاس أجمعين.

ومعنىٰ الانقياد: أن تكون منقادًا لأوامر ربِّك، وتابعًا لها، ومنساقًا إليها

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١/ ٤٦)، والحسن بن سفيان في «الأربعين» (٨ البشائر)، وابن بطَّة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢٧٩)، والبيهقيُّ في «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (١/ ١٨٨)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ٢٥٥ الأنصاري)، وأبو الفتح نصر المقدسي في «الحجَّة علىٰ تارك المحجَّة» كما في «مختصره» (١/ ٣١برقم٢٥ أضواء السلف)، والخطيب في «تاريخه» (٥/ ١٣٣)، والبغويُّ في «شرح السُّنَّة» (١/ ٢١٢ - ٢١٣)، وأبو القاسم التيميُّ الأصبهانيُّ في «الحجَّة في بيان المحجَّة» (١/ ٢٦٩ ط ثانية)، وفي «الترغيب والترهيب» (١/ ٧٩ دار الحديث)، وابنُ الجوزي في «ذمِّ الهوىٰ» (ص١٨)، وغيرهم، من حديث عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعَّفه ابنُ رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في «جامع العُلوم والحِكَم» (٢/ ٣٩٣ - ٣٩٥ الأرنؤوط)، والألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ظلال الجنة» (١٥).

بإيمانك به، واتِّباعك لما شرعه؛ لأنَّك تعلم أنَّ الله لا يأمرك إلَّا بما فيه الخير، ولا ينهاك إلَّا عمَّا فيه الشَّرُّ.

والَّذي يدلُّ علىٰ الانقياد من القرآن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾، الإنابة: التَّوبة والرُّجوع إلىٰ الله.

وقوله في الآية الثَّانية: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾، فكونك أسلمت وجهك لله، أي: سلَّمت وجهك لله، أي: سلَّمت اتِّجاهك إلىٰ ربِّك ممتثلًا أمره، ومجتنبًا نهيه، والشَّاهد: ﴿أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾.

وفي الآية الثَّالثة الشَّاهد في قوله: ﴿۞وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾.

والشَّاهد في الرَّابعة في قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾.

والشَّاهد في الحديث قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»؛ أي: لا يؤمن حقَّ الإيمان ولا يكتمل إيمان أحدكم «حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تبعًا لما جِئْتُ بِهِ».

دليل القبول: في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣ - ٢٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦].

وهذه الآيات تدلُّ علىٰ أنَّ مَنْ ترك القبول عُذِّب؛ لقوله: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ

كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، وقوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

فليس فيها دليلٌ علىٰ القبول إلَّا من ناحية أنَّ مَنْ ترك القَبُول عُذِّب.

إذًا، فلا يُنْجِي العبد من العذاب إلَّا قبوله لهذه الكلمة، كلمة التَّوحيد العظيمة «لا إله إلَّا الله».

وفي حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دليلٌ علىٰ أنَّ القَبولَ يَترتَّبُ عليه الخيرُ الكثيرُ في قوله ﷺ: «فكَانَ مِنْهَا أَرْضٌ نَقيَّةٌ قَبِلَت الماءَ؛ فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ».

فقوله ﷺ: «قَبِلَتِ الماءَ» دليلٌ علىٰ أنَّ قبول الوحي منبتٌ للأعمال الصَّالحة.

وقوله ﷺ: «وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا»، وهذا مثلٌ لمَنْ حمل العلم ولم ينتفع به، بل انتفع به غيره مِمَّن أخذوه عنه.

والقسم الثَّالث: «إِنَّما هِيَ قِيعَانٌ، لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلَأً».

والمُهِمُّ أنَّ هذه الشُّروط لابدَّ أن تكون مقارنةً لـ: «لا إله إلَّا الله»، وإلَّا فإنَّ القائل لها لا ينتفعُ بها إلَّا إذا كان قَدْ عرَف معناها، وعمِل بمُقتضاها.

أمَّا مَنْ لم يعلم معناها، أو علمه ولم يعمل بمقتضاها؛ فإنَّ كلمة «لا إله إلَّا الله» لا تنفعُه، نعوذُ بالله من ذلك، ولهذا يقول النَّبيُّ ﷺ: «فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

فائدة: وقَدْ جمع بعضهم شروطها السَّبْعة، وزاد ثامنًا وهو الكفر بالطَّاغوت[2]،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).

(٢) أخذه من قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. =

وجعلها في بيتين من النَّظْمِ، فقال:

عِلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ ... مَحَبَّـةٍ وَانْقِيَـادٍ وَالقَبُـولِ لَهَـا

وَزِيـدَ ثَامِنُهَـا الكُفْـرَانُ مِنْـكَ بِمَـا ... سِـوَى الإِلَـهِ مِـنَ الأَشْـيَاءِ قَـدْ أُلِهَـا



=

[وقد تقدم الكلام عنه في: أصل الدين وقاعدته أمران: الإيمان بالله والكفر بالطاغوت]، وسيأتي مزيد تفصيل للكفر بالطاغوت في آخر الرسالة؛ لأهمّيته وخطورة شأنه.



نواقض الإسلام

اعلم أنَّ نواقض الإسلام عشرةٌ:

الأَوَّل: الشِّرْكُ في عِبادةِ اللهِ تعالى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢] ومِنْه الذَّبْح لغير الله تعالى، كمَنْ يَذْبح للجِنِّ أو للقبرِ.

الثَّاني: مَنْ جَعَلَ بَينه وبَينَ الله وَسائطَ يدْعُوهم، ويَسألُهم الشَّفاعةَ، ويَتوكَّلُ عليهم، كَفر إِجْمَاعًا.

الثَّالث: مَنْ لم يُكفِّر المشْركِينَ، أَوْ شَكَّ في كُفرِهِمْ، أَوْ صَحَّح مَذْهَبَهم؛ كَفَرَ.

الرَّابع: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ غيرَ هَدْي النَّبيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِن هَدْيِهِ، أَوْ أَنَّ حُكْمَ غيرِه أحسنُ مِن حُكْمِهِ - كالَّذي يُفضِّلُ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ على حُكْمِهِ، فهو كافرٌ.

الخامس: مَنْ أبغضَ شَيْئًا مِمَّا جاء به الرَّسُول ﷺ ولو عَمِلَ بِهِ، كَفَر.

السَّادس: مَنِ اسْتهزَأَ بشَيءٍ مِن دِينِ الرَّسُولِ ﷺ، أو ثوابِهِ، أو عقابِهِ، والدَّليل قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

السَّابع: السِّحْر، ومنه الصَّرْف والعَطفُ، فمَنْ فَعَله، أو رَضِيَ به، كَفَر، والدَّليل قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثَّامن: مُظَاهرةُ المشركِينَ ومُعَاونتُهم علىٰ المسلمِينَ، والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

التَّاسع: مَنِ اعْتَقَد أنَّ بَعْضَ النَّاس يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شريعةِ مُحمَّدٍ ﷺ، كما وَسِعَ الخضِرَ الخُرُوجُ عن شَريعَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فَهُو كَافرٌ.

العاشر: الإعراضُ عَن دِينِ اللهِ تَعَالىٰ، لا يَتعلَّمُه ولا يَعْمَلُ به، والدَّليلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة: ٢٢].

ولا فَرْقَ في جميع هذه بين الهَازِلِ والجادِّ، والخَائِفِ إلَّا المُكْره، وكلُّها مِن أَعْظَمِ مَا يَكُونَ خطَرًا، وَأَكْثَر مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي للمُسلم أَنْ يَحْذَرَهَا، ويَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، نَعُوذُ بالله مِن مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عِقَابِهِ. وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

الشرح:

قال الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ نواقض الإسلام عشرة(١) نواقض:

(١) العدد هنا ليس للحصر، فنواقض الإسلام التي ذكرها المؤلف عشرة نواقض، والنواقض أكثر من ذلك، فقد ذكر العلماء في أبواب الرِّدَّة وحكم المرتد أنواعًا كثيرةً مما قد يرتد به المسلم عن دينه ويحل دمه وماله.

وقد ذكر المؤلف أخطرها وأعظمها وأكثرها وقوعًا، وما اتفق العلماء عليه، نعوذ بالله من الرِّدَّة بعد الإسلام، ونسأل الله أن يثبتنا ويثبتكم علىٰ دينه، وذلك كما قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكرها: وكلها [أي: هذه العشرة تميزت عن البقية بأنها:] من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وقوعًا، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها علىٰ نفسه - نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

فالرِّدَّة تحصل بارتكاب ناقضٍ من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرةٌ، وترجع إلىٰ أربعة أقسام، وهي:

١ - الرِّدَّة بالقول.

=

الأوَّل: الشِّرك في عبادة الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، ومنه الذَّبْح لغير الله كمَنْ يذبح للجنِّ أو للقبر».

أقول: إنَّ من كتابات ومُؤلَّفات شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ النَّافعة: «نواقض الإسلام العشرة»، وإنَّ مِمَّا ينبغي للمسلم ويتأكَّد عليه أن يتعلَّم هذه النَّواقض حتَّىٰ لا يقع في شيءٍ منها وهو لا يشعر.

فَأَهَمُّ، وأوَّل وأخطر تلك النَّواقض هو: الشِّرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، والأدلَّة علىٰ ذلك كثيرةٌ، منها قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ومنها قول الله عَزَّ وَجَلَّ مخبرًا عن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّه قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

إلىٰ غير ذلك من الآيات الدَّالَّة علىٰ أنَّ المشركَ لا يُقبَلُ معه عملٌ صالحٌ، ولا تُغفَر له سَيِّئةٌ، حتَّىٰ ولو كانَ مِن أقرب النَّاس إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ وأعظمهم جاهًا

=

٢- الرِّدَّة بالفعل.

٣- الرِّدَّة بالاعتقاد.

٤- الرِّدَّة بالشك في شيء مما سبق. راجع للفائدة «كتاب التوحيد» للفوزان (ص٢٦).

عنده، وأعلاهم مقامًا عنده.

فقدْ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال عن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في سورة (الأنعام) بعد أنْ ذكَر عددًا منهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[1].

فهذه الأدلَّة كلُّها تدلُّ علىٰ أنَّ مَنْ أشركَ بالله أحدًا غيره شركًا أكبر يدعوه من دون الله أو معه لجَلْب النَّفْع أو دَفْع الضُّرِّ معتقدًا قُدرته علىٰ ذلك؛ فإنَّه حينئذٍ يكون قَدْ خرج مِن الإسلام.

ومِن ذلك: الذَّبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٥].

فمَنْ دعا الأموات واستغاث بهم، أو ذَبَح أو نَذَر لهم، أو ذبح للجنِّ، أو ذبح تلبيةً لطلبِ ساحرٍ، أو توجيهاتِ كاهنٍ، ومَنْ في حكمهما، أو تقرَّب بنُسُكٍ للقبر أو لصاحب القبر؛ فإنَّه يُعتَبر قَدْ أشرك شركًا أكبر، ويترتَّب عليه كُفْره بوحدانيَّة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

... عَزَّوَجَلَّ كفرًا يُخرجه من الملَّة.

الثاني: مَنْ جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشَّفاعة ويتوكَّل عليهم، فقد كفر إجماعًا.

أقول: الأدلَّة على هذا النَّاقض هي الأدلَّة على النَّاقض الأوَّل؛ إذ إنَّ هذا يعتبر نوعًا من أنواع الشِّرك، والمشركون الَّذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون انفراد الله بالرُّبوبيَّة، وأنَّه لم يشاركه أحدٌ في خَلْق الخلْق، ولا رزقهم، ولا إحيائهم، ولا إماتتهم، وإنَّما كانوا يعبدون معبوداتٍ يزعمون أنَّها وسائط بينهم وبين الله، يطلبون منهم الشَّفاعة؛ أي: أن يُقرِّبوهم إلى الله زلفى.

ولهذا؛ فقد جاء في آياتٍ كثيرةٍ إلزام المشركين بأنَّ ما يفعلونه خطأٌ فاحشٌ، ويذكِّر بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ واطِّلاعه وهيمنته؛ فإذا كانوا يعتقدون أنَّ الله هو الخالق، وأنَّ الآلهة الَّتي يدعونها لم تخلق شيئًا، ولا تملك لا لها، ولا لهم نفعًا ولا ضرًّا.

ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ بعد أنْ ذكر شيئًا من صفات كماله في سورة فاطر، ثمَّ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٧].

وقال في سورة (الفرقان): ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال في سورة (سبأ): ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

بل أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة (الزُّمَر) بأنَّهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]. والآيات في هذا كثيرةٌ.

والمُهِمُّ: أنَّ الَّذين اتَّخذوا من دون الله وسائط يطلبون منهم الشَّفَاعة، ويدعونهم من دون الله، ويَتوكَّلون عليهم؛ فإنَّهم يُعْتَبرون بذلك كافرين كما في خاتمة آية الزُّمَر.

الثَّالث: مَنْ لم يُكفِّر المشركين، أو شكَّ في كُفْرهم، أو صحَّح مذهبهم، كَفَر.

أقول: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَدْ سمَّىٰ المشركين كُفَّارًا في غير ما آيةٍ، فمن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

ففي هذه الآية جمع الله أهل الكتاب والمشركين، وبيَّن أنَّهم كُفَّارٌ، وأنَّ مأواهم جهنَّم، وقال في المشركين علىٰ انفرادٍ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقال عن اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وقال عن النَّصارىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ

مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]. إلىٰ غير ذلك من الآيات.

فمَنْ لم يُكفِّر هؤلاء الكافرين، فإنَّه يكون قَدْ كَفَرَ بخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم أنَّهم كافرون، ولذلك فإنَّه يُعتبَر كافرًا من أجل ذلك.

الرَّابع: مَنِ اعتقد أنَّ هَدْي غير النَّبيِّ ﷺ أكمل من هديه، أو أنَّ حكم غيره أحسن من حُكْمه، كالَّذين يُفضِّلون حكم الطَّواغيت علىٰ حُكْمِهِ؛ فهو كافرٌ.

أقول: من مقتضيات الإيمان برسالة مُحمَّدٍ ﷺ، الإيمان بأنَّ هَدْيه أكمل هديٍ، وأنَّ حكمه أحسن حُكْمٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

الاستفهام في هذه الآية استفهامٌ إنكاريٌّ، معناه: أنَّه لا أحد أحسن حكمًا من حكم الله تعالىٰ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ في مستهلِّ خطبته الَّتي كان يبدأ بها: «**وَأَحْسَنُ الهَدْيِ، هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ**»[١].

فإذا كان خير الهدي هديه - صلوات الله وسلامه عليه -، فمَنْ لم يعتقد ذلك، بل اعتقد أنَّ هدي غيره أحسن من هديه، أو حكم غيره أحسن من حكمه؛ فإنَّه حينئذٍ قَدْ كَفَرَ بما جاء به رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه -، فالَّذين يُفضِّلون حكم الطَّواغيت علىٰ حكمه يُعتبَرون كُفَّارًا من أجل ذلك.

ويدخل في القسم الرَّابع: مَنِ اعتقد أنَّ الأنظمة والقوانين الَّتي يَسنُّها النَّاس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنَّ نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين (أو الحادي والعشرين)، أو أنَّه كان سببًا في تخلُّف المسلمين، أو أنَّه يُحصَر في علاقة المرء بربِّه دون أن يتدخَّل في شؤون الحياة الأخرىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) بلفظ: «**وَخَيرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ**» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويدخل في الرَّابع أيضًا مَنْ يرىٰ أنَّ إنفاذ حكم الله في قطع يد السَّارق أو رجم الزَّاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضًا كلُّ مَنِ اعتقد أنَّه يجوز الحكم بغير شريعة الإسلام في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإنْ لم يعتقد أنَّ ذلك أفضل من حكم الشَّريعة؛ لأنَّه بذلك يكون قَدِ اسْتَباح ما حرَّم الله ممَّا هو معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، كالزِّنا والخمر والرِّبا والحكم بغير شريعة الله فهو كافرٌ بإجماع المسلمين[1].

الخامس: **مَنْ أبغض شيئًا مِمَّا جاء به الرَّسول ﷺ ولو عمل به فَقَدْ كَفَرَ؛ لقوله تعالىٰ:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

أقول: بُغْض ما جاء به الرَّسول ﷺ من الأحكام والشَّرائع يُعتبَر كُفْرًا، وإنَّ الواجب علينا مَحبَّته ﷺ، ومَحبَّة كلِّ ما جاء به، وأَنْ نعتقد أنَّ كلَّ ما جاء به إن كان حُكْمًا أنَّه أفضل الأحكام، وإِنْ كان خُلقًا بأنَّه أفضل الأخلاق، وإِنْ كان عبادةً بأنَّها أفضل العبادات، فبُغْض ما جاء به أو بُغْض بعض ما جاء به دليلٌ علىٰ النِّفاق، والعياذ بالله.

فمَنْ وجد هذه الخليقة أو الخصلة في نفسه فعليه أن يعمل علىٰ إزالتها، فيدعو الله عَزَّوَجَلَّ أن يذهبها عنه، وأن يُبْدِلَهُ بِبُغْضِها حبًّا، وبالاستخفاف تعظيمًا، وبالكُرْه لها رغبةً إليها.

السَّادس: **مَنِ استهزأ بشيءٍ من دين الرَّسُول ﷺ أو ثوابه أو عقابه، كَفَرَ، والدَّليل قوله تعالىٰ:** ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا

(١) راجع رسالة «العقيدة الصحيحة وما يضادها ونواقض الإسلام»، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦][1].

فالاستهزاء بدين الرَّسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كُفْرٌ، فمَنِ استهزأ باللِّحية أو استهزأ بشيءٍ من أحكام الدين؛ فإنَّه يُعتبَر قَدْ كَفَرَ، وخرج من الإسلام.

وقَدْ جاء في الحديث: أنَّ بعض المنافقين قالوا حينما كانوا سائرين إلىٰ تبوك: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللِّقاء، يعنون: رسول الله ﷺ وأصحابه القُرَّاء رضي الله عنهم.

فأنزل الله هذه الآيات: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾.

وإنَّ من أهل العصر لمَنْ نسمع منه مثل هذه الكلمة أو أشدَّ، ولا يبالي، نسأل الله العفو والعافية.

السَّابع: السِّحر، ومنه العطف[2] والصَّرف[3]، فمَنْ فَعَله أو رضي به، كَفَرَ، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية.

أقول: لقَدْ أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ السِّحر تَعلُّمه كُفْرٌ، ويلزم من ذلك أنَّ العمل به كُفْرٌ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى

---

(١) أخرجه الطبريُّ في «التفسير» (١١/ ٥٤٣ - ٥٤٤ هجر)، وابنُ أبي حاتم في «التفسير» (٦/ ١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وأورده الشيخ مقبل الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص١٠٨ - ١٠٩).

وورد نحوه عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة؛ انظر: «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ١٥٨)، و«تفسير الطبريّ» (١١/ ٥٤٣ و٥٤٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ١٨٣٠).

(٢) العطف: عملٌ سحريٌّ يقصد منه ترغيب الإنسان فيما لا يهواه بطرقٍ شيطانيةٍ.

(٣) الصرف: عملٌ سحريٌّ يقصد منه تغيير الإنسان عما يهواه؛ كصرف الرجل عن محبة زوجته إلىٰ بغضها.

ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

صريح هذه الآية يدلُّ علىٰ أنَّ تعلُّمَ السِّحرِ كُفْرٌ، وأنَّ العمل به كُفْرٌ؛ لقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الآية، فدلَّ علىٰ أنَّ تعليم النَّاس السِّحْر يُعتبَر كُفْرًا.

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ تعلُّم السِّحر كُفْرٌ.

وفي آخر الآية قال جلَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾؛ أي: ليس له نصيبٌ في الآخرة، بل هو من أهل النَّار، ومِمَّن يَسْتحقُّون العذاب، فهذه الآيةُ مُصرِّحةٌ بكُفْرِ مَنْ تعلَّم السِّحرَ، أو عمل به؛ سواء كان سِحْرُهُ صرفًا، أو عطفًا، أو غير ذلك.

وقَدْ ذهب جمهور العلماء إلىٰ أنَّ السِّحر كُفْرٌ، إلَّا أنَّ الشَّافعيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حُكِيَ عنه فيه تفصيلٌ؛ فإنَّه قال: تقول للسَّاحر: (صِفْ لنا سِحْرك)[1].

وأقول: إنَّ القولَ بتكفير السَّاحر بدون تفصيلٍ هذا هو الحقُّ؛ لِمَا ذُكِر في

(١) ونصُّ كلام الإمام الشَّافعيِّ هو: «والسِّحرُ اسم جامع لمعان مختلفةٍ، فيقال للسَّاحر: صِف السِّحر الَّذي تَسْحرُ به؛ فإنْ كانَ ما يَسْحرُ به كلامَ كُفرٍ صَريحٍ، اسْتُتِيب منه، فإنْ تابَ وإلَّا قُتلَ وأُخذ مالُه فيئًا. وإن كان ما يَسحرُ به كلامًا لا يَكونُ كُفرًا وكان غير معروف، ولم يضرَّ به أحدًا، نُهيَ عنه؛ فإن عاد عُزِّرَ». «الأم» (١/ ٢٥٦ المعرفة).

الآية، ولِمَا وَرَد «أنَّ حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت لها جاريةٌ، فسحرتها، فأمرت بقتلها»[١]، ولم تستفصل.

وفي حديث بَجالَة بن عبدة التَّميمي[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرةٍ». قال بجالة رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقتلنا ثلاث سواحر»[٣].

وما دلَّت عليه الآثار أيضًا بالإضافة إلىٰ الآية السَّابقة، أنَّ السِّحْر لا يستطيع أن يفعله إلَّا كافرٌ.

ومن ذلك الأثر الَّذي رواه ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»[٤]، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «قدمت امرأةٌ عليَّ من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مالك في « الموطأ» (١٦٢٤)، بلاغًا عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، ووصله عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٨٠). والبيهقي في «الكبرىٰ» (٨/ ١٣٦) (١٦٩٤١). وصحَّحه الإمام أحمد وابنُ القيِّم وابنُ كثير - رحمهم الله - كما في «زاد المعاد» (٥/ ٥٧)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٥).

(٢) بجالة بن عبدة التميمي العنبري البصري التابعي الجليل رَحِمَهُ اللَّهُ كاتب جزء بن معاوية، روىٰ عن كتاب عمر بن الخطاب، وعن عبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وابن عباس، وعنه عمرو بن دينار، وقتادة، وقشير بن عمرو... - رضي الله عنهم ورحمهم أجمعين -، كما جاء في «تهذيب التهذيب».

وبجالة بن عبدة وهو كاتب جزء بن معاوية عم الأحنف بن قيس، قال: أتانا كتاب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، وكتابه في المجوس...

(بَجالة - بفتح الموحدة بعدها جيم - بن عَبَدة (بفتحتين) التميمي العنبري البصري، ثقة من الثانية كما في « تقريب التهذيب» وغيره).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٩٠) (١٦٥٧)، وأبو داود (٣٠٤٣)، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن أبي داود»، وفي «الإرواء» (١٢٤٩).

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٦٠ - ٣٦١ سلامة) نقلًا عن الطبري، والأثر في «جامع البيان عن تأويل القرآن» (٢/ ٣٥٣ - ٣٥٤ هجر).

بعد موته حَدَاثَة[١] ذلك، تسأله عن شيءٍ[٢] دخلت فيه من أمر السِّحر ولم تعمل به.

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لعروة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تَجِدْ رسول الله ﷺ فيشفيها، فكانت تبكي حتَّىٰ إنِّي لأرحمها، وتقول: إنِّي أخاف أن أكون قَدْ هلكتُ، كان لي زوجٌ، فغاب عنِّي، فدخلَتْ عليَّ عجوزٌ، فشكوتُ ذلك إليها، فقالت: إنْ فعلْتِ ما آمركِ به فأجعله يأتيكِ.

فلمَّا كان اللَّيل جاءتني بكلبين أسودين، فركبتُ أحدهما، وركبَتِ الآخرَ، فلم يكن كشيءٍ[٣] حتَّىٰ وقفنا ببابل، وإذا برجلين مُعلَّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بكِ؟

فقلت: أتعلَّم السِّحر.

فقالا: إنَّما نحن فتنةٌ لا تكفري، فارجعي. فأبيت، وقلت: لا.

قالا: فاذهبي إلىٰ ذلك التَّنُّور فبولي فيه، فذهبتُ ففزعتُ، ولم أفعل، فرجعت إليهما.

فقالا: أفعلتِ؟

فقلت: نعم.

فقالا: هل رأيت شيئًا؟

فقلت: لم أرَ شيئًا.

فقالا: لم تفعلي، ارجعي إلىٰ بلادك ولا تكفري.

فَأَرْبَبْتُ[٤] وَأَبَيْتُ، فقالا: اذهبي إلىٰ ذلك التَّنُّور فبولي فيه، فذهبت

---

(١) حَدَثان الأمر، وحداثته: أوله وابتداؤه، تعني عقب وفاة الرسول ﷺ.

(٢) في المخطوط: «أشياء»، والمثبت أعلاه عن «تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٠).

(٣) في المخطوط: «لشيء»، والمثبت فوق عن «تفسير الطبري» (٢/ ٤٤٠).

(٤) في المخطوطة: «أربت»، يقال: رَبَّ بالمكان وأربَّ: أقام به ولزمه فلم يبرحه. يُنظر «معجم تاج العروس».

...فاقشعررت، وخِفتُ، ثمَّ رجعت إليهما.

فقلت: قَدْ فعلتُ.

فقالا: فما رأيتِ؟

فقلت: لم أرَ شيئًا.

فقالا: كذبت، لم تفعلي، ارجعي إلىٰ بلادك ولا تكفري، فإنَّك علىٰ رأس أمرك، فأربيت وأبيتُ.

فقالا: اذهبي إلىٰ ذلك التَّنُّور، فبولي فيه، فذهبتُ إليه فبُلْتُ فيه، فرأيت فارسًا مُقنَّعًا بحديدٍ خرج منِّي، فذهب في السَّمَاء، وغاب حتَّىٰ ما أراه، فجئتهما، فقلت: قَدْ فعلت.

فقالا: فما رأيت؟

قلت: رأيت فارسًا مُقنَّعًا خرج مِنِّي، فذهب في السَّمَاء حتَّىٰ ما أراه.

فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي.

فقلت للمرأة: واللهِ، ما أعلم شيئًا، وما قالا لي شيئًا.

فقلت: بلىٰ، لَمْ تريدي شيئًا إلَّا كان، خذي هذا القمح فابذري، فبذرت، وقلت: أطْلِعِي، فأطلعت. وقلت: أَحْقِلي فَأَحْقَلَتْ[1]، ثمَّ قلت: أَفْرِكِي فأَفْرَكَتْ[2]، ثمَّ قلت: أيبسي فأيبست.

ثمَّ قلت: أطحني فأطحنت، ثمَّ قلت: أخبزي فأخبزت، فلمَّا رأيت أنِّي لا أريد شيئًا إلَّا كان، سقط في يدي وندمت - والله - يا أمَّ المؤمنين، والله ما فعلتُ

---

(١) أحقل الزرع: تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه.

(٢) أي: كوني فريكًا، وهو حب السنبلة إذا اشتدَّ وصلح أن يفرك.

شيئًا قط، ولا أفعله أبدًا».

ورواه ابن أبي حاتم(١) عن الرَّبيع بن سليمان به مُطوَّلًا كما تَقدَّم، وزاد بعد قولها: «ولا أفعله أبدًا».

فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حَداثة وفاة رسول الله ﷺ، وهم يومئذٍ متوافرون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فما دَرَوْا ما يقولون لها، وكلُّهم هابَ وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه، إلَّا أنَّه قَدْ قال لها ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أو بعض مَنْ كان عنده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: «لَوْ كَانَ أَبَوَاكِ حَيَّين أَو أَحَدهما لَكَانَ يَكْفِيَانِكِ؟»(٢).

وَمِمَّا يدلُّ علىٰ أنَّه لا يستطيع السِّحر إلَّا ساحرٌ كافرٌ، أنَّ الشَّياطين الَّتي تكون بالسِّحْر في المسحور تقول: إنَّ فلانًا الَّذي أمرنا، نحن لا نستطيع الخروج منه، ويصفون الشَّياطين حينما يُعلِّمونه السِّحر بأنَّهم يشترطون عليه أن يدخل بالمصحف الحَمَّام، ويبول عليه، وينتعل به أربعين يومًا، فهذا كلُّه يدلُّ علىٰ أنَّ السَّاحر لا يستطيع السِّحْر إلَّا بعد أن يكفر.

ومن هنا نقول: إنَّ السِّحر كفرٌ كلُّه، وأنَّ عملَه كفرٌ، وأنَّه يجب قَتْل السَّاحر حدًّا، والظَّاهر حتَّىٰ ولو أنَّه أظهر التَّوبة، علمًا بأنَّ السِّحْر ينقسم إلىٰ قسمين:

- سحر تأثير.
- وسحر تخييل.

فأمَّا سحر التَّأثير: فهو الَّذي يحصل به للمسحور تَخيُّلاتٌ وأشياء، ويتأثَّر به حتَّىٰ لا يكاد يستقرُّ له قرارٌ، ورُبَّما أنَّه تأتي عليه سنواتٌ وهو ما طعم لذَّة الرَّاحة،

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٩٤ الباز). ولكن هذه الزِّيادة لم ترد في المطبوع من «تفسير ابن أبي حاتم».

(٢) أخرجه ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره» (١/ ١٣٥).

إلا نعمة العقل، ولو ذهب إلىٰ المستشفىٰ وكشفوا عليه كشفًا طبيًّا لقرَّروا أنَّه ليس فيه شيءٌ.

ومن هذا ما ورد أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُحِرَ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سُحِرَ النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ إنَّه ليُخيَّل إليه أنَّه يفعل الشَّيء وما فعله، حتَّىٰ إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثمَّ قال ﷺ: «أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فيما اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ ».

قلتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال ﷺ: « جَاءَنِي رَجُلَانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلي، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟

قَالَ: مَطْبُوبٌ[(١)]. قال: ومَنْ طَبَّه؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَم اليَهُودِيُّ، مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ. قَالَ: فِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[(٢)]، وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ[(٣)]. قَالَ: فَأَيْنَ هو؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ»[(٤)].

قالت: فَذَهَبَ النَّبيُّ ﷺ في أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابه إلىٰ البِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيهَا وَعَلَيهَا نَخْلٌ، ثُمَّ رَجَعَ إلىٰ عَائِشَةَ، فقال ﷺ: «وَاللهِ، لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ».

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قال ﷺ: «لا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ وَشَفَانِي، وَخَشِيتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَىٰ النَّاس مِنْهُ شَرًّا»[(٥)].

---

(١) أي: مسحور.

(٢) المشاطة: هي الشعر الذي يَسقط من الرأس أو اللحية عند تسريحه.

(٣) أي: وعاء طلع النخل، وهو الغشاء الذي يكون عليه، ويطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ، ولذا قيده في الحديث بقوله: «طلعة ذكر».

(٤) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود.

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٦٥)، ومسلم (٢١٨٩).

أمَّا سحر التَّخييل: فهو ما ذَكره الله عَزَّوَجَلَّ عن السَّحَرة الَّذين كانوا مع فرعون، قال عزَّ من قائلٍ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

الثَّامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

مَنْ أعان المشركين والكافرين واليهود والنَّصارىٰ علىٰ المسلمين، فهذا يُعَدُّ كافرًا، وعَمَلُهُ كُفْرٌ؛ لأنَّ مظاهرة المشركين ومعاونتهم علىٰ المسلمين دليلٌ علىٰ تَولِّيهم دون المسلمين، والتَّولِّي دليلٌ علىٰ مَحبَّة مِلَّتهم الكفريَّة وإيثارها علىٰ الإسلام، ولا شكَّ أنَّ هذا كُفْرٌ موجبٌ للخروج من المِلَّة، والعياذ بالله.

وليس المراد بِتَولِّي المشركين والكُفَّار التَّعاون معهم علىٰ شيءٍ مُحرَّمٍ مِمَّا حرَّمه الإسلام ومنعه. وقَدْ كتبت في هذا الموضوع فتوىٰ فيها شيءٌ من التَّفصيل(١).

ذلك أنَّ بعض النَّاس جعل التَّعاون مع أقوامٍ من الكُفَّار علىٰ مَنْع الإرهاب الَّذي حرَّمه الله ورسوله ﷺ، جعلوا ذلك كُفْرًا وارتدادًا، والحقُّ الَّذي يجب المصير إليه أنَّه إذا عرضت علينا فئةٌ من فئات الكفر أن نتعاون معها وتتعاون معنا علىٰ محاربة شيءٍ مِمَّا يمنعه الإسلام، ويأمر بمحاربته ومنعه؛ فإنَّ لنا أن نفعل ذلك.

فلو عرض علينا منع الزِّنا مثلًا أو محاربة الإرهاب - مثلًا - الَّذي هو التَّفجيرات الَّتي يقوم بها بعض النَّاس من المسلمين، ويزعمون أنَّ ذلك عبادةٌ،

---

(١) انظر رسالة: «البيان في الرَّدِّ علىٰ مؤلف كتاب التبيان في كفر من أعان الأمريكان» في هذا «المجموع» المبارك.

قلنا: نتعاون معهم على ذلك.

لكن إذا عرضت علينا فئةٌ من فئات الكُفْر أن نحارب الحجاب الَّذي أمر الله به، أو اللِّحى الَّتي أمر الله بإعفائها، أو أي شيءٍ من مظاهر الإسلام، أو طلبت منَّا هذه الفئة أن نتعاون معها على المسلمين، فهذا لا شكَّ فيه أنَّه لا يجوز لنا، بل مَنْ فَعَله، وتعاون معهم فيه، وظَاهَرَهم عليه؛ فإنَّه يعد مواليًا لأهل الكُفْرِ، ومتظاهرًا معهم على أهل الإسلام، فهذا نوعٌ من أنواع الرِّدَّة.

التَّاسع: مَنِ اعْتَقَدَ أنَّ بعض النَّاس يسعه الخروج عن شريعة مُحمَّدٍ ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو كافرٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

أقول: إنَّ شريعةَ مُحمَّدٍ ﷺ شريعةٌ عامَّةٌ لجميع أهل الأرض؛ إنسهم وجنِّهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والنَّبيُّ ﷺ قال: «أُعْطيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي... ». ومنها: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

فربَّما أنَّ بعض الجُهَّال يعتقد جواز الخروج عن شِرْعةِ مُحمَّدٍ ﷺ، كما حصل للخضر الخروج عن شِرْعة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعموم بعثة مُحمَّدٍ ﷺ وشِرْعته، وأنَّه لا يخرج عنها أحدٌ أبدًا، وأنَّ مَنْ تَبِعه وقَبِلَ ما جاء به، نجا.

ومَنِ ادَّعى الخروج عن شِرْعته، وزَعَم أنَّ ذلك جائزٌ كبعض غلاة المُتصوِّفة؛ فإنَّ ذلك يُعَدُّ كُفْرًا ورِدَّةً عن شريعته صلوات الله وسلامه عليه.

العاشر: الإعراضُ عن دِين الله، لا يَتعلَّمُه ولا يعملُ به، والدَّليلُ: قولُه تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وأقول: إنَّ الإعراض عن دين الله وعدم تعلُّمه والعمل به حتَّىٰ ولو عُرِضَ عليه كتَرْك شهادة أن «لا إله إلَّا الله»، أو قولها باللِّسان، وعدم تعلُّم معناها مع الإتيانِ بمُناقِضٍ لها، فإذا دعي إلىٰ أَنْ يَتعلَّم «لا إله إلَّا الله» حتَّىٰ لا يقع فيما يناقضها أبَىٰ وأعرض واستكبر، وهو مع ذلك واقعٌ فيما يناقضها كعبادة الأولياء، والإتيان إلىٰ السَّحَرة والمُنجِّمين، أو الطَّواف بالقبور، وسَوْق النَّذر لها، أو يمتنع عن أداء الصَّلاة الَّتي أمر الله بها، وهي عمود الإسلام، فهذا الإعراض يحمل علىٰ الإعراض عن أصول الدِّين الَّتي لا يكون الإنسان مُسْلمًا إلَّا بقبولها، والإتيان بها، والتَّعلُّم لها، والعمل بها.

فمَنْ أعرض عن هذه الأصول والقواعد وأَبَىٰ أن يقبلها، وأَبَىٰ أن يتعلَّمها، وأبىٰ أن يعمل بها، فإنَّه يكون كافرًا كفرَ إعراضٍ.

مع العلم أنَّ الإعراض ينقسم إلى قسمين:

الإعراضُ الكليُّ: وهو الَّذي يكون إعراضًا عن أصوله وقواعده، كما قلنا، وهذا يُوجِب الكفر.

الإعراضُ الجزئيُّ: وهو الإعراض عن بعض الأحكام الفرعيَّة، وعدم العمل بها.

كمَنْ يحلق لحيته، أو يسبل ثوبه، أو أنَّ امرأةً تمتنع من الحجاب، وتَتبرَّج، أو ما أشبه ذلك، فهذا إعراضٌ لا يكون موجبًا للكفر، بل هو فسقٌ، ولا يكفَّر بذلك إلَّا الخوارج والمعتزلة، أمَّا الجمهور أي: جمهور أهل السُّنَّة فلا يُكفِّرون بذلك.

قَدْ قُسِّم الكفر الأكبر الَّذي يُخرج من المِلَّة إلىٰ أربعة أقسام، وهي:

١- كفرُ الإعراضِ.

٢- كفرُ التَّكذيبِ: ككفر كُفَّار قريش.

٣- كفرُ العنادِ: ككفر إبليس، وكفر فرعون وقومه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

٤- كفرُ الشِّرك بالله: بأن يعتقد لله شريكًا، أو يعتقد بأنَّ الأولياء لهم مقامٌ عند الله، فيتَّخذهم وسائط، ويعبدهم ويدعوهم من أجل ذلك.

أمَّا النِّفاقُ الاعتقاديُّ: فيمكن أن يُعَدَّ نوعًا خامسًا، ويمكن أن يقال: إنَّه داخلٌ في كُفْرِ التَّكذيب، لِكَونهم أظهروا التَّصديق، وأبطنوا التَّكذيب.

وقَدْ عَدَّ أنواع الكفر الأكبر أربعًا كُلٌّ من: العلَّامة الصَّنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العدة»، والشَّيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته الدَّاليَّة «الجوهرة الفريدة».

وعَدَّه شيخ الإسلام مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة أنواعٍ، ولكن الخامس يمكن أن يكون داخلًا في كفر التَّكذيب، كما قلت، هذا الَّذي ظهر لي.

قول الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا فرق في جميع هذه النَّواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلَّا المُكْره، وكلُّها من أعظم ما يكون خطرًا، وأكثر ما يكون وُقُوعًا، فينبغي للمسلم أَنْ يتعلَّمها ويحذرها، ويخاف منها علىٰ نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه. وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وأقول: هذه الخاتمة الَّتي أوصىٰ فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن يحذر الإنسان المسلم من الوقوع في شيءٍ من هذه النَّواقض، بأن يقوله أو يفعله جادًّا أو هازلًا، إذ إنَّ مَنْ نال شيئًا من هذه النَّواقض علىٰ سبيل الهزل يدلُّ فِعْله علىٰ الاستخفاف بالشَّريعة والتَّجرُّؤ علىٰ ما يناقضها.

فلا يجوز لمسلمٍ أن يقول شيئًا من الأقوال الشِّركيَّة علىٰ سبيل الهَزْل، أو

يستهزئ بشيءٍ من دين الرَّسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه على سبيل الهزل واللَّعب، وكذلك في جميع النَّواقض، لا يجوز لأحدٍ أن يستخفَّ بذلك ويعمل شيئًا منه، فإنَّ ذلك مثلما يُقَال: «لعب بالنَّار»؛ أي: لعظم خطورته وكبر جُنْحه وإثمه، فالحذر الحذر!

أمَّا المُكرَه فقدْ وَرَدَ فيه نصٌّ في كتاب الله حين كان عَمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تحت العذاب، وما زالوا به حتَّىٰ ذكر آلهتهم بخيرٍ، فجاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال له: «يَا عَمَّارُ مَا وَرَاءَكَ؟ » قَالَ: شَرٌّ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تُرِكْتُ حَتَّىٰ نِلْتُ مِنْكَ، وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، قَالَ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟ » قَالَ: مُطْمَئِنًا بِالْإِيمَانِ. قَالَ: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ»، فأنزل الله - عزَّ وعلا - الآية في سورة (النَّحل): ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]»[1].

وقول الشَّيخ: والخائف يعني: أنَّ الخائف مُجرَّد خوفٍ لا يباح له ذلك، ولا يُعَدُّ مُكرهًا إلَّا إذا حَسَّ بعذابٍ، أو هُدِّد بالقتل، أو ما أشبه ذلك فيكون عندئذٍ مكرهًا.

لكن هناك مسألةٌ ينبغي التَّنبيه عليها، وهي: هل الإكراه يكون عذرًا في القول والفعل أو في القول فقط؟

هذا محلُّ نظرٍ، إذ إنَّ عَمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما سجد لآلهتهم، ولا طاف لها، ولا ذبح لها، ولكن قال بلسانه قولًا، فهل الفعل يكون مثل ذلك؟

فمَنْ طُلب منه أن يسجدَ لصنمٍ، أو يفعل شيئًا من الأفعال الَّتي تُعَدُّ شركًا أكبر، فهل يجوز له ذلك تَرخُّصًا بفِعْل عَمَّارٍ الَّذي نزلت فيه الآية؟

فَفِعْلُ عَمَّارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذي حصل منه إنَّما هو بالقول، وحديث: «دَخَلَ رَجُلٌ

---

(١) انظر سبب نزول الآية في: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٠٥، ٦٠٦ سلامة).

الجنَّةَ فِي ذُبَابٍ، وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ»(١).

إنْ صحَّ فهو دليلٌ على التَّفريق بين القول والفعل؛ إذ إنَّ الآخر الَّذي قرَّب ذبابًا يحتمل أن يكون مُكْرهًا، ويحتمل أن يعتقد جواز ذلك، فإنْ كان يعتقد جواز ذلك؛ فإنَّه دخل النَّار بسبب اعتقاده، وإنْ كان مُكْرهًا؛ فإنَّه يكون كلُّ ما قدَّمه المسلم لغير الله عَزَّوَجَلَّ وإنْ كان صغيرًا أو قليلًا كالذُّباب، أو كان كثيرًا أو كبيرًا، كالجَمَل؛ فإنَّه يُعتبَر بذلك قَدْ خرج من الإسلام، واستحقَّ النَّار؛ لأنَّ الإكراه يكون بالقول دون الفعل، وبالله التَّوفيق.

وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.



(١) أخرجه أحمد في «الزُّهد» (ص ١٧ الكتب العلميَّة)، وابنُ أبي شيبة في «المصنَّف» (٦/ ٤٧٣ الرُّشد)، وابنُ الأعرابي في «المعجم» (٢/ ٨٦٢ ابن الجوزي)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٤٥٧)، والخطيب البغدادي في «الكفاية» (ص١٨٥ المكتبة العلمية)، جميعهم من طريق طارق بن شهاب عن سلمان موقوفًا عليه. قال أبو نعيم: «رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقٍ مِثْلَهُ. وَرَوَاهُ جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ حَيَّانَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ سَلْمَانَ نَحْوَهُ». وصحَّحه الألبانيُّ موقوفًا، إلَّا أنَّه رجَّح أنَّه من الأخبار الإسرائيلية. انظر: «الضعيفة» (١٢/ ٧٢١ - ٧٢٢) تحت رقم (٥٨٢٩).



التوحيد ثلاثة أنواع

الأَوَّل: توحيدُ الرُّبُوبيَّة: وهو الَّذي أَقرَّ بهِ الكُفَّارُ عَلَىٰ زَمَنِ رَسولِ اللهِ ﷺ، وَقَاتَلَهم رَسولُ اللهِ ﷺ، ولَمْ يُدْخِلْهم في الإسلام، واستَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوالَهم، وهُو تَوحِيدُ اللهِ بفعلِهِ تَعالَىٰ، والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، والآياتُ علىٰ هَذَا كَثيرةٌ جدًّا.

الثَّاني: توحيدُ الأُلُوهيَّة: وهُو الَّذي وَقَع فِيهِ النِّزاعُ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْر وحَدِيثِهِ، وَهُوَ تَوحِيدُ اللهِ بأَفْعالِ العِبَادِ؛ كالدُّعَاءِ والنَّذْرِ والنَّحْرِ والرَّجَاءِ والخَوفِ والتَّوكُّلِ والرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والإِنابَةِ، وَكلُّ نوعٍ مِنْ هَذِه الأَنْواعِ عَلَيهِ دَلِيلٌ مِن القُرْآنِ.

الثَّالث: توحيدُ الذَّاتِ والأَسماءِ والصِّفاتِ، قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقولُهُ تعالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١].

الشرح:

الأوَّل: توحيد الرُّبوبية: وهو الَّذي أقرَّ به الكُفَّار في زمن الرَّسول ﷺ، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحلَّ دماءهم، ولم يُدخلهم ذلك في الإسلام، وهو توحيدُ الله بفعله؛ بأَنْ يعتقدَ أنَّ اللهَ هو الخالق، المالك لكلِّ شيءٍ، المُدبِّر لجميع الأمور.

وهو الرَّازق، وهو المحيي، وهو المميت، وقَدْ كان الكُفَّار يعتقدون هذا، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، والآيات علىٰ هذا كثيرةٌ جدًّا.

وهناك أناسٌ في هذا الزَّمن يُفسِّرون توحيد الأُلوهيَّة بتوحيد الرُّبُوبيَّة، ويزعمون أنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبُوبيَّة فإنَّه يُعتبَر مُوحِّدًا، وهذا جهلٌ عظيمٌ، بل نجد من المؤلِّفين والكُتَّاب مَنْ يعتقد ذلك كَسيِّد قطب[1]؛ فإنَّه يُفسِّر توحيد الأُلوهيَّة بتوحيد الرُّبوبيَّة.

إذًا؛ نقول: إنَّ مَنْ أقرَّ بتوحيد الرُّبُوبيَّة، فإنَّ إقراره بذلك لا يُدخلُه الإسلام، ولا يوجب له الجنَّة، ولا يحرِزُ دمَه ولا ماله، وهذا؛ يعني: أنَّ إحراز المال وإحراز الدَّم لا يكون إلَّا بتوحيد الأُلوهيَّة علىٰ مُقتضىٰ شهادةِ أنْ «لَا إلهَ إلَّا اللهُ»، بأَنْ يقولها مُعتقِدًا معناها، عاملًا بمُقتضاها.

أمَّا إنْ قال: أنا أعلم أنَّ اللهَ ربِّي، وأنَّه هو الَّذي خلق السَّموات والأرض، وأنَّه هو الَّذي يُحيي ويُميتُ، وأنَّه هو الَّذي يُنزل المطر ويرزق عبادَه، فإنَّ ذلك كلَّه لا يُحرز دمَه ولا ماله، وإنَّما يُحرز ويَعصمُ دمَه ومالَه بتوحيد الأُلُوهيَّة وإخلاص الدِّين لله وحده.

الثَّاني: توحيد الأُلُوهيَّة: وهو الَّذي وقع فيه النِّزاع في قديم الدَّهر[2] وحديثه

---

(١) فمن الخطأ ما فَسَّر به سيد قطب قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القصص: ٧٠]. فقال: «أي: فلا شريك له في الخلق والاختيار». [«في ظلال القرآن» (٥/ ٢٧٠٧)].

والخلق والاختيار من أفعال الله ومن معاني ربوبيته التي اعترف بها المشركون كما تقدم.

(٢) الدَّهر: هو الزَّمان.

بين الأمم ورسلهم - عليهم الصَّلاة والسَّلام -، أو بين الأمم وأتباع الرُّسُل، وهو توحيد الله بأفعال العباد: كالدُّعاء، والنَّذر، والذَّبح، والرَّجاء، والخوف، والخشية، والتَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، والإنابة، وكلُّ نوعٍ من هذه الأنواع عليه دليلٌ من القرآن.

إذًا، ما الفرق بين توحيد الأُلُوهيَّة وتوحيد الرُّبُوبيَّة؟

الفرق بينهما كالتَّالي، ويتَّضح من تعريف كلٍّ منهما:

توحيد الرُّبُوبيَّة: هو إفراد الله بأفعاله، من الخَلْق والرِّزْق والإحياء والإماتة وما أشبه ذلك.

وتوحيد الأُلُوهيَّة: هو توحيد الله بأفعال العباد، فأنت تصرف له دعاءك ورجاءك وخوفك وخشيتك وذبحك ونحرك وَتَوكُّلك ورغبتك ورهبتك وإنابتك، إنْ دعوت تدعو الله وحده دون سواه، وإنْ نذرت تنذر لله وحده دون سواه، وإنْ ذبحت أو نحرت تذبح وتنحر لله وحده دون سواه، وإنْ رجوت فترجوه هو وحده، والخوف الَّذي هو خوف العبادة تُفْرِد اللهَ به دون سواه، وهكذا.

وهذه بعض الأدلَّة من القرآن على هذه الأنواع من العبادات:

ما دليل الدُّعاء؟

قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ما الدَّليل علىٰ النَّذر؟

قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

ما الدَّليل علىٰ الذَّبْح والنَّحْر؟

قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ومن السُّنَّة: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيرِ اللهِ»(١). [رواه مسلمٌ].

ما الدَّليل علىٰ الخوف؟

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ما الدَّليل علىٰ الرَّجاء؟

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ما الدَّليل علىٰ التَّوكُّل؟

قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ما الدَّليل علىٰ الرَّهْبة؟

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ما الدَّليل علىٰ الإنابة؟

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

ما الدَّليل علىٰ الرَّغبة؟ وكذلك الرَّهبة والخشوع وغيرها.

قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. (هكذا، هذه أدلَّتها).

الثَّالث: توحيد الأسماء والصِّفات:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأقول: يجب علىٰ المُكلَّفين إثبات أسماء الله وصفاته الَّتي وردت في القرآن علىٰ الوجه اللَّائق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذه الصِّفات تنقسم إلى ثلاثة أقسامٍ:

١- صفات ذاتيَّة بحتة.

٢- صفات فعليَّة.

٣- صفات ذاتيَّة فعليَّة.

فالصِّفات الذَّاتيَّة البحتة: كالسَّمع والبصر والعينين واليدين والكفَّين والأصابع والوجه والرِّجل والقَدَم والسَّاق، وهذه صفاتٌ ذاتيةٌ.

والصِّفات الفعليَّة: كالخَلْق صفة للخالق، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

وكصفة المجيء يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وصفة الإتيان؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وصفة الرِّزْق؛ قال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [سبأ: ٢٤].

وصفة النُّزول في قوله ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[1] الحديث.

وصفة الاستواء في قول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

وهناك صفاتٌ فعليَّةٌ ذاتيَّةٌ: كصفة الكلام، فهي ذَاتيَّةٌ باعتبار أنَّها من صفات الذَّات، وهي فعليَّةٌ باعتبار أنَّه يفعلُها متىٰ شاء، ولهذا يقول أهل العلم: إنَّ الكلام قديم النَّوع، حادث الآحاد.

قولُهم: إنَّ الكلام قديم النَّوع حادث الآحاد؛ يعني: أنَّ الله موصوفٌ بأنَّه متكلِّمٌ، وذلك بأنَّه يتكلَّم متىٰ شاء بما شاء، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].



(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وأقول: إنَّ الإعراض عن دين الله وعدم تعلُّمه والعمل به حتَّىٰ ولو عُرِضَ عليه كتَرْك شهادة أن «لا إله إلَّا الله»، أو قولها باللِّسان، وعدم تعلُّم معناها مع الإتيانِ بمُناقِضٍ لها، فإذا دعي إلىٰ أنْ يَتعلَّم «لا إله إلَّا الله» حتَّىٰ لا يقع فيما يناقضها أبَىٰ وأعرض واستكبر، وهو مع ذلك واقعٌ فيما يناقضها كعبادة الأولياء، والإتيان إلىٰ السَّحَرة والمُنجِّمين، أو الطَّواف بالقبور، وسَوْق النَّذر لها، أو يمتنع عن أداءِ الصَّلاة الَّتي أمر الله بها، وهي عمود الإسلام، فهذا الإعراض يحمل علىٰ الإعراض عن أصول الدِّين الَّتي لا يكون الإنسان مُسْلمًا إلَّا بقبولها، والإتيان بها، والتَّعلُّم لها، والعمل بها.

فمَنْ أعرض عن هذه الأصول والقواعد وأَبَىٰ أن يقبلها، وأَبَىٰ أن يتعلَّمها، وأبىٰ أن يعمل بها، فإنَّه يكون كافرًا كفرَ إعراضٍ.

مع العلم أنَّ الإعراض ينقسم إلى قسمين:

الإعراضُ الكليُّ: وهو الَّذي يكون إعراضًا عن أصوله وقواعده، كما قلنا، وهذا يُوجِب الكفر.

الإعراضُ الجزئيُّ: وهو الإعراض عن بعض الأحكام الفرعيَّة، وعدم العمل بها.

كمَنْ يحلق لحيته، أو يسبل ثوبه، أو أنَّ امرأةً تمتنع من الحجاب، وتَتبرَّج، أو ما أشبه ذلك، فهذا إعراضٌ لا يكون موجبًا للكفر، بل هو فسقٌ، ولا يكفَّر بذلك إلَّا الخوارج والمعتزلة، أمَّا الجمهور أي: جمهور أهل السُّنَّة فلا يُكَفِّرون بذلك.

قَدْ قُسِّم الكفر الأكبر الَّذي يُخرج من المِلَّة إلىٰ أربعة أقسام، وهي:

١ - كفرُ الإعراضِ.

وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١] وتفسيرُها الَّذي لا إِشْكَالَ فِيهِ: طاعةُ العُلماءِ والعُبَّادِ في المعْصيةِ، لا دُعاؤُهم إِيَّاهُمْ، كَما فَسَّرها النَّبيُّ ﷺ لِعَدِيِّ بن حَاتِمٍ لمَّا سَأَلَهُ، فقَالَ: لَسْنا نَعْبُدُهُمْ! فَذَكَر له أَنَّ عِبادَتَهم: طَاعَتُهُم في المعْصِيَةِ.

الرَّابع: شرك المحبَّة: والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥].

النَّوع الثَّاني من أنواعِ الشِّرْك: شركٌ أصغر، وهو الرِّياء، والدَّليلُ قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

النَّوع الثَّالث من أَنْواعِ الشِّرْك: شركٌ خفيٌّ، والدَّليلُ قولُهُ ﷺ: «الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ صَفَاةٍ سَوْدَاءَ في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»، وكَفَّارتُهُ قولُه ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذي لا أَعْلَمُ».

الشرح:

قول المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ضد التَّوحيد الشِّرْك»، وهو ثلاثةُ أنواعٍ:

١- شركٌ أكبر.

٢- شركٌ أصغر.

٣- شركٌ خفيٌّ.

فالشِّرك الأكبر: لا يغفره الله، ولا يقبل معه عملًا صالحًا.

والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولمَّا ذكر الله الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في سورة الأنعام قال في آخر ذلك: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

أقول: الشِّرك يهدم الإسلام، ويحبط العمل، وصاحبه لا تُقبَل منه حسنةٌ، ولا تُغفَر له سَيِّئةٌ، ولا يَطْمَع في النَّجاة من النَّار، بل هو خالدٌ فيها مُخلَّدٌ، وهو ما تُسجِّله هذه الآيات ونظائرها، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأخبر أنَّ عملهم يذهب هباءً منثورًا في قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

ويشهد بتخليد المشركين شركًا أكبر في النَّار قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]. فنفيُ الفلاح عنهم دليلٌ علىٰ

شفاوتهم الأبديَّة.

ثمَّ قَسَّم الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ النَّوع الأوَّل من الشِّرك وهو: الشِّرك الأكبر إلىٰ أربعة أقسام:

١- شرك الدَّعوة.

٢- شرك النيَّة والإرادة والقصد.

٣- شرك الطَّاعة.

٤- شرك المَحبَّة.

فشِرْكُ الدَّعوة: دليله: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

فشِرْكُ الدَّعوة يدخل فيه الشِّرك في دعاء العبادة، والشِّرك في دعاء المسألة والطَّلب.

وشِرْكُ النيَّة والإرادة والقصد: دليله: قول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وشِرْكُ الطَّاعة: دليله: قول الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وهو طاعة العلماء والعُبَّاد بدون دليلٍ، أي: طاعتهم في معصية الله.

وشِرْكُ المَحبَّة: دليله: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والمُؤلِّف - يرحمه الله - هنا قَسَّم الشِّرك إلىٰ ثلاثة أنواعٍ، والأقرب والله

أعلم أنَّ الشِّرك ينقسم إلىٰ نوعين:

- نوع يُخَلِّد في النَّار ويُحبط العمل.
- ونوع لا يكون كذلك.

وحينئذٍ نقول: شرك أكبر، وشرك أصغر، (وهذا يشمل ما كان ظاهرًا جليًّا، وما كان خفيًّا).

فأمَّا الشِّرك الخفيُّ، فينقسم إلى قسمين:

الأوَّل: رياء يُعتبَر شركًا أكبر: وهو الَّذي يكون حافزًا علىٰ العمل، فإذا انعدم لا يعمل صاحبه، وهو رياء المنافقين، ولهذا لم يكونوا يحرصون علىٰ حضور العشاء والفجر؛ قال ﷺ: «**أَثْقَلُ الصَّلاةِ عَلَىٰ المنَافِقِينَ العِشَاءُ وَالفَجْرُ**»[1]؛ لأنَّه لم يوجد أنوارٌ في ذلك الوقت فينفضحون؛ كما قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

الثَّاني: الرّياء العارض للعمل: كأَنْ يكون الإنسان يعمل عملًا خيريًّا، ولكن يُحَسِّنه من أجل أن يُمدَح عليه، فهذا يكون عارضًا علىٰ العمل، فهذا لا يخرج من الإسلام، ولكن قَدْ يصل بالإنسان إلىٰ أنَّه يحبط ثوابه، لكن إذا كافحه صاحبُهُ ودعا بالأدعية الواردة نرجو أن ينجو منه.

والنَّبيُّ ﷺ علَّم أصحابه أن يقول أحدهم إذا وجد شيئًا من ذلك: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أَعْلَمُ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٦٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦) من حديث معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألبانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في «صحيح الأدب المفرد» (٢٦٦).





الكفر كفران(١)

النَّوْع الأَوَّل:

كفرٌ يُخْرِج من المِلَّةِ: وهو خمسةُ أنواعٍ:

النَّوْع الأَوَّل: كفرُ التَّكْذِيبِ: والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[العنكبوت: ٦٨].

النَّوْع الثَّاني: كُفْر الإِباءِ والاستِكْبارِ مع التَّصْديقِ، والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

النَّوْع الثَّالث: كُفْر الشَّكِّ، وهو كُفْر الظَّنِّ، والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[الكهف: ٣٥ - ٣٨].

النَّوْع الرَّابع: كُفْر الإعراضِ، والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[الأحقاف: ٣].

النَّوْع الخامس: كُفْر النِّفاقِ، والدَّليل قولُهُ تعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾[المنافقون: ٣].

---

(١) للفائدة راجع كتاب «التَّوحيد» للشَّيخ صالح الفوزان - حفظه الله - (ص١٥)، لمعرفة ملخص الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر.





الكفر كفران(1)

❁ النوع الأول:

❁ كفر يُخرج من الملة، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (68)﴾ [العنكبوت: 68].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)﴾ [البقرة: 34].

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38)﴾ [الكهف: 35 - 38].

النوع الرابع: كفر الإعراض، والدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ (3)﴾ [الأحقاف: 3].

النوع الخامس: كفر النفاق، والدليل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3)﴾ [المنافقون: 3].

---

(1) للفائدة راجع كتاب «التوحيد» للشيخ صالح الفوزان - حفظه الله - (ص15)، لمعرفة ملخص الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر.

النَّوع الثَّاني من نَوْعَي الكُفْر: وهو كفرٌ أصغر لا يُخْرج من المِلَّةِ، وهو كُفْر النِّعمة، والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

الشرح:

الكفر في اللُّغة: التَّغطية والسَّتر، والكُفْر شرعًا: ضدُّ الإيمان - فإنَّ الكُفْر عدم الإيمان بالله ورسوله - سواء كان معه تكذيبٌ أو لم يكن معه تكذيبٌ، بل شكٌّ وريبٌ أو إعراضٌ أو حسدٌ أو كبرٌ أو اتِّباعٌ لبعض الأهواء الصَّادَّة عن اتِّباع الرِّسالة. وإنْ كان المُكذِّب أعظم كفرًا، وكذلك الجاحد المُكذِّب حَسَدًا مع استيقان صِدْق الرُّسُل عليهم الصَّلاة والسَّلام(١).

الأوَّل: كفرٌ يخرج من المِلَّة:

وهو أي: الكفر الأكبر خمسة أنواعٍ:

النَّوع الأوَّل: كُفْر التَّكذيب: والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨].

أقول: التَّكذيب بالأدلَّة القاطعة من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ومن سُنَّة رسوله ﷺ الثَّابتة هذا هو كُفْر التَّكْذيب المُخرج من المِلَّة، والمُوجِب للخلود في النَّار، والموجب لحبوط العمل؛ لأنَّه يُعَدُّ ارتدادًا، والارتداد يُعتبَر موجبًا لذلك: من حبوط العمل والخلود في النَّار - والعياذ بالله -؛ ككفر أعداء الرُّسُل الَّذين كَذَّبوا رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حين جاؤوهم بالبيِّنات، وَهُمْ مع ذلك مُكذِّبون، كالمُكذِّبين من

(١) انظر: «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢/ ٣٣٥).

قريشٍ، والمُكذِّبين مِمَّنْ بُعِث إليهم الرُّسُل - عليهم الصَّلاة والسَّلام - فكَذَّبوهم.

النَّوع الثَّاني: كفر الإباء والاستكبار مع التَّصديق: استدلَّ علىٰ ذلك بكفر إبليس الَّذي استكبر وأبىٰ أن يسجد، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ويُمثَّل له بقوله تعالىٰ في سورة النَّمْل عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

فأخبر الله عن فرعون وقومه أنَّ أنفسهم استيقنت صِدْق موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما معه من الآيات الدَّالَّة علىٰ صِدْقه.

النَّوع الثَّالث: كُفْر الشَّكِّ، وهو كُفْر الظَّنِّ: وأقول: كان لا ينبغي التَّعبير بالظَّنِّ؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال عن قومٍ من المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

إذ إنَّ الظَّنَّ هو الاحتمال الرَّاجح، والشَّكُّ مستوي الطَّرفين، فلا يعبر بالظَّنِّ كتفسيرٍ للشكِّ، والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٨].

فالتَّعبير بالظَّنِّ في هاتين الآيتين المراد به الشَّكُّ، وهذا ظنُّه عدم قيام السَّاعة، أي أنَّ الاحتمال الرَّاجح عنده هو عدم قيام السَّاعة، وعدم وجوده لخيرٍ من جنَّته تلك.

النَّوع الرَّابع: كُفْر الإعراض: والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

أقول: الإعراض ينقسم إلى قسمين:

١- إعراض كلي.

٢- إعراض جزئي.

فالإعراضُ الكليُّ: هو الموجب للكفر.

أمَّا الإعراضُ الجزئيُّ: فهو مُحرَّمٌ أيضًا، ولكن قَدْ يصل بصاحبه إلىٰ الكُفْر، وقَدْ لا يصل به.

النَّوْع الخامس: كُفْر النِّفاق: والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

النِّفاق: هو إظهار الإسلام وإبطان الكُفْر، فمَنْ أظهر الإسلام وأبطن الكُفْر فذلك هو المنافق نفاقًا اعتقاديًّا، وهو مستحقٌّ للعذاب والخلود في النَّار، نعوذ بالله من ذلك، بل هم مُتوعَّدون بالدَّرك الأسفل من النَّار.

الثَّاني: وهو كُفْرٌ أصغر لا يُخْرِج من المِلَّة: وهو الكُفْر العمليُّ، وهو الذُّنوب الَّتي وردت تَسْميتها في الكتاب والسُّنَّة كفرًا، وهي لا تصل إلىٰ حَدِّ الكُفْر الأكبر مثل: كُفْر النِّعْمة، وقتال المسلم، والحلف بغير الله....

فَمِمَّا ورد في القرآن كُفْر النِّعمة؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

أقول: الكفر الأصغر وَرَدَ في السُّنَّة كذلك، ومن ذلك قول النَّبيِّ ﷺ: «**سِبَابُ المسْلِمِ فُسُوقٌ، وقِتَالُهُ كُفْرٌ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمراد بالكفر هنا: كفر نعمة الأُخَوَّة الإيمانيَّة، فإذا تقاتل المؤمنون الَّذين أَنْعَم الله عليهم برابطة الإيمان؛ فإنَّهم يُعتبَرون قَدْ كفروا بهذه الرَّابطة، بمعنىٰ أنَّهم جحدوا، ولهذا فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ سَمَّاهم إخوةً رغم التَّقاتل، فقال في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. بعد أنْ ذكَر الطَّائفتين؛ الباغية والمبغي عليها في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾، إلىٰ أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

فأثبت لهم أُخوَّة الإيمان مع وجود التَّقاتل بينهم.

وقال أيضًا في سورة (البقرة) فيما إذا عُفي عن القاتل من القصاص وقُبِلَت الدِّيَة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقَدْ غلطت الخوارج في هذا الباب، فكفَّرت بالذُّنُوب الكبائر، وما ذلك إلَّا لجهلهم وإعراضهم عن سُنَّة رسول الله ﷺ وتكفيرهم للصَّحابة، وعدم أخذهم عنهم، فوقعوا - والعياذ بالله - في البدعة الشَّنيعة، وهي تكفير المسلمين، واستحلال دماء المعصومين، واستحلال أَخْذ أموالهم، وما يَترتَّب علىٰ ذلك من إفسادٍ عظيمٍ.

فالتَّفريق بين الكُفْر المُخْرج من المِلَّة والكُفْر غير المُخْرج من المِلَّة أمرٌ له خطورته.

كالحكم بغير ما أنزل الله؛ إذ إنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «ليس الكفر الَّذي تذهبون إليه، إنَّه ليس كفرًا ينقل عن المِلَّة، وهو كفرٌ دون كفرٍ»[١].

---

(١) أخرجه سعيدُ بن منصور في «سُننه» (٤/ ١٤٨٢ الصّميعي)، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٤٣)، =

وكذلك قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاس هُمَا بهمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَب، والنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ**»[(١)].

ومِمَّا ينبغي أن يُعْلم أنَّ الاستحلال العمليَّ لا يوجب الكفر، وإنَّما يوجب الكفر الاستحلالُ الاعتقاديُّ.

فمثلًا: مَنْ رأيناه عمل الرِّبا أو الزِّنا أو شَرِب الخمر مرَّةً بعد مرَّةٍ، لا يجوز أن نطلق عليه الكفر، ونجعله من الكافرين كفرًا مُخْرِجًا من المِلَّة.

ففي «صحيح البخاري» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُه عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ في الشَّرَابِ.

فَأُتِيَ بهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ، فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوم: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَىٰ بِهِ! فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُهُ إِلَّا إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»[(٢)].

وفي روايةٍ: «فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ، أَخْزَاهُ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَان عَلَىٰ أَخِيكُمْ**»[(٣)].

فكَوْن الإنسانِ ينساق بالشَّهْوة أو الطَّمع أو غير ذلك من الأسباب الَّتي يقع النَّاس بسببها في كبائر الذُّنُوب، هذا لا يُوجِب كفرًا حتَّىٰ وإنْ وقع في الذَّنْب عِدَّة مَرَّاتٍ إلَّا أن يَصْحب ذلك الفعل تكذيبٌ بتحريم ذلك الشَّيء الَّذي وقع فيه،

=

والحاكم (٢/ ٣١٣). وصحَّحه الألبانيُّ علىٰ شرط الشَّيخين كما في «الصَّحيحة» (٦/ ١١٣) تحت رقم (٢٥٥٢).

(١) أخرجه مسلم (٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

واستحلالٌ له، مع أنَّ ذلك الشَّيء من الأمور المعلومة من الدِّين بالضَّرورة، فهذا يكفر؛ أمَّا بدون الاستحلال فإنَّه لا يكفر.

والمُهِمُّ: أنَّ كفر النِّعمة لا يوجب الخروج من الإسلام، ولا يوجب الخلود في النَّار، ولا يوجب حبوط العمل، ولا يوجب إطلاق الكفر علىٰ ذلك الشَّخص إلَّا إذا صحبه الاستحلال لمُحَرَّمٍ مُجْمَعٍ عليه، أو التَّحريم لحلالٍ مُجْمَعٍ عليه.





النفاق

نَوْعانِ: اعتقاديٌّ وعمليٌّ:

النِّفاقُ الاعْتِقاديُّ: سِتَّةُ أَنْواعٍ، صاحِبُها مِن أهْلِ الدَّرَك الأسفَلِ مِن النَّار:

الأوَّل: تَكْذِيبُ الرَّسُولِ ﷺ.

الثَّاني: تَكْذِيبُ بَعْضِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

الثَّالث: بُغْضُ الرَّسُولِ ﷺ.

الرَّابع: بُغْضُ بعضِ ما جاءَ به الرَّسُولُ ﷺ.

الخامس: المَسرَّة بانخِفَاضِ دينِ الرَّسُولِ ﷺ.

السَّادس: الكراهيةُ بانتصارِ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ.

النِّفاقُ العمليُّ: خمسةُ أنواعٍ: والدَّليلُ قولُهُ ﷺ: «آيَةُ المنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، وفي روايةٍ: «إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ».

الشرح:

النفاق نوعان: اعتقاديٌّ وعمليٌّ.

قوله: «اعتقاديٌّ وعمليٌّ»، موقعه من الإعراب: أنَّه بَدَل من كلمة (نوعان).

ويصحُّ أن نقول: نفاقٌ اعتقاديٌّ، ونفاقٌ عمليٌّ.

النِّفاق الاعتقاديُّ: صاحبه من أهل الدَّرْك الأسفل من النَّار، نعوذ بالله من ذلك.

تعريف النِّفاق الاعتقاديِّ: هو التَّكذيب في الباطن، والإيمان في الظَّاهر، وقَدْ

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ النِّفاق الاعتقاديَّ، وبيَّن صفات أهله في سورة البقرة بَدءًا من قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨ - ٢٠].

وبيَّن صفات المنافقين في سورة (براءة) بيانًا عظيمًا، فما زال يقول: ومنهم، ومنهم، ومنهم...، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

وفي خلال ذلك بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ كثيرًا من صفاتهم إلىٰ أن قال: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦].

إلىٰ أن قال سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤].

إلىٰ أن قال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

وفي خلال ذلك بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ الشَّيء الكثير من أعمالهم، وفي سورة الأحزاب

ذَكَرهم الله عَزَّوَجَلَّ وبيَّن بعض صفاتهم، وفي سورة (المنافقون) كذلك.

وتعريف النِّفاق الاعتقاديِّ - كما سبق -: إظهار الإسلام وإبطان الكفر، بأن يزعم المنافق بأنَّه يحبُّ الله ورسوله، وأنَّه مؤمنٌ، وهو بخلاف ذلك يكون مُكذِّبًا للرَّسول ﷺ وللقرآن، مُبغضًا للرَّسول ﷺ ولِمَا جاء به، ومبغضًا لدينه، والمنافقون لفساد اعتقادهم يَتمالؤون مع الكُفَّار الصُّرحاء مِن يهودٍ ونصارىٰ ومُشركين.

وهكذا فالمنافق يُسَرُّ ويُحِبُّ أنْ ينخفض دينُ الرَّسول ﷺ، ويَظْهَر دين الكُفْر علىٰ دين الإسلام، ويكره انتصار دين الرَّسول ﷺ، هذا هو النِّفاق الاعتقاديُّ الَّذي يكون في قلوبهم، نعوذ بالله من النِّفاق وفساد الاعتقاد.

أمَّا النِّفاق العمليُّ: وهو عمل شيءٍ من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من المِلَّة، لكنَّه وسيلةٌ إلىٰ ذلك، وصاحبُهُ يكون فيه إيمانٌ ونفاقٌ، وإذا كثر صار بسببه منافقًا خالصًا.

والدَّليل عليه قوله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

وقَدْ ذكر في الحديث أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٢).

وفي روايةٍ: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٣٢)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

فالنِّفاق العمليُّ لا يُخْرِج من الإسلام، بل صاحبُهُ مسلمٌ فاسقٌ.

والنِّفاق مأخوذٌ من النَّفق الَّذي هو الجُحر باعتبار أنَّ صاحبه أظهر شيئًا وأَخْفَىٰ خلافَه، ويُسمَّىٰ النِّفاقُ العمليُّ نفاقًا؛ لأنَّ الَّذي يكذب في حديثه يزعم أنَّ حديثَه صدقٌ، وهو كذبٌ، وأنَّه يَعِدُ ويخلف قاصدًا للخُلْف حين وعد؛ لأنَّه أظهر الوفاءَ وأبطن الخُلف، أمَّا الَّذي يَعِدُ صادقًا وتَحْصُل له ظروفٌ تمنعه من الوفاء فهذا لا يكون منافقًا، كذلك أيضًا مَنِ اؤتمن فخان الأمانة، وكذلك إذا خاصم فَجَر، فهو يحلف كاذبًا ويأتي بشهادةٍ مُزَوَّرَةٍ، ويَدَّعي شيئًا ليس له، وينكر الشَّيء الَّذي عليه.

وكذلك قوله: «**إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**»، مَنْ عاهد وهو يريد الوفاء بالعهد، وحصل له ما يمنعه من الوفاء فهذا لا يدخل في النِّفاق.

[فمَنِ اجْتَمعت فيه هذه الخصال الأربع، فقَدِ اجتمع فيه الشَّرُّ، وخلصت فيه نُعُوت المنافقين، ومَنْ كانت فيه واحدةٌ منها، صار فيه خصلةٌ من النِّفاق، فإنَّه قَدْ يجتمعُ في العبد خصالُ خيرٍ، وخصالُ شرٍّ، وخصالُ إيمانٍ، وخصالُ كُفرٍ ونفاقٍ، ويستحقُّ مِن الثَّواب والعقاب بحسَب ما قام به من موجبات ذلك.

ومنه التَّكاسل عن الصَّلاة مع الجماعة في المسجد؛ فإنَّه من صفات المنافقين، فالنِّفاق شرٌّ، وخطيرٌ جدًّا، ولقَدْ كان الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يتخوَّفون من الوقوع فيه.

قال ابن أبي مُلَيكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ»[1]][2]، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) ذكره البخاري مُعلَّقًا (١/ ١٨)، ووصله في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣٧ المعارف العثمانية)، وانظر: «تغليق التعليق» (٢/ ٥٢ - ٥٣ المكتب الإسلامي).

(٢) من كتاب «التَّوحيد» للشَّيخ صالح الفوزان حفظه الله (ص ٢٠).



معنى الطَّاغوت ورؤوس أنواعه

اعْلَمْ - رَحمَك اللهُ تعالىٰ - أنَّ أوَّلَ مَا فَرَض اللهُ علىٰ ابْنِ آدَمَ: الكُفْرُ بالطَّاغُوتِ، والإيمانُ باللهِ، والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

فأمَّا صفة الكُفْر بالطَّاغوتِ: فَأَنْ تعتقدَ بُطْلان عِبادةِ غيرِ اللهِ، وتَتركَها وتُبغِضَها، وتُكفِّر أهلَها وتُعَادِيَهم.

وأمَّا معنىٰ الإيمان بالله: فأَنْ تَعتقدَ أنَّ اللهَ هُو الإلهُ المعبودُ وحدَه دونَ سِواهُ. وتُخْلص جميعَ أنواعِ العبادةِ كلِّها لله، وتَنفِيها عَن كلِّ مَعبُودٍ سواهُ، وتَحبَّ أهلَ الإخلاص وتُوَالِيَهم، وتُبغضَ أهلَ الشِّرْك وتُعَادِيَهم، وهَذِهِ مِلَّةُ إبْراهيمَ الَّتي سَفه نَفْسه مَنْ رَغِبَ عنها، وهَذِهِ هي الأُسْوَة الَّتي أَخبرَ اللهُ بها في قَولِهِ تعالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ٤].

والطَّاغوتُ عامٌّ؛ فكلُّ ما عُبِدَ مِن دُون الله، ورَضِيَ بالعِبادةِ؛ مِن مَعْبودٍ أو مَتبوعٍ أو مُطَاعٍ في غير طَاعةِ اللهِ ورَسُولِهِ، فهو طاغوتٌ.

والطَّواغيتُ كثيرةٌ، ورؤوسهم خمسةٌ:

الأوَّل: الشَّيْطَانُ الدَّاعِي إلىٰ عِبادَةِ غيرِ اللهِ، والدَّليلُ قَولُهُ تَعالَىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾[يس: ٦٠].

الثَّاني: الحاكمُ الجائرُ المُغيِّر لأحْكَامِ اللهِ، والدَّليلُ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

الثَّالث: الَّذِي يحكُم بغير مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

الرَّابع: الَّذي يدَّعِي عِلْمَ الغيب مِن دُونِ الله، والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالَىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

الخامس: الَّذي يُعْبَد مِن دُونِ اللهِ وَهُوَ رَاضٍ بالعِبَادَةِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وَاعْلَمْ أَنَّ الإنسَانَ مَا يَصِيرُ مُؤْمِنًا بالله إِلَّا بالكُفْر بالطَّاغوت، والدَّلِيلُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٥]، الرُّشد: دِينُ مُحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وَسَلَّم. والغيُّ: دينُ أَبِي جَهلٍ. والعُرْوةُ الوُثْقَىٰ: شَهادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ للنَّفْي والإِثْبَاتِ؛ تَنْفِي جَمِيعَ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ عَن غَيرِ اللهِ، وتُثْبِتُ جمِيعَ أنواعِ العبادةِ كلِّها لله وَحْدَه لا شَرِيكَ لَهُ.

والحَمْدُ للهِ الَّذِي بنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالحاتُ.

الشرح:

قال الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم - رحمك الله تعالىٰ - أنَّ

أول ما فرضَ اللهُ علىٰ ابن آدم الكُفْر بالطَّاغوت والإيمان بالله، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]».

أقول: في هذه الآية (رقم ٣٦ من سورة النَّحْل) ثلاث فوائد:

وهي كما يلي:

الفائدة الأولىٰ: أنَّ الله أخبرنا أنَّه بعث في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا؛ أي: ما خَلَت أُمَّةٌ إلَّا وبُعِثَ منها رسولٌ، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّكُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ**»(١).

وعلىٰ هذا فإنَّ الله قَدْ بعث في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يدعوهم إلىٰ عبادته وحده، ويقيم عليهم الحُجَّة.

الفائدة الثَّانية: قولُه: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: أرسل في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يقول: اعبدُوا الله؛ أي: وَحِّدوه بعبادتكم، ولا تعبدُوا معه أحدًا سواه.

الفائدة الثَّالثة: قولُه: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾؛ أي: أنَّه ما مِن رسولٍ أُرْسِل إلَّا وهو يأمرُ أُمَّته بعبادةِ الله وحدَه، واجتناب الطَّاغوت؛ أي: تركه واعتقاد بطلانه.

قوله: «وأمَّا صفة الكفر بالطَّاغوت»: فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها، وتُكفِّر أهلها، وتعاديهم.

وقوله: «وأمَّا معنىٰ الإيمان بالله»: فأن تعتقد أنَّ الله هو الإله المعبود بحقٍّ وحده دون مَنْ سواه، وتخلِص جميع أنواع العبادة كلِّها لله وحده لا شريك له، وتنفيها عن كلِّ معبودٍ سواه غيره، وتحبُّ أهل الإخلاص وَتُوَاليهم، وتبغض

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٧ قرطبة) (٢٠٠٢٩) واللفظُ له، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٧ و٤٢٨٨)، من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه، وحسَّنه الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ «المشكاة» (٦٢٩٤).

أهل الشِّرك، وتُعَاديهم.

ولربَّما قال قائلٌ: إذا عبدت الله وكفرت بالطَّاغوت، فكيف يُكلِّفني ربِّي أن أبغض أهل الشِّرك وأعاديهم؟

الجواب: هو أنَّ بُغْض أهل الشِّرك ومعاداتهم فرضٌ علىٰ المسلم، وموادَّة أهل التَّوحيد ومَحبَّتهم وموالاتهم أيضًا فرضٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فهذه الآية صارفةٌ وصريحةٌ في أنَّه لا يحبُّ المشركين ويواليهم إلَّا مَنْ ضعف إيمانه، وقلَّ نصيبه منه، أمَّا أهل الإيمان الحقيقيِّ فإنَّهم يبغضون أهل الشِّرك ويعادونهم، وهذه مِلَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتي لا يرغب عنها إلَّا مَنْ سَفِهَ نفسَه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

(اللَّهمَّ اجعلنا مِمَّن تصطفيهم يا ربِّ، تصطفيهم بالإيمان بكَ ومَحبَّتك، وبغض كلِّ مألوهٍ سواك، وبغض كُلِّ مَنْ يَعْبُدُ غيرَك).

وقول المُصنِّف - يرحمُه الله -: (وهذه مِلَّة إبراهيم الَّتي سَفِهَ نفسه مَنْ رغب عنها، وهذه هي الأسوة الَّتي أخبر بها في قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]).

وهذه الآية دليلٌ علىٰ معاداة ومصارمة المشركين والكافرين؛ ذلك لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي خلقَنا وخلَق الكون كلَّه بما فيه مِن عَوالِمَ عُلويَّةٍ وسُفليَّةٍ، فهو

الَّذي خَلَق الخَلْق ورزقَهم، وهو الَّذي أحياهم، ويَسَّر لهم الرِّزْق، وأمرَهم بعبادتِه وحدَه، فمَنْ عبَدَ سواه وآمن بغيره؛ فإنَّه قَدْ سفِه نفسَه.

أيحقُّ عند العقلاء أنَّ اللهَ هو يخلقُ ويرزقُ، وهو يحيي ويُميت، وهو الَّذي كلَّف العباد بعبادته وحدَه دون سواه؟!

أيصحُّ عند العقلاء أن يكون هو الَّذي يخلق ويرزق ويُعبد غيرُه؛ مَنْ لم يخلق فيك ولا في غيرك مثقال ذرَّةٍ، ولا يملك شيئًا!

قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال سبحانه في سورة (فاطر) بعدما ذكر شيئًا من ملكه في الكون: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

ثمَّ قال: ﴿۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧].

فقَدْ أخبر - جلَّ من قائلٍ سبحانه - بأنَّ المَدْعوِّين مِن دونه لا يملكون مثقال ذرَّةٍ في السَّموات ولا في الأرض، ونفىٰ الشَّراكة المُتوهَّمة ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾، ونفىٰ المعاونة والمظاهرة ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾، وأخبر في سورة (فاطر) أنَّ المَدْعوِّين من دونه ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، والقطمير هو الغشاء أو القشرة البيضاء تكون علىٰ النَّواة.

وأنَّ المُلْك كلَّه لله، وأنَّ مُلوك الدُّنيا، والمُلَّاك وما ملكوا؛ كلُّهم عبيدٌ

مملوكون لله، ونفىٰ كون المَدْعوِّين يسمعون، ونفىٰ استجابتهم ولو سمعوا؛ يعني: لو كان المدعوُّ حيًّا، فدَعَوْتَهُ ليفرِّجَ عنك كربًا من الكروب الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله؛ فإنَّه لا يستطيع الاستجابة لك، وأنَّ هؤلاء المَدْعوِّين من دون الله سوف يكفرون؛ أي: سيُنكرون ويجحدُون مَنْ أشرَكهم مع الله ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

هذه كلُّها توطئةٌ وبيانٌ أنَّ الله هو المستحقُّ للعبادة وحده، دون مَنْ سواه، ولهذا جاء في الحديث: «أَنَّ اللهَ أَمَرَ يَحيَىٰ بنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بخَمْسٍ أَنْ يُبَلِّغَهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَىٰ ابنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إِمَّا أَنْ تُبْلِغَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أُبْلِغَهُمْ.

فَقَالَ يَحيَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ بَلَّغْتَهُمْ أَنْ يُعَذِّبَنِي اللهُ.

فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَلَّغَهُمْ الخَمْسَ، وَأَوَّلُها: أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّ مَثَلَ ذَلِكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَىٰ عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: اعْمَلْ وَأَدِّ إِليَّ، فَجَعَلَ عَبْدُه يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ غَيرِهِ، فَأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ»[1].

معنى الطَّاغوت:

الطَّاغوت في اللُّغة مشتقٌّ من الطُّغْيان: وهو مجاوزة الحدِّ، ومجاوزة الحقِّ إلىٰ الباطل، ومجاوزة الإيمان إلىٰ الكفر، وما أشبه ذلك، وكلُّ طاغوتٍ فهو كافرٌ بلا شكٍّ[2].

والطَّاغوت لفظٌ أو اسمٌ عامٌّ، فكلُّ ما عُبد من دون الله ورَضِيَ بالعبادة من

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣) من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح وضعيف سنن الترمذي».

(٢) «المنتقىٰ» للشَّيخ صالح الفوزان - حفظه الله - (٢/ ٢٧٨).

معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ في غير طاعة الله ورسوله، فمَنْ فعل ذلك فهو طاغوتٌ، والطَّواغيت كثيرةٌ، ورؤوسهم خمسةٌ:

الأوَّل: الشَّيطان الدَّاعي إلى عبادة غير الله:

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠، ٦١].

الثَّاني: الحاكم الجائر المُغيِّر لأحكام الله: والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

فسمَّىٰ الله - جلَّ شأنه - مَنْ يحكم بغير ما أنزل الله علىٰ نبيِّه ﷺ طاغوتًا، وهذا إذا كان مَنْ يحكم بغير ما أنزل الله كافرًا[١] جائرًا، كأَنْ يكون واقعًا في النَّاقض الرَّابع من نواقض الإسلام مثلًا، أو غيره من النَّواقض والمُكفِّرات المُخْرِجة من المِلَّة، فهذا يُسمَّىٰ طاغوتًا، بل رأسًا من رؤوسهم.

أمَّا التَّابع والطَّائع لمَنْ حكم بغير ما أنزل الله الَّذي يحلُّ ما حرَّم الله، ويُحرِّم ما أحلَّ الله لا يخلو من حالين:

---

(١) أمَّا إنْ كان مَن يحكمُ بغير ما أنزل الله ظالمًا أو فاسقًا؛ فهذا لا يكون رأسًا مِن رُؤوس الطَّواغيت، ولا طاغوتًا؛ لأنَّ كلَّ طاغوتٍ فهو كافرٌ، وتكفيرُ مَنْ حكَم بغير ما أنزل اللهُ لابدَّ فيه مِن استيفاءِ الشُّروط وانتفاء الموانع الَّتي جاء بها الشَّرع المطهَّر؛ فإنَّ الحاكم بغير ما أنزلَ اللهُ قد يكون كافرًا أو عاصيًا (ظالم أو فاسق، والظلم والفسق مراتب ودركات بحسب مفسدته العامة أو الخاصة، أو كلا المفسدتين وأثرهما).

وإما أن يكون الحاكم مخطئًا مأجورًا، فليتنبه لذلك. انظر: «فتاوىٰ نور علىٰ الدَّرب» (١٢٦/٤ - ١٢٨)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٢/ ٣٢٥ - ٣٢٧) و(٥/ ٣٥٥ - ٣٥٦) و(١٤٨/٢٨ - ١٤٩ جمع الشويعر)؛ للشَّيخ العلَّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الحالة الأولىٰ: أن يطيعوهم في ذلك مع علمهم بتبديلهم لحكم الله ومخالفتهم للرُّسُل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فيعتقدون مع ذلك تحريم ما أحلَّ الله، وتحليل ما حرَّم الله اتِّباعًا لرؤوسهم، فهذه الحالة كفرٌ مُخرِجٌ من المِلَّة.

الحالة الثَّانية: أن يطيعوهم في ذلك مع اعتقادهم تحريم ما حرَّم الله، وتحليل ما أحلَّ الله، ولكن طاعتهم كانت عن هوىً وعصيانٍ، كما يصنعه كثيرٌ من أهل الفسق حينما يُؤذَن لهم بشرب الخمر، فلا يُعاقَبون عليه، وحينما يُؤذَن لهم بأكْل الرِّبا أضعافًا مضاعفةً كذلك، فيشربون الخمر رغبةً في المتعة، ويأكلون الرِّبا طمعًا في المال مع اعترافهم بذنوبهم كما هو حال كثيرٍ من المسلمين في هذا الوقت، فهؤلاء حُكْمهم حُكْم أمثالهم من أهل الذُّنوب والمعاصي.

وهذا القسم من الشِّرك - شرك الطَّاعة الَّذي تَقدَّم معنا - رُبَّما يقع من العالِم الَّذي لم ينفعه علمُهُ، فيتَّبع هواه، فيطيع غيره من حاكمٍ أو وَالٍ في تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله طمعًا في جاهٍ أو متاعٍ أو سلطانٍ ورئاسةٍ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومتىٰ ترك العَالِمُ ما عَلِمَهُ من كتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتَّبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله، كان مرتدًّا كافرًا يستحقُّ العقوبة في الدُّنيا والآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١ - ٣].

ولو ضُرب وحُبس وأوذي بأنواع الأذىٰ ليدع ما عَلِمَه من شرع الله ورسوله الَّذي يجب اتِّباعه واتَّبع حكم غيره، كان مستحقًّا لعذاب الله، بل عليه أن يصبر وإِنْ أوذي في الله، فهذه سُنَّة الله في الأنبياء وأتباعهم، قال الله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]... ». إلخ. انتهىٰ من «مجموع الفتاوىٰ» المجلّد (٣٥)، (ص٣٧٢، ٣٧٣).

الثَّالث: الَّذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدَّليل: قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وهو الَّذي يحكم بغير ما أنزل الله معتقدًا عدم صلاحية حكم الإسلام، أو أنَّه يجيز الحكم بغيره.

الرَّابع: الَّذي يَدَّعي علم الغيب من دون الله، والله تعالىٰ قَدْ نفىٰ علم الغيب عن غيره، فقال جلَّ من قائل: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩].

الخامس: الَّذي يُعبَد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

ولقَدْ عَدَّدَ هذه الطَّواغيتَ غيرُ واحدٍ من السَّلف؛ كابْنِ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من أهل العلم رحمهم الله، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّواغيت كثيرونٌ، ولكنَّ رؤوسَهم خمسةٌ، وهي:

١- إبليس لعنه الله؛ فإنَّه رأس الطَّواغيت.

٢- مَنْ عُبِدَ من دون الله وهو راضٍ بذلك.

٣- مَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيب.

٤- مَنْ دعا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه.

وهذا كما يفعل بعض أصحاب الأهواء من الرَّافضة وأصحاب الطُّرُق الصُّوفيَّة وغيرهم الَّذين يُسيطرُون علىٰ كثيرٍ من المغفَّلِينَ مِن النَّاس، وما أكثرهم! هداهم الله إلىٰ التَّوحيد والسُّنَّة، فَهُم أي: أصحاب الأهواء والطُّرُق يجعلون لأنفسِهم شيئًا مِن خصائص الرُّبوبيَّة ومقام الأُلُوهيَّة في أنَّهم يزعمون لأنفسهم أنَّهم ينفعون ويضرُّون، وأنَّ لديهم طاقةً تأثيريَّةً في الآخرين، وفي الكون، وفي تصريف الأمور وأنَّهم... وأنَّهم...، ويستغلون العباد، ويَترأَّسون عليهم بالباطل، ويزعمون أنَّ من مَحبَّتهم وتعظيمهم: دعاءهم، والاستغاثة بهم، والاستنجاد بهم؛ أحياءً كانوا أو بعد موتهم، وهذه دعوةٌ إلىٰ الشِّرك صريحةٌ.

فالدُّعاء كما في الحديث الصَّحيح هو العبادة، والاستغاثة عبادةٌ كذلك، ولا يجوز ولا ينبغي صرفُ أيِّ عبادةٍ من العبادات الظَّاهرة والباطنة إلَّا لله، ولكنَّهم يُسمُّونها - كذبًا وزورًا - تعظيمًا للصَّالحين، ومن الاعتراف بفضل الأولياء ومن موالاتهم ومَحبَّتهم، وهي في الحقيقة والواقع من أنواع الشِّرك الأكبر وذرائعه.

بل إنَّهم زعموا أنَّ ترك ذلك الشِّرك من الجفاء والبُغض لهم، وهذا من تلبيس إبليس عليهم وعلىٰ أتباعهم، وهو موجودٌ في كُتُبهم، نعوذ بالله من الشِّرك ومن الغُلوِّ في الصَّالحين.

(ينظر للفائدة: «شرح الأصول السِّتَّة»، لفضيلة الشَّيخ صالح الفوزان، وفَّقه الله، ورفع من شأنه في الأُمَّة).

٥- مَنْ حكم بغير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ.

واعلم أنَّ الإنسان لا يصير مؤمنًا بالله إلَّا إذا كَفَر بالطَّاغوت، قال تعالىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الرُّشْدُ: الإيمان بالله وهو دين مُحمَّدٍ ﷺ ومَنْ تَبِعه.

والغيُّ: الكفر بالله وهو دين أبي جهل ومَنْ نَحَا نحوه.

والعروة الوثقىٰ: شهادة أن «لا إله إلَّا الله»، وهي مُتضمِّنةٌ للنَّفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالىٰ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلِّها لله وحده لا شريك له.

والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، وبذِكْره تطيب الحياة.

وهنا انتهينا من شرح الواجبات المُتحتِّمات، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّنا وحبينا مُحمَّدٍ خير البريَّات.

كان الفراغ من مراجعته والتَّعليق عليه بما يسَّر الله،

يوم الجمعة ٢/ ١٢/ ١٤٢٥هـ.

بعض طلبة العلم وفَّقهم الله





الفهرس



